

سبل الهدى والرشاد

الصالحى الشامى ج ٢

[١]

سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد للامام محمد بن يوسف الصالحى الشامى المتوفى سنة ٩٤٢ هـ تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ على محمد معوض الجزء الثالث دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

[٢]

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ص. ب: ٩٤٢٤ / ١١، تليكس: ٤١٢٤٥ le Nasher هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٣٦٤٣٩٨ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣ فاكس: ٤٧٨١٣٧٣ / ١٢١٢ / ٠٠

[٣]

بسم الله الرحمن الرحيم جماع أبواب معراج صلى الله عليه وسلم قد كنت أفردت كتابا حافلا فى هذا الباب سميتة: (الآيات البينات فى معراج سيد أهل الارض والسموات)، ثم ظفرت بأشياء لم يتيسر الوقوف عليها إذ ذاك، فجمعت كتابا آخر سميتة: (الفضل الفائق فى معراج خير الخلائق)، فاجتمع فيه فوائد ونفائس لا توجد مجموعة إلا فيه، فرأيت أن أذكر هنا خلاصته:

[٤]

الباب الاول فى بعض فوائد قوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) [الاسراء ١]. الكلام على هذه الآية من وجوه: الاول: فى سبب نزولها: قال الامام العالم العلامة أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطى - بفتح العين المعجمة وسكون الراء وبالطاء المهملة - فى تفسيره المسمى بالنهر: (سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر الاسراء به كذبوه، فأنزلها الله تعالى). الثانى: فى وجه اتصال هذه السورة بما قبلها: قال الامام فخر الدين الرازى، والبرهان النسفى: (وجه الاتصال بما قبلها أن فى تلك السورة ذكر الخليل صلى الله عليه وسلم وذكر أوصافه الشريفة، وتشريعاته العلية من الحضرة الازلية، والامر باتباع ملة الحنيفية، والافتداء به فى العقائد الدينية، وفى هذه السورة ذكر من اتبع ملته بالصدق، وأقام سنته على الحق، وفى آخر تلك السورة أمر نبياً صلى الله عليه وسلم: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) [النحل ١٢٥]. وأمره بعد ذلك بالصبر فقال: (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما

بمكروه) [النحل ١٢٧] والصبر هو التحمل للمكاره، والتحمل من جملة ما يؤدي إلى التجمل، ومنه ما ذكر في أول هذه السورة. النهز: لما أمره الله تعالى بالصبر، ونهاه عن الحزن عليهم، وأن يضيق صدره من مكروهم، وكان من مكروهم يشتبه إلى الكذب والسحر والشعر وغير ذلك مما رموه به، فأعقب الله تعالى ذلك بشرفه وفضله واحتفائه به وعلو منزلته عنده. الشيخ رحمه الله تعالى في مناسباته: (هذه السورة والاربعة بعدها من قديم ما نزل، روى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال في سورة بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء: هن من العتاق الاول وهن من تلادي). التلاد - بكسر المثناة الفوقية وتخفيف اللام أي مما حفظ قديما، وهذا وجه في ترتيبها، وهو اشتراكها في قدم النزول وكونها مكيات، وكلها مشتملة على القصص. وظهر لي في وجه اتصالها بسورة النحل أنه سبحانه وتعالى لما قال في آخرها: (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) [النحل ١٢٤]. فسر في هذه السورة شريعة أهل السبت وشأنهم، فذكر فيها جميع ما شرع لهم في التوراة. كما روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: (التوراة كلها في خمس

[٥]

عشرة آية من بني إسرائيل). وذكر عصيانهم وفسادهم وتخريب مسجدهم، ثم ذكر استفزازهم النبي صلى الله عليه وسلم وإرادتهم إخراجه من المدينة إياه عن الروح. ثم ختم السورة بآيات موسى التسع، وخطابه مع فرعون. وأخير أن فرعون أراد أن يستفزههم من الأرض فأهلك. وأرث بني إسرائيل الأرض من بعدهم. وفي ذلك تعرض بهم أنهم كما استفزوا النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة، فسيخرجون منها ويرثها هو وأصحابه كنظير ما وقع لهم مع فرعون لما استفزههم. وقد وقع ذلك أيضا. ولما كانت السورة مصدره بتخريب المسجد الأقصى افتتخت بذكر إسراء سيدنا محمد المصطفى إليه، تشريفا لحلول ركابه الشريف وجبرا لما وقع من تخريبه. انتهى. الثالث: في حكمة استفتاحها بالتسييح: ابن الجوزي في زاد المسير: الحكمة في الاتيان به هنا وجهان: أحدهما: أن العرب تسبح عند الأمر العجيب، فكأن الله تعالى عجب خلقه بما أسدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاسراء به. الثاني: أن يكون خرج مخرج الرد عليهم، لانه صلى الله عليه وسلم لما حدثهم عن الاسراء به كذبوه، فيكون المعنى تنزه الله تعالى أن يتخذ رسولا كذابا. القاضي تاج الدين السبكي في تذكرته سأل الامام: ما الحكمة في افتتاح سورة الاسراء بالتسييح والكهف بالتحميد؟ وأجاب بأن التسييح حيث جاء قدم على التحميد نحو: (فسيح بحمد ربك) [النصر ٣] سبحان الله والحمد لله. وأجاب ابن الزمكاني - بفتح الزاي واللام -: [أن] سورة سبحان لما اشتملت على الاسراء وكذب المشركون به النبي صلى الله عليه وسلم، وتكذيبه تكذيب لله تعالى، أتى (بسبحان) لتنزيه الله عز وجل عما ينسب إليه من الكذب، وسورة الكهف لما نزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخير الوحي نزلت مينة أن الله تعالى لم يقطع نعمته على نبيه ولا على المؤمنين، بل أتم عليهم النعمة بإنزال الكتاب، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة. الرابع: في الكلام على سبحان الله: محمود الكرمانى في (برهانه): (كلمة استأثر الله تعالى بها، فبدأ بالمصدر في بني إسرائيل ثم بالماضي في الصف والحشر لانه أسبق، ثم بالمضارع في الجمعة والتغابن، ثم بالامر في الاعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها). انتهى. وقوله (فبدأ بالمصدر) أي بالاسم الموضوع موضع المصدر.

وروى الحاكم أن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى (سبحان الله)، فقال: (تنزيه الله من كل سوء). وروى ابن أبي حاتم عن علي رضي الله تعالى عنهما، قال: (سبحان الله، اسم يعظم الله تعالى به نفسه ويتحاشى به عن السوء). الماوردي رحمه الله تعالى: (هو ذكر يعظم الله تعالى به لا يصلح إلا له). وأما ما ذكره في قول الشاعر. (سبحان من علقمة الفاخر). فعلى سبيل الشذوذ. صاحب النظم (١): (السيح - في اللغة - التباعد، يدل عليه قوله تعالى: (إن لك في النهار سبحا طويلا) [المزمّل ٧]، أي تباعدا طويلا. فمعنى سبح الله تعالى بعده عما لا ينبغي. وللتسيح معان آخر ذكرتها في كتاب: القول الجامع الوجيز الخادم للقرآن العزيز. الامام موفق الدين بن يعقوب رحمه الله تعالى في شرح المفصل: (اعلم أنهم قد علقوا الاعلام على المعاني فأطلقوها على الاعيان، فمن ذلك قولهم: سبحان، وهو عندنا علم واقع على معنى التسيح، وهو مصدر معناه البراءة والتنزيه وليس منه فعل، وإنما هو واقع التسيح الذي هو المصدر في الحقيقة، جعل علما على هذا المعنى فهو معرفة لذلك ولا يتصرف للتعريف وزيادة الالف والنون. وأما قول الشاعر: (سبحانه ثم سبحانا يعود له)، ففي تنوينه وجهان: أن يكون ضرورة، والثاني: أن يكون أراد الفكرة). الضياء بن العلي رحمه الله، في البسيط: (لفظ المصدر لانه مصدر سيح إذا قال: سبحان الله، ومدلول سبحان التنزيه لا اللفظ). قلنا: التسيح بمعنى التنزيه أيضا لان معنى سيحت نزهت الله تعالى، فتطابقا حينئذ على معنى التنزيه، فصح تعليق سبحان على التسيح، واستعماله علما قليلا، وأكثر استعماله مضافا اما إلى فاعله أو إلى مفعوله. فإذا أضيف فليس بعلم لان الاعلام لا تضاف. قال: وقيل (سبحان) في البيت مضاف حذف المضاف إليه للعلم به وليس بعلم).

(١) أبو الحسين علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني القاضي بجرجان ثم بالري ذكره الشيخ أبو إسحاق في طبقاته فقال: كان فقيها أدبيا شاعرا وفيه يقول صاحب بن عباد: إذا نحن سلمنا لك العلم كله * فدع هذه الالفاظ تنظم شذورها انظر شذرات الذهب ٣ / ٥٦، ٥٧. (*)

أبو عمرو بن الحاجب (١) رحمه الله تعالى في أماليه: (الدليل على أن سبحان علم للتسيح قول الشاعر: قد قلت لما جاءني فخره * سبحان من علقمة الفاخر (٢) ولولا أنه علم لوجب صرفه لان الالف والنون في غير الصفات إنما تمنع مع العلمية). الشهاب السمين رحمه الله تعالى في إعرابه: (قيل هو مصدر لانه سيمع له فعل ثلاثي، وهو من الاسماء اللازمة للاضافة، وقد يفرد، وإذا أفرد منع من الصرف للتعريف، وزيادة الالف والنون كما في البيت السابق. وقد جاء منونا كقوله: سبحانه ثم سبحانا يعود له * وقبلنا سيح الجودي والجمد (٣) فقيل ضرورة وقيل هو بمنزلة قبل وبعد، إن نوى تعريفه بقي على حاله، وإن نكر أعرب، منصرفا. وهذا البيت يساعد على كونه مصدرا لا اسم مصدر لوروده منصرفا. ولقائل القول الاول أن يجيب عنه بأن هذا نكرة لا معرفة. وهو من الاسماء اللازمة النصب على المصدرية فلا تنصرف. والناصب له فعل مقدر لا يجوز إظهاره). أبو شامة رحمه الله: (حيث جاء منصوبا نصب المفعول المطلق اللازم إضمار فعله، وفعله إما فعل أمر أو خبر. وهو في هذه البسورة محتمل للامرئين أي سبحوا الذي أسرى بعبيده أو سبح الذي أسرى بعبيده، على أن يكون ابتداء ثناء الله تعالى على نفسه كقول (الحمد لله رب العالمين)). القرطبي رحمه الله: (العامل فيه على مذهب سيويه

الفعل الذي من معناه لا من لفظه إذ لم يجئ من لفظه فعل، وذلك مثل قعد القرفصاء واشتمل الصماء. فالتقدير عنده أنزه الله تعالى تنزيها، فوقع (سبحان الله) مكان (٤) قولك تنزيها. انتهى. الزمخشري رحمه الله تعالى: (سبحان علم للتسبيح كعثمان لرجل وانتصابه يفعل

(١) عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين بن الحاجب: فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية. كردي الاصل. ولد في أسنا (من صعيد مصر) ونشأ في القاهرة، وسكن دمشق، ومات بالاسكندرية سنة ٦٤٦ هـ. وكان أبوه حاجبا فعرف به. من تصانيفه (الكافية) في النحو، والشافية) في الصرف، و (منتهى السؤل والامل في علمي الاصول والجدل). انظر الاعلام ٤ / ٢١١. (٢) البيت للاعشى وروي أقول لما جاءني فخره * سبحان من علقمة الفاخر انظر لسان العرب ٢ / ١٩١٤. (٣) البيت لامية بن أبي الصلت انظر اللسان ٢ / ١٩١٥. (٤) في أ: فهو بمنزلة. (*)

[٨]

مضمر [متروك إظهاره، تقديره [أسبح الله سبحان. ثم نزل منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه اليلغ من جميع القبائح التي يضيفها إليه أهداء الله). الطيبي رحمه الله تعالى: (وذلك في جلب هذا المصدر في أصل هذا التركيب للتوكيد، وهو أسبح تسبيحا ثم أسبح سبحان، ثم في حذف العامل وإقامته مقامه للدالة على أن المقصود بالذات هو المصدر، والفعل تابع، فيفيد الاخبار بسرعة وجود التنزيه). وروي عن الكسائي أنه جعل منادى تقديره يا سبحانك، وأباه الجمهور. السفاقي والسمين (١): (ورد بأنه لم يسمع دخول حرف النداء عليه، وزعم بعضهم أن لفظه لفظ التثنية ومعناه كذلك كليك. وهو غريب. ويلزمه أن يكون مفرد سبحا وألا يكون منصوبا بل مرفوعا، وأنه نونه لم تسقط بالاضافة وأن فتحها يلزم). ومن الغرائب أيضا ما حكاه الماوردي عن أبان بن تغلب - بالمشاة الفوقية والغين المعجمة - أن سبحان كلمة أصلها بالنبطية (شبهانك) فعربت (سبحانك). والذي أضيف إلى سبحان مفعول به لانه المسيح، ويجوز أن يكون فاعلا لان المعنى تنزه الذي أسرى بعده. الخامس: في الكلام على (أسرى): البرهان النسفي: قال أهل اللغة: أسرى وسرى لغتان. زاد غيره: يختصان بسير الليل. السمين: فيكون سرى وأسرى كسقي وأسقى. والهمزة هنا ليست للتعدية، خلافا لابن عطية، وإنما المعدي الباء في (بعده). وتقدم في البقرة أنها لا تقتضي مصاحبة الفاعل للمفعول عند الجمهور، خلافا للمبرد. ويسط الكلام على ذلك هنا وفي البقرة. السفاقي: الباء للتعدية وترادف الهمزة عند الجمهور خلافا للمبرد والسهيلي في أنها تقتضي مصاحبة الفاعل للمفعول في الفعل بخلاف الهمزة حتى قال السهيلي: إذ قلت فعدت به فلا بد من مشاركة ولو باليد. ورد عليهما بالاية: (ذهب الله بنورهم) [البقرة ١٧] لان الله لا يوصف بالذهاب مع النور. ورد عليهما أيضا بقول الشاعر:

(١) أحمد بن يوسف بن محمد، وقيل: عبد الدائم، العلامة شهاب الدين أبو العباس الحلبي ثم المصري، النحوي المقرئ الفقيه، المعروف بابن السمين. قرأ النحو على أبي حيان، والقراءات على ابن الصائغ، وسمع وولي تصدير إقراء النحو بالجامع الطولوني، وأعاد بالشافعي، وناظ في الحكم بالقاهرة، وولي نظر الاوقاف بها، وصنف تصانيف حسنة، منها تفسير القرآن مطول، وقد بقي منه أوراق قلانل، قال الحسيني: في عشرين سفرا، وإعراب القرآن سماه الدر المصون في أربعة أجزاء، ومادته فيه من تفسير شيخه أبي حيان إلا أنه زاد عليه، وناقشه في مواضع مناقشة حسنة وقد قمنا بتحقيقه، وأحكام القرآن وشرح التسهيل شرحا مختصرا من شرح أبي حيان، وشرح الشاطبية. قال الاسنوي: كان فقهيا بارعا في النحو، والتفسير، وعلم القراءة، ويتكلم في الاصول خيرا دينا. توفي في جمادى الآخرة، وقيل: في شعبان سنة ست وخمسين وسبعمائة بالقاهرة. ابن قاضي شهبة ١٨١٣. (*)

ديار التي كانت ونحن على منى * تحل بنا لولا نجاه الركائب (١) أي تحلنا فالباء هنا للتعدية، ولم تقتض المشاركة لان الديار لم تكن حراما فتصير حلالا، ولكون الباء بمعنى الهمزة لا يجمع بينهما، فلا يقال أذهبت يزيد. وحزم ابن دحية. بفتح الدال وكسرهما. وابن المنير، بما قاله المبرد فقالا: (يؤخذ من قوله: (أسرى بعبد) ما لا يؤخذ إن قيل: بعث إلى عبده، لان الباء تقيد المصاحبة، أي صحبة في مسراه بالالطاف والعناية والاسعاف). زاد ابن دحية: (ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (اللهم أنت صاحب في السفر). ويؤخذ من ذلك أن من قال: لله علي أن أحج فلان، يلزمه الحج معه، بخلاف ما لو قال: لله علي أن أحج فلانا، فإنه يلزمه أن يجهزه للحج من ماله. والفرق بين الصورتين ما تعطيه الباء من المصاحبة). انتهى. وتقدم رد ذلك. الحافظ: (أسرى مأخوذ من السرى وهو سير الليل، فقول العرب أسرى وسرى إذا سار ليلا، هذا قول الاكثر). وقال الحوفي: أسرى سار ليلا، وسرى سار نهارا). قال الحافظ في موضع آخر: (وقيل أسرى سار من أول الليل، وسرى سار من آخره) وهذا أقرب. ولم يختلف القراء في أسرى، بخلاف قوله تعالى في قصة لوط: (فأسر بأهلك) [هود ٨١]. فقرئت بالوصل والقطع، وفيه تعقيب على من قال من أهل اللغة: إن أسرى وسرى بمعنى. قال السهيلي: (السرى من سررت إذا سرت ليلا، يعني فهو لازم. والاسراء يتعدى في المعنى، لكن حذف مفعوله حتى ظن من ظن أنهما بمعنى واحد، وإنما معنى (أسرى بعبد)، جعل البراق يشري به، كما تقول: أمضيت كذا أي جعلته يمضي، لكن حذف المفعول لقوة الدلالة عليه، والاستغناء عن ذكره، إذ المقصود بالذكر المصطفى لا الدابة التي سارت به. وأما قصة لوط فالمعنى: سر بهم على ما يتحملون عليه من دابة ونحوها، هذا معنى قراءة القطع. ومعنى الوصل: سر بهم ليلا، ولم يأت مثل ذلك في الاسراء، إلا أنه لا يجوز أن يقال: (سرى بعبد) بوجه من الوجوه). قال الحافظ والنسفي: (الذي حزم به من هذه الحثية التي قصر فيها الاشارة إلى أنه سار ليلا على البراق. والان لو قال قائل: سرت يزيد بمعنى صاحبه لكان المعنى صحيحا.

(١) البيت لقيس بن الخطيم انظر اللسان ١ / ٩٧٢. (*)

السادس: في الكلام على العبد: أجمع المسلمون على أن المراد بالعبد هنا سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو لغة المملوك من نوع من يعقل. قال في المحكم: (العبد الانسان حرا كان أو رقيقا، لانه مملوك لبارئه). وقال غيره: (إنه مشتق من التعبد وهو التذلل). قال ابن الانباري: (العبد الخاضع لله من قولهم: طريق معبد إذا كان قد وطئها الناس). وللإمام جمال الدين بن مالك (١) بيتان في جموع عبد، وذيل الشيخ رحمة الله عليهما بمثلهما ووطأ قبلهما بيت، فقال: جموع لعبد لابن مالك نظمها * وزدت عليها مثلها فاستفد وجد عباد عبيد جمع عبد وأعيد * أعابد معبودا معبده عبد كذلك عبادان وعبدان أثبتا * كذاك العبيدي وامدد ان شئت أن تمد وقد زيد أعباد عبيد عبده * وخفف بفتح والعبدان إن تشد وأعبدة عبيدون ثمت بعدها * عبيدون معبودا بقصر فخذ تشد الاسنوي (٢) رحمه الله تعالى: (قال سيبويه: العبد في الاصل صفة، ولكنه استعمل استعمال الاسماء). الشيخ زكريا (٣) رحمه الله تعالى في فتح

الرحمن (قال تعالى: (بعده) دون نبيه أو حبيبه لئلا تضل أمته أو لان وصفه بالعبودية المضافة إلى الله تعالى أشرف المقامات).

(١) محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين: أحد الأئمة في علوم العربية. ولد في حيان (بالاندلس) وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها. أشهر كتبه (الافية في النحو، وله (تسهيل الفوائد)، و (شرحه له) توفي سنة ٦٧٢ هـ. الاعلام ٦ / ٣٣٣، بغية الوعاة ٥٣، وغاية النهاية ٢ / ١٨٠. (٢) عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم، الامام العلامة، منقح الالفاظ، محقق المعاني، ذو التصانيف المشهورة المفيدة، جمال الدين أبو محمد القرشي، الاموي، الاسنوي المصري. ولد بإسنا في رجب سنة أربع وسبعمئة، وقدم القاهرة سنة إحدى وعشرين وسبعمئة، وسمع الحديث، واشتغل في أنواع من العلوم، توفي فجأة في جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وسبعمئة، ودفن بترتبه بقرب مقابر الصوفية. ومن تصانيفه: جواهر البحرين في تناقض الحبرين والتنقيح على التصحيح. وشرح المنهاج للبيضاوي وهو أحسن شروحه وأنفعها. والهداية في أوهام الكفاية - والمهمات - والتمهيد - وطبقات الفقهاء - وطرز المحافل في ألغاز المسائل - ومن تصانيفه أيضا: كافي المحتاج في شرح منهاج النووي. انظر الطبقات لابن قاضي شهبة ٣ / ٩٨، ٩٩، ١٠٠، والبدر الطالع ١ / ٢٥٢، والعقد المذهب لابن الملقن ٢٨٧، والاعلام ٤ / ١١٩، وشذرات الذهب ٦ / ٢٢٤. (٣) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الانصاري السنيكي المصري الشافعي، أبو يحيى: شيخ الاسلام. قاض مفسر، من حفاظ الحديث. ولد في سنيكة (بشرقية مصر) وتعلم في القاهرة وكف بصره سنة ٩٠٦ هـ. نشأ فقيرا معدما، له تصانيف كثيرة منها (فتح الرحمن في التفسير)، و (تحفة البارئ على صحيح البخاري) و (فتح الجليل) تعليق على تفسير البيضاوي، و (شرح إيساغوجي) في المنطق، و (شرح ألفية العراقي في مصطلح الحديث، و (شرح شذور الذهب) في النحو، و (تحفة نجباء العصر). توفي سنة ٩٢٦ هـ. اعلام ٣ / ٤٦. (*).

[١١]

الاستاذ أبو علي الدقاق (١) رحمه الله تعالى: (ليس للمؤمن صفة أتم ولا أشرف من العبودية، ولهذا أطلقها الله تعالى على نبيه في أشرف المواطن، كقوله: (سبحان الذي أسرى بعبده) [الاسراء ١]، (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) [الكهف ١]، (وأوحى إلى عبده ما أوحى) [النجم ١٠]، (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده) [الفرقان ١]. الشيخ عبد الباسط البلقيني رحمه الله: (ومن هنا يؤخذ الجواب عن وصفه صلى الله عليه وسلم بذلك ووصف يحيى عليه السلام بالسيادة في قوله تعالى: (وسيدا، وحصورا) [آل عمران ٣٩]. الاستاذ أبو القاسم القشيري (٢) رحمه الله: في معناه أنشدوا: يا قوم قلبي عند زهراء * يعرفه السامع والرائي لا تدعني إلا بيا عبدها * فإنه أشرف أسمائي العوفي رحمه الله: (والسبب في ذلك أن الالهية ١ والسيادة والربوبية إنما هي في الحقيقة لله عز وجل لا غير. والعبودية في الحقيقة لمن دونه. فإذا كان في مقام العبودية فهو في رتبته الحقيقية، والرتبة الحقيقية أشرف المراتب إذ ليس بعد الحقيقة إلا المجاز، ولا بعد الحق إلا الضلال). البرهان النسفي رحمه الله: (قيل لما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعراج، أوحى الله تعالى إليه: يا محمد أشرفك؟ قال: يا رب تنسبني إلى نفسك بالعبودية، فأنزل الله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده) الآية. وأقوال القوم في العبد والعبودية كثيرة، والالفاظ مختلفة معانيها، وكل أحد يتكلم

(١) الحسين بن علي بن محمد، الاستاذ أبو الدقاق النيسابوري، الزاهد العارف، شيخ الصوفية. تفقه بمرور عند الخصري، وأعاد عند القفال وبرع في الفقه، ثم سلك طريق الصوفية، وصحب الاستاذ أبا القاسم الترابادي، وأخذ الطريقة عنه، وزاد عليه حالا ومقالا، واشتهر ذكره في الافاق، وانتفع به الخلق، ومنهم أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة، وحكى عنه أحوالا وكرامات. مات في ذي الحجة سنة سست وأربعمائة، وقيل: سنة خمس. انظر طبقات ابن قاضي شهبة ١ / ١٧٨. (٢) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد، الاستاذ أبو القاسم القشيري النيسابوري. أحد العلماء بالشريعة والحقيقة. أخذ الطريقة عن الشيخ أبي علي الدقاق وأبي عبد الرحمن السلمى، ودرس الفقه على أبي بكر الطوسي حتي فرغ

من التعليق وقرأ الكلام على أبي بكر بن فورك وأبي إسحاق الإسفراييني وبرع في ذلك، وحج مع البيهقي وأبي محمد الجويني. ذكره الخطيب البغدادي ومات قبله، وقال: كتبنا عنه وكان ثقة، وكان يقص، وكان حسن الموعظة، مليح الإشارة، وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي. وقال ابن السمعاني: لم ير أبو القاسم مثل نفسه في كماله وبراعته، جمع بين الشريعة والحقيقة. وقال ابن خلكان: صنف أبو القاسم التفسير الكبير، وهو من أجود التفاسير، وصنف الرسالة في رجال الطريقة، وذكر له الذهبي مصنفات آخر. ولد في ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلاثمائة، وتوفي في ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة عن تسع وثمانين سنة، ودفن إلى جانب أستاذه أبي علي بالمدرسة. ابن قاضي شهبة ١١ / ٢٥٤. (*)

[١٢]

بلسان حاله على قدر مقامه، فقال أبو حفص النيسابوري رحمه الله: (العبد هو القائم إلى أوامر سيده على حد النشاط حيث جعله محل أمره). ابن عطاء (١) رحمه الله: (العبد الذي لا ملك له). الجريري - بفتح الجيم -: (حقيقة العبد هو الذي يتخلق بأخلاق ربه). رويم رحمه الله تعالى: (يتحقق العبد بالعبودية إذا أسلم القياد من نفسه وتبرأ من حوله وقوته، وعلم أن الكل له وبه). عبد الله بن محمد رحمه الله: (حزت صفة العبودية إن كنت لا ترى لنفسك ملكا، وتعلم أنك لا تملك لها نفعا ولا ضرا. ورحم الله من قال: وكنت قديما أطلب الوصل منهم * فلما أتاني الحلم وارتفع الجهل تيقنت أن العبد لا مطلب له * فإن قربوا فضل وإن أبعدوا عدل وإن أظهروا لم يظهروا غير وصفهم * وإن ستروا فالستر من أجلهم يحلو الامام الرازي رحمه الله، دل قوله بعبده على أن الأسراء كان بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن العبد اسم للجسد والروح، قال تعالى: (أرأيت الذي ينهي، عبدا إذا صلى) [العنق: ٩، ١٠]. السابع: في كلام على قوله تعالى: (ليلا). الحافظ رحمه الله تعالى: (ليلا ظرف للأسراء وهو للتأكيد، وفائدته رفع توهم المجاز، لانه قد يطلق على سير النهار أيضا، ويقال بل هو إشارة إلى أن ذلك وقع في بعض الليل لا في جميعه، والعرب تقول: سرى فلان ليلا إذا سار بعضه، وسرى في ليلة إذا سار في جميعها. ولا يقال أسرى ليلا إلا إذا وقع سيره في أثناء الليل، وإذا وقع في أوله يقال أدلج، ومن هذا قوله تعالى في قصة موسى وبنو إسرائيل: (فأسر بعبادي ليلا) [الدخان: ٢٣]، أي من وسط الليل). أبو شامة رحمه الله تعالى: إنما نسب السرى إلى الليل لما كان السرى واقعا فيه كقوله تعالى: (والنهار مبصرا) [يونس: ٦٧]، أي يبصر فيه، فهو من باب قوله: ليل نائم وساهر، أي يحصل فيه النوم والسهرة، وهذا باب من أبواب المجاز معروف).

(١) أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين، ابن عطاء الله الاسكندري؛ متصوف شاذلي، من العلماء. كان من أشد خصوم شيخ الاسلام ابن تيمية. له تصانيف منها (الحكم العطائية - ط) في التصوف، و (تاج العروس - ط) في الوصايا والعظائم، و (لطائف المنن في مناقب المرسي وأبي الحسن - ط) توفي بالقاهرة. وينسب إليه كتاب (مفتاح الفلاح) وليس من تأليفه. (*)

[١٣]

واستشكل كثير من الناس كون (ليلا) ظرفا للأسراء. ووجه الاشكال أنه قد تقدم أن الأسراء هو سير الليل، فإذا أطلق الأسراء فهم أنه واقع ليلا، فهو كالصبح في شرب الصباح، لا يحتاج إلى قوله: شربت الصبح صباحا. وجوابه أن الأمر وإن كان كذلك إلا أن العرب تفعل مثل ذلك في بعض الوقاات إذا أرادت تأكيد الامور. والتأكيد نوع من أنواع كلامهم وأسلوب منه. والعرب تقول: أخذ بيده، وقال بلسانه. وفي القرآن العزيز: (ولا طائر يطير بجناحيه) [الانعام: ٢٨]، (يقولون

بأفواهمهم) [آل عمران: ١٦٧]، (فخر عليهم السقف بمن فوقهم) [النحل: ٢٦]، وقال جرير: سرى نحوها ليلا كأن نجومه * قناديل فيهن الذبال المغفل (١) الذبال: جمع ذبالة - بضم الذال المعجمة وهي الفتيلة. الجوهرى (٢): (وإنما قال ليلا، وإن كان السرى لا يكون لا بالليل للتأكيد، كقولهم: سرت أمس نهارا والبارحة ليلا. الزمخشري: [فإن قلت الاسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل ؟ قلت]: أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وأنه وقع السرى في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية، وبشاهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة (من الليل) أي بعض الليل كقوله تعالى: (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) [الاسراء: ٧٩] يعني الامر بقيام الليل في بعض الليل. قال أبو شامة: (وهذا الوجه لا بأس به، وقد زاد شيخنا أبو الحسن - يعني السخاوي في تفسيره أيضا وتقريراً، فقال: وإنما قال: (ليلا)، والاسراء لا يكون إلا بالليل، لان المدة التي أسرى به فيها لا تقطع في أقل من أربعين يوماً، فقطعت به في ليل واحد المعنى سبحان الذي أسرى بعبد في ليل واحد من كذا إلى كذا، وهو موضع التعجب). قال: (وإنما عدل عن ليلة إلى ليل، لأنهم إذا قالوا: سرى ليلة، كان ذلك في الغالب لاستيعاب الليلة، فقليل: ليلا أي في ليل). وتعقب صاحب الفوائد كلام الزمخشري بكلام تعقبه فيه الطيبي، ثم قال الطيبي:

(١) انظر ديوان جرير (٢٤٢). (٢) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر. لغوي، من الأئمة. وخطه يذكر مع خط ابن مقلبة. أشهر كتبه (الصاح) - وله كتاب في (العروض) ومقدمة في (النحو) أصله من فاراب، ودخل العراق صغيراً، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور. توفي ٩٩٣ هـ / ١٣١٣. (*).

[١٤]

(ويمكن أن يراد بالتنكير التعظيم والتفخيم، والمقام يقتضيه، ألا ترى كيف افتتحت السورة بالكلمة المنبئة عنه ؟ ثم وصف المسرى به بالعبودية، ثم أردف تعظيم المكانين بالحرام وبالبركة لما حوله، يعظم الزمان ثم يعظم الايات بإضافتها إلى صيغة التعظيم، وجمعها لتشمل جميع أنواع الايات، وكل ذلك شاهد صدق على ما نحن بصدده، والمعنى ما أعظم شأن من أسرى [به] ممن حقق له مقام العبودية، وصح له استناله للعناية السرمدية ليلا، أي ليل له شأن حليل. ابن المنبر رحمه الله تعالى: (وإنما كان الاسراء ليلا لانه وقت الخلوة والاختصاص عرفاً، ولانه وقت الصلاة التي كانت مفروضة عليه في قوله تعالى: (قم الليل إلا قليلاً) [المزمل: ٢] وليكون أبلغ للمؤمن في الايمان بالغيب، وفتنة للكافر). ابن دحية رحمه الله: (كرم الله نبيا صلى الله عليه وسلم ليلا بأمر منها: انشقاق القمر، وإيمان الجن به، ورأى أصحابه نيرانهم، كما في صحيح مسلم، وخرج إلى الغار ليلا. والليل أصل، ولهذا كان أول الشهور، وسواده يجمع ضوء البصر، ويحد كليل النظر، ويستلذ فيه بالسمر. وكان أكثر أسفاره ليلا. وقال عليه الصلاة والسلام: (عليكم - بالدلجة فإن الارض تطوى بالليل). والليل وقت الاجتهاد للعبادة. وكان صلى الله عليه وسلم يقوم ح تى تورمت قدماه. وكان قيام الليل في حقه واجبا، فلما كانت عبادته ليلا أكرم بالاسراء [به] فيه ليكون أجر المصدق به أكثر، ليدخل فيمن آمن بالغيب دون من عاينه نهاراً، وقدم الحق تبارك وتعالى الليل في كتابه على ذكر النهار، فقال عز وجل: (وجعلنا الليل والنهار آيتين) [الاسراء: ١٢]، (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) [الفرقان: ٦٢] إلى غير ذلك من الايات). وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، ومن يستغفري فأغفر

له)، الحديث (١). وهذه الخصيصة لم تجعل للنهار، نيه بها صلى الله عليه وسلم لما في ذلك الوقت من الليل من سعة الرحمة ومضاعفة الاجر وتعجيل الاجابة، ولابطال كلام الفلاسفة أن الظلمة من شأنها الاهانة والشر، لان الله تعالى أكرم أقواما في الليل بأنواع الكرامات كقوله في قصة إبراهيم صلى الله عليه وسلم: (فلما جن عليه الليل) [الانعام: ٧٦] الآية. وفي لفظ بقوله: (فأسر بأهلك بقطع من

(١) أخرجه البخاري ٢ / ٦٦ (دار الفكر) ومسلم ١ / ٥٢١ (١٦٨ - ٧٥٨) وأبو داود (١٣١٥) - (٤٧٢٢) وابن ماجه (١٣٦٦) والبيهقي في السنن ٣ / ٢. (*)

[١٥]

الليل) [هود: ٨١]. وفي موسى: (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) [الاعراف: ٤٢] ونجاه ليلا، وأمره بإخراج أهله ليلا. بعض أهل الاشارات: (لما محا الله آية الليل، (وجعلنا آية النهار مبصرة) [الاسراء: ١٢] انكسر الليل، فجير بأن أسري فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم). انتهى. أبو امامة بن النقايش رحمه الله: (ليلة الاسراء من ليلة القدر في حق النبي صلى الله عليه وسلم، وليلة القدر أفضل في حق الاممة، لانها لهم خير من عمل أكثر من ثمانين سنة ممن كان قبلهم. وأما ليلة الاسراء فلم يأت في أرجحية العمل فيها حديث صحيح ولا ضعيف، ولذلك لم يعينها النبي صلى الله عليه وسلم). ويؤخذ من قول الامام البلقيني رحمه الله في قصيدته التي مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم: أولاك رؤيته في ليلة فضلت * ليالي القدر فيها الرب أرضا كما أن ليلة الاسراء أفضل من ليلة القدر. قال في الاصطفاء: (ولعل الحكمة في ذلك اشتغالها على رؤيته تعالى التي هي أفضل كل شئ، ولذا لم يجعلها ثوابا عن عمل من الاعمال مطلقا، بل من بها على عبادة المؤمنين يوم القيامة تفضلا منه تعالى. تنبيه: اختلف هل الليل أفضل من النهار؟ فرجح كلا مرجحون. وقد ألف الامام أبو الحسين بن فارس (١) اللغوي كتابا في التفضيل بينهما فذكر وجوها في تفضيل هذا ووجوها في تفضيل هذا. الثامن: في الكلام على قوله تعالى (من المسجد الحرام): (من) ههنا لابتداء الغاية. الزركشي رحمه الله في كتابه: (إعلام الساجد بأحكام المساجد): المسجد لغة مفعول بالكسر اسم لمكان السجود وبالفتح السم للمصدر).

(١) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والادب. قرأ عليه البيهقي الهمداني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همدان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها سنة ٣٩٥ هـ، وإليها نسبتهم. من تصانيفه (مقاييس اللغة - ط) (المجمل)، و (الصاحبي) في علم العربية، ألفه لخزانة الصاحب بن عباد، و (جامع التأويل) في تفسير القرآن، أربعة مجلدات، و (النيروز)، و (الاتباع والمزاوجة) و (الحماسة المحدثه) و (الفصيح) و (تمام الفصيح) و (منتخب الالفاظ) و (ذم الخطأ في الشعر) و (اللامات) و (أوجز السير لخير البشر) الاعلام ١ / ١٩٣. (*)

[١٦]

قال أبو زكريا الفراء (١): (كل ما كان على فعل يفعل كدخل يدخل، فالمفعل منه بالفتح إسما كان أو مصدرا، فلا يقع فيه الفرق مثل دخل مدخلا. ومن الاسماء ألزموها كشر العين منها: المسجد والمطلع والمغرب والمشرق وغيرها، فجعلوا الكسر علامة للاسم، وربما فتحه بعض العرب. وقد روي المسجد المسجد والمطلع

المطلع). قال: (والفتح في كله جائز وإن لم نسمعه). قال في الصحاح: (والمسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه السجود. وقال أبو حفص الصقلي - بفتحيتين في كتاب تنقيف اللسان (ويقال مسجد يفتح الميم، حكاه غير واحد، فتحصلنا فيه على ثلاث لغات). والمسجد بكسر الميم الخمرة بضم الخاء المعجمة وهي الحصير الصغير، قاله العسكري. وأما عرفا فكل موضع من الأرض لقوله صلى الله عليه وسلم: (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا). قلت وسيأتي الكلام على هذا الحديث في الخصائص. ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه، فقيل مسجد، ولم يقولوا مركب. ثم إن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلى المجتمع فيه للاعياد ونحوها، فلا يعطى حكمه، وكذلك الربط والمدارس فإنها هيت لغير ذلك. التاسع: في الكلام على قوله: الحرام. أبو شامة: أصل الحرام المنع، ومنه البيت الحرام، وفلان حرام أي محرم وهو ضد الحلال، وذلك لما منع منه المحرم مما يجوز لغيره، ولما منع في الحرم مما يجوز في غيره من البلاد. الماوردي رحمه الله في كتاب الجزية من حاويه: (كل موضع ذكر الله تعالى فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم، إلا في قوله تعالى: (فول وجهك شطر المسجد الحرام) [البقرة: ١٤٤] فإنه أراد به الكعبة. الحافظ رحمه الله تعالى: (لفظ المسجد الحرام في الاصل حقيقة الكعبة فقط، وهو

(١) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أبي بني منقري) أبو زكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. من كتبه (المقصود والممدود)، و (المذكر والمؤنث)، وكتاب (اللغات). واشتهر بالفراء. ولما مات وجد (كتاب سيبويه) تحت رأسه فقيل: إنه كان يشيع خطأه ويتعمد مخالفته. توفي في سنة ٢٠٧ هـ انظر الاعلام ٨ / ١٤٥، ١٤٦. ووفيات الاعيان ٢ / ٢٨٨، وغاية النهاية ٢ / ٣٧١. (*)

[١٧]

المعني بقوله تعالى: (إن أول بيت وضع للناس بيكة مباركا وهدى للعالمين) [آل عمران: ٩٦]، ويقول صلى الله عليه وسلم لما سأله أبو ذر عن أول مسجد وضع في الأرض فقال: (المسجد الحرام). واستعمله بعد ذلك في المسجد المحيط بالكعبة في قوله: (صلاة في المسجد الحرام بكذا وكذا صلاة)، على وجه التغليب المجازي. وفي قوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام) [الاسراء: ١] على قول من يقول المراد به مكة، لانه كان في بيت أم هانئ. وفي دور مكة والحرم حولها في قوله: (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام). كل ذلك من باب التغليب المسوغ للمجاز المتوسع فيه وإلا لزم الاشتراك في موضع لفظ المسجد الحرام، والمجاز أولى منه، وكيف يقال بالاشتراك؟ والفهم ما تبادر عند الاطلاق إلى الكعبة، أو إليها مع المسجد حولها، ولا يتبادر إلى مكة كلها إلا بقربينة). انتهى ملخصا. العاشر: في الكلام على الاقصى. البرهان النسفي رحمه الله: (اتفقوا على أن المراد به مسجد بيت المقدس، وسمي بالاقصى لبعده المسافة بينه وبين المسجد الحرام). الزمخشري رحمه الله: (سمي الاقصى لانه لم يكن وراءه مسجد). الكفيل: فثبت له هذا النعت وإن كان وراءه بعد (١) مساجد هي أقصى منه، لان العلمية إذا أثبتت لسبب لم يضر زوال السبب). ابن دحية رحمه الله: (وهو معدن الانبياء من لدن الخليل صلى الله عليه وسلم، ولذا جمعوا له هناك كلهم، وأنهم في محلتهم ودارهم، ليدل ذلك على أنه الرئيس المقدم، والامام الاعظم صلى الله عليه وسلم). أبو شامة: (هو بيت المقدس الذي عمره نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم بأمر الله عز وجل، وما زال مكرما محترما، وهو أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال شرعا

إلا إليها، أي لا تقصد بالزيارة والتعظيم من جهة أمر الشارع إلا هذه الثلاثة. وكان أبعد مسجد عن أهل مكة أو من النبي صلى الله عليه وسلم، والأقصى أفضل من القصي والقصي هو البعيد). ابن أبي حمزة - بفتح الجيم والراء - رحمه الله: (والحكمة في إسرائه صلى الله عليه وسلم أولا إلى بيت المقدس، لآظهار الحق على من عاند، لانه لو عرج به من مكة إلى السماء، لم يجد لمعادنة الاعداء سبيلا إلى البيان والايضاح. فلما ذكر أنه أسرى به إلى بيت المقدس سألوه عن أشياء من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رأها قبل ذلك. فلما أخبرهم بها

(١) في أ: كانت بعد وراءه. (*)

[١٨]

حصل التحقق بصدقه فيما ذكر من الاسراء به إلى بيت المقدس في ليلة. وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكر). انتهى. وقيل: ليحصل له العروج مستويا من غير تعويج لما روي عن كعب أن باب السماء الذي يقال له مصعد الملائكة يقابل باب بيت المقدس، قال: وهو أقرب الارض إلى السماء بثمانية عشر ميلا. الحافظ: (وفيه نظر. وقيل ليجمع بين القبيلتين، لان بيت المقدس كان هجرة غالب الانبياء فحصل له الرحيل إليه في الجملة ليجمع بين أسباب الفضائل. وقيل لانه محل الحشر، فأراد الله تعالى أن تطأه قدمه ليسهل على أمته يوم القيامة وقوفهم ببركة أثر قدميه. وقيل أراد الله سبحانه وتعالى أن يريه القبلة التي صلى إليها مدة، كما عرفت الكعبة التي صلى إليها. وقيل لانه مجمع أرواح الانبياء فأراد الله تعالى أن يسرفهم بزيارته صلى الله عليه وسلم. وقيل لتفاؤل حصول التقدير له حسا ومعنى. ابن دحية: (ويحتمل أن يكون الحق سبحانه وتعالى أراد ألا يخلي تربة فاضلة من مشهده ووطء قدميه، فتمم تقديس بيت المقدس بصلاة سيدنا محمد فيه. فلما تم تقديسه به، أخبر صلى الله عليه وسلم أنه: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام لانه مولده ومسقط رأسه وموضع نبوته، ومسجد المدينة، لانه محل هجرته وأرض تربته، والمسجد الأقصى، لانه موضع معراج صلى الله عليه وسلم). رموز الكنوز: (فإن قيل الاسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، فهلا أخبرهم تعالى بعروجه إلى السماء؟ قلت: استدرجهم إلى الايمان بذكر الاسراء أولا، فلما ظهرت أمارات صدقه، وصحت لهم براهين رسالته، واستأنسوا بتلك الآية الخارقة، أخبرهم بما هو أعظم منها وهو المعراج، فحدثهم النبي صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله تعالى سورة النجم). الامام الرازي والبرهان: (اعلم أن كلمة (إلى) لانتهاى الغاية فمدلول قوله تعالى: (إلى المسجد الأقصى) أنه وصل إلى ذلك المسجد، ولا دلالة في اللفظ على أنه دخل). قلت: قال المحققون: إذا كانت (إلى) لانتهاى الغاية، فإن دلت قرينة على دخول ما بعدها عمل بها، نحو قرأت القرآن من أوله إلى آخره. فالقرينة هنا ذكر آخر وجعله غاية. وقيل القرينة هي كون الكلام مسبوqa لحفظ القرآن كله، وذلك مناف لخروج الغاية، فتعين دخولها، أو دلت القرينة على خروج ما بعدها عمل بها نحو: (أتموا الصيام إلى الليل) [البقرة: ١٨٧]. والقرينة في الآية الاسراء العلم لا يسرى به إلى البيت المقدس ولا يدخله وصرحت السنة الصحيحة بما اقتضته القرينة من دخوله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس.

[١٩]

الحادي عشر: معنى قوله: (باركنا حوله). الراغب رحمه الله: (البركة ثبوت الخير الالهي في الشيء، والمبارك ما فيه ذلك الخير). المصباح: (البركة الزيادة والنماء، وبارك الله تعالى فيه فهو مبارك، والاصل مبارك فيه). الامموزج: فإن قيل: كيف قال: (باركنا حوله)، ولم يقل بركنا عليه أو فيه، مع أن البركة في المسجد تكون أكثر من خارج المسجد وحوله، خصوصا المسجد الأقصى؟ قلنا أراد البركة الدنيوية كالانهار الجارية والاشجار المثمرة، وذلك حوله لا فيه. وقيل أراد البركة الدينية فإنه مقر الانبياء عليهم الصلاة والسلام، وتمعدهم ومهبط الوحي والملائكة. وإنما قال: (باركنا حوله)، لتكون بركته أعم وأشمل، فإنه أراد بما حوله ما أحاط به من أرض الشام وما قاربه منها، وذلك أوسع من مقدار بيت المقدس، ولأنه إذا كان هو الاصل، وقد بارك في لواحقه وتوابعه من البقاع كان هو مباركا فيه بالطريق الاولى بخلاف العكس. وقيل أراد بالبركة: الدينية والدنيوية ووجههما ما مر. وقيل المراد: بركنا ما حوله من بركت نشأت منه، فعمت جميع الارض، لان مياه الارض كلها أصل انفجارها من تحت صخرة بيت المقدس). انتهى. الكفيل: (فإن قيل إذا كانت البركة حول المسجد الأقصى فماذا يتميز عليه المسجد الحرام؟ قلت: البركة حول المسجد الأقصى باعتبار الدنيا ورفاهيتها وخصبها، والبركة حول المسجد الحرام باعتبار الدين والفضل وتضعيف الحسنات فيه للطائفين والعاكفين والمتوطنين والوافدين، لان الاجر يكون على قدر النصب، وهو واد غير ذي زرع، نزهه الله عن خصب الدنيا وسعتها، لئلا يكون القصد إليه ممزوجا بقصد الدنيا، فهذه البركة الدينية أفضل من تلك البركة الدنيوية). انتهى. (وحوله) منصوب على الظرف أي أوقعنا البركة حوله، وقيل تقديره: بركنا ما حوله. أبو عبيد الهروي رحمه الله تعالى: (رأيت الناس حوله وحواليه وجمعه أحوالا). الراغب: حول الشيء جانبه الذي يمكن أن يتحول إليه والضمير راجع إلى المسجد الأقصى). الثاني عشر: في الكلام على قوله تعالى: (لنريه من آياتنا). السمين وابن عادل (١): (قرأ العامة بنون العظمة، جريا على (باركنا)، وفيه التفات من

(١) عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، أبو حفص، سراج الدين: صاحب التفسير الكبير (اللباب في علوم الكتاب) توفي سنة ٨٨٠ هـ. انظر الاعلام ٥ / ٥٨. (*)

[٢٠]

الغيبية في قوله: (أسرى بعبدته) إلى التكلم في (باركنا) و (لنريه)، وقرأ الحسين (ليريه) بالمشناة التحتية أي الله تعالى). وعلى هذه القراءة في الآية أربع التفاتات، لانه التفت أولا من الغيبة في (أسرى) إلى التكلم في (باركنا). ثم التفت ثانيا من التكلم في (باركنا) إلى الغيبة. (ليريه). ثم التفت ثالثا إلى التكلم في (آياتنا). ثم التفت رابعا إلى الغيبة في (إنه هو السميع البصير). الزمخشري: (وطريقة الالتفات من طرق البلاغة). الطيبي: (وذكرك أن قوله: (سبحان الذي أسرى بعبدته) يدل على مسراه من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، فهو بالغيب أنسب. وقوله: (الذي بركنا حوله) دال على إنزال البركات وتعظيم شأن المنزل، فهو بالحكاية على التفضيم أخرى. وقوله: (ليريه) بالياء إعادة إلى مقام السر والغيبوبة من هذا العالم، فالغيبوبة بهما أليق. وقوله: (من آياتنا) عود إلى التعظيم على ما سبق وقوله: (إنه هو السميع البصير) إشارة إلى مقام اختصاصه بالمنح والزلفى وغيبة شهوده في عين (بي يسمع وبني ينصر) فالعود إلى الغيبة أولى) انتهى. ومعنى الرؤية هو ما أرى تلك الليلة من العجائب والايات الدالة على قدرة الله تعالى ومنها ما ذكره في القصة. أبو شامة: (من) هنا للتبعيض، وإنما أتى بها هنا تعظيما لآيات الله، فإن هذا الذي رآه محمد صلى الله عليه وسلم وإن كان جليلا عظيما فهو بعض بالنسبة إلى جملة آيات الله وعجائب قدرته

وجليل حكمته. والاية العلامة الظاهرة على ما يلزمها، فمن علم ملازمة العلم للطريق المنهاج، ثم وجد العلم على أنه وجد الطريق، وكذا إذا وجد شيئاً مصنوعاً، فإنه يعلم أنه لا بد له من صانع، فأية الشئ علامته الظاهرة، ثم غلب ذلك على صدق الرسل، وعلى الالهية وكرامات الاولياء وما أشبه ذلك). البرهان النسفي: (فإن قيل الاية تدل على أنه تبارك وتعالى ما أراه إلا بعض الايات وقال في حق إبراهيم صلى الله عليه وسلم (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض) [الانعام: ٧٥]. يدل على أنه تعالى أراه جميع الايات، فيلزم أن يكون معراج إبراهيم أفضل من معراج محمد صلى الله عليه وسلم، فنقول: ملكوت السموات والارض بعض آيات الله أيضا بعضا مخصوصا، والبعض المطلق أفضل من البعض المخصوص، إذ المطلق يصرف إلى الكامل. والجواب المشهور عنه هو أن بعض آيات الله أفضل من ملكوت السموات والارض. انتهى. الثالث عشر: في الكلام على قوله تعالى: (إنه هو السميع البصير). السمين: (الصحيح أن الضمير في (إنه) لله تبارك وتعالى). الطيبي: (ولا يبعد أن يرجع الضمير إلى العبد، كما نقله أبو البقاء عن بعضهم، قال: (إنه

[٢١]

السميع)، لكلامنا، (البصير) لذاتنا. وأما توسط ضمير الفعل فلاشعار باختصاصه بهذه الكرامة وحده، ولعل السر في مجئ الضمير محتমা للامرین الاشارة إلى المطلوب وأنه صلى الله عليه وسلم إنما رأى رب العزة وسمع كلامه به). الماوردي: (في الحكمة بالاثني بالسميع والبصير هنا وجهان: أحدهما: أنه تعالى وصف نفسه بهما، وإن كانا من صفاته اللازمة لذاته في الاحوال كلها، لانه حفظ لرسوله عند الاسراء به في ظلمة الليل، فلم يضره ألا يبصر فيها، وسمع كلامه دعاءه فأجابه إلى ما سأل. الثاني: أن قومه لما كذبوه حين أخبرهم بإسراءه، فقال: السميع، يعني لما يقولونه من تصديق أو تكذيب. البصير، فيما يفعله من الاسراء والمعراج. الزمخشري: (إنه هو السميع) لاقوال محمد، (البصير) بأفعاله، العلام تهذيبها وخلصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك. ولم يتعقب ذلك الطيبي ولا السكوني - بالفتح والضم - في التمييز مع مبالغته في التنكيب (١) والاعتراض عليه. وقال صاحب الكفيل: (ذكر صفتي السمع والبصر تنبيها علي أنه علم حيث يجعل رسالاته وكراماته، والبصير بآياته، وكما أنه أعلم فهو أسمع وأبصر. والمراد أنه السميع لمن صدق بالاسراء البصير بمن كذب به)، ثم ذكر كلام الزمخشري السابق، ثم قال: (وفي كلامه هذا إيماء إلى القول بإيجاب الجزاء وتلويح إلى اعتقاده أن فضائل النبوة مكتسبة، فاحذر هذه العقيدة. انتهى. الغزالي رحمه الله: (المقصد الاسنى: (السميع هو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي، فيسمع السر والنجوى، بل ما هو أدق وأخفى، ويدرك دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، يسمع بغير أصمخة وأذان، وسمعه منزه عن أن يتطرق إليه الحدثان، ومهما نزهت السمع عن تغير المسموعات وقدرته عن أن يسمع بأذن وآلة علمت أن السمع في حقه عبارة عن صفة ينكشف بها كمال صفات المسموعات. ومن لم يدقق نظره فيه وقع بالضرورة في بحر التشبيه فخذ حذرَكَ ودقق فيه نظرك). وقال أيضا: (البصير هو الذي يشاهد ويرى ولا يعزب عنه ما تحت ا لثرى، وإبصاره منزه عن أن يكون بحدقة وأجفان، مقدس عن أن يرجع عن انطباع الصور والالوان في ذاته تعالى، كما تنطبع في حدقة الانسان، وإن ذلك من التغير والتأثير والمقتضى للحدثان. وإذا نزه عن ذلك كان البصر في حقه عبارة عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المسموعات، والله تعالى أعلم بالصواب).

[٢٢]

الباب الثاني في تفسير أول سورة النجوم قال الله سبحانه وتعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم. والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى. أفتمارونه على ما يرى. ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاع البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى) [النجم: ١ : ١٨].

الكلام على هذه الآيات من وجوه: الأول: في سبب نزولها. النهي: (سببه قول المشركين إن محمداً يخلق القرآن). الثاني: في مناسبة هذه السورة لما قبلها: قال الامام الرازي والبرهان النسفي رحمهما الله، قد قيل: إن السور التي تقدمت وهي التي أقسم الله تعالى فيها بالاسماء دون الحروف: الصافات والذاريات والطور وهذه السورة بعدها، فالقسم في الأولى لاثبات الوجدانية، كما قال: (إن إلهكم لواحد) [الصافات: ٤]. وفي الثانية لوقوع الحشر والجزاء، كما قال تعالى: (إنما توعدون لصادق. وإن الدين لواقع) [الذاريات: ٥، ٦]. وفي الثالثة لدوام العذاب بعد وقوعه كما قال تعالى: (إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع) [الطور: ٧، ٨]. وفي هذه السورة لبيان النبوة كما قال تعالى: (والنجم إذا هوى) [النجم: ١] إلخ. لتكمل الأصول الثلاثة: الوجدانية والحشر والنبوة). والوجه الآخر في المناسبة لما قبلها هو أن الكفرة بالغوا في المكابرة والمعاندة في حق النبي صلى الله عليه وسلم، وطعنوا فيما نطق به من الكلام، كما مر بيانه في تلك السورة، فقال في هذه ما يدل على صدقه في دعواه، وصدق ما نطق به وأجراه مؤكداً بالقسم. وأما مناسبة أول هذه السورة إلى آخر ما قبلها فمن وجوه: أحدها: أن اختتام تلك السورة بالنجم وإفتتاح هذه السورة بالنجم مع القسم. ثانيها: أنه تعالى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر في آخر تلك السورة، كما قال تعالى: (واصبر لحكم ربك) [الطور: ٤٨] والصبر أمر صعب، فذكر في أول هذه السورة ما يدل على علو منزلته وعظم شأنه ليسهل عليه ذلك الأمر. ثالثها: لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (ومن الليل فسيحه وإدبار النجوم) [الطور: ٤٩] بين له أنه جزاه بخير، فقال: (ما ضل صاحبكم وما غوى) [النجم: ٢] وزاد الشيخ رحمه الله

[٢٢]

تعالى، في مناسبة وجهها آخر، وهو أن [سورة] الطور فيها ذكر ذرية المؤمنين وأنهم تبع لابائهم، وهذه فيها ذكر ذرية اليهود في قوله تعالى: (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم) [النجم: ٢٢]. فقد روى ابن المنذر وابن حبان عن ثابت بن الحرث الانصاري قال: (كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير هو صديق، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (كذبت يهود، ما من نسمة بخلقها الله في بطن أمه إلا أنه شقي أو سعيد). فأنزل الله تعالى عند ذلك: (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض) الآية. ولما قال الله تعالى هناك في المؤمنين: (ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) [الطور: ٢١] أي ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين مع نفعهم بعمل آبائهم، قال هناك في الكفار أو في الكبار: (وإن ليس للإنسان إلا ما سعى) [النجم: ٢٩]، خلاف ما ذكر في المؤمنين الصغار). انتهى. أبو حيان رحمه الله: (هذه السورة مكية، ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهر، لانه تعالى قال: أم

يقولون تقوله) [الطور: ٣٣] أي اختلق القرآن، ونسبوه إلى الشعر، وقالوا هو كاهن، هو مجنون، فأقسم تعالى أنه صلى الله عليه وسلم ما ضل، وأن ما أتى به هو الوحي من الله. وهي أول سورة أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراءتها في الحرم، والمشركون يسمعون، وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس غير أبي لهب فإنه رفع حفنة من تراب إلى جبهته وقال يكفي هذا). قلت: ذكر أبي لهب هنا غريب. روي الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود قال: أول سورة نزلت فيها سجدة، النجم، فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسجد الناس كلهم إلا رجل رأته أخذ كفا من تراب فسجد عليه، فرأته قتل كافرا وهو أمية بن خلف. وروي ابن مردويه وابن خلف عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد في النجم وسجد من حضر من الجن والانس والشجر، زاد ابن أبي شيبة إلا رجلين من قريش أرادا بذلك الشهرة، وسمى أحد الرجلين المبهمين في الرواية السابقة، والثاني الوليد بن المغيرة كما عند ابن سعد. وروي البخاري عن ابن عباس قال: سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس. الثالث: في الكلام على القسم الواقع هنا. الشيخ رحمه الله تعالى في الاتقان: [وقد قيل ما معنى القسم منه تعالى ؟ فإنه إن كان لاجل المؤمن] فالمؤمن يصدق بمجرد الاخبار من غير قسم، وإن كان لاجل الكافر فلا يفيد، وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب، ومن عاداتها القسم إذا أرادت أو تؤكد أمرا. وأجاب الاستاذ - بضم الهمزة وبالذال المعجمة - أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى

[٢٤]

بأن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدا وذلك أن الحكم يفصل باثنين إما بالشهادة وإما بالقسم، فذكر تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم) [آل عمران: ١٨] وقال: (قل إي ربي إنه لحق) [يونس: ٥٣] وعن بعض الاعراب أنه لما سمع قوله تعالى: (وفي السماء رزقكم وما توعدون) [الذاريات: ٢٢] (فورب السماء والارض إنه لحق) [الذاريات: ٢٣]، صاح وقال: من ذا الذي أعضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين ؟ ولا يكون القسم إلا باسم معظم، وقد أقسم الله تعالى بنفسه، في القرآن في سبعة مواضع، بقوله: (قل إي ربي) [يونس: ٥٣]، (قل بلى وربي لتبعثن) [التغابن: ٧]، (فوربك لنحشرنهم والشياطين) [مريم: ٦٨]، (فوربك لتسألنهم أجمعين) [الحجر: ٩٢] (فلا وربك لا يؤمنون) [النساء: ٦٥] (فلا أقسم برب المشارق والمغرب) [المعارج: ٤٠]، والباقي كله قسم بمخلوقاته. فإن قيل: كيف أقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله تعالى ؟ قلنا أجيب عنه بأوجه: الاول أنه على حذف مضاف أي ورب النجم. وكذا الباقي. الثاني: أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفونه. الثالث: أن الاقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم ويجله وهو فوقه. والله سبحانه وتعالى ليس فوقه شيء، فأقسم تارة بنفسه وتارة بموضوعاته لانها تدل على بادئ وصانع. ابن أبي الاصبع (١) رحمه الله تعالى في كتابه أسرار الفواتح: (القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لان ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل. وروي ابن حاتم عن الحسن قال: (إن الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وليس لاحد أن يقسم إلا بالله تعالى.. والقسم إما ظاهر وإما مضمرة وهو قسمان: قسم دلت عليه اللام نحو (لتبلون في أموالكم) [آل عمران: ١٨٦] وقسم دل عليه المعنى نحو: (وإن منكم إلا واردها) [مريم: ٧١] تقديره: والله... وأكثر الاقسام في القرآن المحذوفة الفعل لا تكون إلا بالواو، فإذا ذكرت الباء أتى بالفعل كقوله

تعالى: (وأقسموا بالله) [الانعام: ١٠٩] (يخلفون بالله [النساء: ٦٢]
ولا تجد الباء مع حذف الفعل، ومن ثم خطأ من جعل قسما

(١) حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة، من عدوان، ينتهي نسبه إلى مضر: شاعر
حكيم شجاع جاهلي. لقب بذي الاصبع لان حية نهشت إصبع رجله فقطعها، ويقال:
كانت له إصبع زائدة. وعاش طويلا حتى عد في المعمرين. له حروب ووقائع وأخبار.
وشعره ملئ بالحكمة والعظة والفخر، قليل الغزل والمدح، وهو صاحب القصيدة
المشهوره التي يقول في أولها: (أسيد إن مالا ملكت * فسر به سيرا جميلا) انظر
الاعلام ٢ / ١٧٣. (*)

[٢٥]

بالله: (إن الشرك لظلم عظيم) [لقمان: ١٣]، (بما عهد عندك) [الاعراف: ١٣٤]. (قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته) [المائدة: ١١٦]. ابن القيم: (اعلم أن الله سبحانه وتعالى يقسم بأمور على أمور وإنما يقسم نفسه الموصوفة بصفاته وآياته المستلزمة لذاته وصفاته. وأقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته، فالقسم إما على جملة خيرية وهو الغالب كقوله تعالى: (فورب السماء والارض إنه لحق) [الذاريات: ٢٣] وإما على جملة طلبية كقوله تعالى: (فوربك لنسألنهم أجمعين، عما كانوا يعملون) [الحجر ٩٢، ٩٣]، مع أن هذا القسم قد يراد به تحقيق المقسم عليه، فيكون من باب الخير، وقد يراد به تحقيق القسم فالمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك كالامور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها فأما الامور المشهورة ا لظاهرة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والارض، فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها. وأما ما أقسم عليه الرب فهو من آياته، فيجوز أن يكون مقسما به ولا ينعكس). الامام الرازي رحمه الله تعالى: (أقسم تعالى في بعض السور بمجموع كقوله تعالى: (والذاريات)، وفي بعضها بإفراد كقوله (والطور)، ولم يقل والاطوار والبحار، والكلمة فيه أن أكثر الجموع أقسم عليها بالمتحركات. والريح الواحدة ليست بثابتة مستمرة حيث يقع القسم عليها، بل هي متبدلة بأفرادها، مستمرة بأنواعها، والمقصود منها لا يحصل إلا بالتبدل والتغير، فقال: (والذاريات) إشارة إلى النوع المستمر لا إلى الفرد غير المستمر. وأما الجبل فهو ثابت غير متغير عادة، فالواحد من الجبال قائم زمانا ودهرا فأقسم في ذلك بالواحد. وكذلك قوله: (والنجم)، ولو قال: والريح، لما علم المقسم به وفي الطور علم. والسور التي افتتاحها القسم بالاسماء دون الحروف، كان القسم فيها لاثبات أحد الاصول الثلاثة وهي: الوجدانية والرسالة والحشر وهي التي يتم بها الايمان. ثم إنه تعالى لم يقسم لاثبات الوجدانية إلا في سورة واحدة من تلك السور وهي (الصافات)، حيث قال تعالى فيها: (إن إلهكم لواحد) [الصافات: ٤]، وذلك لانهم وإن كانوا يقولون: أجعل الالهة إلها واحدا، على سبيل الإنكار فقد كانوا يبالغون في الشرك، لكنهم في تضاعيف أقوالهم وتصاريف أحوالهم كانوا يصرحون بالتوحيد، وكانوا يقولون: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) [الزمر: ٣] وقال تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) [العنكبوت: ٦١]. فلم يبالغوا في الحقيقة والإنكار المطلوب الاول، فاكتفى بالبرهان ولم يكثر من

[٢٦]

الايمان في سورتين منها أقسم لاثبات صدق رسوله صلى الله عليه وسلم، وكونه رسولا في إحداهما بامر، وهو قوله تعالى: (والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى) [النجم: ١، ٢]. وفي الثانية بأميرين وهو قوله تبارك وتعالى: (والضحى والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى) [الضحى: ١، ٢، ٣] وذلك لان القسم على إثبات رسالته قد كثر بالحروف والقرآن العظيم، كما في قوله تعالى: (يس والقرآن الحكيم، إنك لمن المرسلين) [يس: ١، ٢، ٣]. وقد ذكرنا الحكم فيه أن من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، فأقسم به ليكون في القسم إشارة واقعة إلى البرهان. وفي باقي السور كان المقسم عليه الحشر والجزاء، وما يتعلق به يكون إنكارهم في ذلك خارجا عن الحد، وعدم استيفاء ذلك في سور القسم بالحروف. وأقسم تعالى بمجموع السلامة المؤنثة في خمس سور، ولم يقسم بمجموع السلامة المذكورة في سورة أصلا. فقال (والصافات) [الصافات: ١]، (والذاريات) [الذاريات: ١]، ولم يقل (والصالحين من عبادي)، ولا المقربين، إلى غير ذلك، مع أن الذكور أشرف وذلك لان المجموع بالواو والنون في الامر الغالب، لمن يعقل.. وقد ذكرنا أن القسم بهذه الاشياء ليس لبيان التوحيد إلا في صورة ظهر الامر فيه، وحصل الاعتراف منهم، ولا للرسالة لحصول ذلك في سورة القسم بالحروف والقرآن، بقي أن يكون المقصود إثبات الحشر والجزاء، لكن إثبات الحشر لثواب الصالح وعقاب الطالح، ففائدة ذلك راجعة إلى من يعقل فيزم أن يكون القسم بغيرهم. والسور التي أقسم فيها لاثبات الوجدانية أقسم في أول الامر بالساكنات حيث قال: (والصافات) وفي السور الاربع الباقية أقسم بالمتحركات فقال: (والذاريات)، (والمرسلات) [المرسلات: ١]، و (النازعات) [النازعات: ١] (والعاديات)، وذلك لان الحشر فيه جمع وتفريق، وذلك بالحركة أبقى. وفي السور الاربع أقسم بالرياح على ما بين، وهي التي تجمع وتفريق، فالقادر على تأليف السحاب المتفرقة بالرياح الذارية والمرسلة قادر على تأليف الاجزاء المتفرقة بطريق من الطرق التي يختارها بمشيئته تبارك وتعالى). وقال الامام أيضا في موضع آخر: (اعلم أنه تعالى لم يقسم على الوجدانية ولا على النبوة كثيرا، لانه أقسم على الوجدانية في سورة الصافات، وأما النبوة فأقسم عليها بامر واحد في هذه السورة، وبأميرين في سورة (الضحى)، وأكثر من القسم على الحشر وما يتعلق به. فإن قوله تعالى: (والليل إذا يغشى) [الليل: ١] وقوله: (والشمس وضحاها) [الشمس: ١] وقوله تعالى: (والسماء ذات البروج) [البروج: ١] إلى غير ذلك، كلها في الحشر وما يتعلق به، وذلك لان دلائل الوجدانية كثيرة، كلها عقلية كما قيل:

[٢٧]

وفي كل شئ له آية * تدل على أنه واحد (١) ودلائل النبوة أيضا كثيرة، وهي المعجزات المشهورة المتواترة، وأما الحشر فإمكانه يثبت بالعقل، وهذا أظهر، وأما وقوعه فلا يمكن إثباته إلا بالسمع، فأكثر فيه القسم ليقطع به المكلف ويعتقده اعتقادا جازما. الرابع: في الكلام على النجم [النجم: ١]: صاحب القاموس: (في المطلع النجم الكوكب الطالع والجمع أنجم وأنجم ونجوم ونجم، والنجم أيضا الثريا، والنجم من النبات ما نجم على غير ساق، والنجم الوقت المضروب). اللباب لابن عادل: (سمي الكوكب نجما لطلوعه، وكل طالع نجما)، يقال: نجم السن والقرن والنبت إذا طلع، زاد القرطبي: (ونجم فلان ببلد كذا أي خرج على السلطان). ابن القيم: (اختلف الناس في المراد بالنجم، فقال الكلبي عن ابن عباس: أقسم بالقرآن إذ أنزل نجوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم: أربع آيات وثلاث آيات والسورة، وكان بين أوله وآخره عشرون سنة، وكذلك روى عطاء عنه، وهو قول مقاتل والضحاك ومجاهد، واختاره الفراء). والهوي على هذا القول النزول من أعلى إلى أسفل، وعلى هذا سمي القرآن

نجمًا لتفرقه في النزول. والعرب تسمى التفرق تنجما والمتفرق منجما. ونجوم الكتابة أقساطها، وتقول جعلت مالي على فلان نجوما منجمة، كل نجم كذا وكذا. وأصل هذا أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها وآجالها، فيقولون: إذا طلع النجم يريدون الثريا. حل عليك كذا، ثم جعل كل نجم تفرقا وإن لم يكن موقتا بطلوع نجم. قال الامام الرازي: (ففي هذا القسم استدلال بمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم على صدقه، وهو كقوله تعالى: (يس والقرآن الحكيم، إنك لمن المرسلين) [يس: ١، ٢، ٣] وقال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة وعطية: يعني الثريا إذا سقطت وغابت، وهويها مغيبها، وهو الرواية الاخرى عن مجاهد، والعرب إذا أطلقت النجم تعني به الثريا، قال الشاعر: إذا طلع النجم عشاء * ابتغى الراعي كساء (٢) وفي الحديث: (ما طلع نجم قط وفي الارض من العاهة شئ إلا ارتفع)، رواه الامام

(١) البيت لابي العتاهية وقيله فيا عجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يحجده الجاهد والله في كل بحر بابسة * وفي كل تسكينة شاهد انظر الديوان. دار الكتب العلمية ص ٦٢. (٢) البيت في الكشاف ٤ / ٢٧. (*)

[٢٨]

أحمد، وأراد بالنجم الثريا. وهذا القول اختاره ابن جرير والزمخشري. وقال السمين إنه الصحيح، لان هذا صار علما بالغلبة)، وقال عمر بن أبي ربيعة: أحسن النجم في السماء الثريا * والثريا في الارض زين النساء قال الامام الرازي: (ومناسبة هذا القول إن الثريا أظهر النجوم عند الرائي لان له علامة لا تلتبس بغيره في السماء ويظهر لكل أحد. والنبي صلى الله عليه وسلم يتميز عن الكل بآيات بينات، فأقسم به، ولان الثريا إذا ظهرت من المشرق بالبلد حان إدراك الثمار، وإذا ظهرت بالشتاء أو الخريف تقل الامراض. والنبي صلى الله عليه وسلم إذا ظهر، قل الشك والامراض القلبية وأدركت الثمار الحكيمة). وقال أبو حمزة، بالحاء المهملة والزاي، (والتمالي - بضم المثلية وتخفيف الميم وباللام: يعني النجوم إذا انتشرت يوم القيامة. وقيل أراد به الشعري. وقال السدي والثوري: (أراد به الزهرة). وقال الاخفش: (أراد به النبت الذي لا ساق له، ومنه قوله تعالى: (والنجم والشجر يسجدان) [الرحمن: ٦] وهويها سقوطه. قال الامام الرازي: (لان النبات به نبات القوى الجسمانية وصلاتها، والقوة العقلية أولى بالاصلاح، وذلك بالرسول، واصلاح السبل، ومن هذا يظهر أن المختار هو النجوم التي في السماء لانها أظهر عند السامع. وقوله تعالى: (إذا هوى) أدل عليه، ثم بعد ذلك القرآن لما فيه من الظهور، ثم الثريا. وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما - كما نقله القاضي: (أراد به النبي صلى الله عليه وسلم إذ نزل ليلة المعراج والهوى النزول). صاحب السراج (وبعجبتني هذا التفسير لملاءمته من وجوه، فإنه صلى الله عليه وسلم نجم هداية، خصوصا لما هدي إليه من فرض الصلاة تلك الليلة، وقد علمت منزلة الصلاة من الدين، ومنها أنه أضاء في السماء والارض. ومنها التشبيه بسرعة السير، ومنها أنه كان ليلا، وهو وقت ظهور النجم، فهو لا يخفى على ذي بصر وأما أرباب البصائر فلا يمترون كأبي بكر الصديق - رضي الله عنه -). انتهى. وقال مجاهد في رواية عنه: (نجوم السماء كلها). وحزم أبو عبيدة وقال: ذهب إلى لفظ الواحد بمعنى الجمع، قال الشاعر: فبانن تعدد النجم في مستحيرة (١) أي تعد النجوم. قال ابن جرير: (وهذا القول له وجه. ولكن لا أعلم أحدا من أهل التأويل قاله). انتهى.

[٢٩]

قلت: قد تقدم نقله عن مجاهد، ونقله الماوردي عن الحسن أيضا. وقال الامام الرازي: (ومناسبة ذلك أن النجوم يهتدى بها فأقسم بها لما بينهما من المشابهة والمناسبة). وقال ابن عباس في رواية عكرمة: أراد التي ترمى بها الشياطين إذا سقطت في آثارها عند استراق السمع. وهذا قول أبي الحسن الماوردي. وسببه أن الله تعالى لما أراد بعث محمد صلى الله عليه وسلم وسلم رسولا، كثر انقضا الكواكب قبل مولده، فذعر أكثر العرب منها وفزعوا إلى كاهن، كان يخبرهم بالحوادث، فسألوه عنها فقال: انظروا إلى البروج الاثني عشر فإن انقض منها شيء فهو ذهاب الدنيا، وإن لم ينقض منها شيء فسيحدث في الدنيا أمر عظيم، فاستشعروا ذلك، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان هو الامر العظيم الذي استشعروه، فأنزل الله تعالى: (والنجم إذا هوى)، هوى لهذه النبوة التي حدثت. الامام الرازي: (إن الرجوم تبعد الشياطين عن أهل السماء والانبياء يبعدون الشياطين عن أهل الارض. ابن القيم: (وهذه الرواية عن ابن عباس أظهر الاقوال، ويكون الحق سبحانه وتعالى قد أقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التي نصبها آية وحفظا للوحي من استراق الشياطين له، على أن ما أتى به رسولا حق وصدق لا سبيل للشياطين ولا طريق لهم إليه، بل قد حرس بالنجم إذا هوى رصدا بين يدي الوحي وحرسا له، وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية الظهور، وفي المقسم به دليل على المقسم عليه، فإن النجوم ترمى بها الشياطين آيات من آيات الله تعالى، يحفظ بها دينه ووحيه، وآياته المنزلة على رسله، بها ظهر دينه وشرعه، وأسمائه وصفاته. وجعلت هذه النجوم المشاهدة خدما وحرسا لهذه النجوم الهادية. وليس بالبين تسمية القرآن عند نزوله بالنجم إذا هوى ولا تسمية نزوله هوى، ولا عهد في القرآن بذلك فيحمل هذا اللفظ عليه وليس بالبين أيضا تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها إذا غابت، وليس بالبين القسم بالنجوم عند تثارها يوم القيامة، بل هذا مما يقسم الرب عليه، ويدل عليه آياته، فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين ولا سيما منكرو البعث. فإنه سبحانه وتعالى إنما يستدل بما لا يمكن جرده ولا المكابرة فيه، فأظهر الاقوال قول الحسن وابن كثير وهذا القول له اتجاه). الخامس: في الكلام على (هوى): السمين: (العامل في (إذا) إما فعل القسم المحذوف وتقديره: أقسم بالنجم وقت هويه). قال أبو البقاء وغيره: (وهو مشكل، فإن فعل القسم إنشاء، والانشاء حال. و (إذا) لما يستقبل من الزمان، فكيف يتلاقيان؟.

[٢٠]

الطبيبي نقلا عن المقتبس: (الوجه أن (إذا) قد انسلخ عنها معني الاستقبال، وصار للوقت المجرد، ونحوه: أتيتك إذا احمر البشر، أي وقت إحمراره، فقد عري عن معني الاستقبال لانه وقت الغيبة عنه، بقوله: أتيتك). قال الشيخ عبد القاهر: (إخبار الله تعالى بالمتوقع مقام الاخبار بالواقع، إذ لا تكلف فيه، فيجري المستقبل مجرى المحقق الماضي). السمين: (وأما مقدر على أنه حال من النجم، إذ أقسم به حال كونه مستقرا في زمان هويه. وهو مشكل من وجهين: أحدهما: أن النجم جثة والزمان لا يكون حالا عنها، كما لا يكون خبرا، الثاني: (إذا) للمستقبل، فكيف تكون حالا؟ وأجيب عن الاول: المراد بالنجم القطعة من القرآن، والقرآن، نزل منجما في عشرين سنة. وهذا تفسير ابن عباس وغيره. وعن الثاني: بأنها حال مقدر، وأما العامل

فهو نفس النجم الذي أريد به القرآن، قاله أبو البقاء. وفيه نظر لان القرآن لا يعمل في الظرف، إذا أريد به أنه اسم لهذا الكتاب المخصوص. وقد يقال إن النجم بمعنى المنجم كأنه قيل: والقرآن المنجم في هذا الوقت). المصباح: هو يهوي من باب ضرب هويًا بضم الهاء وفتحها، وزاد ابن القوطية هواء بالمد، سقط من أعلى إلى أسفل قاله أبو زيد غيره). قال الشاعر: فشج بها الاماعز وهي تهوي * هوي الدلو أسلمها الرشاء (١) يروحي بالفتح والضم. الراغب: (الهوى سقوط من علو). ثم قال: (والهوى ذهاب في إنحدار والهوى ذهاب في ارتفاع). وقيل: (هوى في اللغة مقصده السفلى أو مصيره إليه وإن لم يقصده). وقال أهل اللغة: هوى بفتح الواو يهوي هويًا سقط من علو، وهوى يهوى هوى أي صبا. القرطبي: هوى وانهوى فيه لغتان بمعنى وقد جمعهما الشاعر في قوله: وكم منزل لولاي طحت كما هوى * بأجرامه من قلة النيق منهوي النيق بكسر النون المشددة أرفع موضع في الجبل. الامام الرازي: (الفائدة في تقييد القسم بالنجم بوقيت هويه أنه إذا كان في وسط السماء بعيدا عن الارض لا يهتدي به الساري، لانه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال: فإذا زال تبين بزواله، وتميز جانب عن جانب، كذلك النبي صلى الله عليه وسلم خفض جناحه

(١) انظر ديوان زهير ص ٨٩، ٩٤. (*)

[٣١]

للمؤمنين، وكان على خلق عظيم وخص الهوى دون الطلوع لعموم الاهتداء به في الدين والدنيا. أما الدنيوي فلما ذكر، وأما الديني فكما قال الخليل صلى الله عليه وسلم (لا أحب الاقلين) [الانعام: ٧٦] وفيه لطيفة وهي أن القسم بالنجم يقتضي تعظيمه، وقد كان من المشركين من يعبده، فنيه بهويه على عدم صلاحته للالهية، وهويه أفوله. السادس: في الكلام على قوله: (ما ضل صاحبكم وما غوى): [النجم: ٢] السمين: (هذا جواب القسم). الامام الرازي والبرهان النسفي: أكثر المفسرين قالوا: لا نفرق بين الضلال والغى. وقال بعضهم: إن الضلال في مقابله الهدى، والغى في مقابله الرشد، قال تعالى: (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) [الاعراف: ١٤٦]، وتحقيق الفرق فيه أن الضلال أعم استعمالا في المواضع، تقول: ضل بعيري ورحلي ولا تقول: غوى، فالمراد من الضلال ألا يجد السالك إلى مقصده طريقا مستقيما. والغواية ألا يكون له إلى القصد طريق مستقيم، وبدل على هذا أنك تقول للمؤمن الذي ليس على طريق السداد: إن سعيه غير رشيد، ولا تقول: إنه ضال. فالضال كالكافر، والغاوي كالفاسق، فكأنه تعالى قال: (ما ضل) أي ما كفر، ولا أقل من ذلك، فما فسق، ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى: (فإن أنستم منهم رشدا): [النساء: ٦] الآية. أو يقال: الضلال كالعدم والغواية كالوجود الفاسد في الدرجة والمرتبة. ويحتمل أن يكون معنى (ما ضل) أي ما جن، فإن المجنون ضال، وعلى هذا فهو كقوله تعالى (وما أنت بنعمة ربك بمجنون) [القلم: ٢] الآية. فقوله (وإن لك لأجرا غير ممنون) [القلم: ٣]، إشارة إلى أنه ما غوى بل هو رشيد مرشد إلى حضرة الله تعالى. وقوله: (وإنك لعلى خلق عظيم) [القلم: ٤]، إشارة إلى قوله هنا: (وما ينطق عن الهوى) [النجم: ٣]، فإن هذا خلق عظيم. وقد أشار قوله تعالى (ما ضل) إلى أنه على الطريق (وما غوى) إشارة إلى أنه على الطريق المستقيم (وما ينطق عن الهوى) إلى أنه مسلك الجادة، ركب من الطريق، فإنه إذا ركب متنه كان أسرع وصولا إلى المقصد، ويمكن أن يقال إن قوله (وما ينطق عن الهوى) دليل على أنه ما ضل وما غوى، وتقديره: كيف يضل أو يغوي وهو لا ينطق عن الهوى ؟

وإنما يضل من يتبع هواه، ويدل عليه قوله تبارك وتعالى: (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) [ص: ٢٦]. القرطبي: وقيل ما غوى ما خاب مما طلب قال الشاعر: فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما أي من خاب في طلبه لامة الناس، ثم يجوز أن يكون إخبارا عما بعد الوحي، ويجوز أن

[٢٢]

يكون إخبارا عن أحواله على التعميم، أي كان أبدا موحدا لله. وهو الصحيح. ابن القيم: نفى الله سبحانه وتعالى عن رسوله الضلال المنافي للهدى والغبي المنافي للرشد، ففي ضمن هذا النفي الشهادة له بأنه على الهدى والرشد، فالهدى في علمه والرشد في عمله، وهذا الاصلان هما غاية كمال العبد، وهما سعادته وصلاحه، وبهما وصف النبي صلى الله عليه وسلم خلفاءه، فقال: (ع ليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي (١)). (فالراشد ضد الغاوي، والمهدي ضد الضال وهو الذي زكت نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح وهو صاحب الهدى ودين الحق، لا يشتبهه الراشد المهدي بالضال الغاوي، إلا على أجهل الخلق وأعماهم قلبا وأبعدهم من حقيقة الانسانية، ورحم الله القائل: وما انتفاع أخي الدنيا بناظره * إذا اشتوت عنده الانوار والظلم والناس أربعة أقسام: الاول: ضال في علمه، غاو في قصده وعمله، وهؤلاء سواد الخلق، وهم مخالفو الرسل. الثاني: مهتد في علمه غاو في قصده وعمله، وهؤلاء هم الامة العصية ومن تشبه بهم، وهو حال كل من عرف الحق ولم يعمل به. الثالث: ضال في علمه ولكن قصده الخير وهو لا يشعر، الرابع: مهتد في علمه راشد في قصده وهم ورثة الانبياء، وهم وإن كانوا الاقلين عددا فهم الاكثرون عند الله قدرا، وهم صفوة الله تعالى من خلقه. وتأمل كيف قال تعالى: (ما ضل صاحبكم)، ولم يقل: محمدا، تأكيدا لاقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم، وهم أعلم الخلق به وبجعله وأقواله وأعماله، وأنهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال، ولا ينقمون عليه أمرا واحدا قط. وقد نبه تعالى على ذلك بقوله: (أم لم يعرفوا رسولهم) [المؤمنون: ٦٩]، ويقوله: (وما صاحبكم بمجنون) [التكويد: ٢٢]. السابع: في الكلام على قوله: (وما ينطق عن الهوى) [النجم: ٣]. قال [تعالى] أولا: (ما ضل) و (وما غوى) بصيغة الماضي، وعبر هنا بصيغة المستقبل، وهو ترتيب في غاية الحسن، أي ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون حين اختلى بنفسه. وما ينطق عن الهوى الان حيث أرسل إليكم وجعل شاهدا عليكم، فلم يكن أولا ضالا ولا غاويا، وصار الان منقذا من الضلالة ومرشدا وهاديا، والله سبحانه وتعالى يصون من يريد إرساله في صغره عن الكفر والمعائب، فقال تعالى: (ما ضل) في صغره لانه لا ينطق عن الهوى.

(١) أخرجه أبو داود ٤ / ٢٠١ (٤٦٠٧) والترمذي [٢٦٧٦] وابن ماجه (٤٢) وأحمد في المسند ٤ / ١٢٦ والطبراني في الكبير ١٨ / ٢٤٦ والبيهقي في السنن ١٠ / ١١٤ وابن عبد البر في التمهيد ٨ / ٦٦. (*)

[٢٣]

ابن عادل: (فاعل ينطق إما ضمير النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الظاهر، وإما ضمير القرآن كقوله تعالى: (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) [الجاثية: ٢٩]. ابن القيم: تنزه تعالى عن نطق رسوله صلى الله عليه وسلم عن أن يصدر عن هوى، وبهذا الكمال هداه وأرشده، ولم يقل: وما ينطق بالهوى، لان نفي نطقه عن الهوى أبلغ،

فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى، وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به ؟ فتضمن نفي الامرين: نفي الهوى عن مصدر النطق، ونفيه عن النطق نفسه، فنطقه بالحق، ومصدره الهدى والرشاد، لا الغي والضلال. الباب: قال النحاس (١): (قول قتادة أولى وتكون) (عن) على بابها أي ما يخرج نطقه عن رأيه، إنما هو بوحى من الله تعالى، لان بعده (إن هو إلا وحي يوحى) [النجم: ٤]. وقيل: هو بمعنى الباء، أي ما ينطق بالهوى، أي ما يتكلم بالباطل، وذلك أنهم قالوا: إن محمدا يقول من تلقاء نفسه). المصباح: الهوى مقصور مصدر هويته من باب تعب إذا أحببته وعلقت به، ثم أطلق على ميل النفس وانحرافها عن الشيء ثم استعمل في ميل مذموم فيقال اتبع هواه). الامام البيهقي: (وأحسن ما يقال في تفسير الهوى أن المحبة، لكن من النفس، يقال هويته بمعنى أحببته. والحروف التي في هوى تدل على الدنو والنزول والسقوط ومنه الهاوية، فالنفس إذا كانت دنية وتركت المعالي وتعلقت بالسفاسف فقد هوت فاختص الهوى بالنفس الامارة بالسوء). الشعبي: (إنما سمي الهوى هوى لانه يهوى بصاحبه). وقال بعض الحكماء: (الهوى إله معبود، له شيطان شديد، يخدمه شيطان مريد، فمن عبد أوثانه، وأطاع سلطانه، واتبع شيطانه، ختم الله تعالى على قلبه، وحرم الرشاد من ربه، فأصبح صريع غيه، غريق ذنبيه، وقال عز من قائل (أفأريت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) [الجاثية: ٢٣] وقال تعالى: (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) [القصص: ٥٠]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثلاث منجيات وثلاث مهلكات، فالمنجيات: خشية الله في السر والعلانية، والحكم بالعدل في الرضا والغضب، والاقتصاد في الفقر والغنى، والمهلكات: شج

(١) أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس: مفسر، أديب، مولده ووفاته بمصر. كان من نظراء نبطويه وابن الأنباري. زار العراق واجتمع بعلمائه. وصف (تفسير القرآن) و (إعراب القرآن) و (تفسير آيات سيبويه) و (ناسخ القرآن ومنسوخه) و (معاني القرآن) انظر الاعلام ١ / ٢٠٨. (*)

[٢٤]

مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء برأيه) (١). رواه البرار عن أنس. وقال صلى الله عليه وسلم: (ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله، أعظم عند الله من هوى متبع) (٢). رواه الطبراني عن أبي أمامة. وقال بعض الحكماء: (الهوى خادع الالباب، صادع عن الصواب، يخرج صاحبه من الصحيح إلى المعتل، ومن الصريح إلى المختل، فهو أعمى يبصر، أصم يسمع). كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (حبك الشيء يعمي ويصم) (٣). وقال آخر: (على قدر بصيرة العقل يرى الانسان الاشياء، فمن سلم عقله من الهوى يراها على حقيقتها، والنفس الكدرة المتبعة لهواها ترى الاشياء على طبيعتها. وقيل كان على خاتم بعض الحكماء: (من غلب هواه على عقله افتضح). وقال ابن دريد في مقصودته: وأفة العقل الهوى فمن علا * على هواه عقله فقد نجا الثامن: في الكلام على قوله تعالى: (إن هو إلا وحي يوحى) [النجم: ٤]. الامام الرازي: (هذا تكلمة للبيان، وذلك أن الله تعالى لما قال: (وما ينطق عن الهوى) كأن قائل يقول فعم ذن ينطق، أعن الدليل والاجتهاد ؟ فقال: لا، إنما ينطق عن حضرته تعالى بالوحي، وهذا اللفظ أبلغ من أن لو قيل: هو وحي يوحى. وكلمة (إن) استعملت مكان (ما) للنفي، كما استعملت (ما) للشرط مكان (إن). الباب: (يوحى صفة لوحى، وفائدة المجئ لهذا الوصف أنه ينفي المجاز، أي هو وحي حقيقة لا مجرد تسمية كقولك: هذا قول يقال. وقيل تقديره: يوحى إليه، ففيه مزيد فائدة).

ونقل القرطبي عن السجستاني أنه قال: (إن شئت أبدلت (إن هو إلا وحي يوحى) من (ما ضل صاحبكم) قال ابن الأنباري: وهذا غلط لأن إن الخفيفة لا تكون مبدلة من (ما) بدليل أنك لا تقول: والله ما قمت إن أنا لقاعد). ابن القيم: (أعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل، أي ما نطقه إلا وحي يوحى، وهذا أحسن من قول من جعل الضمير عائداً إلى القرآن فإنه يعبر نطقه بالقرآن والسنة، وأن

(١) ذكره العجلوني ١ / ٢٨٦ بنحوه وعزاه للبخاري والطبراني عن أنس بسند ضعيف. (٢) أخرجه ابن عدي في الكامل ٢ / ٧١٥ والفتني في تذكرة الموضوعات (١٧٢) وذكره الهيثمي في المجمع ١ / ١٨٨. (٣) أخرجه أبو داود (٥١٣٠) وأحمد في المسند ٥ / ١٩٤ والخطيب في التاريخ ٣ / ١١٧ وذكره العجلوني في الكشف ١ / ٤١٠ وقال: قال في المقاصد: رواه أبو داود والعسكري عن أبي الدرداء مرفوعاً وموقوفاً والوقف أشبهه، وفي سننه ابن أبي مريم ضعيف، ورواه أحمد عن ابن أبي مريم فوقفه، والرفع أكثر ولم يصب الصغاني حيث حكم عليه بالوضع وكذا قال العراقي ابن أبي مريم لم يتهمه أحد بكذب إنما سرق له حلى فأنكر عقله، وقال الحافظ ابن حجر: تبعاً للعراقي ويكفيها سكوت أبي داود عليه فليس بموضوع ولا شديد الضعف فهو حسن انتهى. وقال القاري: بعد أن ذكر ما تقدم فالحديث إما صحيح لذاته أو لغيره مرتق عن درجة الحسن لذاته إلى صحة معناه، وإن لم يثبت ميناها. (*)

[٢٥]

كليهما وحي. قال الله تعالى: (وأُنزل عليك الكتاب والحكمة) [النساء: ١١٣] وهما القرآن والسنة. وروى الداري (١) عن يحيى بن أبي كثير (٢) قال: (كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن). قلت وفي الصحيحين أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة [فقال: يا رسول الله] كيف ترى في رجل أحرَمَ بعمره بعد ما تضح بالخلوق ؟ فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سكت. فجاءه الوحي، ثم سرى عنه، فقال: أين السائل ؟ فجئ به فقال: أنزع عنك الجبة واغسل أثر الطيب واصنع في عمرك ما تصنع في حجتك (٣). وروى الامام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: كنت أكتب كل شئ أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: تكتب كل شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الرضا والغضب. فأمسكت عن الكتابة حتى ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأوماً بأصبعه إلى فيه وقال: (اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج مني إلا حقاً) (٤). وروى الامام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لا أقول إلا حقاً). وقال بعض أصحابه: (إنك تداعينا يا رسول الله، قال: إني لا أقول إلا حقاً) (٥). وروى الامام أحمد والطبراني والضياء في صحيحه عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ليدخلن الجنة بشفاعتي رجل مثل الحيين أو مثل أحد الحيين ربيعة ومضر. فقال رجل: يا رسول الله وما ربيعة ومضر ؟ قال: إني ما أقول إلا ما أقوله) (٦) - الثاني

(١) [عبد الله بن كثير الداري المكي، أبو معيد، القارئ، أحد الائمة صدوق، من السادسة، مات سنة عشرين ومائة] انظر التقريب ١ / ٤٤٢. (٢) يحيى بن أبي كثير الطائفي، مولاهم، أبو نصر اليمامي، ثقة، ثبت، لكنه يدلّس ويرسل، من الخامسة، مات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل قبل ذلك. التقريب ٢ / ٣٥٦. (٣) أخرجه البخاري ٣ / ٧ (١٧٨٩) ومسلم ٢ / ٨٣٦ (٦ - ١١٨٠). (٤) أخرجه أبو داود (٣٦٤٦) وأحمد في المسند ٢ / ١٦٢ والدارمي ١ / ١٢٥ والحاكم في المستدرک ١ / ١٠٦. (٥) أخرجه الترمذي (١٩٩٠) وأحمد في المسند ٢ / ٣٤٠ والبيهقي في السنن ١٠ / ٣٤٨ وابن عبد البر في التمهيد ٤ / ٢٢١ وذكره الهيثمي في المجمع ٩ / ١٧ والسيوطي في الدرر ٦ / ١٢٢ وابن كثير في البداية والنهاية ٦ / ٥٥. (٦) ذكره الهيثمي في المجمع

[٣٦]

بضم الهمزة وفتح القاف والواو المشددة - أي ما يقوله الله من الوحي، ولهذا مزيد بيان في أبواب عصمته. الامام الرازي، (هو ضمير معلوم أو ضمير مذكور، فيه وجهان: أشهرهما أنه ضمير معلوم، وهو القرآن، كأنه تعالى يقول: (ما القرآن إلا وحي)، وهذا على قول من قال: ليس المراد بالنجم القرآن، وأما على قول من قال: هو الوحي فضمير مذكور. والوجه الثاني: أنه عائد إلى مذكور ضمنا، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم وكلامه، وذلك لان قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى) في ضمنه النطق وهو كلام وقول، فكأنه تعالى يقول: وما كلامه ولا نطقه إلا وحي وفيه وجه آخر، وهو أن قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى) [النجم: ٣] رد على الكفرة حيث قالوا: قوله قول كاهن، وقالوا: قوله قول شاعر، فقال تعالى: (إن هو إلا وحي يوحى) [النجم: ٤]، وليس بقول شاعر كما قال تعالى: (وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) [الحاقة: ٤١، ٤٢]. وقوله تعالى: (إن هو إلا وحي يوحى)، إبلغ من قول القائل: هو وحي، وفيه فائدة غير المبالغة، وهي أنهم كانوا يقولون: هو قول كاهن، هو قول شاعر. والمراد نفي قولهم وذلك يحصل بصيغة النفي فقال: ما هو كما تقولون، وزاد فقال: بل هو وحي. أنوار التنزيل: (احتج بهذه الآية من لم ير الاجتهاد للنبي صلى الله عليه وسلم. وأجيب عنه بأنه إذا أوحى إليه أن يجتهد كان اجتهاده وما يسند إليه واجبا وفيه نظر لان ذلك حينئذ بالوحي). الطيبي (هذه الآية واردة في أمر التنزيل وليس فيها لمستدل أن يستدل شيئا من أمر الاجتهاد نفيا ولا إثباتا، لان الضمير في (هو) للقرآن، بدليل من فسر النجوم بنجوم القرآن). وبسط الكلام على ذلك، ثم أورد حديث طلحة بن عبيد الله في تأبير النخل (١)، وسيأتي مع الكلام عليه في أبواب عصمته صلى الله عليه وسلم. وقال الامام الرازي: (القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجتهد خلاف الظاهر: فإنه في الحرب اجتهد وحرّم، قال الله تعالى: (لم تحرم ما أحل الله لك) [مريم: ١]، وأذن، قال الله تعالى: (عفا الله عنك لم أذنت لهم) [التوبة: ٤٣]. التاسع: في الكلام على قوله تعالى: (علمه شديد القوى) [النجم: ٥]. التبيان: (أخبر تعالى عن وصف من علمه بالوحي أنه مضاد لاوصاف الشيطان معلم الضلالة والغواية، وهذا نظير قوله تعالى: (ذى قوة عند ذي العرش مكين) [التكويد: ٢٠]

(١) تأبير النخل: تلقيحه. انظر المعجم الوسيط ١ / ٢. (*)

[٣٧]

وفي وصفه بذلك تنبيه على أمور: الاول: أنه بقوته يمنع ا للشياطين أن تدنو منه وأن ينالوا منه شيئا أو يزيدوا فيه أو ينقصوا منه، بل إذا رآه ا للشيطان هرب منه ولم يقربه. الثاني: أنه موال لهذا الرسول الذي كذبتموه ومعاضد له ومواد له وناصر، كما قال تعالى: (فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) [التحريم: ٤] الآية. ومن كان هذا القوي وليه ومن أنصاره وأعوانه ومعلمه. فهو المهدي المنصور. والله هاديه وناصره. الثالث: أن من عادى هذا الرسول فقد عادى صاحبه ووليه جبريل، ومن عادى ذا القوة والشدة فهو عرضة للهلاك. الرابع: أنه قادر على تنفيذ ما أمر به بقوته فلا يعجز عن ذلك مواد له

كما أمر). السمين: (فاعل علمه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر. قال الماوردي والقرطبي إنه قول الجميع إلا الحسن، فإنه، قال هو الباري تعالى لقوله عزوجل: (الرحمن، علم القرآن) [الرحمن: ١، ٢] ويكون (ذو مرة) تمام الكلام). الباب: (يجوز أن تكون هذه الهاء للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو الظاهر، فيكون المفعول الثاني محذوفاً أي علمه النبي صلى الله عليه وسلم والوحي أي الموحى، ويجوز أن يكون للقرآن والوحي، فيكون المفعول الأول محذوفاً أي علمه النبي. الامام الرازي: (الاولى أن يقال الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم، تقديره علم محمداً شديد القوى جبريل، ويكون عائداً إلى صاحبكم، تقديره: ما ضل صاحبكم، وشديد القوى هو جبريل، أي قواه العلمية والعملية كلها شديدة، ثم في قوله: (شديد القوى) فوائد: الاولى: أن مدح المعلم مدح للمتعلم، فلو قال: علمه جبريل ولم يصفه ما كان يحصل النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة ظاهرة. الثانية: أن فيه رداً عليهم بحيث قالوا: أساطير الاولين، فقال: لم يعلمه أحد من الناس علمه شديد القوى. الثالثة: فيه الوثوق بقول جبريل صلى الله عليه وسلم، ففي قوله تعالى: (شديد القوى) جميع ما يوجب الوثوق لان قوة الادراك شرط الوثوق يقول القائل على ما عرف، وكذلك قوة الحفظ، فقال: (شديد القوى) ليجمع هذه الشرائط، فيصير كقوله تعالى: (ذو قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين) [التكويد: ٢٠، ٢١]. الباب: (شديد القوى من كافة الصفة المشبهة لمرفوعها فهي غير حقيقة، هذا ما جزم

[٢٨]

به الزمخشري وتابعوه). وقال صاحب الكفيل: (بل هي مضافة إلى مفعولها، ويسط الكلام على ذلك، والشديد البين القوة). روى ابن عساكر عن معاوية بن قره (١) - بضم القاف وتشديد الراء - رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: (ما أحسن ما أثنى عليك ربك: (ذو قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين) ما كانت قوتك وما كانت أمانتك؟ قال: أما قوتي فإني بعثت إلى مدائن لوط وهي أربع مدائن، وفي كل مدينة أربع مائة ألف مقاتل سوى الذراري، فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع أهل السماء أصوات الدجاج ونباح الكلاب، ثم هويت بهن فقلبتهن. وأما أمانتي فلم أؤمر بشئ فعدوته إلى غيره). وقال محمد بن السائب: (من قوة جبريل أنه اقتلع مدائن قوم لوط من الماء الاسود فحملها على جناحه حتى رفعها إلى السماء حتى أسمع أهل السماء نتاح كلابهم وصياح ديكهم، ثم قلبها، ومن قوته أيضاً أنه أبصر إبليس يكلم عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فألقاه في أقصى جبل بالهند. ومن قوته هبوطه من السماء على الانبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، وصعوده إليها في أسرع من طرفة عين). العاشر: في الكلام على قوله تعالى: (ذو مرة) [النجم: ٦]. القرطبي: قال قطرب: تقول العرب لكل جزل الرأي حصيف العقل ذو مرة، قال الشاعر: قد كنت قبل لقاكم ذا مرة * عندي لكل مخاصم ميزانه وكان من جزالة رأيه وحصافة عقله أن الله تعالى أئتمنه على وحيه إلى جميع رسله. الجوهرى: (والمرة القوة وشدة العقل، ورجل مرير أي قوة ذو مرة. قال: ترى الرجل النحيف فتزدرية * وحشو ثيابه أسد مرير ابن القيم: (أي جميل المنظر، حسن الصورة، ذو جلاله، ليس شيطانا، أقبح خلق الله تعالى وأشوههم صورة، بل هو من أجمل الخلق وأقواهم وأعظمهم أمانة ومكانة عند الله، وهذا تعديل لسند الوحي والنبوة، وتزكية له، كما ذكر نظيره في سورة التكويد، فوصفه بالعلم والقوة وجمال المنظر وجلالته. وهذه كانت أوصاف الرسول البشري والملكى، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأعلمهم وأجملهم وأصفاهم نفساً. الامام: (في قوله: (ذو مرة) وجوه: الاول: ذو قوة، قلت، ورواه الفريابي عن مجاهد

(١) معاوية بن قرة بن إبّاس المزني أبو إبّاس البصري. عن علي مرسلًا، وابن عباس وابن عمر، وعنه قتادة وشعبة وأبو عوانة وخلق. وثقه ابن معين وأبو حاتم. قال خليفة: مات سنة ثلاث عشرة ومائة، ومولده يوم الجمل. انظر الخلاصة ٣ / ٤١، ٤٢. (*)

[٢٩]

ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي). رواه الامام أحمد. الثاني: ذو كمال في العقل وفي الدين جميعًا. الثالث: ذو منظر وهيبة عظيمة. الرابع: ذو خلق حسن). قلت زاد الماوردي خامسًا: ذو غناء. قلت: ولا تنافي بين هذه الاقوال، فإنه صلى الله عليه وسلم متصف بها. فإن قيل: على قولنا ذو مرة، قد تقدم بيان كونه شديد القوى، فكيف تقول قواه شديدة وله قوة؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أن ذلك لا يحسن إذا كان وصفا بعد وصف، وأما إذا جاء بدلا فيجوز، كأنه قال: علمه ذو قوة، ونزل شديد القوى فليس وصفا له وتقديره ذو قوة عظيمة أو كاملة. الثاني: أن أفراد (مرة) بالذكر ربما تكون لبيان أن قواه المشهورة شديدة وله قوة أخرى خصه الله تعالى بها. على أن نقول المراد ذو شدة وهي غير القوة، وتقديره علمه من قواه الشديدة، وفي ذاته أيضا شدة، فإن الانسان ربما يكون كثير القوة صغير الجثة. وفيه لطيفة وهي أنه تعالى أراد بقوله: (شديد القوى)، أي قوة العلم، وبقوله: (ذو مرة)، أي شدة في الجسم، قدم العلمية على الجسمية، كما قال تعالى: (وزاده بسطة في العلم والجسم) [البقرة: ٢٤٧]، وتقدم الكلام على (ذو) في اسمه صلى الله عليه وسلم (ذو الوسيلة)، فراجع. الحادي عشر: في الكلام على قوله تعالى: (فاستوى، وهو بالافق الاعلى): [النجم: ٦ - ٧]. الباب: (قال مكّي: استوى يقع للواحد وأكثر ما يقع من إثنين ولذلك جعل الفراء الضمير لاثنين). الماوردي والقرطبي: (فاستوى) يعني جبريل أي ارتفع وعلا إلى مكانه في المساء، بعد أن علم محمدا صلى الله عليه وسلم، قاله ابن المسيب وابن جبير. وقال الامام: (إنه المشهور)، وقيل (فاستوى) أي ظهر في صورته التي خلقه الله تعالى عليها، لأنه كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الادميين كما كان يأتي إلى الانبياء، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه التي خلقه الله عليها، فأراه ن فساه مرتين: مرة في الارض ومرة في السماء، فأما في الارض ففي الافق الاعلى، وكان النبي صلى الله عليه وسلم بحراء، فطلع له جبريل من المشرق، فسد الارض إلى المغرب، فخر النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه، فنزل إليه في صورة الادميين وضمه إلي نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه، فلما أفاق النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا جبريل ما ظننت أن الله تعالى خلق أحدا على مثل هذه الصورة). فقال: يا محمد، إنما نشرت جناحين من أجنحتي وأن لي ستمائة جناح سعة كل جناح ما بين المشرق والمغرب. فقال: (إن هذا لعظيم). فقال له: وما أنا في جنب ما خلقه الله إلا يسيرا، ولقد خلق الله تعالى إسرافيل له ستمائة جناح، كل جناح قدر أجنحتي، وإنه

[٤٠]

ليتضاءل أحيانا - يتضاءل بالضاد المعجمة والهمز - من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوضع - بفتح الواو والصاد وبالعين المهملتين، يعني العصفور الصغير، قوله تعالى: (ولقد رآه بالافق المبين) [التكويز: ٢٣]. وأما في السماء فعند سدرة المنتهى، ولم يره أحد من الانبياء على تلك الصورة إلا نبينا صلى الله عليه وسلم. ابن كثير:

(وهذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الاسراء، بل قبلها ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الارض في أوائل البعث بعد فترة الوحي).
 اللباب: (في الضمير وجهان: أحدهما: وهو الاظهر أنه مبتدأ، وبالافق) خبره، والضمير لجبريل أو للنبي صلى الله عليه وسلم. ثم في هذه الجملة وجهان: الاول: أنها حال من فاعل (فاستوى) قاله مكّي. قال القرطبي: والمعنى فاستوى جبريل عاليا على صورته ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك رآه عليها حتى سأله إياها على ما ذكرنا)، انتهى. (الثاني: أنها مستأنفة، أخبر الله تعالى بذلك، ثانيهما: أن (وهو) معطوف على الضمير المستتر في استوى. وضمير استوى إما أن يكون لله تعالى وهو قول الحسن أو لجبريل أو لمحمد، وهذا ضعيف، لانه يقال استوى هو وفلان ولا يقال استوى وفلان إلا في ضرورة الشعر، والصحيح استوى جبريل وجبريل بالافق الاعلى على صورته الاصلية لانه كان يتمثل للنبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل بالوحي في صورة رجل، فأحب النبي صلى الله عليه وسلم أن يراه على صورته الحقيقية فاستوى جبريل في أفق المشرق فملا الافق). وروى الامام أحمد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي، وأبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته، له ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الافق وتسقط من أجنحته النهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم. وروى الامام أحمد عن ابن عباس في الآية قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم جبريل أن يراه في صورته، فقال: ادع ربك، فدعا ربه عزوجل، فطلع عليه سواد من قبل المشرق، فجعل يرتفع وينتشر، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم صعق، فأتاه فقرب منه ومسح الغبار عن وجهه. المصباح: (الافق بضمين الناحية من الارض ومن السماء والجمع أفق، زاد في الصحاح: والافق بضمة فسكون مثل عسر وعشر). الماوردي: (في الافق الاعلى ثلاثة أقوال: أحدها: مطلع الشمس قاله مجاهد، الثاني: هو بالافق الذي يأتي منه النهار قاله قتادة يعني طلوع الفجر، الثالث: هو أفق السماء وهو جانب من جوانبها، قاله ابن زيد، ومنه قول الشاعر:

[٤١]

أخذنا بأفاق السماء ع ليكم * لنا قمراها والنجوم الطوالع الثاني عشر: في الكلام على قوله تعالى: (ثم دنا فتدلى). [النجم: ٨].
 الامام الرازي: (فيه وجوه: الاول: وهو أشهرها أن جبريل دنا من النبي صلى الله عليه وسلم، أي بعد ما مد جناحه وهو بالافق الاعلى عاد إلى الصورة التي كان يعتاد النزول عليها، وقرب من النبي صلى الله عليه وسلم). القرطبي: أي دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى (فتدلى) على النبي صلى الله عليه وسلم، المعنى أنه لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم من عظمة جبريل ما رأى وهاله ذلك، رده الله تعالى إلى صورة آدمي حين قرب من النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي. هذا قول الجمهور، انتهى. وعليه ففي تدلى ثلاثة أقوال: الاول أن الدنو والتدلي بمعنى واحد كأنه قال: دنا فقرب. اللباب: (ذهب الفراء إلى أن الفاء في (فتدلى) بمعنى الواو، والتقدير: ثم تدلى عليه الصلاة والسلام ودنا. ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين واحدا قدمت أيهما شئت، تقول دنا فقرب، وقرب فدنا، وشتمني فأساء وأساء فشتمني لان الشتم والاساءة شئ واحد، وكذلك قوله تعالى: (اقتربت الساعة وإنشق القمر) [القمر: ١]، أي انشق القمر واقتربت الساعة. القول الثاني: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ثم تدلى من الافق فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم. القول الثالث: أن دنا بمعنى قصد القرب من النبي صلى الله عليه وسلم وتحرك عن المكان الذي فيه فتدلى فنزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم. الوجه الثاني: أن المراد دنا من ربه تبارك وتعالى، والمراد بالدنو هنا المنزلة كما في قوله صلى الله عليه وسلم:

وسلم حاكيا عن ربه عز وجل: (من تقرب مني شيئا تقربت منه ذراعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة) (١) وهذا إشارة إلى المعنى، ولهذا مزيد بيان في شرح القصة. الوجه الثالث: دنا جبريل من ربه، قاله مجاهد. الوجه الرابع: أن النبي صلى الله عليه وسلم، دنا من ربه، ويحمل هو والذي قبله كما قال الامام الرازي على القرب من المنزلة. والذي عليه الجم الغفير هو دنو جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم. الثالث عشر: في الكلام على قوله تعالى: (فكان قاب قوسين أو أدنى). [النجم: ٩]. اللباب: (ها هنا مضافان محذوفان نظير لتقديرهما، أي فكان مقدار مسافة قربه منه مقدار مسافة قاب).

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم من رواية أبي ذر رضي الله عنه ٤ / ٢٠٦٨ - ٢٢ - (٣٦٨٧). (*)

[٤٢]

الامام الرازي: (أي فكان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين أو أقل، فهذا على استعمال العرب وعادتهم، فإن الاميرين منهم أو الكبيرين إذا اصطلحا وتعاقدا خرجا بقوسيهما، جعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه، ومن دونهما من الرعية يكون كفه بكف صاحبه فيمدان باعيهما، لذلك فسمي مبايعه، وعلى هذا ففيه مقدار قوسين أو كان جبريل سفيرا بين حضرة الله تعالى عنه ومحمد صلى الله عليه وسلم فكان كالتبع لمحمد صلى الله عليه وسلم، فصار كالمبايع الذي يمد الباع لا القوس). اللباب: القاب: القدر تقول: هذا قاب هذا، أي قدره ومثله: القيب والقاد والقيد والقيس. الجوهرى: (وقال بعضهم في الآية أراد قابي قوس فقلبه. وفي الحديث الصحيح: لقاب قوس أحدكم [أو موضع قده] من الجنة خير من الدنيا وما فيها). والقوس معروفة، وهي ما يرمى بها وهي مؤنثة وشذوا في تصغيره ا، فقالوا قويس من غير تأنيث، وإنما ضرب المثل بالقوس لانها لا تختلف بالقاب وإن لم يجر لها ذكر لعدم اللبس). الواحدى: (المراد بالقوس التي يرمى بها عند الجمهور، قال: وقيل المراد الذراع لانها يقاس بها). القرطبي: (وقال سعيد بن جبير، وعطاء، وأبو إسحق الهمداني، وأبو وائل (١) شقيق ابن سلمة (فكان قاب قوسين) أي قدر ذراعين، والقوس الذراع يقاس بها كل شئ، وهي لغة بعض الحجازيين، وقيل هي لغة أزد شنوءة أيضا). قلت: ورواه ابن جرير وابن المنذر عن ابن مسعود أيضا. قال الحافظ: وينبغي أن يكون هذا القول هو الراجح، فقد روى الطبراني وابن مردويه والضياء بسند صحيح عن ابن عباس قال: القاب والقيد والقوسان الذراعان. اللباب: (أو هنا كهي في قوله تعالى: (أو يزيدون) لان المعنى بأحد هذين المقدارين في رأي الرائي أي لتقارب ما بينهما لا (٢) يشك الرائي في ذلك. وقال ابن القيم: (أو هنا ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة، وأنها لا تزيد على قوسين البتة، كما قال تعالى: (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) [الصافات: ١٤٧]، تحقيقا لهذا القدر وأنهم لا ينقصون عن مائة ألف أو يزيدون رجلا واحدا، ونظيره قوله تعالى: (ثم قست قلوبكم من بعد

(١) شقيق بن سلمة الاسدي، أبو وائل، الكوفي، ثقة، مخضرم، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز، وله مائة سنة. التقريب (٣٥٤١١). (٢) سقط في أ. (*)

[٤٣]

ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) [البقرة: ٧٤]، أي لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجارة، بل إن لم تزد على قسوة الحجارة لم تكن دونها. وهذا المعنى أحسن وأطف وأدق من قول من جعل (أو) في هذا الموضع بمعنى بل، ومن قول من جعلها للشك بالنسبة إلى الرائي، وقول من جعلها بمعنى الواو فتأمل، وحزم بذلك ابن كثير. اللباب: (أدنى أفعل تفضيل، والمفضل عليه محذوف أو أدنى من قاب قوسين، فمعنى الآية: ثم دنا جبريل بعد استوائه في الأفق الأعلى من الأرض، فتدلى، فنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فكان قاب قوسين أو أدنى بل أدنى. تنبيه: هذا الذي قلناه من المقترَّب الداني الذي صار بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم قال قوسين أو أدنى، إنما هو جبريل، نقله القاضي عن الجمهور. وقال الحافظ عماد الدين بن كثير: إنه هو الصحيح في التفسير، كما دل عليه كلام أكابر الصحابة. قال ابن القيم: لأن جبريل هو الموصوف بما ذكر من أول السورة إلى قوله: (ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى) [النجم: ١٣، ١٤] هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لعائشة، قالت عائشة رضي الله عنها: سألت رسول الله عن هذه الآية، فقال: (ذاك جبريل لم أره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين)، رواه مسلم، ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك من وجوه: الأول: أنه قال: (علمه شديد القوى) وهذا جبريل الذي وصفه بالقوة في سورة التكويد. الثاني: أنه قال: (ذو مرة) [النجم: ٦] أي حسن خلق، وهو الكريم في سورة التكويد. الثالث: أنه قال: (فاستوى وهو بالأفق الأعلى) وهي ناحية السماء العليا وهذا استواء جبريل. الرابع: أنه قال: (ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى)، فهذا دنو جبريل، وقد نزل إلى الأرض حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بها. وأما الدنو والتدلي في حديث المعراج فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان فوق سبع سموات. الخامس: أنه قال: (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى). والذي عند السدرة قطعاً هو جبريل، وبهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (ذاك جبريل). السادس: أن الضمير في قوله: (ولقد رآه)، وقوله: (دنا فتدلى)، وقوله: (فاستوى)، وقوله: (وهو بالأفق الأعلى) واحد، فلا يجوز أن يخالف بين المفسرين من غير دليل.

[٤٤]

السابع: أنه سبحانه وتعالى أخبر أن هذا الذي (دنا فتدلى) كان بالأفق الأعلى، وهو أفق السماء، فدنا من الأرض فتدلى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والدنو والتدلي الذي في حديث شريك غير هذا، وكذا حزم ابن كثير بأن الدنو والتدلي في حديث شريك غير الذي في الآية. وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، في هذه الآية قال: (رأى بغواده مرتين)، فجعل هذا إحداها، ولهذا مزيد بيان في الباب الثالث. الرابع عشر: في الكلام على قوله تعالى: (فأوحى إلى عبده ما أوحى) [سورة النجم: ١٠]. ابن عادل متابعا للامام الرازي: (في فاعل أوحى وجهان: الأول: أن الله تعالى أوحى، وعلى هذا ففي (عبده) وجهان: أحدهما: أنه جبريل، أي أوحى الله تعالى إلى جبريل، وعلى هذا ففي فاعل أوحى الأخير وجهان: أحدهما: أنه الله تبارك وتعالى أيضا. والمعنى حينئذ: فأوحى الله تعالى إلى جبريل الذي أوحاه الله تعالى أيهما أكثر تفخيما وتعظيما للموحي، ثانيهما: فاعل أوحى الثاني جبريل، أي أوحى الله تبارك وتعالى إلى جبريل ما أوحى جبريل، وعلى هذا فالمراد من الذي أوحى إليه جبريل يحتمل وجهين: أولهما: أن يكون مبينا، وهو الذي أوحى جبريل إلي محمد صلى الله عليه وسلم، ثانيهما: أن يكون عاما. أي أوحى الله تعالى إلى جبريل ما أوحى إلى كل رسول. وفيه بيان أن جبريل أمين لم يخن في شيء مما أوحى إليه، وهذا كقوله تعالى (نزل به الروح الأمين) [الشعراء: ١٩٣] وقوله (مطاع ثم أمين) [التكويد: ٢١]. الوجه الثاني: في (عبده)، على قولنا هو

الله تعالى، أنه محمد صلى الله عليه وسلم، أي أوحى الله تعالى إلى محمد ما أوحى إلي كل رسول به أبهمه للتفخيم والتعظيم. الوجه الثاني في فاعل أوحى الاول: هو أنه جبريل أوحى إلى عبده إلى عبد الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم، ما أوحى إليه ربه عز وجل، قاله ابن عباس في رواية عطاء، والكلبي، والحسن، والربيع، وابن زيد. وعلي هذا ففي فاعل أوحى الثاني وجهان: أحدهما: أنه جبريل أي أوحى جبريل إلى عبد الله ما أوحى جبريل للتفخيم، وثانيهما: أن يكون هو الله تعالى أي أوحى جبريل إلى محمد ما أوحى الله تعالى إليه. وفي (ما أوحى) وجوه: الاول: فضل الصلاة، الثاني: أن أحدا من الانبياء لا يدخل الجنة قبلك ولا قبل أمتك. الثالث: أن (ما) للعموم، والمراد كل ما جاء به جبريل. الخامس عشر: في الكلام على قوله تعالى: (ما كذب الفؤاد ما رأى) [النجم: ١١]. ابن القيم: (أخبر الله تعالى عن تصديق فؤاده لما رآته عيناه وأن القلب صدق العين،

[٤٥]

وليس كمن رأى شيئا على خلاف ما هو به، فكذب فؤاده بصره، بل ما رآه ببصره صدقه الفؤاد وعلم أنه كذلك. يقال كذبت عينه وكذبه قلبه وكذبه جسده إذا أخلف ما ظنه وحده. قال الشاعر: كذبتك عينك أم رأيت بواسط * غلس الظلام من الرباب خيالا (١) ؟ أي أرتك ما لا حقيقة له. فنفى الله تعالى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبر أن فؤاده لم يكذب ما رآه. الماوردي: (في الفؤاد قولان: أحدهما: أنه أراد صاحب الفؤاد، فعبّر عنه بالفؤاد، لأنه قطب الجسد وبه قوام الحياة. الثاني: أنه أراد نفس الفؤاد لأنه محل الاعتقاد). اللباب: (قرأ هشام (٢) وأبو جعفر (٣) بتشديد الذال من (كذب)، والباقون بتخفيفهما. فأما الاولى فإن معناها أن ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم بعينه صدقه قلبه، ولم ينكر الداري (أل) لتعريف ما علم حاله لسبق ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في قوله: (إلى عبده) وفي قوله (وهو بالافق الاعلى) وقوله (ما ضل صاحبكم)، أي لم يقل إنه خيال لا حقيقة. و (ما) الثانية مفعول له موصولة، والعائد محذوف، ففاعل (رأى) ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم). وأما قراءة التخفيف فقبل فيها كذلك. وكذب يتعدى بنفسه. وقيل هو على إسقاط الخافض أي فيما رآه، قاله مكى وغيره. قال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه: لو كنت صادقة الذي حدثتني * لنجوت منجا الجارث بن هشام (٤) أي في الذي حدثتني، وجوز (ما) في وجهين: أحدهما: أن تكون بمعنى (الذي)، فيكون المعنى: ما كذب الفؤاد الذي رأت بعينه، والثاني: أن تكون مصدرية.

(١) البيت للاختلاف انظر اللسان ٤ / ٣٢٨١. (٢) هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة أبو الوليد السلمي وقيل: الظفري الدمشقي، إمام أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم، ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة، وقال النسائي: لا بأس به وقال الدار قطني: صدوق كبير المحل، وكان فصيحا علامة واسع الرواية. قال عبدان الاهوازي. سمعته يقول ما أعدت خطبة منذ عشرين سنة وقال محمد بن حريم: سمعته يقول في خطبته: قولوا الحق يريكم الحق منازل أهل الحق يوم لا يقضي إلا بالحق، وقال أبو علي أحمد بن محمد الاصبهاني المقرئ لما توفي أيوب بن تميم رجعت الامامة في القراءة إلى رحلين: ابن ذكوان وهشام، قال: وكان هشام مشهورا بالنقل والفصاحة والعلم والرواية والدراية رزق كبر السن وصحة العقل والرأي فارتحل الناس إليه في القراءات والحديث، مات سنة خمس وأربعين. وماتتبن وقيل سنة أربع وأربعين غاية النهاية ٢ / ٣٥٤، ٣٥٥. (٣) يزيد بن القعقاع الامام أبو جعفر المخزومي المدني القارئ، أحد القراء العشرة تابعي مشهور كبير القدر، ويقال اسمه جندب بن فيروز وقيل: فيروز، مات بالمدينة سنة ثلاثين ومائة وقيل: سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: سنة تسع وعشرين وقيل: سنة سبع وعشرين وقيل: سنة ثمان وعشرين. انظر غاية النهاية ٣ / ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤. (٤) انظر ديوان حسان بن ثابت ص ٢١٣، ٢١٤. (*)

ابن القيم: فيكون المعنى: ما كذب فؤاده رؤيته، وعلى التقديرين فهو إخبار عن تطابق رؤية القلب لرؤية البصر وتوافقهما، وتصديق كل واحد منهما لصاحبه، وهذا ظاهر في قراءة التشديد. وقد استشكلها طائفة منهم المبرد، وقال في هذه القراءة بعد، لانه إذا رأى بقلبه فقد علمه أيضا بقلبه، وإذا وقع العلم فلا كذب معه، فإذا كان الشئ في القلب معلوما فكيف يكون معه تكذيب؟ والجواب عن هذا من وجهين: أحدهما: أن الرجل قد يتخيل الشئ على خلاف ما هو به فيكذبه قلبه، إذ يريه صورة المعلوم على خلاف ما هي عليه كما تكذبه عينه، فيقال كذبه قلبه وكذبه ظنه وكذبت عينه، فنفي ذلك سبحانه وتعالى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبر أن ما رآه الفؤاد كما رآه، كمن يرى الشئ على حقيقة ما هو به، فإنه يصح أن يقال لم تكذبه عينه. الثاني: أن يكون الضمير في (رأى) عائد إلى الرائي لا إلى الفؤاد، ويكون المعنى: ما كذب الفؤاد ما رآه البصر، وهذا بحمد الله لا إشكال فيه، والمعنى: ما كذب الفؤاد بل صدقه، وعلى القراءةتين فالمعنى: ما أوهمه الفؤاد أنه رأى ولم ير ولا اتهم بصره). انتهى. الباب تبعاً للامام الرازي: (ويجوز أن يكون فاعل (رأى) ضميراً يعود على الفؤاد [أي] لم يشك قلبه فيما رأى بعينه). قال الزمخشري: [ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه بصره من صورة جبريل عليه السلام، أي ما قال فؤاده، لما رآه: لم أعرفه ولو قال ذلك كان كاذباً، لانه عرفه، يعني أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في أن ما رآه حق]. فما كذب الفؤاد، هذا على قراءة التخفيف، يقال كذبه إذا قال له الكذب، وأما على قراءة التشديد فمعناه: ما قال إن الذي رآه كان خفياً لا حقيقة له. وأما الرائي فقيل هو الفؤاد كأنه تعالى قال: ما كذب الفؤاد ما رآه الفؤاد، أي لم يقل إنه جن أو شيطان، بل تبين أو ما رآه بفؤاده صدق صحيح. وقيل الرائي هو البصر أي ما كذب الفؤاد ما رآه البصر، ولم يتدارك أن ما رآه البصر خيال. ويحتمل أن تكون (أل) للجنس أي جنس الفؤاد، ويكون المعنى: ما كذب الفؤاد ما رأى محمد صلى الله عليه وسلم، أي شهدت لقلوب بصحة ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم. واختلفوا في المرئي ما هو؟ فقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه حلتا رفرق أخضر قد ملا ما بين السماء والأرض. رواه الفريابي والترمذي وصححه. وقيل رأى الآيات العجيبة. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: رأى ربه بفؤاده مرتين، رواه مسلم وغيره. وسيأتي الكلام على رؤية الله تعالى في الباب الثالث. السادس عشر: في الكلام على قوله تعالى: (أفتمارونه على ما يرى). [النجم: ١٢].

ابن القيم: (أنكر عليهم سبحانه وتعالى مكابرتهم وجحدهم له على ما رآه مما ينكر على الجاهل مكابرتهم لعالم، ومماراتهم له على ما علمه). الباب: (قرأ الاخوان: (أفتمونه) بفتح التاء وسكون الميم، والباقون (تمارونه)، وعبد الله بن مسعود والشعبي: (أفتمونه) بضم التاء وسكون الميم. فأما الاولى ففيها وجهان: أحدهما: أنه من مرته حقه إذا غلبته عليه وجحدته إياه، وعدي بعلى لتضمنه معنى الغلبة، وأنشدوا: لئن هجرت أخا صدق ومكرمة * لقد مررت أخا ما كان يمرىكا لانه إذا جحد حقه فقد غلبه عليه. قال المبرد: يقال مره عن حقه وعلى حقه إذا منعه منه ودفعه عنه. قال ومثل (على) بمعنى (عن) قول بني كعب بن ربيعة رضي الله عليك أي رضي عنك). ابن القيم: (علي بابها ليست بمعنى (عن) كما قاله المبرد، بل الفعل متضمن معنى المكابرة، وهذا في قراءة الالف أظهر.

الثاني: أنه من مراه كذا على كذا أي غلبه فهو من المراء وهو الجدل). وأما الثانية: فهي من ماراه يماريه، جادله واشتقاقه من مري الناقة، لان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه. وكان من حقه أن يتعدى بغي كقولك: جادله في كذا. وإنما ضمن الغلبة فعدي تعديتها. وأما قراءة عبد الله فمن (ما راه) رباعيا، والمعنى: (أفتجادلونه)، أي كيف تجادلونه على ما يرى مع أنه رأى ما رأى عين اليقين ؟ ولا شك بعد الرؤية. القرطبي: (والمعنيان متداخلان لان مجادلتهم جحود، وقيل: إن الجحود كان دائما منهم وهذا جدال حديد). ابن القيم: (القوم جمعوا بين الجدل والدفع في الانكار، فكان جدالهم جدال جحود ودفع له جدال استرشاد وتبيين للحق. وإثبات الالف يدل على المجادلة، والاتيان بعلی يدل على المكابرة، فكانت قراءة الالف متضمنة للمعنيين جميعا، وذلك أنهم جادلوا حين أسري به، فقالوا صف لنا بيت المقدس، وأخبرنا عن غيرنا في الطريق، وغير ذلك مما جادلوه به. والمعنى: أفتجادلونه جدالا ترمون به دفعه عما رآه وعلمه وتيقنه ؟ فإن قيل: هلا قيل: أفتمارونه على ما رأى ؟ بصيغة الماضي، لانهم إنما جادلوه حين أسري به كما تقدم، وما الحكمة في إبرازه بصيغة المضارع ؟ فالجواب أن التقدير: أفتمارونه على ما يرى ؟ فكيف وهو قد رآه في المساء، فماذا تقولون فيه) ؟. السايح عشر: في الكلام على قوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى). [النجم: ١٣].

[٤٨]

ابن القيم: (أخبر تعالى عن رؤيته لجبريل مرة أخرى. فالمرّة الاولى كانت دون السماء بالافق الاعلى والثانية كانت فوق السماء عند سدرة المنتهى). ابن كثير: (هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، وكانت ليلة الاسراء... وتقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يثبت الرؤية ليلة الاسراء ويستشهد بهذه الآية، وتابعة جماعة من السلف والخلف، وقد خالفه جماعات من الصحابة والتابعين). قلت وسيأتي تحقيق ذلك في باب: الباب: (ا لواو في) (ولقد) يحتمل أن تكون عاطفة، ويحتمل أن تكون للحال، أي كيف تجادلونه فيما رآه، وهو قد رآه على وجه لا شك فيه ؟ والنزلة فعلة من النزول كجلسة من الجلوس، وفي نصبها ثلاثة أوجه: أحدها: أنها منصوبة على الظرف الذي هو مرة، لان الفعلة إسم للمرة من الفعل، فكانت في حكمها. قال الشهاب الحلبي: وهذا ليس مذهب البصريين، وإنما هو مذهب القراء، نقله عنه مكّي. الثاني: أنها منصوبة نصب المصدر الواقع موقع الحال، أي رآه نازلا نزلة أخرى، وإليه ذهب الحوفي وابن عطية الثالث: أنها منصوبة على المصدر المؤكد، فقدره أبو البقاء مرة أخرى أو رؤية أخرى. قال الشهاب الحلبي: وفي تأويل نزلة برؤية، نظر، وأخرى تدل على سبق رؤية قبلها، وعند سدرة المنتهى ظرف مكان لرأى). الثامن عشر: في الكلام على السدرة وإضافتها إلى المنتهى. قال الامام الرازي: (يحتمل وجوها: أحدها: إضافة الشئ إلى مكانه كقولك: أشجار بلدة كذا، فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك أو روح من الارواح. قال كعب الاحبار: هي في أصل العرش على رؤوس حملة العرش، وإليها ينقضى علم الخلائق وما خلفها بحيث لا يعلمه إلا الله تعالى. ثانيها: إضافة المحل إلى الحال فيه، كقولك: كتاب الفقه، وعلى هذا فالتقدير: سدرة عندها منتهى العلوم. ثالثها: إضافة الملك إلى مالكة كقولك: دار زيد أو شجرة زيد، وحينئذ المنتهى إليه محذوف تقديره: سدرة المنتهى إليه. قال الله تعالى: (وإن إلى ربك المنتهى) [النجم: ٤٣]. فالمنتهى إليه هو الله تعالى، وإضافة السدرة إليه حينئذ كإضافة البينة للتشريف والتعظيم، كما يقال في التسبيح: يا غاية رغباه ويا منتهى أملاه). القرطبي: (اختلف لم سميت سدرة المنتهى على أقوال تسعة: الاول لانه ينتهي إليها ما يهبط من فوقها

فقبض منها وإليها ينتهي ما يعرج من الارض، رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود، الثاني: علم الانبياء ينتهي إليها ويعزب عما وراءها، قال ابن عباس. الثالث: أن الاعمال تنتهي إليها وتقبض منها، قاله الضحاك. الرابع: لانتها الملائكة والانبياء إليها

[٤٩]

ووقوفهم عندها. الخامس: لان أرواح الشهداء تنتهي إليها، قاله الربيع بن أنس. السادس: لانه تأوي إليها أرواح المؤمنين، قاله قتادة. السابع: لانه ينتهي إليها كل من كان على سنة محمدص لى الله عليه وسلم ومنهاجه، قاله علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، والربيع بن أنس أيضا. الثامن: [هي شجرة على رؤوس حملة العرش] إليها ينتهي علم الخلائق. التاسع: لان من رفع إليها فقد انتهى في الكرامة). الماوردي: (فإن قيل: لم اختيرت السدرة دون غيرها ؟ قيل لان السدرة تختص بثلاثة أوصاف: ظل مديد، وطعم لذيذ، ورائحة ذكية، فشابهت الايمان الذي يجمع قولاً ونية وعملاً، فطلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه، وطعمها بمنزلة النية لكمونه أي استتاره، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره). الصحاح: (السدر شجر النبق الواحدة سدرة والجمع سدرات أي بكسر فسكون وسدرات بكسرتين، وسدرات بكسر ففتح، وسدر بكسر ففتح)، وسيأتي في شرح القصة الكلام علي أصلها. تنبيه: جاء في النهي عن قطع السدر أحاديث. فروى أبو داود والطبراني والبيهقي والضياء في صحيحه عن عبد الله بن حبشي بضم المهملة ثم موحدة ساكنة، ثم معجمة بعدها ياء ثقيلة، ابن جنادة، بضم الجيم وبالنون والدال المهملة، بفتح السين المهملة ولامين، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قطع سدره صوب الله رأسه في النار)، زاد الطبراني يعني من سدر الحرم. وقال أبو داود رحمه الله تعالى: يعني من قطع السدر في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عيثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها. وروي البيهقي عن أبي ثور أنه سأل الشافعي عن قطع السدر فقال: لا بأس به. وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اغسلها بماء وسدر)، فيكون محمولاً على ما حمله عليه أبو داود. وقال البيهقي: وروينا عن عروة أنه كان يقطعه وهو أحد رواة النهي، فيشبه أن يكون النهي خاصاً كما قال أبو داود. وقال الخطابي: سئل المزني (١) عن هذا فقال: وجهه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم سئل عمن هجم على قطع سدر لقوم أو يتيم أو لمن حرم الله تعالى أن يقطع عليه، فتحامل عليه فقطعه فاستحق ما قاله، فتكون المسألة سبقت لسامع فسمع الجواب ولم يسمع المسألة وجعل نظيره

(١) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق أبو إبراهيم، المزني، المصري، الفقيه الامام صاحب التصانيف. أخذ عن الشافعي وكان يقول: أنا خلق من أخلاق الشافعي، كان زاهداً، عالماً، عالماً، مجتهداً، مناظراً، محجاجاً، غواصاً على المعاني الدقيقة، صنف كتباً كثيرة، قال الشافعي: المزني ناصر مذهبي. ولد سنة خمس وسبعين ومائة وتوفي في رمضان، وقيل: في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائتين، وكان مجاب الدعوة. انظر طبقات ابن قاضي شهبة ١ / ٥٨. (*)

[٥٠]

حديث أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنما الربا في النسيئة)، فسمع الجواب ولم يسمع المسألة وقد قال: (لا تتبعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل يدا بيد). واحتج المزني بما احتج به الشافعي من إجازة النبي صلى الله عليه وسلم أن يغسل الميت

بالسدر، ولو كان حراما لم يجز الانتفاع به. وقال: والورق من السدر كالغصن. قال: وقد سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما حرم قطعه من شجر الحرم بين ورقه وغيره، فلما لم يمنع من ورق السدر، دل على جواز قطع السدر. قال الشيخ رحمه الله تعالى في فتاويه: (والاولى عندي في تأويل الحديث أنه محمول على سدر الحرم، كما وقع في رواية الطبراني. قال ابن الاثير في النهاية: (قيل أراد به سدر مكة لانها حرم وقيل سدر المدينة، نهى عن قطعه ليكون أنسا وظلا لمن يهاجر إليها، وقيل أراد السدر الذي يكون في الفلاة يستظل به أبناء السبيل والحيوان أو في ملك إنسان، فيتحمّل عليه ظالم فيقطعه بغير حق، ومع هذا فالحديث مضطرب الرواية فإن أكثر ما يروى عن عروة بن الزبير، وكان هو يقطع السدر ويتخذ منه أبوابا. قال هشام: وهذه أبواب من سدر قطعه أبي، وأهل العلم مجمعون على إباحة قطعه). وروى أبو داود عن حسان بن إبراهيم قال: (سألت هشام بن عروة عن قطع السدر، وهو مسند ظهره إلى قصر عروة، قال: ترى هذه الابواب والمصاريع إنما هي من سدر قطعه أبي من أرضه). التاسع عشر: في الكلام على قوله تعالى: (عندها جنة المأوى) [النجم: ١٥] قال القرطبي: هذا تعريف بموضع جنة المأوى وأنها عند سدرة المنتهى، وهي عن يمين العرش، وقيل أوى إليها آدم عليه الصلاة والسلام إلى أن أخرج منها. وقيل: إن أرواح المؤمنين كلهم في جنة المأوى، وهي تحت العرش فيتعمون [بنعيمها ويتنسمون بطيب ريحها]. وقيل: لأن جبريل وميكائيل عليهما السلام يأويان إليها. اللباب: (جملة ابتدائية في موضع الحال، والاحسن أن يكون الحال الظرف، وجنة المأوى فاعل به. والعامّة أن جنة إسم مرفوع وقرأ أمير المؤمنين علي، وأبو الدرداء (١)، وأبو هريرة، وابن الزبير وأنس من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ورضي بن حبيش، ومحمد بن كعب من التابعين: جنة فعلا ماضيا، والهاء ضمير المفعول يعود للنبي صلى الله عليه وسلم، والمأوى فاعل

(١) عويمر بن زيد بن قيس الانصاري، أبو الدرداء، مختلف في اسم أبيه وإنما هو مشهور بكنيته، وقيل: اسمه عامر، وعويمر لقب، صحابي جليل، أول مشاهدة أحد، وكان عابدا، مات في آخر خلافة عثمان، وقيل: عاش بعد ذلك. التقريب ٢ / ٩١. (*)

[٥١]

بمعنى سترة إيواء الله إياه. ويقال ضمه البيت والليل، وقيل جنة بطلاله ودخل فيه). قال الامام الرازي: (ويحتمل أن يكون الضمير في (عندها) على هذه القراءة عائدا إلى النزلة، أي عند النزلة جن محمدا المأوى، أي ستره، والصحيح أنه عائذ إلي، السدرة). اللباب: (وهذا قول الجمهور، وقد أنكرت عائشة رضي الله تعالى عنها هذه القراءة، وتبعها جماعة وقالوا: (أجن الله من قرأها). فإذا ثبتت قراءة عن مثل هؤلاء فلا سبيل إلى ردها. ولكن المستعمل إنما هو (أجنة) رباعيا، فإن استعمل ثلاثيا تعدى (يعلى)، كقوله تعالى: (فلما جن عليه الليل) [الانعام: ٧٦]. وقال أبو البقاء: هو شاذ والمستعمل: (أجنة). العشر: في الكلام على قوله تعالى: (إذ يغشى السدرة ما يغشى) [النجم: ١٦]. ابن القيم: (لما ذكر سبحانه رؤية محمد صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى، استنطرد منها وذكر أن جنة المأوى عندها وأنه يغشاها من أمره وخلقه ما يغشى، وهذا من أحسن الاستطراد، وهو أسلوب لطيف جدا في القرآن). اللباب: (إذ) منصوب يراه. الامام: (العامل في (إذ) ما قبلها أو ما بعدها، فيه وجهان. فإن قلنا ما قبلها ففيه احتمالان: أظهرهما رآه أي رأى وقت ما يغشى السدرة الذي يغشى. والاحتمال الثاني العامل فيه الفعل الذي في النزلة أي رآه نزلة أخرى، تلك النزلة وقت ما يغشى السدرة ما يغشى، أي نزوله لم يكن إلا بعد ما ظهرت العجائب عند السدرة وغشيتها ما غشيتها،

فحينئذ نزل محمد نزلة، إشارة أنه لم يرجع من غير فائدة. وإن قلنا العامل فيه ما بعدها فالعامل: ما زاغ البصر، أي ما زاغ بصره وقت غشيان السدرة ما غشيها. واختلفوا فيما يغشى السدرة فقيل فراش أو جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك. قال القرطبي: ورواه ابن مسعود وابن عباس مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رأيت ا لسدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا يسبح الله تعالى). قلت وقول الامام: (إن هذا ضعيف، لان ذلك لا يثبت إلا بدليل سمعي، فإن صح فيه خبر وإلا فلا وجه له قصور شديد، فإن الحديث في صحيح مسلم وغيره. ومثله لا يقال بالرأي. وقيل: ملائكة يغشونها كأنهم طيور يرتقون إليها متشوقين متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة، وقيل يغشاها أنوار الله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل إلى السدرة تجلى لها ربه تبارك وتعالى كما تجلى للجبل، فظهرت الانوار، ولكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت، فجعل الجبل دكا، ولم تتحرك الشجرة وخر موسى صعفا، ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم).

[٥٢]

قلت: ولا منافاة بين هذه الاقوال، فقد ورد أن كلا منها يغشاها كما سيأتي ذلك في القصة. وقيل أبهمه تعظيما له كأنه قال: إذ يغشى السدرة ما الله أعلم به من دلائل ملكوته وعجائب قدرته. الامام: (يغشى يستر، ومنه الغواشي أو من معنى الاتيان، يقال فلان يغشانا كل وقت أي يأتينا، الوجهان محتملان). الحادي والعشرون: في الكلام على قوله تعالى: (ما زاغ البصر). الصحاح: (الزيغ الميل، وقد زاغ يزيغ وزاغ البصر أي مال). ابن القيم: (قال ابن عباس: (ما زاغ البصر يمينا ولا شمالا، ولا جاوز ما أمر به). وعلى هذا المفسرون، فنفى تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم ما يعرض للرأي الذي لا أدب له بين أيدي الملوك والعظماء من التفاته يمينا وشمالا لما بين يديه، وأخب رعنه بكمال الادب في ذلك المقام، وفي تلك الحضرة، إذ لم يلتفت جانبا، ولم يمد بصره إلى غير ما أرى من الآيات وما هناك من العجائب، بل قام مقام العبد ا لذي أوجب أدبه إطراره وإقباله على ما أريد له دون التفاته إلى غيره، ودون تطلعه إلى ما لم يره، مع ما في ذلك من ثبات الجأش وسكون القلب وطمأنينته. وهذا غاية الكمال. فزيغ البصر التفاته جانبا، وطغيانه مده أمامه إلى حيث ينتهي. فنهز في هذه السورة عمله عن الضلال وقصده عن الغي ونطقه عن الهوى وفؤاده عن تكذيب بصره، وبصره عن الزيغ والطغيان. وهكذا يكون المدح: تلك المكارم لا فعيان من لبن * شيئا بماء فعادا بعد أبوالا اللباب تبعا للامام الرازي، (اللام في البصر تحتل وجهين: أحدهما: المعروف وهو بصر محمد صلى الله عليه وسلم، أي ما زاغ بصر محمد، وعلى هذا فعدم الزيغ لوجهه: إن قلنا الغاشي للسدرة هو الجراد أو الفراش، فمعناه لم يلتفت محمد إليه ولم يشتغل به، ولم يقطع نظره عن مقصوده. وعلى هذا فغشيان الجراد والفراش يكون ابتلاء وامتحانا للنبي صلى الله عليه وسلم. وإن قلنا أنوار الله تعالى ففيه وجهان: أحدهما: لم يلتفت يمنا ويسرة، بل اشتغل بمطالعتها، وثانيهما: ما زاغ البصر بضعفه، ففي الاول بيان أدب محمد صلى الله عليه وسلم، وفي الثاني بيان قوته. الوجه الثاني في اللام: أنها لتعريف الجنس، أي ما زاغ بصره أصلا في ذلك الموضوع لعظم الهيبة. فإن قيل: لو كان كذلك لقال: ما زاغ بصر، فإنه أدل على العموم لان النكرة في معرض النفي تعم. فالجواب هو كقوله تعالى: (لا تدركه الابصار) [الانعام: ١٠٣] ولم يقل لم يدركه بصر. الثاني والعشرون: في الكلام على قوله تعالى: (وما طغى) [النجم: ١٧]. اللباب تبعا للامام الرازي: (فيه وجهان: أحدهما أنه عطف جملة مستقلة على جملة

أخرى. الثاني: أنه عطف جملة تقديره مقدرة على جملة. فمثال المستقلة: خرج زيد ودخل عمرو، ومثال المقدرة: خرج زيد ودخل، الوجهان جائزان هنا. أما الأول فكانه تعالى قال عند ظهور النور: ما زاغ بصر محمد وما طغى محمد بسبب الالتفات، ولو التفت لكان طاغيا. وأما الثاني فظاهر. فإن قيل بأن الغاشي للسدره جراد، فالمعنى لم يلتفت إليه وما طغى، أي ما التفت إلى غير الله تعالى، ولم يلتفت إلى الجراد ولا إلى غير الجراد، بل إلى الله سبحانه وتعالى. أما على قول من قال غشيها نور، فقولته تعالى: (ما زاغ أي ما مال عن الانوار. وما طغى، أي ما طلب شيئا وراءه. وفيه لطيفة وهي أن الله تعالى قال: ما زاغ وما طغى ولم يقل ما مال وما جاوز، لأن الميل في ذلك الموضوع والتجاوز مذمومان، فاستعمل الزيع والطغيان فيه. وفيه وجه آخر، وهو أن يكون ذلك بيانا لوصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى شدة اليقين الذي لا يقين فوقه، ووجه ذلك أن بصره صلى الله عليه وسلم ما زاغ أي ما مال عن الطريق، فلم ير الشئ على خلاف ما هو عليه بخلاف من ينظر إلى عين الشمس مثلا، ثم ينظر إلى شئ أبيض فإنه يراه أصفر وأخضر، يزيع بصره عن جادة الابصار. وقوله: (وما طغى) أي ما تخيل المعدوم موجودا، وقيل: (وما طغى) أي ما تخيل المعدوم موجودا وقيل: (وما طغى) أي ما جاوز ما أمر به). الثالث والعشرون: في الكلام على قوله تعالى: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) [النجم: ١٨]. اللباب: (في الكبرى وجهان، أظهرهما أنه مفعول رأى من آيات ربه حال مقدمه، والتقدير: لقد رأى الآيات الكبرى من آيات ربه. والثاني أن (من آيات ربه) هو مفعول الرؤية، والكبرى صفة الآيات ربه. وهذا الجمع يجوز وصفه بوصف المؤنثة الواحدة، وحسنه هنا كونها فاصلة). الامام الرازي: (في الكبرى وجهان: أحدهما: أنهما صفة لمحذوف تقديره لقد رأى من آيات ربه. ثانيهما: صفة الآيات ربه، فيكون مفعول رأى محذوفا تقديره: رأى من آيات ربه الكبرى آية أو شيئا. القرطبي: يجوز أن تكون (من) زائدة. أي رأى آيات ربه الكبرى. وقال بعضهم: آيات ربه الكبرى هي أنه رأى جبريل عليه السلام في صورته). قال الامام: (والظاهر أن هذه الآيات غير تلك لان جبريل وإن كان عظيما لكن ورد في الاخبار أن الله ملائكة أعظم منه. والكبرى تأنيث الاكبر، فكانه تعالى قال: رأى من آيات ربه آيات هي أكبر الآيات. وروى الامام أحمد والترمذي وصححه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: (رأى جبريل في حلة من رفرق قد ملا ما بين السماء والارض).

قال الحافظ: (وبهذه الرواية يعرف المراد بالرفرف وأنه حلة، ويؤيده قوله تعالى: (متكئين على رفرق خضر) [الرحمن: ٧٦]. وأصل الرفرف ما كان من الديباج رقيقا حسن الصفة. ثم اشتهر استعماله في الستر، وكل ما فضل من شئ وعطف وثني فهو رفرق). القرطبي: (هو ما رأى تلك الليلة في مسراه في عوده وبدئه وهذا أحسن). قال الامام: (وهذه الآية تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير الله تعالى ليلة المعراج وإنما رأى آيات الله تعالى وفيه خلاف، ووجه الدلالة أنه تعالى ختم قصة المعراج ها هنا برؤية الآيات وقال سبحانه وتعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) [الاسراء: ١] إلى أن قال: (لنريه من آياتنا) ولو كان رأى ربه لكان ذلك أعظم ما يمكن، فكانت الآية للرؤية، وكان أكبر شئ هو الرؤية). ابن كثير: (وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة إلى أن الرؤية تلك الليلة لم تقع لانه قال: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ولو كان رأى

ربه لاخبر بذلك ولقال ذلك للناس). خاتمة: اشتملت هذه الايات على قسمه تعالى على هداية نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا، وأنه وحى يوحى، يوصله إليه جبريل الشديد القوي عن الله تبارك وتعالى العلي الاعلى، واحتوى أيضا على تزكية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمته من الارتياح في هذا المسرى، ثم أخبر تعالى فيها عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه إلى سدرة المنتهى، وتصديق بصره فيما روي أنه رأى من آيات ربه الكبرى.

[٥٥]

الباب الثالث في اختلاف العلماء في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه تبارك وتعالى ليلة المعراج اعلم أن الصواب الذي عليه أهل الحق [أن] رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا، وأجمعوا أيضا على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى. وزعمت طوائف من أهل البدع أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلا. وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح. وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة على إثبات رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة للمؤمنين. ورواها أحد وعشرون صحابيا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وآيات القرآن العظيم فيها مشهورة، واعتراضات المبتدعة عليها، لها أجوبة مذكورة في كتب المتكلمين من أهل السنة. وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فممكنة عقلا وسمعا، ومذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه، ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك. ولكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضا بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط. وقد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بالدلائل الجلية، ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة الله - تعالى عن ذلك - بل يراه المؤمنون لا في جهة، كما يعلمون أنه لا في جهة. وبيان الدليل العقلي على جوازها بطريق الاختصار أن الباري سبحانه وتعالى موجود، وكل موجود يصح أن يرى، فالباري عز وجل يصح أن يرى. أما الصغرى فظاهرة، وأما الكبرى، فلأن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما. وقد تبين أن الموجود هو العلة لصحة الرؤية، ولا يلزم من جوازها وقوعها وعدم تعلقها، إنما هو لجري عادته تعالى بعدم خلقها فينا الآن، مع جواز خلقها فينا، إذ هي غير مستحيلة وهنا أبحاث محلها الكتب الكلامية. وبيان الدليل الشرعي على جوازها في الدنيا أن موسى بن عمران، رسول الله وكليمه، العارف به سأل الله سبحانه وتعالى الرؤية، فقال: (رب أرني أنظر إليك) [الاعراف: ١٤٣] مع اعتقاده أنه تعالى يرى، فسألها. وفي هذه الآية دليلان. الاول: محال أن يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه، بل لم يسأل إلا جائزا غير محال، لاستحالة سؤال المحال من الانبياء، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، ومن

[٥٦]

أعلمه إياه وأطلعه عليه، فقال له تعالى غير ناف للجواز: (لن تراني)، دون لن أرى المؤذنة بنفيه أي لن تطبيق ولا تحتل رأيي الآن لتوقفها على معد لها في الرائي لم يوجد فيك بعد. ومثل له مثلا بما هو أقوى من نبيه موسى صلى الله عليه وسلم وأثبت، وهو الجبل في قوله: (ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) [الاعراف: ١٤٣]. وهذا هو الدليل الثاني: وبيانه أنه تعالى علق رؤية موسى إياه تعالى باستقرار جبل المناجاة في مكانه وقت التجلي له، والشئ المعلق بالممكن ممكن، إذ معنى التعليق الاخبار بثبوت

المعلق عند ثبوت المعلق به. وعلى هذا فالشرطية خبرية إذا كان الجزء في الاصل خبريا كما هنا. فثبت إمكان الرؤية ضرورة أن الله تعالى أخ بر وقوعها على بعض التقادير، والمحال لا يقع على شئ من التقادير أصلا، وإذا ثبت الامكان انتفى الامتناع وبالعكس وهنا أبحاث محلها الكتب الكلامية. وقول موسى صلى الله عليه وسلم: (تبت إليك)، أي من الاقدام على سؤالي إياه في الدنيا ما لم تقدره لي. وقيل: إن قوله: (تبت إليك) [الاعراف: ١٤٣] إنما كان لما غشيه من شدة ما أفضى به إلى أن صعق، كما تقول من فعل جائر عراقك منه مشقة: تبت عن فعل مثله. وقال القاضي أبو بكر الهذلي، في قوله تعالى: (لن تراني) [الاعراف: ١٤٣] أي ليس لي بشر أن يطبق النظر إلي في الدنيا وأن من نظر إلي في الدنيا مات، أي في الحال، بشهادة صعق موسى إذ رأى الجبل) وقال القاضي: (وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين أن رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة، لا من حيث ذاتها، لثبوت جوازها فيها بما مر، وإنما امتنعت فيها لضعف تراكيب أهل الدنيا وقواهم، وكونها متغيرة عرضة للافات من نوائب مقلقلة ونواكب للاكباد معلقة تنذر بالموت والفناء، فلم تكن لهم قوة على الرؤية في الدنيا. فإذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا ورزقوا قوى ثابتة باقية وأتمت أنوار أبصارهم وقلوبهم حصل بذلك قوة على الرؤية في الآخرة). وقد رأيت نحو هذا للامام مالك بن أنس رحمه الله قال: (لم ير في الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني. فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية ربي الباقي بالباقي) وهذا الذي قاله الامام مالك كلام حسن مليح، وليس فيه دلالة على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة، فإذا قوى الله تعالى من شاء أفدره على حمل أعباء الرؤية في حقه في أي وقت كان. قال الحافظ: (ووقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه (واعلموا أنكم لم تروا ربكم حتى تموتوا). وأخرجه ابن خزيمة - بقاء معجزة مضمومة فزاي مفتوحة - من حديث أبي أمامة، ومن حديث عبادة بن الصامت. فإذا جازت الرؤية في الدنيا

[٥٧]

عقلا، فقد امتنعت سمعا. لكن من أثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم له أن يقول إن المتكلم لا يدخل في عموم خطابه). قال القاضي: (ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى: (لا تدركه الابصار) [الانعام: ١٠٣] لاختلاف التأويلات في الآية، فقد قيل: المراد بالادراك الاحاطة، فلا نفى فيها لمطلق الرؤية، وقيل: لا تدركه أبصار الكفار، وقيل غير ذلك: والجواب الصحيح أنه لا دلالة في هذا النفي على عموم الاوقات ولا حال من الاحوال لأنه مسكوت عنه. فمن أين أن المراد لا تدركه الابصار في وقت من الاوقات ولا حال من الاحوال؟ بل يتعين الحمل على النفي بالنسبة إلى دار الدنيا جمعا بين الأدلة السمعية). وقال أبو العباس القرطبي في المفهم: (الابصار) جمع محلى بالالف واللام، فيقبل التخصيص، وقد ثبت ذلك سمعا في قوله تعالى: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) [المطففين: ١٥] فيكون المراد الكفار، بدليل قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة) [القيامة: ٢٢، ٢٣] قال: فإذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين بالنسبة إلى الرائي) انتهى. قال الحافظ: (وهو استدلال جيد). وقد يستدل بهذه الآية على جواز إمكان الرؤية، إذ لو امتنعت الرؤية لما حصل التمدح في الآية بنفي الرؤية، ووجه الملازمة أن الممتنع منتف في حد ذاته، فلا يكون نفيه صفة مدح، لأنه ضروري كالمعدوم الممتنع الرؤية، لا يمدح بعدم رؤيته، إذ لا يكون: (المعدوم لا يرى) تمدحا، لامتناع رؤية المعدوم. وقد ثبت التمدح بنفي عدم رؤيته تعالى فتكون رؤيته ممكنة، والحاصل أن التمدح بنفي عدم الرؤية إنما يكون في إمكان رؤيته تعالى لكنه لا يرى للامتناع وتعذر الابصار والتعجب بحجاب الكبرياء والجلال لا في أنه لا يرى لامتناع رؤيته تعالى. لكن الصفات

السلبية على هذا، صفات تمدح، وإن جعلنا الإدراك في الآية عبارة عن الرؤية على وجه الاحاطة بجوانب المرئي وحدوده. فدلالة الآية حينئذ على جواز الرؤية بل على تحققها بالوقوع، أظهر من دلالتها على الجواز بما ذكر من التمدح. إذ المعنى على هذا لا تدركه الابصار، إذ نظرت إليه على وجه الاحاطة، لانه تبارك وتعالى، مع كونه مرئيا بالابصار لا تدركه الابصار على وجه الاحاطة، لتعالیه قطعاً عن التناهي وعن الاتصاف بالحدود التي هي النهايات والجوانب على ما تبين في كتب الكلام. والاحاطة بما لا يتناهى مجال. ولهذا مزيد بيان يأتي في الكلام على حديث عائشة رضي الله عنها. ومع القول بجوازها في الدنيا، لم يحصل لبشر غير نبينا صلى الله عليه وسلم، على ما في

[٥٨]

ذلك من الخلاف، ومن ادعاها غيره فهو ضال. كما جزم بكفره الامام موفق الدين الكواشي (١) - بالفتح والتخفيف وبالمعجمة - والامام المهدي (٢) في تفسيريهما، والامام جمال الدين الاردبيلي (٣) - بالفتح وسكون الراء وضم الدال المهملة وكسر الموحدة وسكون التحتية - في كتاب (الانوار)، إذ قد سألها نبي الله ورسوله وكليمه موسى بن عمران، ولم تحصل له، أفتحصل لاحاد الناس؟ هذا مما يتوقف فيه. فصل: وإذا علم ما تقرر ففي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه تبارك وتعالى ليلة المعراج مذهبان: فنفثها عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود، وجاء مثله عن أبي هريرة، وإليه ذهب كثيرون من المحدثين والمتكلمين. وبالغ الحافظ عثمان عن سعيد لدارمي، فنقل فيه الإجماع، والثاني أنه رآه. وروى عبد الرزاق عن معمر بن الحسن أنه كان يحلف بالله أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه. وروى ابن خزيمة عن عروة بن الزبير إثباتها، وكان يشتم عليه إنكار عائشة لها. وبه قال سائر أصحاب ابن عباس، وبه جزم كعب الاحبار والزهري ومعمر وآخرون. وبه قال الشيخ أبو الحسن الأشعري (٤) وغالب أتباعه. وجنح ابن خزيمة إلى ترجيحه بما يطول ذكره. ثم اختلفوا:

(١) أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع بن الحسين بن سويدان الشيباني الموصلي، موفق الدين أبو العباس الكواشي: عالم بالتفسير، من فقهاء الشافعية. من أهل الموصل. كان يزوره الملك ومن دونه فلا يقوم لهم ولا يعاب بهم. من كتبه: (تنصرة المتذکر) في تفسير القرآن، و (كشف الحقائق) و (تلخيص في تفسير القرآن العزيز). توفي ٦٨٠ هـ. الأعلام ١ / ٢٧٤. (٢) أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدي التميمي، أبو العباس: مقرر أندلسي أصله من المهدي بالقيروان. رحل إلى الأندلس في حدود سنة ٤٠٨ هـ وصنف كتاباً، منها (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) وهو تفسير كبير للآيات، يذكر القراءات والاعراب، واختصره وسماه (التفصيل في مختصر التفصيل) توفي نحو ٤٤٠ هـ. الأعلام ١ / ١٨٤. (٣) محمد بن عبد الغني الأردبيلي، جمال الدين: نحوي. له (شرح انموذج الزمخشري) في النحو. توفي سنة ٦٤٧ هـ. الأعلام ٦ / ٢١١. (٤) علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى، الشيخ أبو الحسن الأشعري البصري. إمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب عن الدين، والمصحح لعقائد المسلمين. مولده سنة ستين ومائتين، وقيل: سنة سبعين. أخذ علم الكلام أولاً عن أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة، ثم فارقه، ورجع عن الاعتزال، وأظهر ذلك، وشرع في الرد عليهم، والتصنيف على خلافهم. وقال أبو بكر الصيرفي: وهو من نظراء الشيخ أبي الحسن، كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله الأشعري فجرحهم في أقماع السمسم. قال الخطيب البغدادي: أبو الحسن الأشعري المتكلم، صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة، والجهمية والخوارج، وسائر أصناف المبتدعة. وهو بصري سكن بغداد إلى أن توفي. وقد جمع الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر له ترجمة حسنة، ورد على من تعرض له بالطعن، وذكر فضائله، ومضائفه، ومتابعته في كتبه المذكورة السنة، وانتصارها لها، وذمه عنها ومن أخذ عنه من العلماء الأعلام سماه (تبيين الكذب المفترى فيما نسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري)، وهو كتاب مفيد مطبوع ومتداول بين أهل العلم توفي في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. انظر الطبقات لابن قاضي شهبة ١ / ١١٣، ١١٤، وتاريخ بغداد ١١ / ٣٤٦ ووفيات الاعيان ٣ / ٤٤٦ والبداية والنهاية ١١ / ١٨٧ وطبقات الشافعية

[٥٩]

هل رآه بعينه أو بقلبه ؟ والقولان روبا عن الامام أحمد. وقال الامام النووي: الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه ليلة المعراج، ويسط الكلام على ذلك واستدل بأشياء نوزع في بعضها كما سيأتي بيانه في ذكر أدلة المذهب الاول. وذهب جماعة إلى الوقف في هذه المسألة ولم يجزموا بنفي ولا إثبات لتعارض الأدلة، ورجح ذلك الامام أبو العباس القرطبي في المفهم، وعزاه لجماعة من المحققين، وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع. وغالب ما استدلت به الطائفتان ظواهر متعارضة قابلة للتأويل. قال: وليست المسألة من التعظيمات فيكتفي فيها بالدلالة الظنية، وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفي فيها إلا بالدليل القطعي. وقال السبكي رحمه الله في السيف المسلول: (ليس من شرطه أن يكون قاطعا متواترا بل متى كان حديثا صحيحا ولو ظاهرا وهو من رواية الاحاد، جاز أن يعتمد عليه في ذلك لان ذلك من مسائل الاعتقاد التي يشترط فيها القطع، على أن لسنا مكلفين بذلك). انتهى. وقال القاضي في الشفاء وغيره: (لا مربة في الجواز، إذا ليس في الايات: (لا تدركه الابصار) [الانعام: ١٠٣]، (لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) [الاعراف: ١٤٢] نص في المنع للرؤية، بل هي مشيرة للجواز كما تقرر ذلك. وأما وجوب وقوعها لنبينا صلى الله عليه وسلم، والقول بأنه رآه بعينه، فليس فيه قاطع أيضا ولا نص يعول عليه، إذ المعول عليه فيه على آيتي النجم: (ما كذب الفؤاد ما رأى) [النجم: ١١] و (ما زاغ البصر وما طغى) [النجم: ١٧]. والتنازع بين الاثمة فيهما مأثور، والاحتمال لهما من حيث دلالتهما على الرؤية وعدمها ممكن، لعدم صراحتهما بها، لا أثر قاطع متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك. وحديث ابن عباس أنه رآه بعينه أو بفؤاده إنما نشأ عن اعتقاد لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعتبر فيجب العمل باعتقاد مضمينه من رؤيته ربه. ومثله حديث شريك عن أبي ذر في تفسير الآية بأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه، وحديث معاذ: (رأيت ربي في أحسن صورة) (١)، مضطرب الاسناد والمتن. وحديث أبي ذر مختلف من حيث اللفظ محتمل لان يكون رآه أو لم يره، مشكل من حيث جعل ذاته نورا، فروي: (نور أني أراه) (٢) - بفتح أوله وتشديد النون - أي نورا لن أراه، أي لجري العادة بأن النور إذا غشى البصر حجبه في رؤيته لما وراءه، وروي: (نوراني، أي بكسر النون الثانية وتشديد التحتية).

(١) أخرجه السيوطي في اللالئ ١ / ١٥ وأخرجه من طرق بنحوه الخطيب في التاريخ ٨ / ١٥٢ وابن سعد في الطبقات ٧ / ٣٠٤ وابن الجوزي في العلل ١ / ١٦ وابن أبي عاصم في السنة ١ / ٣٠٤. (٢) أخرجه مسلم (١٦١) والترمذي (٣٢٨٣) وأحمد في المسند ٥ / ١٥٧ وأبو نعيم في الحلية ٩ / ٦١ وسيأتي بتمامه في نص المصنف رحمه الله. (*)

[٦٠]

قال القاضي: (وهذه الرواية لم تقع لنا، ولا رأيها في أصل من الاصول، ومحال أن تكون ذاته تعالى نورا، إذ النور جسم يتعالى الله عز وجل عنه، ومن ثم كانت تسميته نورا بمعنى ذي النور أو خالقه. وفي الحديث الاخر: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل

رأيت ربك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت نورا). وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما لافصاحهما بأنه لم يره، فإن كان الصحيح (رأيت نورا)، فقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لم ير الله تعالى، وإنما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى. وإلى قوله: (رأيت نورا) يرجع قوله: (نور أنى أراه)، أي كيف أراه مع كون حجاب النور المغشي للبصر، وهذا الحديث مثل الحديث الآخر من حيث المعنى: حجاب النور، كما رواه مسلم وغيره. وقال أيضا في الاكمال: وقف بعض مشايخنا في هذا. وقال: ليس هذا عليه دليل واضح، ولكنه جائز، ورؤية الله تعالى في الدنيا جائزة. ذكر أدلة القول الاول زاد الشيخان وعبد الرزاق وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وغيرهم عن مسروق، زاد عبد الرزاق ومن بعده عنه، قال: لقي ابن عباس كعبا يعرفه فسأله عن شئ فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم نزع، وفي لفظ نقول: إن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين. فكبر كعب حتى جاوبته الجبال. ثم قال: (إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما السلام [فكلهم موسى مرتين] ورآه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين). ثم اتفقوا. قال مسروق: فدخلت على عائشة فقلت يا أمته، هل رأى محمد ربه ؟ فقالت: لقد فف شعري بما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب، وفي لفظ: فقد أعظم علي الله الفرية، من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب وفي لفظ فقد أعظم على الله الفرية، ثم قرأت (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) [الانعام: ١٠٣]، (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب) [الشورى: ٥١]، (وما من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، وفي لفظ: فقد أعظم على الله الفرية، ثم قرأت: (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) [لقمان: ٣٤] ومن حدثك أنه قد كتم فقد كذب، وفي لفظ فقد أعظم على الله الفرية، ثم قرأت: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) [المائدة: ٦٧] ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين. زاد الامام أحمد ومسلم قال ومسروق: وكنت منكنا فجلست فقلت: ألم يقل الله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى) [النجم: ١٣]. إن أول هذه الامة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقلت: يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال: (لا، إنما رأيت جبريل منهبطا). وروى الامام أحمد عن طريق همام، ومسلم عن طريق معاذ بن هشام عن أبيه، ومن طريق ي يزيد بن إبراهيم، ثلاثتهم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق، قال: قلت لابي ذر: لو رأيت

[٦١]

رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته، فقال: عن أي شئ كنت تسأله، فقال: كنت أسأله: هل رأى ربه تبارك وتعالى. قال: إني قد سألته قلت: يا رسول الله: هل رأيت ربك ؟ فقال: نور أنى أراه) وفي رواية: رأيت نورا. تنبيهات الاول: قال جماعة: لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع، ولو كان معها لذكرته، وإنما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرت من ظاهر الآية وما قالوه غفلة عن قولها: إنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت: يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال: (إنما رأيت جبريل منهبطا). الثاني: من قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم خاطبها على قدر عقلها، ومن حاول تخطئتها فيما ذهبت إليه فهو مخطئ قليل الادب. الثالث: قول ابن الجوزي: (إن أبا ذر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء، فأجابته بما أجابه، ولو سأله بعد الاسراء لأجابه بالاثبات، ضعيف جدا، فإن عائشة رضي الله عنها سألته بعد الاسراء ولم تثبت لها الرؤية). الرابع: احتجاج عائشة بالاية خالفها فيه ابن عباس، فروى الترمذي وحسنه من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: محمد رأى ربه. قلت: أليس الله تعالى يقول: (لا تدركه الابصار) ؟ قال: (ويحك، ذلك نوره إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى ربه مرتين). والحاصل أن المراد بالاية الاحاطة به عند رؤيته، لا نفى أصل

رؤيته. وقال النووي: المراد بالادراك الاحاطة، والله تعالى لا يحاط به، وإذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة، وأما احتجاجها بقوله تعالى: (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا) [الشورى: ٥١] فالجواب عنه من أوجه: أحدها: أنه لا يلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية، فيجوز وجود الرؤية من غير كلام، الثاني: أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة، الثالث: ما قال بعض العلماء إن المراد بالوحي هنا الكلام من غير واسطة، وأن القول وإن كان محتملا لكن الجمهور على أن المراد بالوحي هنا الالهام والرؤيا في المنام وكلاهما يسمى وحيا. وأما قوله تعالى (أو من وراء حجاب). فقال الواحدي وغيره بمعناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه تعالى من حيث لا يرونه، وليس المراد أن يكون هناك حجاب يفصل موضعا عن موضع، ويدل على تحديد المحجوب، فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم. الخامس: قول كعب: (وكلمه موسى مرتين)، فيه نظر. والحق أنه كلمة أكثر منهما، كما يرشد إلى ذلك قوله تعالى: (وما تلك بيمينك يا موسى) [طه ١٧] وقوله عز وجل:

[٦٣]

(وما أعجلك عن قومك يا موسى) [طه: ٨٣]. وقوله تبارك وتعالى: (إنا قد فتنا قومك من بعدك) [طه ٨٥] وقوله تقدس اسمه: (فخذها بقوة) [الاعراف: ١٤٥]، وقوله تعالى: (اذهبا إلى فرعون) [طه: ٤٣]، وقوله عز وجل (والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني إذ تمشي أخذتك)، إلى غير ذلك من الآيات. السادس: في غريب ما سبق. (يا أمته): أصله يا أمه (١) والهاء للسكت فاضيفت إليها ألف الاستغاثة فأبدلت تاء، ثم زيدت هاء السكت بعد الألف. ووقع في كلام الخطابي إذا نادوا قالوا يا أمه عند السكت وعند الوصل (يا أمته). فإذا تفجعوا للندبة قالوا: (يا أمته) والهاء للسكت. وتعقبه الكرمانى بأن قول مسروق: (يا أمته) ليس للندبة، إذ ليس هو تفجعا عليها. قال الحافظ: وهو كما قال. ف (ص) شعري: قام من الفزع لما حصل عندها من هيبة الله واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك. قال النضر - بالنون والضاد المعجمة - ابن شميل (٣) - بضم الشين المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية وباللام: الف - بفتح الفاق وتشديد الفاء - كالقشعريرة، وأصله القبض والاجتماع لان الجلد ينقبض عند الفزع فيقوم الشعر لذلك. (أين أنت من ثلاث)، أي كيف يغيب فهمك عن هذه الثلاث وكان ينبغي أن يكون مستحضرها ومعتقد الكذب ممن يدعي وقوعها. (الغربة) بالكسر: الكذب وجمعها فرى كعب. ذكر أدلة القول الثاني تقدم حديث مسروق عن ابن عباس وكعب. وروى النسائي بإسناد صحيح عن طريق عكرمة عن ابن عباس قال: أتعجبون أن الخلة تكون لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم؟ ورواه ابن خزيمة بلفظ: (إن الله اصطفى ابراهيم بالخلة). إلى آخره. وروى ابن إسحق عن عبد الله بن أبي سلمة أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهم يسأله: هل رأى محمد ربه؟ فأرسل إليه أن نعم. تنبيهات الاول: قال الحافظ ابن كثير وابن حجر وغيرهما: جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة

(١) انظر لسان العرب ١ / ١٤٤. (٢) انظر اللسان ٥ / ٣٧٠٤، ٣٧٠٥. (٣) النضر بن شميل بن خريشة بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن: أحد الاعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة. توفي بمرور من كتبه: (الصفات) كبير، في صفات الانسان والبيوت والجمال والابل والغنم والطير والكواكب والزروع، و (كتاب السلاح) و (المعاني) و (غريب الحديث) و (الانواء). توفي ٢٠٢ هـ الاعلام ٨ / ٣٣. (*)

كما تقدم وأخبار مقيدة، فيجب حمل مطلقها على مقيدها. فمن المقيدة ما رواه مسلم عن أبي العالية في قوله تعالى: (ما كذب الفؤاد ما رأى) [النجم: ١١]، (ولقد رأى نزلة أخرى) [النجم: ١٣]، قال: (رأه بفؤاده مرتين). وروى أيضا عن طريق عطاء عنه قال: (رأه بقلبه). وروى ابن مردويه من طريق عطاء عنه أيضا في الآية قال: (لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه إنما رأه بقلبه). وروى النسائي وابن خزيمة عن أبي ذر في الآية قال: (رأه بقلبه ولم يره بعينه). وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيد عن محمد بن كعب القرظي - بالطاء المعجمة المشالة وبالفتح - قال ابن جرير عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قلنا: يا رسول الله، هل رأيت ربك؟ قال: لم أره بعيني، رأيت به بفؤادي مرتين، ثم تلا (ثم دنا فتدلى) [النجم: ٨] وموسى ضعيف. الثاني: قال الحافظ: المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب، لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله تعالى على الدوام. بل مراد من أنه أثبت له أنه رأه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره، زاد صاحب السراج: (بخلاف غيره من الاولياء، فإنهم إذا أطلقوا الرؤية والمشاهدة لانفسهم، فإنهم إنما يريدون (المعرفة) فاعلمه، فإنه من الامور المهمة التي يغلط فيها كثير من الناس). انتهى. والرؤية لا يشترط لها شئ مخصوص عقلا ولو جرت العادة يخلقها في العين. قال الواحدي: (وعلى القول بأنه رأه بقلبه جعل الله تعالى بصره في فؤاده، أو خلق لفؤاده بصرا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين). الثالث: على هذه الاثار المقيدة عن ابن عباس يمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة، بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباتها على رؤية القلب. الرابع: قال ابن كثير: [فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد: حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت ربي عز وجل)، فإنه حديث إسناده صحيح. على شرط الصحيح لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه الامام أحمد عن ابن عباس. الخامس: قال ابن كثير: من روى عن ابن عباس أنه رأه ببصره فقد أغرب فإنه لا يصح في ذلك شئ عن الصحابة. وقول البيهقي: وذهب جماعة إلى أنه رأه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر. قلت: سبق البيهقي إلى ذلك الامام أبو الحسن الواحدي وقول ابن كثير: إنه لم يصح في ذلك شئ عن الصحابة فليس بجيد، قال: فقد روى الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس أنه كان يقول: نظر محمد إلى ربه مرتين: مرة ببصره ومرة بفؤاده.

الباب الرابع في أي زمان ومكان وقع الاسراء وفيه فصلان: الاول في مكانه. ففي رواية أنه كان عند البيت كما عند البخاري في باب بدء الخلق وفي باب المعراج في الحطيم، وربما قال في الحجر، والشك من قتادة كما بينه الامام أحمد في روايته عن عفان عن همام ولفظه: (بيننا أنا في الحطيم)، وربما قال قتادة في الحجر. قال الحافظ: والمراد بالحطيم هنا الحجر، وأبعد من قال: المراد به ما بين الركن والمقام، أو ما بين زمزم والحجر. قال: وهو وإن كان مختلفا في الحطيم بل هو الحجر أم لا فالمراد به هنا بيان البقعة التي وقع ذلك فيها لانها لم تتعدد لان القصة متحدة باتحاد مخرجها. وفي رواية الزهري عن أنس: (فرج سقف بيتي وأنا بمكة)، وفي رواية الواحدي أنه: (أسري به من شعب أبي طالب)، وفي حديث أم هانئ عند الطبراني أنه (بات في بيتها)، قالت: ففقدته من الليل / فقال: إن جبريل أتاني). قال الحافظ: والجمع بين هذه الاقوال أنه بات في بيت أم هانئ، وبيتها عند شعب أبي طالب، ففرج عن سقف بيتها، وأضاف

البيت إليه لأنه كان يسكنه، فنزل منه منزلة المالك، وأخرجه إلى المسجد، وكان به أثر النعاس، ثم أخرجه إلى باب المسجد، فأركبه البراق. قال: وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن إسحاق فأتاه فأخرجه إلى المسجد، وهو يؤيد هذا الجمع). انتهى. وقال بعضهم: ليس بين قوله: (بيننا أنا في المسجد الحرام) وبين قوله: (في بيتي) وبين أم هانئ، تناف لأنه قد يكون المراد بالمسجد الحرام. الفصل الثاني: في زمانه: الصواب الذي اتفق عليه العلماء: أن الاسراء كان بعد البعثة. أما ما وقع في رواية شريك من قوله: (جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه)، وفيه (فكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى)، ولم يعين المدة التي بين المجيئين، فيحمل على أن المجيء الثاني كان بعد أن أوحى إليه، وحينئذ وقع الاسراء والمعراج، وإذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق بين أن تكون المدة ليلة واحدة أو ليال كثيرة أو عدة سنين. قال ابن كثير: (وهذا الحمل هو الاظهر)، وحزم به ابن القيم، وجرى عليه الحافظ، قال: (وبهذا يرتفع الاشكال عن رواية شريك، ويحصل به الاتفاق بأن الاسراء كان في البقعة بعد البعثة وقبل الهجرة، ويسقط تشنيع الخطابي وابن حزم بأن شريكا خالف الاجماع في دعواه أن المعراج كان قبل البعثة). قال الحافظ: (وأما ما ذكره بعض الشراح أنه كان بين الليلتين اللتين أتاه فيهما الملائكة سبع وقيل تسع وقيل ثلاثة عشر، فيحمل على إرادة السنين كما فهمه الشارح المذكور، وأجاب بعضهم بأن القبيلة هنا هي في أمر مخصوص وليست

[٦٥]

مطلقة، واحتمل أن يكون المعنى قبل أن يوحى إليه في شأن الاسراء والمعراج مثلا، أي أن ذلك وقع بغتة قبل أن ينذر به. ويؤيده قوله في حديث الزهري: فرج سقف بيتي. انتهى. واختلفوا في أي سنة كان، فجزم جمع بأنه كان قبل الهجرة بسنة، وجرى عليه الامام النووي، وبالغ ابن حزم فنقل فيه الاجماع. وقال القاضي: قبل الهجرة بخمس سنين لأنه لا خلاف أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الاسراء، وتعقبه ابن دحية بأن المراد بالصلاة التي صلتها معه هي التي كانت من أول البعثة، وكانت ركعتين بالغداه وركعتين بالعشي، وإنما الذي فرض ليلة الاسراء الصلوات الخمس. وقد قالت عائشة رضي الله عنها: (إن خديجة رضي الله عنها ماتت قبل أن تفرض الصلاة) رواه ابن سعد، ويعقوب بن سفيان. فالمعتمد أن مراد من قال: بعد أن فرضت الصلاة، ما فرض قبل الصلوات الخمس، إن ثبت ذلك. ومراد عائشة بقولها: ماتت قبل أن تفرض الصلاة، أي الخمس، فيجمع بين القولين بذلك. ويلزم منه أنها ماتت قبل الاسراء وقد حكى العسكري أنها ماتت قبل الهجرة بسبع سنين وسيأتي تحقيق ذلك في ترجمتها. واختلفوا في أي الشهور كان [الاسراء] فجزم ابن الاثير وجمع، منهم النووي في فتاويه كما في النسخ المعتمدة، بأنه كان في ربيع الاول، قال النووي: (ليلة سبع وعشرين). وجرى عليه جمع، وهكذا عن الفتاوى الاسنوي في المهمات، والاذرعي - بفتح أوله والراء وسكون الذال المعجمة بينهما - في التوسط، والزرركشي في الخادم، والدميري في حياة الحيوان، وغيرهم. وكذا رأيت في عدة نسخ من الفتاوى وفي بعض النسخ من شرح مسلم كذلك، وفي أكثرها ربيع الاخر كما في نسخ الفتاوى. ونقله ابن دحية في الابتهاج، والحافظ في الفتح، وجمع عن الحربي. والذي نقله عنه ابن دحية في كتابيه: التنوير والمعراج الصغير، وأبو شامة في الباعث، والحافظ في فضائل رجب، ربيع الاول. وقيل: كان في رجب، وجزم به النووي في الروضة تبعاً للرافعي، وقيل في رمضان، وقيل في شوال. قال ابن عطية بعد أن حكى الخلاف والتحقيق: (إنه كان بعد شق الصحيفة وقبل بيعة العقبة، قال ابن دحية: (ويمكن أن يعين اليوم الذي أسفرت عنه تلك الليلة، ويكون يوم الاثنين). وذكر

الدليل على ذلك بمقدمات حساب من تاريخ الهجرة، وحاصل الامر أنه استنبطه، وحاول موافقة كون المولد يوم الاثنين وكون المبعث يوم الاثنين وكون المعراج يوم الاثنين وكون الهجرة يوم الاثنين وكون الوفاة يوم الاثنين. قال: فإن هذه أطوار الانتقالات النبوية وجودا ونبوة ومعراجا وهجرة ووفاة، فهذه خمسة أطوار، فيكون يوم الاثنين في حقه صلى الله عليه وسلم كيوم الجمعة في حق آدم عليه الصلاة والسلام فيه خلق وفيه أنزل إلى الأرض وفيه تاب الله عليه وفيه مات، وكانت أطواره الوجودية والدينية خاصة بيوم واحد. انتهى.

[٦٦]

وروى ابن أبي شيبة عن جابر وابن عباس رضي الله عنهما قالا: (ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وفيه بعث وفيه عرج إلى السماء وفيه مات). وقولهما: (وفيه عرج إلى السماء) أراد الليلة لأن الأسراء كان بالليل اتفاقا. تنبيه: ذكر أبو الخطاب بن دحية أن الأسراء كان في الليلة التي بين الأحد والاثنين على القول بأن الليلة تتبع اليوم الذي قبلها. ثم قال: (وبدل على أن الليلة تتبع اليوم الذي قبلها أن ليلة عرفة هي التي قبلها بإجماع، وكان بعضهم يقول: ليلة السبت في ظن الناس هي ليلة الجمعة). انتهى. والذي ذكره النحاة في باب التاريخ أن ليلة كل يوم هي التي قبله، لأن أول الشهر ليلة، وآخره يوم. وبذلك صرح أئمتنا الشافعية في غير موضع من كتبهم. وليلة عرفة وإن تأخرت عن يومها شرعا فذلك في الحكم، وهو مشروعية الوقوف في هذا الوقت المخصوص، ولا يعترض على ما سبق بقوله تعالى: (ولا الليل سابق النهار) لأن المفسرين ذكروا فيه معنى غير هذا، فقال مجاهد: (في قضاء الله تعالى وعلمه لا يفوت الليل النهار حتى يدركه فيذهب بظلمته، وفي قضاء الله وعلمه لا يفوت النهار الليل حتى يدركه فيذهب بضوئه). رواه ابن المنذر. وقال الضحاك: (لا يذهب الليل من ههنا حتى النهار من ههنا). رواه ابن أبي حاتم. وقال البيهقي: (أي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجئ أحدهما قبل وقته). وقيل لا يدخل أحدهما في سلطان آخر، فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء. فإذا اجتمعا وأدرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة، وقيل: لا يتصل ليل بليل ولا يكون بينهما نهار فاصل. والله أعلم.

[٦٧]

الباب الخامس في كيفية الأسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وهل تكرر أم لا وفيه فصلان: الأول: أعلم أنه لا خلاف في صحة الأسراء به صلى الله عليه وسلم. إذ هو نص القرآن على سبيل الاجمال، وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه أحاديث كثيرة منتشرة عن جماعة من الصحابة يأتي ذكرهم بعد في باب مفرد، وإنما الخلاف في كيفية الأسراء، فاختلف العلماء في ذلك على أقوال: الأول وهو قول الأكثر إنه كان بالروح والجسد معا يقظة لا مناما. من مكة إلى بيت المقدس، إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء العلي الأعلى. قال القاضي وغيره: (وهو الحق وعليه تدل الآية نصا وصحيح الاخبار إلى السموات استفاضة ولا يعدل عن الظاهر من الآية والأخبار الواردة فيه، ولا عن الحقيقة المتبادرة إلى الأذهان من ألفاظهما، إلى التأويل، إلا عند الاستحالة وتعذر حمل اللفظ على حقيقته، وليس في الأسراء بجسده وحال يقظته استحالة تؤذن بتأويل، إذ لو كان مناما لقال: سبحان الذي أسرى بروح عبده، ولم يقل: بعبده، والعبد حقيقة هو الروح والجسد، وبدل عليه قوله تعالى (ما زاع البصر وما طغى) [النجم: ١٧] أي ما عدل عن رؤية ما أمر برؤيته من عجائب الملكوت وما جاورها لصراحة ظاهرة في كونه

يجسده يقظة لانه أضاف الامر إلى البصر، وهو لا يكون إلا يقظة
 يجسده بشهادة: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) [النجم: ١٨]. ولو
 كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة خارقة للعادة تورث عدم صدقه،
 وإن كانت رؤيا الانبياء وحيا، إذ ليس فيها من الابلية وخرق العادة ما
 فيه يقظة. وأيضا لو كان مناما لما استبعده الكفار ولا كذبوه، ولا ارتد
 به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به، لبعده عن ساحة العادة، ووقوعه في
 زمن يستبعد فيه جدا، إذ مثل هذه المنامات لا ينكر، بل لم يكن
 منهم ذلك الاستبعاد والتكذيب، والارتداد والافتتان إلا وقد علموا أن
 خبره إنما هو عن جسمه وحال يقظته). وقد روى البخاري في باب
 الاسراء من صحيحه، وسعيد بن منصور في سننه عن ابن عباس
 رضي الله عنه في قوله تعالى: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة
 للناس) [الاسراء: ٦٠] هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ليلة الاسراء. زاد سعيد: (وليس رؤيا منام). قال
 الحافظ: (إضافة الرؤية للعين للاحتراز عن رؤيا القلب. وقد أثبت الله
 تعالى رؤيا القلب في القرآن بقوله: (ما كذب الفؤاد ما رأى) [النجم:
 ١١]، ورؤية العين بقوله: (ما زاع البصر وما طغى) [النجم: ١٧].
 وأما ما رواه ابن مردويه عن طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله
 تعالى عنهما في الآية قال: (رأى أنه وصل مكة وأصحابه. فلما رده
 المشركون كان

[٦٨]

لبعض الناس في ذلك فتنة). وما رواه ابن مردويه عن الحسن بن
 علي رضي الله عنهما، رفعه قال: (رأيت كأن بني أمية يتعاورون
 منبري هذا)، فقال: (هي دنيا تنالهم)، ونزلت هذه الآية، فكلهما
 إسناد ضعيف والصحيح ما تقدم، وجزم بما قاله ابن عباس إنها رؤيا
 عين ليلة الاسراء مجاهد وسعيد بن جبير والحسن ومسروق
 وإبراهيم وقتادة وعبد الرحمن ابن زيد وغير واحد. تنبيه: قال ابن
 دحية: (جنح البخاري إلى أن ليلة الاسراء كانت غير ليلة المعراج لانه
 أفرد لكل منهما ترجمة) قال الحافظ: (ولا دلالة في ذلك على التغير
 عنده، بل كلامه في أول الصلاة ظاهر في اتحادهما، وذلك أنه ترجم
 باب: كيف فرضت الصلاة ليلة الاسراء، والصلاة إنما فرضت في
 المعراج، فدل على اتحادهما عنده، وإنما أفرد كلا منهما بترجمة لان
 كلا منهما يشتمل على قصة منفردة وإن كانا وقعا معا. القول الثاني:
 إن الاسراء كان بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء
 بالروح، ذهب إلى هذا طائفة واحتجوا بقوله تعالى: (سبحان الذي
 أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) [
 الاسراء: ١٠] فجعل المسجد الأقصى غاية للاسراء الذي وقع
 التعجب فيه من حيث أنه كان في بعض ليلة. والتعجب فيه من الكفار
 تعجب استحالة، ومن المؤمنين تعجب تعظيم القدرة الباهرة. ووقع
 التمدح بتشريف النبي صلى الله عليه وسلم، وإظهار الكرامة له
 بالاسراء إليه. ولو كان الاسراء إلى مكان زائد على المسجد الأقصى
 لذكره تعالى فيكون ذكره أبلغ في المدح من عدم ذكره فيه. وأجاب
 الأئمة عن ذلك بأن استدرجهم إلى الايمان بذكر الاسراء أولا، فلما
 ظهرت أمارات صدقه، وصحت لهم براهين رسالته، واستأنسوا بتلك
 الآية الخارقة، أخبرهم بما هو أعظم منها، وهو المعراج، فحدثهم
 النبي صلى الله عليه وسلم به، وأنزله الله تعالى في سورة النجم.
 ويؤيد وقوع المعراج عقب الاسراء في ليلة واحدة رواية ثابت عن أنس
 رضي الله عنه عند مسلم: (أتيت بالبراق فركبته حتى أتيت بيت
 المقدس)، فذكر القصة إلى أن قال: (ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا)
 وحديث أبي سعيد الخدري: بالخاء المعجمة المضمومة وبالذال
 المهملة. عند ابن إسحق: (فلما فرغت مما كان في بيت المقدس
 أتني بالمعراج). فذكر الحديث. القول الثالث: إن الاسراء كان بالروح
 وإنه رؤيا منام، مع اتفاقهم أن رؤيا الانبياء وحى بشهادة: (يا بني إنني

أرى في المنام أني أذبحك] [الصفات: ١٠٢]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم) (١).

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري ٦ / ٦٧٠ (٣٥٧٠). (*)

[٦٩]

واحتج من قال بهذا القول بقوله تعالى: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) [الاسراء: ٦٠] ولو كان يقظة لقال: (الرؤية) بالتاء، وقول أنس في حديثه في رواية شريك: (وهو نائم بالمسجد الحرام). وذكر القصة الواردة ليلة الاسراء، ثم قال في آخرها: (استيقظت - أي انتبهت - من منامي وأنا في المسجد الحرام). وهذا المذهب يعزى لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فإن ابن اسحاق قال: (حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كانت رؤيا من الله تعالى صادقة). ويعقوب وإن كان ثقة إلا أنه لم يدرك معاوية فالحجة منقطعة. ويعزى أيضا إلى عائشة رضي الله عنها، قال ابن إسحق: (حدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقول: (ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أسرى بروحه). كذا فيما وقفت عليه من نسخ السيرة (فقد) بالبناء للمفعول. وفي الذي وقفت عليه من نسخ الشفا للقاضي (ما فقدت) بالبناء للفاعل وإسناد الفعل إلى تاء المتكلم. وأجيب عن الاول بأن (الرؤيا) قد تكون بمعنى (الرؤية) في اليقظة كما نقله أبو الخطاب ابن دحية عن ابن عباس. قال الشيخ السهيلي في الروض: (وأنشدوا للراعي يصف صائدا: وكبر للرؤيا وهش فؤاده * وبشر قلبا كان جما بلبله وقوله: (إلا فتنة للناس) [الاسراء: ٦٠] يدل على أنها رؤية عين، وإسراء شخص، إذا ليس في الحلم فتنة للناس من تعجبهم تعجب استحالة، حتى ارتد كثير ممن آمن. وقال الكفار: (يزعم محمد أنه أتى بيت المقدس ورجع إلى مكة في ليلته، والغير تطرد إليها شهرا مقبلة وشهرا مدبرة. ولو كانت رؤيا نوم لم يستبعد أحد منهم هذا، فمعلوم أن النائم قد يرى نفسه في السماء وفي المشرق وفي المغرب فلا يستبعد منه ذلك، ويؤيد كونها يقظة ما ورد من شربه تلك الليلة الماء الذي كان لسفار قريش، وضعوه في بعض مراحلهم في قدح وغطوه، فأصبحوا ولا ماء فيه، فعجبوا لذلك. وإرشاد أصحاب العير الذين ند بعيرهم حين أنفره حس البراق حتى دلهم عليه، فأخبر أهل مكة بأمارة ذلك، حتى ذكر الغرارتين السوداء والبرقاء، ووعده لقريش بقدم العير التي أرشد أصحابها إلى بعيرهم وشرب مائهم أن يقدموا يوم الاربعاء). كما سيأتي بيان ذلك مبسوطا في القصة. وهذا كله لا يكون إلا يقظة وقد تقدم في القول الاول عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال في الآية: هذه رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء فراجع.

[٧٠]

وأجيب عن الثاني وهو قوله: (بيننا أنا وبين النائم واليقظان، ثم استيقظت) بأنه لا حجة في ذلك إذ يحتمل قوله (بين النائم واليقظان) إلى آخره أنه أول وصول الملك كان وهو نائم بشهادة حديث الحسن: (بيننا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهزني بعقبه، فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي)، إلى أن قال: (فجزني إلى باب المسجد فإذا أنا بدابة) أو أنه محمول على ابتداء الحال، ثم لما

خرج إلى باب المسجد، فأركبه البراق فاستمر في يقظته. وليس في الحديث أنه كان نائماً في القصة كلها. وأما قوله: (ثم استيقظت وأنا بالمسجد الحرام)، قال الحافظ: (إن قيل بالتعدد فلا إشكال وإلا حمل على أن معناه أفقت أي أفاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة عجائب الملكوت ورجع إلى العالم الدنيوي فلم يرجع إلى عالم البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام). قال ابن كثير: (ويؤيد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحى إليه يستغرق فيه فإذا انتهى رجع إلى حالته الأولى، فكيف عنه بالاستيقاظ كما في حديث عائشة، حين ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فكذبوه، قال: (فرجع ت وأنا مهموم فلم أستفق إلا بقرن الثعالب) أي وهو مكان. وفي حديث أبي أسيد - بضم الهمزة وفتح المهملة - حين جاء بابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره، فوضعه على فخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم. واشتغل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث مع الناس. فرفع أبو أسيد ابنه ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يجد الصبي فسأل عنه فقالوا (رفع) فسماه المنذر أحد رواته استيقاظاً. وهذا الحمل أحسن من تخطيط شريك. تنبيه: قال بعضهم إنه صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة نائم العين حاضر القلب، غمض عينيه لئلا يشغله شئ من المحسوسات عن الله. قال القاضي: (هذا غير صحيح الن المقام مشاهدة عجائب الملكوت بشهادة قوله تعالى: [لنرى من آياتنا] [الأسراء: ١]، [لقد رأى من آيات ربه الكبرى] [النجم: ١٨]، إذ المتبادر منه رؤية العين، ولا يصح أيضاً أن تكون في وقت صلواته بالانبياء. وأما ما يعزى لعائشة رضي الله عنها، فلم يرد بسند يصلح للحجة بل في سنده انقطاع وارد مجهول كما تقدم. وقال أبو الخطاب بن دحية في التنوير: إنه حديث موضوع عليها، وقال في معراج الصغير: (قال إمام الشافعية القاضي أبو العباس بن سريج: هذا حديث لا يصح وإنما وضع رداً للحديث الصحيح). انتهى. وعلى تقدير أن يكون صحيحاً ورد بالبناء للمفعول فعائشة رضي الله عنها لم تحدث عن مشاهدة لأنها لم تكن زوجة إذ ذاك، أو بالبناء للفاعل: (ما فقدت جسده الشريف) فعائشة لم يدخل بها إلا بالمدينة بالاجماع، ولا كانت وقت الأسراء في سن من يضبط الامور، لأنها في سنة الهجرة كانت بنت ثمانس نين. فعلى القول بأن الأسراء كان قبلها بسنة تكون بنت سبع،

[٧١]

وعلى القول بأكثر من ذلك تكون أصغر من ذلك، وعلى قول من قال: إن الأسراء كان بعد البعث بعام لم تكن ولدت. تنبيه: قال في زاد المعاد: (ينبغي أن يعلم الفرق بين أن يقال: كان الأسراء مناماً وبين أن يقال: كان بروحه دون جسده، وبينهما فرق عظيم. وعائشة ومعاقبة لم يقولا: كان مناماً، وإنما قالوا: الأسراء بروحه ولم يفقد جسده. وفرق بين الأمرين، فإن ما يراه النائم قد يكون أمثالا مضروبة للمعلوم في الصور المحسوسة، فيرى كأنه عرج به إلى السماء، أو ذهب به إلى مكة أو أقطار الأرض، وروحه لم تصعد ولم تذهب، وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال، والذين قالوا: عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم طائفتان: طائفة قالت عرج بروحه وبدنه، وطائفة قالت عرج بروحه ولم يفقد بدنه. وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان مناماً وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أسري وعرج بها حقيقة وباشرت من جنس ما تباشر بعد المفارقة. وكان حالها في ذلك كحالها بعد المفارقة في صعودها إلى السموات سماء سماء، حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، فتقف بين يدي الله تعالى فيأمر فيها بما يشاء، ثم تنزل إلى الأرض). (والذي كان برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة. ومعلوم أن هذا أمر فوق ما يراه النائم. لكن لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام خرق العوائد، حتى شق بطنه وهو حي لا يتألم بذلك، عرج

بذات روحه المقدسة حقيقة من غير إمامة. ومن سواه: لا ينال بذات روحه الصعود إلى السماوات إلا بعد الموت والمفارقة، إلى آخر كلامه، وسيأتي بتمامه في باب حياته صلى الله عليه وسلم في قبره. الفصل الثاني: في تكرره: ذهب جماعة منهم الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشهير بأبي شامة رحمه الله تعالى إلى أن الأسراء وقع مرارا، واحتج بما رواه سعيد بن منصور، والبخاري، والبيهقي، وابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بيننا أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي، فقامت إلى شجرة فيها مثل وكري الطير، فقع جبريل في أحدهما وقعدت في الآخر، فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين، وأنا أقلب طرفي، فلو شئت أن أمس السماء لمسست وفتح لي باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم، وإذا دون الحجاب رفرق الدر والياقوت، وفي رواية فدلي بسبب وهبط النور فوقع جبريل مغشيا عليه كأنه حلس، فعرفت فضل خشيته على خشيتي، فأوحى الله تعالى إلي ما شاء أن يوحى، وفي رواية: فأوحى إلي نبيا ملكا أو نبيا عبدا وإلى الجنة ما أنت، فأوما إلي جبريل وهو مضطجع: أن تواضع. قال. قلت: لا بل نبيا عبدا.

[٧٢]

شرح غريب ما سبق (وكز) (١) ضرب برفق. (وكري) (٢) الطائر) تثنية بفتح الواو وهو عش الطائر إن كان في جبل أو شجر، والمراد هنا بيتان شبيهان بعشه في الهيئة والوضع لا في المقدار. (نمت) زادت. (الخافقان) طرفا السماء والأرض أو المشرق والمغرب وخواقف السماء جهاتها التي تهب منها الرياح الأربع. (لمسست) بكسر أول سينه وفتحها وقد يخفف وتنقل حركتها إلى الميم وقد ترك الميم مفتوحة. (أقلب طرفي) حال من الضمير قبله أي مقلبا بصري في آيات الله في الأفاق. (حلس) (٣) بكسر الحاء والسين المهملتين: كساء يلي ظهر الدابة تحت الرجل يشبه به من لزم شيئا من خشية أو نحو ذلك. (ا لسبب) في الأصل الذي يتوصل به إلى الماء ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء. قال الحافظ: (وحديث أنس السابق رجاله لا بأس بهم إلا أن الدار قطني ذكر له علة تقتضي إرساله. وعلى كل حال فهي قصة أخرى، الظاهر أنها وقعت بالمدينة، قال ولا بعد في وقوع مثل ذلك في المنام، وإنما المستغرب وقوع التعدد في قصة المعراج التي وقع فيها السؤال عن كل نبي وسؤال أهل كل سماء: هل بعث إليه؟ وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك، فإن تعدد مثل ذلك في اليقظة لا يتجه، فيتعين رد بعض الروايات المختلفة إلى بعض والترجيح، إلا أنه لا بعد في وقوع جميع ذلك في المنام، ثم وقوعه في اليقظة على وفقه ولهذا مزيد بيان في الباب الثامن. وذهب جماعة منهم المهلب شارح البخاري، وحكاه عن طائفة، وأبو نصر القشيري، والبعوي، والسهيلي، ونقل تصحيحه عن شيخه القاضي أبي بكر العربي، وحزم به النووي في فتاويه أن الأسراء وقع مرتين: مرة في النوم ومرة في اليقظة. قالوا: (وكانت مرة النوم توطئة له وتيسيرا عليه، كما كان في بدء نبوته الرؤيا الصادقة، ليسهل عليه أمر النبوة، فإنه أمر عظيم

(١) انظر لسان العرب ٦ / ٤٩٠٦. (٢) المعجم الوسيط ٢ / ٢٥٣. (٣) اللسان ٢ / ٩٦١.
(*)

[٧٣]

تضعف عنه القوى البشرية، وكذلك الاسراء سهله عليه الرؤيا لان هوله عظيم، فجاء في اليقظة على توطئة وتقدمة رفقا من الله تعالى بعيده وتسهيلا عليه). قال الحافظ: (ومن المستغرب قول ابن عبد السلام في تفسيره: إن الاسراء كان في النوم واليقظة ووقع بمكة والمدينة، فإن كان يريد تخصيص المدينة بالنوم ويكون كلامه على طريق اللف والنشر غير المرتب فيحتمل، ويكون الاسراء الذي اتصل بالمعراج وفرضت فيه الصلاة بمكة، والاخر في المنام بالمدينة، وينبغي أن يزداد فيه أن الاسراء في المنام تكرر بالمدينة النبوية. ففي الصحيح في الجنائز حديث سمرة الطويل، وفي غيره حديث عيد الرحمن بن سمرة الطويل، وفي الصحيح حديث ابن عباس رضي الله عنهما في رؤيا الانبياء، وحديث ابن عمر في ذلك. قلت وسياتي في باب مناماته صلى الله عليه وسلم ما فيه مقنع.

[٧٤]

الباب السادس في دفع شبهة أهل الزيف في استحالة المعراج اعلم أن الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخالف في وقوعه أحد من المسلمين، وإنما طعن فيه أهل الزيف بشبه باطلة. وقد تصدى الامام الرازي وغيره للرد عليهم، وأنا مورد تلك الشبه ثم أتبعها بالرد. قال أهل الزيف والضلالة قبحهم الله تبارك وتعالى: (الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحد غير معقولة، ولو صعد إلى السموات لوجب خرق الافلاك، وذلك محال، وصعود الجرم الثقيل إلى السموات غير مقبول، ولان هذا المعنى لو صح لكان أعظم من سائر معجزاته، وكان يجب أن يظهر ذلك عند اجتماع الناس حتى يستدلوا به على صدقه من ادعاء النبوة، فأما أن يحصل ذلك في وقت لا يراه فيه أحد ولا يشاهده فإن ذلك يكون عبثا لا يليق بالحكيم). وأجيب عن الاول أن الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحد ممكنة في نفسها، والله قادر على ذلك، ويدل على صحته أن الفلك الاعظم يتحرك من أول الليل إلى آخره ما يقرب من نصف الدور، وثبت في الهندسة أن نسبة القطر إلى الدور نسبة الواحد إلى ثلاثة وسبع فيتقدير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتفع من مكة إلى ما فوق الفلك الاعظم فهو لم يتحرك إلا إلى مقدار نصف القطر. فلما حصل في ذلك القدر من الزمان نصف الدور كان حصول الحركة بمقدار نصف القطر أولى بالامكان، فهذا برهان قاطع على الارتفاع من مكة إلى ما فوق العرش في مقدار ثلث الليل وأنه أمر ممكن في نفسه. وإذا كان كذلك كان حصوله في كل الليل أولى بالامكان. وأيضا ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة وستين مرة، ثم أنا نشاهد طلوع القرص يحصل في زمان لطيف سريع، فدل على أن بلوغ الحركة في السرعة إلى هذا الحد أمر ممكن في نفسه. فإن كان الكلام مع من لا يعرف الهندسة فنقول له: أنت تشاهد الشمس والقمر والنجوم تقطع من الشروق إلى الغروب مسافة لا يقدر على قطعها في أعوام كثيرة. وأيضا كانت الرياح تسير لسليمان بن داود عليهما السلام إلى المواضع البعيدة في الاوقات اليسيرة، قال الله تعالى: (غدوها شهر ورواحها شهر) [سبأ: ١٢]، والحس يدل على ذلك وهو أن الرياح تنفذ عند شدة هبويها من مكان إلى مكان آخر في غاية البعد في اللحظة الواحدة. وقد أحضر الذي عنده علم من الكتاب كرسي بلقيس من أقصى اليمن إلى

[٧٥]

أرض الشام في أقل من لمح البصر. والاجسام متماثلة في تمام ماهياتها، فلما حصل مثل هذه الحركة في حق بعض الاجسام وجب

إمكان حصولها في سائر الاجسام، فهي ممكنة والله تعالى قادر على حصولها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم. والجواب عن الثاني: وهو خرق الافلاك فليس بمحال وقد منعه النفاة للجنة والنار. قال الشيخ سعد الدين: (ادعاء استحالة المعراج باطل، لانه إنما يبنى على أصول الفلاسفة من امتناع الخرق والالتزام على السموات، وإلا فالخرق والالتزام على السموات واقع عند أهل الحق، والاجسام العلوية والسفلية متماثلة مركبة من الجواهر الفردة المتماثلة، يصح على كل من الاجسام ما يصح على الاخر ضرورة التماثل المذكور، فإذا أمكن خرق الاجسام السفلية أمكن خرق الاجسام العلوية والله قادر على الممكنات كلها، فهو قادر على خرق السموات وقد ورد به السمع فيجب تصديقه). والجواب عن الثالث: فكما أنه يستبعد صعود الجسم الكثيف يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحاني من العرش إلى مركز العالم. فإن كان القول بمعراج النبي صلى الله عليه وسلم في الليلة الواحدة ممتنعاً كان القول بنزول جبريل عليه السلام من العرش إلى مكة في اللحظة الواحدة ممتنعاً كذلك، ولو حكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعناً في نبوة جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والقول بثبوت المعراج فرع على تسلم جواز أصل النبوة، فيلزم القائل بامتناع حصول هذه الحركة امتناع نزول جبريل عليه السلام. ولما كان ذلك باطلاً، كان ما ذكره باطلاً. والجواب عن الرابع: إن في كونه ليلاً فوائد منها: ليزداد الذين آمنوا إيماناً بالغيب، ويفتنن الذين كفروا زيادة على فتنتهم، وقد قال الله تعالى: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) [الاسراء: ٦٠]، ومنها أنه وقت الخلوة والاختصاص عرفاً، فإن بين جليس الملك نهاراً وجليسه ليلاً فرقاً واضحاً، والخصوصية لليل، ورحم الله من قال: الليل لي ولا حباي أنادمهم * قد اصطفيتهم كي يسمعوا ويعوا وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالعلامات التي تفيد اليقين من وصف بيت المقدس ووصف العير التي مر بها في طريقه، وأنها تصل إليهم في وقت كذا، فكان كما ذكر كما سيأتي مفصلاً. ومع ذلك قالوا: (هذا سحر مبین) [الاحقاف: ٧]. فلا فرق بين أن يريهم ذلك نهاراً وأن يخبرهم بخبر يفيد اليقين، وقد أراهم انشقاق القمر فقالوا: هذا: (سحر مستمر) [القمر: ٤].

[٧٦]

اليابغ السابع في أسماء الصحابة الذين رووا القصة عن النبي صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب رضي الله عنه، رواه عنه ابن مردويه من طريق عبيد بن عمير، ومن طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما مختصراً، وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند، وابن مردويه وابن عساكر بلفظ حديث أنس عن أبي ذر حرقاً بحرف. قال الحافظ في أطراف المسند: (إنه وقع تحريف وكان في الاصل: (عن أبي ذر فسقط من النسخة لفظة (ذر) فظن أن (أبي) [هي] (أبي)، فأدرج في مسند أبي بن كعب غلطاً). قلت، نبه الدارقطني في العلل على أن الوهم فيه من أبي ضمرة أنس بن عياض. وأسامة بن زيد، ذكره أبو حفص النسفي في تفسيره ولم أقف على حديثه. وأنس بن مالك فروايتة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير واسطة رواه عنه الإمام أحمد ومسلم من طريق ثابت البناني. والشيخان من طريق شريك بن عبد الله، وابن مردويه من طريق كثير بن خنيس - بضم الخاء المعجمة وفتح النون وسكون المثناة التحتية فسين مهملة - والنسائي، وابن مردويه من طريق يزيد بن أبي مالك وابن أبي حاتم من وجه آخر. وابن جرير وابن مردويه والبيهقي من طريق عبد الرحمن بن هاشم (١)، وروي من طريق عبد العزيز بن صهيب (٢)، والطبراني من طريق ميمون بن سياه (٣) - بكسر السين المهملة بعدها مثناة تحتية - وابن جرير من طريق أبي سلمة بن سليم وابن مردويه من طريق أبي هاشم عن علي بن زيد وعن ثمامة - بضم المثناة وله، وابن سعد وسعيد بن منصور، والبزار عن

أبي عمران الجوني - بفتح الجيم - وعند بعض هؤلاء ما ليس عند الآخر. وبريدة - بضم أوله وفتح الراء وسكون المثناة التحتية - ابن الحبيب - بجاء مضمومة فصاد مفتوحة مهملتين - رضي الله عنه، ورواه الترمذي والحاكم وصححه، وبلال بن حمادة وبلال بن سعد ذكرهما أبو حفص النسفي. وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما رواه الشيخان ورواه الطبراني وابن مردويه بلفظ آخر بسند صحيح. وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه رواه ابن

(١) عبد الرحمن بن يونس بن هاشم، أبو مسلم المستملي، البغدادي، مولى المنصور، صدوق، طعنوا فيه للرأي، من العاشرة، مات سنة أربع وعشرين، أو بعدها. التقريب ١ / ٥٠٣. (٢) عبد العزيز بن صهيب البنان، البصري، ثقة: مات سنة ثلاثين. التقريب ١ / ٥١٠. (٣) ميمون بن سياه، أبو بحر البصري. كان أسن من الحسن البصري، وثقه أبو حاتم، والبخاري. وقال أبو داود: ليس بذلك. وضعفه يحيى بن معين. ميزان الاعتدال ٤ / ٢٣٣. (*)

[W]

أبي شيبه وأحمد والترمذي وصححه وسمره بن جندب رضي الله عنه رواه ابن مردويه. وسهل بن سعد رضي الله عنه رواه ابن عساکر، وشداد بن أوس رضي الله عنه رواه البزار والطبراني والبيهقي وصححه. وصهيب بن سنان رضي الله عنه رواه الطبراني وابن مردويه وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما رواه الامام أحمد وأبو نعيم وابن مردويه من طريق قابوس - بالقاف والموحدة - عن أبيه بسند صحيح. والامام أحمد وأبو يعلى من طريق عكرمة. والشيخان من طريق أبي العلية ومن طريق عكرمة. والامام أحمد دو النسائي والبزار بسند صحيح عن طريق سعيد بن جبیر. والامام أحمد وابن أبي شبيب والبزار بسند صحيح من طريق زرارة بن أوفى، وهذه الطرق كلها مختصرة. وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما رواه أبو داود والبيهقي. وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما رواه ابن سعد وابن عساکر. وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما. وعبد الله بن أب أوفى رضي الله عنهما ذكرهما أبو حفص النسفي. وعبد الله بن أسعد بن زرارة رضي الله عنهما رواه البزار والبعوي وابن قانع كلاهما في معجم الصحابة. وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه رواه مسلم من طريق مرة، وابن عرفة من طريق أبيه عن عبيد الله. والامام أحمد وابن ماجه من طريق موثر - بضم الميم وسكون الواو وكسر المثالث - ابن عفاة بفتح المهملة والفاء ثم زاي - الكوفي. والبزار وأبو يعلى والطبراني من طريق علقمة، والبيهقي من طريق زر - بكسر الزاي وبالراء - ابن جبيش - بضم الحاء المهملة وفتح الموحدة وسكون التحتية وبالشين المعجمة. وعبد الرحمن بن عابس (١)، ذكره ابن دحية في التنوير، والعباس بن عبد المطلب، وعثمان بن عفان رضي الله عنه ذكره أبو حفص النسفي. وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه رواه الإمام أحمد وابن مردويه. وعمر بن الخطاب رضي الله عنه رواه الإمام أحمد وابن مردويه. وأنس بن عياض ذكره ابن دحية. ومالك بن صعصعة رضي الله عنه رواه عنه الإمام أحمد والشيخان ابن جرير والبيهقي وغيرهم. وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ذكره ابن حية. وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه رواه الشيخان في أثناء حديث أبي بن كعب. وأبو الحمراء رضي الله عنه رواه الطبراني. وأبو الدرداء رضي الله عنه ذكره أبو حفص النسفي. وأبو ذر الغفاري رضي الله عنه رواه الشيخان. وأبو سعيد الخدري - بضم الحاء

(١) عبد الرحمن بن عابس بن ربيعة النخعي، الكوفي، ثقة. مات سنة تسع وعشرة. التقريب ١ / ٤٨٥. (*)

المعجزة والذال المهملة - رضي الله عنه رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي من طريق أبي هارون العبدى (١) وهو متكلم فيه. وقد روى البيهقي عن أبي الأزهر قال: حدثنا زيد بن أبي حكيم قال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم، فقلت: يا رسول الله أين رجل من أمتك يقال له سفيان الثوري لا بأس به ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا بأس به. حدثنا عن أبي هريرة عن أبي سعيد الخدري عنك أنك ليلة أسري بك قلت: رأيت في السماء، فحدثته بالحديث، فقال: نعم. فقلت: يا رسول الله إن ناسا من أمتك يحدثون عنك في الإسراء العجائب. فقال: ذلك حديث القصاص ". وأبو سفيان بن حرب رضي الله عنه ذكره أبو حفص النسفي، وأبو سلمة بن دحية وأبو سلمى راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره أبو حفص النسفي. وأبو ليلي الأنصاري رضي الله عنه رواه الطبراني وابن مردويه. وأبو هريرة رضي الله عنه رواه مطولا ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي والحاكم وصححه من طريق أبي العالية، وفي سنده أبو جعفر الرازي وهو صدوق الحفظ، ومختصرا الشيخان من طريق سعيد بن المسيب، والإمام أحمد ومسلم من طريق أبي سلمة. والإمام أحمد وابن ماجه عن طريق أبي الصلت. وابن مردويه عن طريق سليمان التيمي. وابن سعد وسعيد بن منصور والطبراني من طريق مولاة. وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها رواه ابن مردويه. وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابن مردويه من طريق الزهري عن عروة عنها. وابن مردويه من طريق هشام عن أبيه عنها. وأم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها ذكره أبو حفص النسفي. وأم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها رواه أبو سعيد وابن عساكر. وأم هانئ رضي الله عنها رواه الطبراني وأبو يعلى وابن عساكر عن طريق أبي صالح وابن إسحق بلفظ آخر. والله أعلم.

(١) عمارة بن جوين، أبو هارون العبدى. تابعي لين بكرة. كذبه حماد بن زيد. وقال أحمد: ليس بشئ، وقال ابن معين: ضعيف، لا يصدق في حديثه. وقال النسائي: متروك الحديث قال الجوزجاني: أبو هارون كذاب مفتر. توفي سنة أربع وتلاثين ومائة. ميزان الاعتدال ٣ / ١٧٣، ١٧٤. (*)

الباب الثامن في سياق القصة اعلم رحماني الله وإياك أن في حديث كل من الصحابة السابق ذكرهم في الباب السابع ما ليس في الآخر، فاستخرت الله تعالى وأدخلت حديث بعضهم في بعض ورتبت القصة على نسق واحد، لتكون أحلى في الأذان الواعيات، وليعم النفع بها في جميع الحالات. فإن قلت إن أحاديث المعراج كل حديث منها مخالف للآخر. فقد يكون المعراج تعدد بعدها فلم جعلت الكل قصة واحدة ؟ فأقول: قال في " زاد المعاد ": " هذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين إذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الرواة جعلوه مرة أخرى فكلما اختلفت عليهم الرواة عددوا هم الوقائع والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة، ويا عجباً لهؤلاء الذين زعموا أنه وقع مرارا كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسا، ثم يقول: " أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي " ثم يعيدها في المرة الثانية خمسين ثم يحطها عشرا عشرا ؟. قال الحافظ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى في تاريخه، بعد أن ذكر أنه لم يقع في سياق

مالك بن صعصعة ذكر بيت المقدس: " وكان بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به، أو ينسأه، أو يذكر ما هو الأهم عنده، أو ينشط تارة فيسوقه كله، وتارة يحدث مخاطبه بما هو الأنفع له " " ومن جعل كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة، فأثبت إسرءات متعددة فقد أبعد وأغرب وهرب إلى غير مهرب ولم يحصل على مطلب "، " وذلك أن كل السياقات فيها تعريفه بالأنبياء، وفي كلها تفرض عليه الصلوات، فكيف يدعى تعدد ذلك؟ هذا في غاية البعد "، " ولم ينقل ذلك عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي صلى الله عليه وسلم به أمته ولنقله الناس على التكرار ". انتهى. وقال الحافظ في الفتح نحوه وزاد: " ويلزم أيضا وقوع التعدد في سؤاله صلى الله عليه وسلم عن كل نبي وسؤال أهل كل باب: هل بعث إليه؟ وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك، فإن تعدد مثل ذلك في القصة لا يتجه، فيتعين رد بعض الروايات المختلفة إلى بعض أو الترجيح إلا أنه لا يعد وقوع مثل ذلك في المنام توطئة ثم وقوعه يقظة ". انتهى ملخصا. إذا علم ما تقرر فأقول: " بينما النبي صلى الله عليه وسلم عند البيت في الحجر، إذ أتاه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر، فقال أولهم: أيهم؟ فقال أوسطهم هو خيرهم. فكانت تلك الليلة، فلم يرههم حتى ليلة أخرى. فقال الأول: هو هو. فقال الأوسط: نعم، وقال الآخر: خذوا سيد القوم

[٨٠]

الأوسط بين الرجلين. فرجعوا عنه حتى إذا كانت الليلة الثالثة، رآهم، فقال الأول: هو هو، فقال الأوسط: نعم، وقال الآخر: خذوا سيد القوم الأوسط بين الرجلين. فاحتملوه حتى جاءوا به زمزم، فألقوه على ظهره فتولاه منهم جبريل ". وفي رواية: " فرج سقف بيتي، فنزل جبريل، فشق من ثغرة نحره إلى أسفل بطنه، ثم قال جبريل لميكائيل: اثني بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه وأشرح صدره، فاستخرج قلبه، فغسله ثلاث مرات، ونزع ما كان فيه من أذى، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طسوت من ماء زمزم، ثم أتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغه في صدره، وملأه حلما وعلما ويقينا وإسلاما. ثم أطبقه ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة، ثم أتى بالبراق مسرجا ملجما، وهو دابة أبيض، طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، مضطرب الأذنين، إذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه، وإذا هبط ارتفعت يداه، له جناحان في فخذيه يجفز بهما رجله ". وعند الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما: " له خد كخد الإنسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالإبل وأظلاف وذنب كالبقر ". انتهى. " فاستصعب عليه " وفي رواية " فشمس (١)، وفي رواية كأنها صرت (٢) أذنيها فرزها جبريل وقال: مه أبعث محمد تفعلين هذا؟ " وفي رواية: " فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال: " ألا تستحي يا براق؟ فوالله ما ركبك خلق " - وفي رواية - عبد الله قط أكرم على اللن منه. فاستحي حتى أرفض عرقا، وفر حتى ركبها " - وفي رواية - ركبه. وكانت الأنبياء تركبها قبله ". وقال أنس بن مالك: " كانت الأنبياء تركبها قبله ". وقال سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن: " وهي دابة إبراهيم التي كان يزور عليها البيت الحرام ". فانطلق به جبريل - وفي رواية - فانطلقت مع جبريل - وعند أبي سعيد النيسابوري في الشرف: فكان الأخذ بركابه جبريل، وبزمام البراق ميكائيل - وفي رواية: جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره. فساروا حتى بلغوا أرضا ذات نخل. فقال له جبريل: انزل فصل ههنا ففعل، ثم ركب، فقال له جبريل: أتدري أين صليت؟ قال: لا. قال: صليت بطيبة وإليها المهاجر. فانطلق البراق يهوي به، يضع حافره حيث أدرك طرفه. فقال جبريل: انزل فصل، ففعل. ثم ركب. فقال جبريل: أتدري أين صليت؟ قال: لا. قال: صليت بمدين عند شجرة

(١) شمس الدابة شموسيا، وشماسا: جمحت ونفرت. انظر المعجم الوسيط ١ / ٤٩٦.
(٢) ضر الفرس والحمار بأذنه يضر صرا وصرها، وأضر بها: سواها ونصبها للاستماع.
انظر لسان العرب ٤ / ٣٤٣٠. (*)

[٨١]

موسى. ثم ركب. فانطلق البراق يهوي. ثم قال: انزل فصل. ففعل.
ثم ركب. فقال: أتدري أين صليت ؟ قال: لا. قال: صليت بطور سينا
حيث كلم الله موسى. ثم بلغ أرضا بدت له قصورا. فقال له جبريل:
انزل فصل. ففعل، ثم ركب وانطلق البراق يهوي. فقال له جبريل:
أتدري أين صليت ؟ قال: لا. قال: صليت ببیت لحم، حيث ولد
عيسى. وبينما هو يسير على لبرق إذ رأى عفريتاً من الجن، يطلبه
بشعلة من نار، كلما التفت رآه. فقال له جبريل: ألا أعلمك كلمات
تقولهن، فإذا قلتهم طفتت شعلته وخر لفيه ؟ فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: بلى، فقال جبريل: " قل أعوذ بوجه الله الكريم،
وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برو ولا فاجر، من شر ما ينزل
من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن
شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل
والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن ". فانكب لفيه وانطفأت شعلته.
فساروا حتى أتوا على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، كلما
حصدوا عاد كما كان فقال: يا جبريل ما هذا ؟ قال: هؤلاء المجاهدون
في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف، وما أنفقوا من
شئ فهو يخلفه. ووجد ريحا طيبة، فقال: يا جبريل ما هذه الرائحة ؟
قال: هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها، بينا هي تمشط بنت
فرعون إذ سقط المشط، فقالت: بسم الله، تعس فرعون. فقالت ابنة
فرعون: أو لك رب غير أبي ؟ قلت: نعم، ربي وربك الله. وكان للمرأة
ابنان زوج فأرسل إليهم فراود المرأة وزوجها إن يرجعا عن دينهما،
فقال: إنني قاتلكما، فقالا: إحسانا منك إن قتلتنا أن تجعلنا في بيت
- وفي رواية قالت: إن لي إليك حاجة. قال: وما هي ؟ قالت: تجمع
عظامي وعظام ولدي، فتدفنا جميعا. قال: ذلك لك بما لك علينا من
الحق، فأمر بنقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها لتلقى فيها هي
وأولادها، فألقوا واحدا واحدا، حتى بلغوا أصغر رضيع فيهم، فقال: يا
أمه قعي ولا تقاعسي فإنك على الحق. قال: وتكلم أربعة وهم
صغار: هذا وشاهد يوسف وصاحب جريح وعيسى ابن مريم عليه
السلام. ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم، كلما رضخت عادت كما
كانت. ولا يفتر عنهم من ذلك شئ. فقال: يا جبريل من هؤلاء ؟
فقال: هؤلاء الذين تتشاغل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة. ثم أتى
على قوم أقبالهم رقاع وعلى أديبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح
الإبل والغنم، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها. فقال:
من هؤلاء يا جبريل ؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم، وما
ظلمهم الله شيئا، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدور،
ولحم آخر نئى خبيث، فجعلوا يأكلون من النئى الخبيث ويدعون
النضيج. فقال: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون
عنده المرأة الحلال الطيب، فيأتي

[٨٢]

امرأة خبيثة، فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها
حللا طيبا، فتأتي رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح. ثم أتى على
خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب ولا شئ إلا خرقته. فقال: ما هذا
يا جبريل ؟ فقال: هذا مثل أقوام من أمتك يعقدون على الطريق
فيقطعونه، وتلا: (ولا تعقدوا بكل صراط توعدون) (الأعراف: ٧٦) ورأى

رجلا يسبح في نهر من دم، يلقم الحجارة، فقال: من هذا ؟ قال: أكل الربا. وأتى على قوم قد جمع الرجل منهم حزمة عظيمة لا يستطيع حملها، وهو يزيد عليها، فقال: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها، ويريد أن يتحمل عليها. ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاهم بمقاريض من حديد كلما قرضت عاد، لا يفتر عنهم من ذلك شئ، فقال: من هؤلاء يا جبريل ؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة من أمتك يقولون ما لا يفعلون. ومم يقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقال: من هؤلاء يا جبريل ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم. وأتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يتسطيع، فقال: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها. وأتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة كريح المسك، وسمع صوتا، فقال: يا جبريل ما هذا ؟ قال: هذا صوت الجنة تقول: يا رب إيتني بما وعدتني، فقد كثرت غرفي واستبرقي وحريري وسندسي، وعيقري (١) ولؤلؤي ومرجاني وفصتي وذهبي، وأكوابي وصحافي وأباريقي ومراكبي وعسلي ومائي، وليني وخمري. قال: لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة، ومن آمن بي وبرسلي، وعمل صالحا، ولم يشرك بي، ولم يتخذ من دوني أندادا، ومن خشيني فهو آمن، ومن سألتني أعطيتّه، ومن أقرضني جزينته، ومن توكل علي كفيته، إني أنا الله لا إله إلا أنا، لا أخلف الميعاد، وقد أفلح المؤمنون، وتبارك الله أحسن الخالقين. قالت: قد رضيت. وأتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة، فقال: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا صوت جهنم تقول: يا رب إيتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلاللي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقلي وعذابلي، وقد بعد قعري واشتد حرّي، فأتني بما وعدتني. فقال: لك كل مشرك ومشركة، وكافر وكافرة، وخبيث وخبيثة، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب: قالت: قد رضيت.

(١) عيقري قيل: هو الديباج. وقيل: البسط الموشية. وقيل: الطنافس النخان. انظر النهاية لابن الأثير ٣ / ١٧٣. (*)

ورأى الدجال في صورته رؤية عين لا رؤيا منام، فقيل: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف رأيتّه ؟ فقال: " رأيتّه فيلانيا أقرم هجان إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري، كأن شعر رأسه أعصاب شجرة، أشبهه بعبد العزى بن قطن " (١). ورأى عمودا أبيض كأنه لؤلؤة، تحمله الملائكة، فقال: ما تحملون ؟ قالوا: عمود الإسلام، أمرنا أن نضعه بالشام. وبيننا يسير إذ دعاه داع عن يمينه: يا محمد، أنظرني أسألك. فلم يجبه. فقال: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا داعي اليهود، أما أنك لو أحبته لتهودت أمتك. وبيننا هو يسير إذ دعاه عن شماله: يا محمد أنظرني أسألك، فلم يجبه، فقال: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا داعي النصارى، أما إنك لو أحبته لتنصرت أمتك. وبيننا هو يسير، إذا بامرأة حاسرة عن ذراعها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى. فقالت: يا محمد أنظرني أسألك، فلم يلتفت إليها، فقال: ما هذه يا جبريل ؟ قال: تلك الدنيا، أما إنك لو أحببتها لاخترت أمتك الدنيا على الآخرة. وبيننا هو يسير فإذا هو بشئ يدعو متنجحا عن الطريق، يقول: هلم يا محمد، فقال جبريل، سر يا محمد، فقال: من هذا ؟ هذا عدو الله إبليس، أراد أن تميل إليه. وسار فإذا هو بعجوز على جانب الطريق، فقالت: يا محمد أنظرني أسألك، فلم يلتفت إليها، فقال: من هذه يا جبريل ؟ قال: إنه لم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر هذه العجوز. وبيننا هو يسير إذ لقيه خلق من خلق الله، فقالوا: السلام عليك يا أول، السلام عليك يا آخر، السلام عليك يا حاشر،

فقال جبريل: اردد السلام، فرد، ثم لقيه الثانية فقال له مثل ذلك، ثم لقيه الثالثة فقال له مثل ذلك. فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: إبراهيم وموسى وعيسى. ومر على، موسى وهو يصلي في قبره الكئيب الأحمر، رجل طوال سبط آدم كأنه من رجال شنوءة، وهو يقول يرفع صوته: أكرمته وفضلته، فدفع إليه، فسلم عليه فرد عليه السلام، وقال: من هذا معك يا جبريل؟ فقال: هذا أحمد، فقل: مرحبا بالنبي العربي الذي نصح لأمته ودعا له بالبركة وقال: سل لأمتك اليسر. فساروا فقال: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا موسى بن عمران، قال: ومن يعاتب؟ قال: يعاتب ربه. قال: أو يرفع صوته على ربه؟ قال جبريل إن الله تعالى قد عرف له حدته ثم مر برجل قائم يصلي قال: من هذا معك يا جبريل قال جبريل: هذا أخوك محمد، فرحب به ودعا له ببركة فقال: سل لأمتك اليسر، فقال من هذا يا جبريل: قال هذا أخوك عيسى. ومر على شجرة كان ثمرها السلاح، تحتها شيخ وعياله، فرأى مصابيح وضوءا. فقال: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم. فسلم عليه فرد عليه السلام. وقال: من هذا معك يا جبريل؟ قال: هذا: ابنك

(١) أخرجه مسلم بنحوه ٤ / ٢٢٥٠ وأحمد في المسند ١ / ١٧٤. (*)

[٨٤]

أحمد. فقال: مرحبا بالنبي العربي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته، يا بني إنك لاق ربك الليلة، وإن أمتك آخر الأمم وأضعفها، فإن استطعت أن تكون حاجتك أو جلتها في أمتك فافعل. ودعا له بالبركة. فسار حتى أتى الوادي الذي في المدينة يعني بيت المقدس، فإذا جهنم تنكشف عن مثل الروابي. فقيل: يا رسول الله كيف وجدتتها؟ قال: " مثل الحمم " ثم سار حتى انتهى إلى المدينة، فدخلها من بابها اليماني، وإذا عن يمين المسجد وعن يساره نوران ساطعان. فقال: يا جبريل ما هذان النوران؟ قال: أما الذي عن يمينك فإنه محراب أخيك داود، وأما الذي عن يسارك فعلى قبر أختك مريم. فدخل المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر، فأتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس، فوضع أصبعه فيها فخرقها، فشد بها البراق، وفي رواية مسلم، فربطه بالحلقة التي تربط بها الأنبياء. فلما استوى بها النبي صلى الله عليه وسلم في صخرة المسجد، قال جبريل: يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين؟ قال: نعم، قال جبريل: فأنطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن، وهن جلوس عن يسار الصخرة، فأنتهى إليهن، فسلم عليهن، فرددن عليه السلام، فقال: من أنتن؟ فقلن: " خيرات حسان ". نساء قوم أبرار، نفوا فلم يدرنوا، وأقاموا فلم يطعنوا، وخلدوا فلم يموتوا. ثم صلى هو وجبريل كل واحد ركعتين فلم يلبث إلا يسيرا حتى اجتمع ناس كثيرون فعرف النبيين من بين قائم وراكع وساجد، ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة، فقاموا ينتظرون من يؤمهم، فأخذ جبريل بيده فقدمه فصلى بهم ركعتين. وفي رواية: ثم أقيمت الصلاة، فتدافعوا حتى قدموا محمدا. وعند الواسطي عن كعب: فأذن جبريل ونزلت الملائكة من السماء وحشر الله له المرسلين، فصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالملائكة والمرسلين، فلما انصرف، قال جبريل: يا محمد، أتدري من صلى خلفك؟ قال: لا. قال: كل نبي بعثه الله تعالى. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عند الحاكم وصححه البيهقي: فلفي أرواح الأنبياء، فأتوا على ربهم. فقال إبراهيم: " الحمد لله الذي اتخذني خليلا وأعطاني ملكا عظيما وجعلني أمة قانتا يؤتم بي، وأنقذني من النار، وجعلها علي بردا وسلاما، ثم إن موسى أتني على ربه تبارك وتعالى فقال: " الحمد لله الذي كلمني تكليما وجعل هلاك فرعون ونجاة بني اسرائيل على يدي، وجعل من أمتي قوما يهدون بالحق

وبه يعدلون ". ثم إن داود أثنى على ربه فقال: " الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما، وعلمني الزبور، وألان لي الحديد، وسخر لي الجبال بسبحن والطير، وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب ". ثم إن سليمان أثنى على ربه فقال: " الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي

[٨٥]

الشياطين والإنس يعملون لي ما شئت من محارِب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات، وعلمني منطق الطير وأتاني من كل شئ فضلا، وسخر لي جنود الشياطين والإنس والجن والطير، وفضلني على كثير من عباده المؤمنين، وأتاني ملكا عظيما لا ينبغي لأحد من بعدي وجعل ملكي مكلًا طيبا ليس فيه حساب ولا عقاب ". ثم إن عيسى بن مريم أثنى على ربه تبارك وتعال فقال: الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعل مثلي مثل آدم خلقه من تراب. ثم قال له: كن فيكون، وعلمني الكتاب والحكمة، والتوراة والإنجيل، وجعلني أبرئ الأكمة والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله، ورفعني وطهرني. وأعادني وأمي من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان علينا سبيل ". فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " كلكم أثنى على ربه وإني مثن على ربي ". فقال: " الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا، وأنزل علي الفرقان فيه تبيان كل شئ، وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس، وجعل أمتي وسطا، وجعل أمتي هم الأولون والآخرون، وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما ". فقال إبراهيم صلى الله عليه وسلم: " بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم ". ثم تذكروا أمر الساعة، فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال: " لا علم لي بها ". فردوا أمرهم إلى موسى فقال: " لا علم لي بها ". فردوا أمرهم إلى عيسى فقال: " أما وجبتها فلا يعلمها إلا الله، وفيما عهد إلي ربي أن الدجال خارج، ومعني قضيبان، فإذا رأني ذاب كما يذوب الرصاص، فيهلكم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج. وهم من كل حدب ينسلون فيطاون بلادهم لا يأتون على شئ إلا أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلا شربوه، ثم يرجع الناس فيشكونهم إلي، فأدعو الله تعالى عليهم، فيهلكهم ويميتهم حتى تحوي الأرض من ريحهم، فينزل الله تعالى المطر، فيجرف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر. ففيما عهد إلي ربي أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجأهم بولادتها ليلا أو نهارا ". وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من العطش أشد ما أخذه، فأتي بقدرين أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال في أحدهما لبن والآخر عسل، وفي رواية أتني بآنية ثلاث مغطاة أفواهاها، فأتي بإناء منها فيه ماء فشرب منه قليلا، وفي لفظ أنه لم يشرب منه شيئا، ثم دفع إليه إناء آخر فشرب منه حتى روي، ثم دفع إليه إناء آخر فيه خمر، فقيل له: اشرب فقال: " لا أريده قد رويت ". فقال جبريل: " إنها ستحرم على أمتك ". وفي رواية: فعرض عليه الماء والخمر واللبن، وفي

[٨٦]

رواية العسل بدل الماء فشرب من العسل قليلا، وتناول اللبن فشرب منه حتى روي، فصر جبريل منكبيه وقال: " أصبت الفطرة " ولو شربت الخمر لغوت أمتك ولم يتبعك منهم إلا القليل، ولو شربت الماء لغرفت أمتك "، وفي رواية قال شيخ " متكئ على منبر له لجبريل: " أخذ صاحبك الفطرة، وأنا لمهتد ". ثم أتني بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم، فلم ير الخلق أحسن من المعراج، له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب. وفي رواية لأبي سعيد في شرف المصطفى أنه

أتي بالمعراج من جنة الفردوس منضد باللؤلؤ، عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة، فصعد هو وجبريل حتى انتهيا إلى باب من أبواب السماء الدنيا يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له إسماعيل، وهو صاحب السماء الدنيا - وفي حديث جعفر بن محمد عند البيهقي: (يسكن الهواء فلم يصعد إلى السماء قط ولم يهبط إلى الأرض قط إلا يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم)، انتهى - وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف. فاستفتح جبريل باب السماء: قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ - وفي رواية: بعث إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به وأهلا، حياها الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجئى جاء ففتح لهما. فلما خلا إلى السماء، فإذا فيها آدم كهيبته يوم خلقه الله على صورته، تعرض عليه أرواح ذريته الكفار، فيقول: روح خبيثة ونفس خبيثة، اجعلوها في سجين وعن يمينه أسودة وباب تخرج منه ریح طيبة وعن شماله أسودة وباب تخرج منه ریح خبيثة، فإذا نظر عن يمينه ضحك واستبشر، وإذا نظر عن شماله حزن وبكى. فسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فردع ليه السلام، ثم قال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أبوك آدم، وهذه الاسودة نسمة بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، وأهل الشمال منهم أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى، وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة، إذا نظر من يدخله من ذريته ضحك واستبشر، والباب الذي عن شماله باب جهنم، إذا نظر من يدخله من ذريته بكى وحزن. ثم مضى صلى الله عليه وسلم هنيهة، فإذا هو بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربه أحد، وإذا بأخونة عليها لحم قد أروح وأنتن، عنده ناس يأكلون منه. فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام. وفي لفظ: وإذا هو بأقوام على مائدة عليها لحم مشوي كأحسن ما روي من اللحم، وإذا حوله جيف، فجعلوا يقبلون على الجيف يأكلون منها ويدعون اللحم. فقال، من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الزناة يحلون ما حرم الله عليهم ويتركون ما أحل الله لهم.

[٨٧]

ثم مضى هنيهة فإذا هو بأقوام بطونهم أمثال البيوت فيها الحياة ترى من خارج بطونهم، كلما نهض أحدهم خر، فيقول: اللهم لا تقم الساعة، قال: وهم على سابلة آل فرعون، فتجئ السابلة فتطوهم فسمعتهم يضحون إلى الله تعالى. فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) [البقرة: ٢٧٥] ثم مضى هنيهة فإذا هو بأقوام مشافهم كمشافر الابل، فتفتح أفواههم ويلقمون حجرا، وفي رواية: يجعل في أفواههم صخر من جهنم، ثم يخرج من أسافلهم، فسمعتهم يضحون إلى الله تعالى. فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء (الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) [النساء: ١] ثم مضى هنيهة فإذا هو بنساء معلقات بثديهن ونساء منكسات بأرجلهن، فسمعتهم يضحجن إلى الله تعالى، فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي يزنين ويقتلن أولادهن. ثم مضى هنيهة إذا هو بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه، فيقال له: كل كما كنت تأكل من لحم أخيك. فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون. ثم صعدا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به وأهلا، حياها الله من إخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجئى جاء. ففتح لهما. فلما خلا هو بابني الخالة: عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا، شبيه أحدهما بصاحبه: ثابهما وشعرهما ومعهما نفر من قومهما. وإذا بعيسى جعد مربوع

الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر كأنما أخرج من ديماس أي حمام شبيهه بعروة بن مسعود الثقفي. فسلم عليهما فردا عليه السلام، ثم قالاً: مرحبا بالآخ الصالح والنبى الصالح ودعوا له بخير. ثم صعدا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟. قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه ؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به وأهلا، حياه الله من آخ ومن خليفة فنعم الآخ ونعم الخليفة ونعم المجئى جاء. ففتح لهما فلما خلا فإذا هو بيوسف ومعه نفر من قومه فسلم عليه، فرد عليه السلام، ثم قال: مرحبا بالآخ الصالح والنبى الصالح ودعا له بخير، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، وفي رواية أحسن ما خلق الله، قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب. قال: من هذا يا جبريل ؟ قال: أخوك يوسف. ثم صعدا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: ومن

[٨٨]

معك ؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه ؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به وأهلا حياه الله من آخ ومن خليفة، فنعم الآخ ونعم الخليفة ونعم المجئى جاء. فلما خلا فإذا هو بإدريس فقد رفعه الله مكانا عليا، فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال: مرحبا بالآخ الصالح والنبى الصالح ثم دعا له بخير. ثم صعدا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا ؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه ؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به وأهلا، حياه الله من آخ ومن خليفة، فنعم الآخ ونعم الخليفة ونعم المجئى جاء. ففتح لهما، فلما خلا فإذا هو بهارون، ونصف لحيته بيضاء ونصف لحيته سوداء، تكاد تضرب إلى سرتة من طولها، وحوله قوم من بني إسرائيل، وهو يقص عليهم فسلم عليه فرد عليه السلام، ثم قال: مرحبا بالآخ الصالح والنبى الصالح، ثم دعا له. فقال: يا جبريل من هذا ؟ فقال: الرجل المحبب في قومه هارون بن عمران. ثم صعد إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل. قيل: من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه ؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به وأهلا، حياه الله من آخ ومن خليفة ونعم الآخ ونعم الخليفة ونعم المجئى جاء، ففتح لهما، فجعل يمر بالنبى والنبين معهم الرهط، والنبى والنبين معهم القوم، والنبى والنبين ليس معهم أحد. ثم مر بسواد عظيم، فقال: (من هذا) قيل له موسى وقومه ولكن ارفع رأسك فإذا بسواد عظيم قد سد الأفق من ذا الجانب ومن ذا الجانب فقيل له: هؤلاء أمتك وسوى هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب. فلما خلا فإذا بموسى بن عمران، رجل آدم طوال كأنه من رجال شنوءة، كثير الشعر، لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دونهما. فسلم عليه النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام، ثم قال: مرحبا بالآخ الصالح والنبى الصالح، ثم دعا له بخير، وقال: يزعم الناس أنني أكرم على الله من هذا، بل هذا أكرم على الله مني. فلما جاوزه النبى صلى الله عليه وسلم بكى. فقال له: ما بيكيك ؟ فقال: أبكى لأن غلاما بعث من بعدي يدخل الجنة من أمتة أكثر مما يدخل الجنة من أمتي، ويزعم بنو إسرائيل أنني أكرم بني آدم على الله. وهذا رجل من بني آدم خلفي في دنيا وأنا في آخ رى، فلو أنه بنفسه لم أبال، ولكن معه كل أمتة. ثم صعد. فلما انتهينا إلى السماء السابعة رأى فوقه رعدا وبرقا وضواعا، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه ؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به وأهلا، حياه الله من آخ ومن خليفة، فنعم الآخ ونعم الخليفة ونعم المجئى جاء. ففتح لهما فسمع تسيحا في السموات العلاء مع تسيح كثير: سبحت السموات العلى من ذي

المهابة مشفقات، سيجان العلي الاعلى، سبحانه وتعالى. فلما خلاصا فإذا النبي صلى الله عليه وسلم بإبراهيم رجل أشمط، جالس عند باب الجنة، على كرسي مسندا ظهره إلى البيت المعمور، ومعه نفر من قومه، فسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فرد عليه السلام، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح وقال: مر أمتك فليكتروا من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة. فقال له: وما غراس الجنة؟ قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). وفي رواية: (أقرئ على أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأن غراسها؟ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر). وهو أشبه ولده به، وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس، وقوم في ألوانهم شئ، فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شئ، فدخلوا نهرا، فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلصت ألوانهم وصارت مثل ألوان أصحابهم. فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم فقال: يا جبريل من هؤلاء البيض الوجوه ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شئ وما هذه الانهار التي دخلوها؟ فقال: أما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شئ فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم، وأما هذه الانهار فأولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث (وسقاهم ربه شرابا وطهورا) [الانسان: ٢١] وقيل له: هذا مكانك ومكان أمتك، وإذا هو بأمتك شطرين: شطر عليهم ثياب كأنها القراطيس، وشطر عليه ثياب رمد (١)، فدخل البيت المعمور، ودخل معه الآخرون الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمد وهم على خير، فصلى ومن معه من المؤمنين في البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، آخر ما عليهم، ثم خرج ومن معه. وفي حديث عند الطبراني بسند صحيح: (مررت ليلة أسري بي على الملا الاعلى فإذا جبريل كالحلس (٢) البالي من خشية الله، وفي رواية عند البزار (كأنه حلس لاطئ). انتهى، ثم أتى بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فشرب اللبن، فقال جبريل: اختارت (٣) أمتك الفطرة، وفي رواية هذه الفطرة التي أنت عليها وأمتك. ثم رفع إلى سدرة المنتهى، وإليها ينتهي ما يعرض من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوق فيقبض منها. وإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها. وإذا نبقتها مثل قلال هجر، وإذا ورقها

(١) رمد: أي عبر فيها كدورة كلون الرماد، واحدها أرمدم. انظر النهاية لابن الاثير ٢ / ٢٦٢. (٢) حلس جمع حلس، وهو الكساء الذي بلي ظهر البعير تحت القتب، شبهها به للزومها ودوامها. انظر النهاية لابن الاثير ١ / ٤٢٣. (٣) في أ: أصاب الله بك. (*)

كأذان الفيلة، تكاد الورقة تغطي هذه الامة، وفي رواية: الورقة منها مغطية للامة كلها. وفي لفظ عند الطبراني: الورقة منها تظل الخلق، على كل ورقة ملك، تغشاها ألوان لا يدري ما هي، فلما غشيتها من أمر الله تعالى ما غشيتها تغيرت، وفي رواية: تحولت ياقوتا وزبرجدا فما يستطيع أحد أن يعنتها من حسننها، فيها فراش من ذهب، وفي رواية يلود بها جراد من ذهب. فقيل له: هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد من أمتك خلا (١) على سبيلك، وإذا في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران، فقال: ما هذه يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات. وفي رواية: فإذا في أصلها عين تجري يقال لها السلسبيل، ينشق منها نهران: أحدهما الكوثر، يطرد عجاجا مثل السهم، عليه خيام اللؤلؤ والياقوت

والزبرجد، وعليه طيور خضر أنعم طير، رأى فيه آنية الذهب والفضة، تجري على رضاض من الياقوت والزمرد، ماؤه أشد بياضا من اللبن، فأخذ من آنية، فاغترف من ذلك الماء، فشرب فإذا هو أحلى من العسل، وأشد ريحا من المسك، فقالة جبريل: هذا هو النهر الذي حياك به ربك، والنهر الآخر نهر الرحمة فاغتسل فيه، فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عند السدرة له ستمائة جناح، جناح منها قد سد الأفق، تتناثر من أجنحته التهاويل: الدر والياقوت مما لا يعلمه إلا الله تعالى. انتهى. ثم أخذ على الكوثر حتى إذا دخل الجنة فإذا فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فرأى على بابها مكتوبا: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر. فقال: يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يسأل إلا من حاجة. فاستقبلته جارية فقال: لمن أنت يا جارية؟ فقالت: لزيد بن حارثة. ورأى الجنة من درة بيضاء وإذا فيها جنابذ (٢) اللؤلؤ. فقال: يا جبريل، إنهم يسألوني عن الجنة. فقال: إخبارهم أنها قيعان ترابها المسك، وسمع في خارجها وجسا (٣)، فقال: يا جبريل ما هذا؟ قال: بلال المؤذن. فسار فإذا هو بأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وإذا رمانها كالدلاء، وفي رواية: وإذا فيها رمان كأنه جلود الابل المقتبة، وإذا بطيرها كالبخاتي (٤). فقال أبو بكر: يا رسول الله إن تلك الطير لناعمة. قال:

(١) خلا عليه: اعتمد عليه. انظر المعجم الوسيط ١ / ٢٥٣. (٢) جنيد في صفة الجنة (فيها جنابذ من لؤلؤ) الجنابذ جمع جنيدة: وهي القبة) انظر النهاية لابن الاثير ١ / ٣٠٥. (٣) الوجس: الصوت الخفي، وتوجس بالشئ: أحس به فتسمع له. انظر النهاية لابن الاثير ٥ / ١٥٦. والمعجم الوسيط ٢ / ١٠٢٥. (٤) البختية: الانثى من الجنال البخت، والذكر بختي، وهي جمال طوال الاعناق، وتجمع على بخت وبخاتي، واللطفة معرفة. انظر النهاية لابن الاثير ١ / ١٠١. (*)

[٩١]

أكلتها أنعم منها وإنني لارجو أن تأكل منها. وبينما هو يسير بنهر على حافيته الدر المجوف، وإذا طينة مسك أذفر فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هو الكوثر. ثم عرضت عليه النار فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته، ولو طرح فيها الحجارة والحديد لاكلتها، فإذا يقوم يأكلون الجيف، فقال: - من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس. ورأى رجلا أحمر أزرق فقال: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا عاقر الناقة. ورأى مالك خازن النار، فإذا رجل عابس يعرف الغضب في وجهه، فبدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام، ثم أغلقت دونه، ثم رفع إلى سدرة المنتهى، فغشيها من أنوار الخلائق ومن أنوار الملائكة أمثال الغربان حين يقض على الشجرة وينزل على كل ورقة ملك من الملائكة فغشيها سحابة من كل لون. وفي حديث أن جبريل قال له: إن ربك يسبح. قال: وما يقول؟ قال: يقول: (سبح قدوس، رب الملائكة والروح، سبقت رحمتي غضبي). فتأخر جبريل، ثم عرج به حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف (١) الاقلام. ورأى رجلا مغبيا في نور العرش، فقال: من هذا؟ ملك، قيل: لا، قال: نبي، قيل: لا، قال: من هو؟ قيل: هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله، وقلبه معلق بالمساجد، ولم ينتسب لوالديه قط، فرأى ربه سبحانه وتعالى، فخر النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا، وكلمه ربه تعالى عند ذلك. فقال له: يا محمد. قال: لبيك يا رب. قال: سل: فقال: إنك اتخذت إبراهيم خليلا، وأعطيتة ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما، وأعطيت داود ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيتة ملكا لا ينبغي لاحد من بعده. وعلمت عيسى التوراة والانجيل، وجعلته يبرئ الاكمه والابصر

ويحيي الموتى بإذنك، وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل. فقال الله سبحانه وتعالى: قد اتخذتك حبيبا. قال الراوي: وهو مكتوب في التوراة: حبيب الله. وأرسلتك للناس كافرة بشرا ونذيرا، وشرحت لك صدرك، ووضعت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، لا أذكر إلا وذكرت معي وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلت أمتك أمة وسطا، وجعلت أمتك هم الاولون والآخرين، وجعلت أمتك لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم، وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا، وأولهم يقضى له، وأعطيتك سبعا من المثاني لم أعطها نبيا قبلك، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم أعطها نبيا قبلك، وأعطيتك الكوثر،

(١) أسمع صريف الأقلام أي صوت جرياتها بما تكتبه من أفضية الله تعالى ووحيه، وما ينسخونه من اللوح المحفوظ. انظر النهاية لابن الاثير ٣ / ٢٥. (*)

[٩٣]

وأعطيتك ثمانية أسهم: الاسلام والهجرة والجهاد والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأني يوم خلقت السموات والارض، فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فقم بها أنت وأمتك. قال أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فضلني ربي: أرسلني رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيرا ونذيرا، وألقى في قلوب عدوي الرعب من مسيرة شهر، وأحل لي الغنائم، ولم تحل لاحد قبلي، وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا، وأعطيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه، وعرضت على أمتي فلم يخف علي التابع والمتبوع ورأيتهم على قوم ينتعلون بالشعر، ورأيتهم أتوا على قوم عراض الوجوه صغار الاعين كأنما أحرمت أعينهم بالمخيط فلم يخف علي ما هم، لا قوي من بعدي، وأمرت بخمسين صلاة). انتهى. وأعطيت ثلاثا: أنه سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين. وفي حديث ابن مسعود: أعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس، وخواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا المقحّمات (١). ثم انجلت عنه السحابة وأخذ بيده جبريل، فانصرف سريعا، فأتى على إبراهيم، فلم يقل شيئا، ثم أتى على موسى، قال: ونعم الصاحب كان لكم، فقال: (ما صنعت يا محمد؟ ما فرض عليك ربك وعلى أمتك؟) قال: فرض علي وعلى أمتي خمسين صلاة كل يوم وليلة). قال: (فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف عنك وعن أمتك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فأني قد خبرت الناس قبلك وبلوت بني إسرائيل وعالجتهم أشد المعالجة علي أدنى من هذا فضعفوا وتركوه، فأمتك أضعف أجسادا وأبدانا وقلوبا وأبصارا وأسماعا). فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل يستشيريه، فأشار إليه أن نعم إن شئت، فرجع سريعا حتى انتهى إلى الشجرة، فغشيته السحابة، وخر ساجدا. وقال: " رب خفف عنا "، وفي لفظ: " عن أمتي فإنها أضعف الأمم ". قال: " قد وضعت خمسا "، ثم انجلت السحابة، ورجع إلى موسى فقال: " وضع عنني خمسا ". قال: " ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك ". فلم يزل يرجع بين موسى وبين ربه، يحط عنه خمسا خمسا، حتى قال: " يا محمد "، قال: " لبيك وسعديك " قال: " هن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة لا يبدل القول لدي ولا ينسخ كتابي تخفيفها عنك كتخفيف خمس صلوات، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت لا حسنة فإن

[٩٣]

عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب شيئا فإن عمله كتبت سيئة واحدة". فنزل حتى انتهى إلى موسى، فأخبره فقال: "ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك". قال له: قد راجعت ربي حتى استحييت منه ولكن أرضى وأسلم". فناداه مناد أن "قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي" (١). فقال له موسى: "اهبط بسم الله". ولم يمر على الملائكة إلا قالوا له: "عليك بالحجامة" (٢). وفي لفظ: "مر أمتك بالحجامة". ثم انحدر، فقال جبريل: "مالي لم أت لأهل السماء إلا رحبوا بي وضحكوا إلي، غير واحد سلمت عليه فرد السلام ورحب بي ودعا لي، ولم يضحك إلي، قال: قال مالك خازن النار، لم يضحك منذ خلق، ولو ضحك لأحد لضحك إليك". فلما نزل إلى السماء الدنيا نظر أسفل منه، فإذا هو برهج ودخان، فقال ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم، لا يتفكرون في ملكوت السموات والأرض، ولولا ذلك لرأوا العجائب. ثم ركب منصرفا، فمر بعير لقريش بمكان كذا وكذا، منها جمل عليه غرارتان غرارة حزينا، فمر عليه عدو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ قال: نعم، قال: ما هو؟ قال: أسري بي الليلة. قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس. قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم. فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه. قال: رأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟ قال: نعم، قال يا معشر بني كعب بن لؤي. فانفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما. فقال: حدث قومك بما حدثتني فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني أسري الليلة بي". قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا، وضجوا وأعظموا ذلك. فقال المطعم بن عدي: كل أمرك قبل اليوم كان أمما غير قولك اليوم، أنا أشهد أنك كاذب، نحن نضرب أكباد الإبل إلى البيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا، أتدعي أنت أتيته في ليلة؟ واللوات والعزى لا أصدقك.

(١) أخرجه البخاري: ٧ / ٣٤١ (٣٨٨٧). (٢) أخرجه البخاري بلفظ، إن أمثل ما تداولتم به الحجامة، (٥٦٩٦). (*)

[٩٤]

فقال أبو بكر لمطعم: بنس ما قلت لابن أخيك، جبهته وكذبتة، أما أنا فأشهد أنه صديق صادق. فقالوا: يا محمد صف لنا بيت المقدس، كيف بناؤه وكيف هيئته؟ وكيف قربه من الجبل؟ وفي القوم من سافر إليه. فذهب ينعت لهم بناءه كذا وهيئته كذا، وقربه من الجبل كذا، فما زال ينعت لهم حتى التبس عليه النعت فكرب كريا ما كرب مثله، فجئ بالمسجد وهو ينظر إليه حتى وضع دون دار عقيل أو عقال، فقالوا: كم للمسجد من باب؟ ولم يكن عدها، فجعل ينظر إليه ويعدّها بابا بابا، ويعلمهم، وأبو بكر يقول: صدقت صدقت، أشهد أنك رسول الله. فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب. ثم قالوا لأبي بكر: أفترضه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إني لأصدقّه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقّه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فبذلك سمي أبو بكر الصديق. ثم قالوا: يا محمد

أخبرنا عن غيرنا. فقال: " أتيت على غير بني فلان بالروحاء قد ضلوا ناقة لهم، فانطلقوا في طلبها، فانتهيت إلى رحالهم، فليس بها منهم أحد، وإذا قدح ماء فشربت منه، ثم انتهيت إلى غير بني فلان في التنعيم يقدمها جمل أورق عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان وها هي ذه تطلع عليكم من الثنية ". قالوا: فمتى تجئ؟ قال يوم الأربعاء. فلما كان ذلك اليوم، انصرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار، ولم تجئ. فدعا النبي صلى الله عليه وسلم، فزيد له في النهار ساعة، وحبست عليه الشمس، حتى دخلت العير، فاستقبلوا الليل. فقالوا: هل ضل لكم بعير؟ قالوا: نعم. فسألوا البعير الآخر فقالوا: هل انكسر لكم ناقة حمراء؟ قالوا: نعم. قالوا: فهل كان عندكم قصعة من ماء؟ فقال رجل: أنا والله وضعتها فما شربها أحد، متأولا أهرقت في الأرض. فرموه بالسحر، وقالوا: صدق الوليد، فأنزل الله تعالى: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) (الإسراء: ٦٠). فائدة: أخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، منذ أسرى به ريح عروس وأطيب من ريح عروس. شعر ورحم الله تعالى من قال: ساد الأنام محمد خير الورى * بفضائل جلت عن الإحصاء وجوامع الكلم التي ما نالها * أحد من الفصحاء والبلغاء وإلى الخلائق كلهم إرساله * فشفى القلوب الجمة الأدواء وله الشفاعة والوسيلة في غد * ومقامه السامي على الشفعاء ويحى يومئذ كما قد قاله * أنا راكب والرسول تحت لوائني ولقد دنا من ربه لما دنا * في ليلة المعراج والإسراء سمع الخطاب بحضرة قدسية * ما حلها بشر من العظماء

[٩٥]

وبرؤية الجبار فاز ويا لها * من نعمة عظمت على النعماء ما نال موسى والخليل ومجتي * ما نلته يا سيد الشفعاء يا كنز مفقور وملجأ عائد * يا أفضل الأجواد والكرماء أنت الوسيلة للإله فسل لنا * عفوا عن الزلات والأهواء ودخولنا الجنات أول وهلة * وشفاعة للمفسد الخطاء بك نستغيث ونستجير ونلتجي * من ذي البلاء وفتنة الأهواء ونروم فضلا من جنابك سيدي * وشفاعة يا سيد الشفعاء فإليك ساق (الله) سحب صلاته * وجزاك رب الناس خير جزاء وعلى صحابتك الرضى متعددا * والال والأتباع والعلماء والله در البوصيري حيث قال مخاطبا للذات الشريفة: سريت من حرم ليلا إلى حرم * كما سرى البدر في داج من الظلم وبت ترقى إلي أن نلت منزلة * من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم وقدمتك جميع الأنبياء بها * والرسول تقديم مخدوم على خدم وأنت تخترق السبع الطبايق بهم * في موكب كنت فيه صاحب العلم حتى إذا لم تدع شأوا لمستبق * من الدنو ولا مرقى لمستنم خفضت كل مقام بالإضافة إذ * (نوديت) بالرفع مثل المفرد العلم كيما تغوز بوصل أي مستتر * عن العيون وسر أي مكتتم فحزت كل فخار غير مشترك * وحزت كل مقام غير مزدحم وحل مقدار ما وليت من رتب * وعز مقدار ما أوليت من نعم بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا * من العناية ركنا غير منهدم لما دعا الله داعينا لطاعته * يا أكرم الرسل كنا أكرم الأمم

[٩٦]

الباب التاسع في تنبيهات على بعض فوائد تتعلق بقصة المعراج الأول: قال ابن المنير: كانت كرامته صلى الله عليه وسلم في المناجاة على سبيل الفماعة كما أشار إليه بقوله: " بينا أنا "، وفي حق موسى عليه الصلاة والسلام عن ميعاد واستعداد فحمل عنه صلى الله عليه وسلم ألم الانتظار. ويؤخذ من ذلك أن مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة إلى مقام موسى مقام المراد

بالنسبة إلى مقام المريد. الثاني: قال ابن دحية في قوله: " فرج سقف بيتي " يقال: لم لم يدخل من الباب مع قوله تعالى: (وأتوا البيوت من أبوابها) (البقرة: ١٨٩)، فالحكمة في ذلك المبالغة في المناجاة، والتنبيه على أن الكرامة والاستدعاء كانا على غير ميعاد، ولعل كونه فرج عن سقف بيته توطئة وتمهيد لكونه فرج عن صدره، فأراه الملك، بإفراجه عن السقف فالتأم السقف على الفور، كيفية ما يصنع به، وقرب له الأمر في نفسه بالمآل المشاهد في بيته لطفاً في حقه وتبييناً لبصره، ولعله فرج عن سقف بيته حتى لا يعرج الملك، وقد جاء في هذا الأمر المهم العظيم على شئ سواه، فانصب له من السماء انصبابة واحدة وهي خرق الحجاب. ولو أنه جاء على العادة من الباب لاحتاج أن يلج صحن الدار، ثم يعرج إلى البيت الذي هو فيه وقال الحافظ: قيل الحكمة في نزوله عليه من السقف المبالغة في مفاجأته بذلك والتنبيه على أن المراد منه أن يعرج به إلى جهة العلو. الثالث: الرجلان اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم نائماً بينهما تلك الليلة: حمزة وجعفر رضي الله عنهما، نبه عليه الحافظ. قال ابن أبي جمرة: وفي هذا تواضعه صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه، إذ أنه في الفضل حيث هو، ومع ذلك كان يضطجع مع الناس ويقعد معهم، ولم يجعل لنفسه المكرمة مزية عليهم، وفيه دليل على جواز نوم جماعة في موضع واحد، ولكن يشترط في ذلك أن يكون لكل واحد منهم ما يستتر به جسده عن صاحبه. الرابع: تقدم في أبواب صفاته الكلام على شق الصدر وخاتم النبوة والطست والذهب وزمزم. الخامس: في كلام على جبريل وفيه فوائد: الأولى: في لغات اسمه وهي إحدى وعشرون:

[٩٧]

الأولى: جبريل بكسر الجيم والراء وياء ساكنة وهي قراءة نافع (١) وأبي عمرو (٢) وابن عامر (٣)، وحفص (٤) عن عاصم (٥) وهي لغة الحجازيين. الثانية: جبريل كذلك إلا أنه بفتح الجيم وهي قراءة ابن كثير. الثالثة: جبرئيل كذلك إلا أنه بزيادة ياء بعد الهمزة وهي قراءة حمزة والكسائي ولغة تميم وقيس وكثير من أهل نجد كما قاله الفراء. الخامسة: جبرائيل كذلك إلا أن ه بزيادة ألف بعد الراء وهي رواية حمزة ونعيم بن سعيد وغيرهما عن الأعمش ورواية أبان بن تغلب (٧) - بفتح المثناة وسكون المعجمة وكسر اللام - وأبان بن يزيد العطار من رواية الثلاثة: بكار ويونس وعبيد، عنه كلاهما عن عاصم وأبو رجاء وأبو غزوان عن طلحة ذكره الأهوازي. السادسة: جبرائيل كذلك إلا أنه بكسر الجيم على وزن إسرائيل، وهي إحدى الروايات عن عكرمة ورواها عنه الزبير، وقرأ بها ابن صدقة عن يحيى ذكره ابن عيسى. السابعة: جبرائل بفتح الجيم والراء وهمزة بدون ياء، وفي رواية رزين وابن قيس وابن خثيم، وأبي عمران وإسماعيل عن الحسن وغيرهم وإسحاق بن سويد بخلاف عنه والحسن الرازي (٨) عن أصحابه

(١) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني: أحد القراء السبعة المشهورين. كان أسود، شديد السواد، صبيح الوجه، حسن الخلق، فيه دعاية. أصله من أصبهان، اشتهر في المدينة وأنتهت إليه رئاسة القراءة فيها، وأقرأ الناس نيفاً وسبعين سنة، وتوفي بها نسة ١٦٩ هـ. الأعلام ٨ / ٥. (٢) زيان العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحسين بن الحارث بن جلهمة بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن معد بن عدنان الإمام السيد أبو عمرو التميمي المازني البصري أحد القراء السبعة، قال الحافظ أبو العلاء الهمداني: هذا الصحيح الذي عليه الحذاق من النساب وقد قيل: إنه من بني العنبر وقيل: من بني حنيفة وحكى القاضي أسد البزدي أنه قيل إنه من فارس من موضع يقال له كازرون. قال عبد الوارث: ولد أبو عمرو بمكة ونشأ بالبصرة ومات بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة. غاية النهاية ١ / ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢. (٣) عبد الله بن عامر بن يزيد، أبو عمران اليحصبي الشامي: أحد القراء السبعة، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك. ولد في البلقاء، في قرية " رحاب " وانتقل إلى

دمشق، بعد فتحها، وتوفي فيها. قال الذهبي: مقرئ الشاميين، صدوق في رواية الحديث، انظر الأعلام ٤ / ٩٥. (٤) حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي بالولاء، أبو عمر، يعرف بحفيص: قارئ أهل الكوفة. بزاز، نزل بغداد، وجاور بمكة. وكان أعلم أصحاب عاصم بقراءته، وهو ابن امرأته وربيبه، ومن طريقه قراءة أهل المشرق. توفي ١٨٠ هـ الأعلام ٢ / ٣٦٤. (٥) عاصم بن أبي النجود ابن بهدلة الكوفي الأسدي بالولاء، أبو بكر: أحد القراء السبعة. تابعي، من أهل الكوفة. ووفاته فيها. كان ثقة في القراءات، صدوقا في الحديث، قيل: اسم أبيه عبید، وبهذلة اسم أمه، توفي ١٢٧ هـ الأعلام ٣ / ٢٤٨. (٦) شعبة بن عياش بن سالم الأزدي الكوفي الخياط، أبو بكر: من مشاهير القراء. كان عالما فقيها في الدين. توفي في الكوفة سنة ١٩٣ هـ. الأعلام ٣ / ١٦٥. (٧) أبان بن تغلب: يفتح المثناة وسكون المعجمة وكسر اللام، أبو سعد الكوفي، ثقة تكلم فيه للتشيع، من السابعة، مات سنة أربعين، التقريب ١ / ٣٠. (٨) الحسن بن شعيب أبو علي الرازي مقرئ، روى القراءة عرضا عن الفضل بن شاذان، روى القراءة عنه عرضا عبد الرحيم. انظر غاية النهاية ١ / ٣١٥. (*)

[٩٨]

وأحمد بن يزيد وهي إحدى الروايات عن عكرمة أيضا. الثامنة: جبريل كذلك إلا أنه بياء ساكنة بدل الهمزة على الجمع بين التقاء الساكنين وهي قراءة طلحة بن مصرف الياامي (١). التاسعة: جبريل، يفتح الجيم والراء وباءين أولهما مكسورة والثانية ساكنة وهي إحدى الروايتين عن ابن محيصين (٢) ويحيى بن يعمر وأبان بن يزيد العطار (٣) عن عاصم. العاشرة: جبرئيل كذلك إلا أنه بهمزة عوض الياء الأولى وتشديد اللام وهي إحدى الروايات عن ابن محيصين ويحيى بن يعمر وأبان بن يزيد العطار عن عاصم. الحادية عشرة: جبرئيل كذلك إلا أنه يحذف الياء بعد الهمزة وقرئ بها شاذا. الثانية عشر: جبريل يفتح الجيم والراء وياء ساكنة لا غير، وهي قراءة محمد بن طلحة بن مصرف وابن محيصين في إحدى الروايات عنه. الثالثة عشر: جبرئيل كذلك إلا أنه بهمزة بدل الياء مشددة مكسورة ولام لا غير، وقد نقلها أبو عمر الداني في المجتبي في الشواذ عن ابن يعمر (٤) أيضا. الرابعة عشرة: جبرئيل يفتح الجيم والراء وألف ولام لا غير. الخامسة عشرة: جبرئيل كذلك إلا أنه بكسر الجيم. السادسة عشرة: جبرين يفتح الجيم وكسر الراء ونون بدل اللام. السابعة عشرة: جبرين كذلك إلا أنه بكسر الجيم. قال الفراء هي لغة بني أسد. الثامنة عشرة: جبرئيل يفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة ونون، نقلها ابن الأنباري في كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان. التاسعة عشرة: جبرين كذلك إلا أنه بكسر الجيم ونقلها ابن الجوزي وبرهان الدين الجعبري. العشرون: جبرئيل يفتح الجيم والراء وهمزة ساكنة بعدها ياء. الحادية والعشرون: جبرائيل على وزن ميكايل، نقل جميع ذلك الإمام العلامة محب الدين بن شيخ الحساب والفرائض الإمام العالم العلامة شهاب الدين بن الهائم في الغرر، ومن خطه نقلت. الفائدة الثانية: قال في الروض الأنف: " ومعنى جبرئيل: عبد الرحمن أو عبد العزيز، هكذا جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا ومرفوعا أيضا والوقف أصح. وأكثر الناس أن آخر الاسم منه أعجمي وهو " إيل " (٥)، وكان شيخنا يعني ابن العربي يذهب مذهب طائفة من

(١) طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب الياامي: بالتحتانية، الكوفي، ثقة قارئ فاضل، من الخامسة، مات سنة اثنتي عشرة أو بعدها. التقريب ١ / ٣٧٩، ٢٨٠. (٢) محمد بن عبد الرحمن بن محيصين السهمي بالولاء، أبو حفص المكي: مقرئ أهل مكة بعد ابن كثير، وأعلم قرائها بالعربية. انفرد بحروف خالف فيها المصحف، فترك الناس قراءته ولم يلحقوها بالقراءات المشهورة. وكان لا يأس به في الحديث. روى له مسلم والترمذي والنسائي حديثا واحدا. توفي سنة ١٢٣ هـ. الأعلام ٦ / ١٨٩. (٣) أبان بن يزيد العطار البصري، أبو يزيد، ثقة له أفراد، من السابعة، مات في حدود الستين. التقريب ١ / ٢١. (٤) يحيى بن يعمر، يفتح التحتانية والميم بينهما مهملة ساكنة، البصري، نزيل مرو وقاضيا، ثقة فصيح، وكان يرسل، من الثالثة، مات قبل المائة، وقيل بعدها. انظر التقريب ٢٠ / ٣٦١. (٥) إيل: اسم الله تعالى بالعربية. انظر المعجم الوسيط ١ / ٢٤. (*)

أهل العلم في أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة وكذلك الإضافة في كلام العجم يقولون في " غلام زيد ". زيد غلام فعلى هذا يكون " إيل " عبارة عن العبد ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى. قلت: روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن المنذر عن عكرمة، وأبو الشيخ عن علي بن الحسين قالوا: اسم جبريل عبد الله وميكائيل عبيد الله، وكل شئ راجع إلى " إيل " فهو معبد لله عز وجل، زاد علي بن الحسين وإسرافيل عبد الرحمن، زاد عكرمة: " والإيل: الله. قال الماوردي: " ولا يعلم لابن عباس مخالف في ذلك "، وقال السهيلي: " إنه قول الأكثر ". وقال الشيخ شهاب الدين الحلبي رحمه الله تعالى في شرح الشاطبية: " اختلف الناس في هذا الاسم هل هو مشتق أم لا ؟ والذي عليه الجمهور أنه لا اشتاق " إذا الأسماء الأعجمية لا اشتاق لها. وقال آخرون: بل هو مشتق من جبروت الله تعالى. وكذلك اختلفوا فيه هل هو اسم بسيط لا تركيب فيه أو هو مركب ؟ فإن جبر " معناه " عبد "، " وإيل " هو اسم الباري تعالى وقد قيل ذلك في إسرافيل، ثم اختلفوا في تركيبه، هل هو مركب تركيب إضافة أو تركيب مزج ؟ فذهب بعضهم إلى الأول، ورد بأنه كان ينبغي أن يعرب إعراب المتضايين، فيجرى الأول منهما مجرى الإعراب، ويجرى الثاني وينون، إذ لا مانع له من الصرف، كما انصرف " إل " في قول من جعله اسما لله تعالى من قوله عز وجل: (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة) (التوبة: ١٠) وهذا كما تقول: جاءني عبد الله، ورأيت عبد الله ومررت بعبد الله. وذهب آخرون كأبي العباس المهدوي إلى أنه مركب تركيب مزج كبعليك وحضرموت، وهذا قريب إلا أن بعضهم رد عليه بأنه كان ينبغي أن يبنى الأول على الفتح ليس إلا، وأنت كما رأيتهم يكسرون الراء في بعض اللغات. ورد عليه بعضهم أيضا بأنه لو كان مركبا تركيب مزج لجاز أن يعرب إعراب المتضايين أو يبنى على الفتح كأحد عشر، فإنه مركب تركيب مزج يجوز فيه هذه الأوجه، فكونه لم يسمع فيه البناء ولا جريانه جريان المتضايين دليل على عدم تركيبه تركيب مزج. وهذا الرد مردود لأنه جاء على أحد الجائزين، واتفق أنه لم يستعمل إلا كذلك، انتهى. قال السهيلي: " واتفق في اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه وإن كان أعجميا، فإن الجبر هو إصلاح ما وهى، وجبريل موكل بالوحي، وفي الوحي إصلاح ما فسد وجبر ما وهى من الدين، ولم يكن هذا الاسم معروفا بمكة ولا بأرض العرب، فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة به انطلقت تسأل من عنده علم الكتاب كعداس ونسطور الراهب وورقة.

فقالوا لها: قدوس قدوس أنى لهذا الاسم أن يذكر في هذه البلاد " كما تقدم بيان ذلك. الفائدة الثالثة: في بعض فضائله: ذكره تعالى في كتابه في خمسة وثلاثين موضعا بالصريح وغيره، وذكره باسمه في ثلاثة مواضع: في البقرة: (من كان عوا لله وملائكته ورسله وجبريل) (البقرة: ٩٧)، والثالث في التحريم (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل) (التحريم: ٤)، وذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم في أربعة مواضع الأول والثاني والثالث في آل عمران (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب) (آل عمران: ٢٩)، وهو جبريل وحده بدليل قراءة ابن مسعود رضي الله عنه (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك) (آل عمران: ٤٢) (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه) (آل عمران: ٤٥) والرابع في النحل: (ينزل الملائكة بالروح من أمره) يعني جبريل والروح الوحي. وذكر بلفظ

الروح في ثمانية مواضع بلفظ الروح مطلقا، وبإضافته إلى نفسه وبإضافته إلى القدس وهو الطهارة، وبوصفه بالأمانة، فقال: (تعرج الملائكة والروح إليه) (المعارج: ٤) يعني جبريل تنزل الملائكة والروح فيها) (القدر: ٤)، (فأرسلنا إليها روحنا) (مریم: ١٧)، (وأيدناه بروح القدس) (البقرة: ٨٧) وفي المائة: (إذ أيدتك بروح القدس) (المائدة: ٩) وفي النحل (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) (النحل: ١٠٢)، وفي الشعراء (نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين) (الشعراء: ١٩٣، ١٩٤)، ووصفه في موضع واحد بسبع صفات جميلة وهي: الرسالة والكرم والقوة والقربة والمكانة وطاعة الملائكة والأمانة، وذلك في سورة التكويد في قوله تعالى: (إنه لقول رسول الكريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين) (التكويد: ١٩، ٢٠، ٢١). وروي أبو الشيخ في العظمة عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقرب الخلق إلى جبريل وميكائيل وإسرافيل وإنهم من الله بمسيرة ألف سنة". وروي أبو الشيخ عن وهب. قال: هؤلاء الأربعة أملاك: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، أول من خلقهم الله من الملائكة وآخر من يميتهم، وأول من يحييهم وهم المديرات، وروي أبو الشيخ عن خالد بن أبي عمران قال: جبريل أمين الله تعالى إلى رسله، وميكائيل يلقي الكتب التي ترفع من أعمال الناس وإسرافيل بمنزلة الحاجب. وروي أبو الشيخ عن عكرمة بن خالد أحد التابعين أن رجلا قال: يا رسول الله أي الملائكة أكرم على الله؟ قال: لا أدري فجاءه جبريل فقال: يا جبريل أي الملائكة أكرم على الله؟ قال: لا أدري، فخرج جبريل: ثم هبط فقال: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك

[١٠١]

الموت، فأما جبريل فصاحب الحرب وصاحب المرسلين وأما ميكائيل فصاحب كل قطرة تسقط وكل ورقة، وأما ملك الموت فهو موكل بقبض روح كل عبد في بر أو بحر، وأما إسرافيل فأمين الله بينه وبينهم. التنبيه السادس: في لغات ميكائيل وهي سبع: الأولى وهي الأفضح: ميكال بوزن ميقات وميعاد وبها قرأ أبو عمرو. الثانية: مكائيل: بهمزة فياء وهي قراءة نافع. الثالثة: ميكائيل بياءين وهي قراءة باقي السبعة. الرابعة: ميكايل بهمزة بعد الكاف فمثناة تحية وهي قراءة ابن محيصن. الخامسة: كذلك (أي ميكايل) إلا أنه لا ياء بعد الهمزة وبها قرأ بعضهم. السادسة: ميكايل بياءين صريحين بعد الألف وبها قرأ الأعمش. السابعة: ميكايل بهمزة مفتوحة بعد الألف. التنبيه السابع: في الكلام على البراق، وهو بضم الموحدة وتخفيف الراء مشتق من البرقي فقد جاء في لونه أنه أبيض أو من البرق لأنه وصف بسرعة السير أو من قولهم: شاة برقاء إذا كان خلال صوفها الأبيض طاقات سوداء، ولا ينافيه وصفه في الحديث بالبياض لأن البرقاء من الغنم معدودة في البيض. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أحمد والحاثر: "أبرقوا فإن دم عفراء أركى عند الله من دم سوداوين"، فجعل البرقاء مقابلة السوداوين تفضيلا للبياض، فلهذا يكون البراق أفضل الألوان ويجوز أن يجمع بين المعنيين فيسمى براقا للونه ولسرعة مسيره فيكون ذلك من قبيل مجملتي اللفظ المشترك دفعة واحدة في اللفظ ويحتمل ألا يكون مشتقا. قال ابن أبي جمرة: وإنما كان ركوب النبي صلى الله عليه وسلم على البراق إشارة إلى أن الاختصاص به لأنه لم ينقل أن أحدا ملكه بخلاف جنسه من الدواب. قال: والقدرة صالحة لأن يصعد بنفسه بغير براق، لكن كان البراق بشارة له في تشريفه، لأنه لو صعد بنفسه لكان في صورة ماش، والراكب خلاف الماشي. وقال ابن دحية: ربما مزج خرق العادة بالعادة تأنيسا، وقد كان الحق قادرا على أن يرفع نبيه صلى الله عليه وسلم بدون البراق، ولكن الركوب وصفة المركوب المعتاد تأنيس في هذا المقام العظيم بطرف من العادة، ولعل الإسراء بالبراق إظهار للكرامة العرفية، فإن الملك العظيم إذا استدعى وليا له

وخصيصاً به، وأشخصه إليه بعث إليه بمركوب سني، يحمله عليه في وفادته إليه. ولم يكن البراق بشكل الفرس ولكنه بشكل البغل وكان ذلك - والله تعالى أعلم - للإشارة إلى أن الركوب في سلم وأمن لا في حرب وخوف، أو لإظهار المعجزة في الإسراع العجيب من دابة ما يوصف شكلها بالإسراع الشديد عادة. فإن قيل: فقد ركب النبي صلى الله عليه وسلم البغلة في الحرب، فالجواب: كان ذلك لتحقيق نبوته

[١٠٢]

عليه الصلاة والسلام في مواطن الضرب، والطعن والانتشاب في نحر العدو، ولما كان الله تعالى خصه بمزيد من الشجاعة والقوة. وإلا فالبغال عادة من ركوب الطمأنينة والأمانة، فبين أن الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس، وثقة وتوكل. وركبت الملائكة في الحرب على الخيل لا غير لأنها بصد ذلك عرفاً دون غيرها من المركوبات. ولطف شكل البراق لما وصفه، عن شكل البغل: وما لطف من البغال واستدار أحمد وأحسن من المطهومات (١) منها، وذلك بخلاف الخيل. ولم يسم الله سبحانه وتعالى سير البراق برسوله صلى الله عليه وسلم طيراناً، وإنما سماه بما يسمي به السير المعتاد وسير الليل عند العرب سرى، فيؤخذ من هذا أن الولي إذا طويت له الأرض البعيدة في الساعة الواحدة يتناوله اسم المسافر، ويشمله أحكام السفر باعتبار القصر والفطر. وإنما لم يذكر البراق في الرجوع لأن ذلك معلوم بذكره في الصعود، كقوله تعالى: (وجعل لكم سراويل تقيكم الحر) (النحل: ٢) يعني والبرد. قال في فتح الصفا: فإن قيل: هلا كان الإسراء على أجنحة الملائكة والريح كما كانت تحمل سليمان عليه الصلاة والسلام أو الخطوة كطئ الزمان؟ قلت المراد إطلاعه على الآيات الخارقة للعادة، وما يتضمن أمراً عجيباً، ولا عجب في حمل الملائكة أو الريح بالنسبة إلى قطعة هذه المسافة، بخلاف قطعها على دابة في هذا الحجم المحكي عن صفتها، ووقع من تعظيمه بالملائكة ما هو أعظم من حمله على أجنحتها فقط. فقد أخذ جبريل بركابه وميكائيل بزمام البراق، وهما من أكبر الملائكة، فاجتمع له صلى الله عليه وسلم حمل البرق، وما هو كحمل البراق من الملائكة وهذا أتم في الشرف. واختلفت الأقاويل في صفته، فنقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ما ذكر، وقال صاحب الاحتفال: إنه دون البغل وفوق الحمار، وجهه كوجه الإنسان، وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال. وقال غيره: جسده كجسد الإنسان وذنبه كذنب البعير وعرفه كعرف الفرس وقوائمه الإبل وأظلافه كأظلاف البقر وصدرة كأنه ياقوتة حمراء وظهره كأنه درة بيضاء، له جناحان في فخذه لتقل مؤخر الدابة، أو لأن ذلك جار على هذا الأمر في خرق العادة، أو لأجل الراكب، لأنهما لو كانا في جنبه، على العادة لكانا تحت فخذي الراكب أو فوقهما، ويحصل له من ذلك مشقة بضمهما ونشرهما خصوصاً مع السرعة العظيمة.

(١) المطهومات: المنتفخ الوجه. وقيل: الفاحش السمن: وقيل: النحيف الجسم، وهو من الأضداد. انظر النهاية لابن الأثير ٣ / ١٤٧. (*)

[١٠٣]

وفي بعض الآثار أنه ليس بذكر ولا أنثى، فاقترض ذلك أن يكون مفرداً بالخلق بهذه الصفة من غير توليد، وقد قال تعالى: (ومن كل شئ

خلقنا زوجين) (الذاريات: ٤٩) ونقل الشيخ سعد الدين أن الملائكة الكرام لا ذكور ولا إناث إلى آخر ما ذكره. وفي أثر آخر أن جبريل خاطبه خطاب المؤنث. واختلف في الحكمة في استصعاب البراق، فقال ابن بطال: إنما استصعب عليه لبعده بركوب الأنبياء قبله، ويؤيده ما في المبتدأ لابن إسحاق رواية وثيمة بن موسى في ذكر الإسراء، فاستصعب البراق وكانت الأنبياء تركبها قبلي " وكانت بعيدة العهد بركوبهم فلم تكن ركبت في الفترة. وقال ابن دحية وابن المنبر: " إنما استصعب تبيها وزهوا بركوب النبي صلى الله عليه وسلم، وأراد جبريل: يقوله: أيمحمد تستصعب؟ استنطاقه بلسان الحال إذ أنه لم يقصد الصعوبة، وإنما تاه بركوب النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال: فافرض عرقا، فكأنه أجاب بلسان الحال، فبرئ من الاستصعاب، وعرق من خجل العتاب، وذلك قريب من رجة الجبل به حتى قال: اثبت فإنما عليك نبي وصديق وشهيد، فإنها هزة طرب لا هزة غضب، كما سيأتي الكلام على ذلك مبسوطة في المعجزات. قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي رحمه الله تعالى: ولا يبعد أن يقال إنما كان استصعابه فرقا من هيبته سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. التنبيه الثامن: قال الحافظ: من الأخبار الواهية أن البراق لما عاتبه جبريل عليه السلام اعتذر إليه البراق بأنه مس الصفراء اليوم، وأن الصفراء صنم من ذهب عند الكعبة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم مر به فقال: " نأ لمن يعبدك من دون الله " (١)، وأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى زيد بن حارثة أن يمسه بعد ذلك، وكسره يوم الفتح، وقال في الزهر: هذا لا ينبغي أن يذكر ولا يغزى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الإمام أحمد - روى عنه ابنه عيد الله أنه قال: " هو موضوع " وأنكره جدا. التنبيه التاسع: قال الحافظ: من الأخبار الواهية ما ذكره الماوردي والتعلبي والقُرطبي في التذكرة من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الموت والحياة جسمان، فالموت ليس يجد في شئ إلا مات، والحياة فرس بقاء أنثى وهي التي كان جبريل والأنبياء يركبونها لا تمر بشئ ولا يجد ريحها شئ إلا حيي. التنبيه العاشر: اختلف في ركوب جبريل على البراق مع النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى القول به هل ركب أمام النبي صلى الله عليه وسلم أم خلفه؟ فعند الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه أن

(١) انظر الفتح ٧ / ٢٠٧ (*).

[١٠٤]

رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق فلم يزايل ظهره هو وجبريل حتى انتهيا إلى بيت المقدس. وفي رواية عنه عند ابن حبان أن جبريل حمله على البراق رديفا له، وفي لفظ: " فركبه خلف جبريل فسار بهما ". وفي حديث أبي ليلى أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالبراق فحمله بين يديه، رواه الطبراني. وفي حديث ابن مسعود، رفعه: " أتيت بالبراق فركبته خلف جبريل ". والصحيح أنه كان معدا لركوب الأنبياء قبل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١). وروى الفاكهي بسند حسن عن علي رضي الله عنه قال: " كان إبراهيم يزور إسماعيل وأمه على البراق ". وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه: " وكانت الأنبياء تركبها قبلي ". ورواه البيهقي وغيره. وقال أنس رضي الله عنه: " وكانت تسخر للأنبياء قبلي "، ورواه النسائي وابن مردويه. وقال سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن: " أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم على البراق، وهي دابة إبراهيم التي كان يزور عليها البيت الحرام "، ورواه ابن جرير. التنبيه الحادي عشر: قوله في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: " وتكلم أربعة وهم صغار " فذكر

ابن الماشطة وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم. وروى الشيخان من حديث أبي هريرة مرفوعاً: " لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة "، فذكر عيسى وصاحب جريج وابن الماشطة. وفي حديث مسلم عن صهيب رضي الله عنه في قصة أصحاب الأخدود: أن امرأة حيّ بها لتلقى في النار أو لتكفر ومعها صبي يرضع فتقاعست فقال: يا أمه اصبري فإنك على الحق. وفي رواية عند ابن قتيبة: إنه كان ابن سبعة أشهر. وروى الثعلبي عن الضحاك أن يحيى بن زكريا تكلم في المهدي وذكر البيهقي في تفسيره أن إبراهيم الخليل عليه السلام تكلم في المهدي. وفي سير الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم في أوائل ما ولد. وقد تكلم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم مبارك الإمامة كما سيأتي في المعجزات، فهذه عشرة، وتقدم نظمهم في أبواب المولد، وسيأتي الكلام على ذلك مبسوطاً في المعجزات. وإذا علم ذلك فقولته صلى الله عليه وسلم: " لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة " (٢)، قاله قبل أن يعلم الزيادة على ذلك. التنبيه الثاني عشر: ذكر في القصة نزوله صلى الله عليه وسلم عن البراق وصلاته بعدة مواضع كما هو مذكور في القصة، وقال حذيفة رضي الله عنه: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزابيل ظهر البراق هو وجبريل حتى انتهيا إلى بيت المقدس ". قال الحافظ: " وهذا لم يسند حذيفة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيحتمل أنه قاله عن اجتهاد ". قلت: ويدل على ذلك إنكاره ربط البراق والصلاة

(١) أخرجه مسلم ١ / ١٤٥ (٢٥٩ - ١٦٢) وانظر مسند الإمام أحمد ٣ / ١٤٨ والحاكم في المستدرک ٤ / ٦٠٦ الدر المنثور للسيوطي ٤ / ١٣٦. (٢) أخرجه البخاري ٤ / ٢٠١ ومسلم ٤ / ١٩٧٦ وأحمد في المسند ٢ / ٣٠١ والحاكم في المستدرک ٢ / ٥٩٥. (*)

[١٠٥]

في بيت المقدس، مع ورود الأحاديث الصحيحة عن جماعة من الصحابة بوقوع ذلك كما سيأتي. التنبيه الثالث عشر: أنكروا حذيفة رضي الله عنه ربط البراق، فروى الإمام أحمد والترمذي عنه أنه لما قيل له: ربط البراق قال: أخاف أن يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة؟ قال البيهقي والسهيلي: والمثبت مقدم على النافي، يعني من أثبت ربط البراق في بيت المقدس معه زيادة علم على من نفى، فهو أولى بالقبول. قال الإمام النووي: وفي ربط البراق الأخذ بالاحتياط في الأمور وتعاطي الأسباب، وأن ذلك لا يقدح في التوكل إذا كان الاعتماد على الله سبحانه وتعالى. وقال السهيلي: وفي هذا من الفقه التنبيه على الأخذ بالحزم مع صحته التوكل وأن الإيمان بالقدر كما روى عن وهب بن منبه لا يمنع الحزم من توفي المهلك، قال وهب: وجدته في سبعين كتاباً من كتب الله القديمة، وهذا نحو من قوله صلى الله عليه وسلم: " اعقلها وتوكل " (١). وإيمانه صلى الله عليه وسلم بأنه قد سخر له كإيمانه بقدر الله تعالى وعلمه بأنه قد سبق في أم الكتاب ما سبق، ومع ذلك كان يتزود في أسفاره، ويعد السلاح في حروبه، حتى لقد ظاهر بين درعين في غزوة أحد وربطه للبراق من هذا الفن. التنبيه الرابع عشر: في بعض فضائل بيت المقدس وفيه فوائد: الأولى: في مبدأ خلقه: روى أبو بكر الواسطي عن علي رضي الله عنه قال: كانت الأرض ماء، فبعث الله تعالى ريحاً فمسحت الماء مسحاً، فظهرت على الأرض زبدة فقسّمها أربع قطع، خلق من قطعة مكة ومن أخرى المدينة ومن أخرى بيت المقدس ومن أخرى الكوفة. وتقدم حديث أبي ذر في الباب الأول من أبواب بعض فضائل بلده المنيف فراجع. وروى الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن سليمان عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل ربه خللاً ثلاثاً فأعطاه إياها: سألها حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه وسألها ملكاً لا

ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد يعني بيت المقدس خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه ". قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ونحن نرجو أن يكون الله تعالى قد أعطاه ذلك " (٢). وروى ابن أبي شيبة والواسطي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: " إن بيت المقدس لمقدس في السموات السبع بمقداره في الأرض) وروى الواسطي عن عطاء

(١) أخرجه ابن حبان (٢٥٤٩) وأبو نعيم في الحلية ٨ / ٣٩٠ وذكره العجلوني في كشف الخفا ١ / ١٦١ وعزاه للترمذي عن أنس. (٢) أخرجه النسائي في المساجد باب (٦) وأحمد في المسند ٢ / ١٧٦ وذكره السيوطي في الدر ٤ / ١٦٠. (*)

[١٠٦]

الخراساني قال: (لما فرغ سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام من بناء بيت المقدس أنبت الله شجرتين عند باب الرحمة أحدهما تنبت الذهب والاخرى تنبت الفضة، فكان كل يوم تنزع من كل واحدة مائة رطل ذهب وفضة، وفرش المسجد، بلاطة ذهبا وبلاطة فضة. فلما جاء بختنصر خربه واحتمل منه ثمانين عجلة ذهبا وفضة فطرحهما برومية). وروى الواسطي عن سعيد بن المسيب رحمهما الله تعالى أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس فرغ له عشرة آلاف من قراء بني إسرائيل: خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار، فلا تأتي ساعة من ليل أو نهار إلا والله تعالى يعبد فيه. وروى الواسطي عن كعب الاحبار أن سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء المسجد خر ساجدا شكرا لله وقال: (يا رب من دخله من خائف فأمنه أو من داع فاستجب له أو مستغفر فأغفر له). فأوحى الله تعالى إليه: (إني قد أجبت لال داود الدعاء). قال: فذبح أربعة آلاف بقرة وسبعة آلاف شاة، وصنع طعاما كثيرا ودعا بني إسرائيل إليه. والاثار في هذا كثيرة، وقد ذكر المؤرخون في عمارته وما فيه من الجواهر والمعادن واليواقيت في سمائه وأرضه وجرانه ما تعجز عنه ملوك الدنيا. فلما دخل بختنصر خربه وأخذ تلك النفائس التي فيه، وذكر ذلك هنا ليس من غرضنا. الثانية: في بعض فضله، قال الله سبحانه وتعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) (الاسراء: ١) وهذه الآية هي المعظمة لقدره بإسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه قبل عروجه إلى السماء وإخبار الله تعالى بالبركة حوله. وتقدم الكلام على ذلك. وقال تعالى: (ونجيناه ووطوا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) (الانبيا: ٧). روى أبو المعالي المشرف بن المرجى المقدسي في فضائله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (الجنة تحن إلى بيت المقدس، وصخرة بيت المقدس من جنة الفردوس). وروى الواسطي عن مكحول قال: (من صلى في بيت المقدس ظهرا وعصرا ومغربا وعشاء، ثم صلى الغداة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه). وروى أيضا عن كعب قال: (في بيت المقدس، اليوم فيه كالف يوم وشهر فيه كالف شهر والسنة فيه كالف سنة، ومن مات فيه كأنما مات في السماء). وروى الحاكم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (في بيت المقدس لنعم المصلى، وليوشكن ألا يكون للرجل مثل بسط فرشته من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعا أو قال خير من الدنيا وما فيها). وروى الواسطي عن كعب قال: (إن الله ينظر إلى بيت المقدس كل يوم مرتين). والاثار في فضله كثيرة.

[١٠٧]

الثالثة: في أسمائه: الاول: المسجد الاقصى وتقدم الكلام عليه. الثاني: مسجد إيلياء بوزن كبرياء. وحكى البكري وغيره قصر ألفه، وحكى ابن يونس في شرح التعجيز. وابن الاثير في النهاية بتشديد الياء. وحكى صاحب المطالع وغيره حذف الياء الاولى وكسر الهمزة ويسكون اللام والمد، قال محمد بن سهل الكاتب: معنى إيلياء بيت الله. وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في مسند أبي يعلى: (الايلا) بالالف واللام، قال النووي: وهو غريب. الثالث والرابع: (بيت المقدس) بفتح الميم وإسكان القاف وكسر الدال مخففة، (والبيت المقدس) بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة. قال الواحدي: (معناه المطهر)، قال: أبو علي المقدسي: (وأما بيت المقدس يعني بالتخفيف فلا يخلو إما أن يكون مصدرا أو مكانا، فإن كان مصدرا كان كقوله تعالى: (إليه مرجعكم جميعا) (يونس: ٤) ونحوه من المصادر، وإن كان مكانا فالمعنى بيت المكان الذي جعل فيه الطهارة أو بيت مكان الطهارة، وتطهيره على معنى إخلائه من الاصنام وإبعاده منها)، وقال الزجاج: (البيت المقدس أي المكان المطهر، وبيت المقدس أي المكان الذي يطهر فيه من الذنوب، هذا ما ذكره الواحدي)، وقال غيره: (البيت المقدس وبيت المقدس لغتان الاولى على الصفة والثانية على إضافة الموصوف إلى صفته كصلاة الاولى ومسجد الجامع. قال ابن سراقه: (ويقال الارض المقدسة ثلاثة: فلسطين - بغاء مفتوحة فلام مفتوحة - والاردن - بهمزة مضمومة فراء ساكنة فдал مهملة مضمومة فنون، قال البكري: مشددة - ودمشق، وهو ما أدرك بصر إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين رفع على الجبل وقيل له: (ما أدرك بصرك فهو ميراث لك ولولدك من بعدك). الخامس: بيت المقدس: بضم الدال وإسكانها بغير ميم، ذكره الحازمي (٢) في أسماء الاماكن ونقل عن ابن الاثير أيضا. السادس: سلم بتشديد اللام لكثرة سلام الملائكة فيه. قال ابن بري: وأصله (شلم) بالشين المعجمة لان الشين المعجمة في العربية سين، فالسلام شلام واللسان لشان والاسم اشم، وقال البكري في حرف الشين المعجمة: (شلم) (٣) بفتح أوله وثانيه وتشديده على وزن

(١) محمد بن يحيى بن سراقه العامري، أبو الحسن: فقيه فرضي. من أهل البصرة. صنف كتابا في فقه الشافعية والفرائض ورجال الحديث. ووقف ابن الصلاح على (كتاب الاعداد) له. توفي سنة ٤١٠ هـ. انظر الاعلام ٧ / ١٣٦. (٢) محمد بن موسى بن عثمان بن حازم، أبو بكر، زين الدين، المعروف بالحازمي: باحث، من رجال الحديث. أصله من همذان، ووفاته ببغداد. له كتاب (ما اتفق لفظه واختلف مسماه) في الاماكن والبلدان المشتبهة في الخط، و (الفصل) في مشتبه النسية، و (الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار) في الحديث، و (عجالة المتبدي وفضالة المنتهي) توفي سنة ٥٨٤ هـ. الاعلام ٧ / ١١٧. (٣) انظر لسان العرب ٤ / ٢٣١٨. (*)

[١٠٨]

فعل اسم لبيت المقدس. وقال الهمداني: (شلم): وقد تعربها العرب فنقول: شلم. وحكى ابن القطاع: شلام على وزن فعاله. وقال ابن الاثير: (شلم) بالمعجمة وتشديد اللام اسم لبيت المقدس ويروى بالمهملة وكسر اللام سلم كأنه عربي. ومعناه بالعبرانية: بيت السلام. السايغ: روي عن كعب الاحبار، أن الجنة في السماء السابعة بحيال بيت المقدس والصخرة، ولو وقع حجر منها لوقع على الصخرة ولذلك دعيت: أورى شلم، ودعيت الجنة: دار السلام. الثامن: أورى شلم، بضم الهمزة وسكون الواو وكسر الراء وسكون التحتية وفتح الشين المعجمة وكسر اللام المخففة، كذا قال أبو عبيدة معمر بن المثنى، والاكثرون بفتح الشين واللام. التاسع: كوره إليا، العاشر: أورى شلم. الحادي عشر: بيت إيل، أي بيت الله. الثاني عشر: (صهيون): بصاد مهملة مكسورة فهاء ساكنة فمثناة تحتية فواو فنون، ذكره البكري. قال: وهو بفتح الصاد اسم قبيلة. الثالث عشر: (مصرث) بميم فصاد فراء فثاء مثلثة. الرابع عشر: (بابوش):

بمحدثين وآخره شين معجمة. الخامس عشر: (كورشيلاه). السادس عشر: (صلعون): ذكر هذه الاسماء ابن خالويه. السابع عشر: سليم. الثامن عشر: (فسط مصر) بضم الفاء. التاسع عشر: أرض المحشر والمنشر. العشرون: المحفوظة. الحادي والعشرون: المفارقة. الثاني والعشرون: مدينة الجنة. الرابعة: في خصائصه: الاولى في مضاعفة الصلاة فيه: وقد اختلفت الاحاديث في مقدارها: الاول: خمسمائة صلاة: روى الامام أحمد وابن ماجه والبخاري والقاسم الحافظ أبي القاسم بن عساكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال: (الصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة (١)). الثاني: ألف صلاة: روى ابن ماجه عن ميمونة رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله افتنا في بيت المقدس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أرض المحشر والمنشر، اتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كالف صلاة) (٢). قال النووي: لا بأس بإسناده، وقال الذهبي: حديث منكر. الثالث: خمسون ألف صلاة: روى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صلاة الرجل في بيته بصلاة، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة). وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٤ / ١٠ وعزاه للطبراني في الكبير وقال: ورجاله ثقات وفي بعضهم كلام وهو حديث حسن. (٢) أخرجه ابن ماجه (١٤٠٧) والطحاوي في مشكل الآثار ١ / ٢٤٩ وابن حجر في المطالب (١٣٦٥) وذكره المتقي الهندي في الكنز (٢٨١٩٨) والعلوني في كشف الخفا ١ / ٣٤٥. (*)

[١٠٩]

صلاة (١)). الرابع: مائتان وخمسون: روى الطبراني في معجمه عن أبي ذر رضي الله عنه، مرفوعاً: (صلاة في مسجدي أفضل من أربع فيه) (٢)، يعني بيت المقدس، فدل على أن الصلاة في بيت المقدس بمائتين وخمسين صلاة. الخامس: بعشرين ألف صلاة، روى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ولهذا مزيد بيان في أبواب فضائل المدينة الشريفة. الثانية: استحباب شد المطي إليه لما رواه الشيخان: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام والمسجد الأقصى) (٣). الثالثة: استحباب ختم القرآن فيه: روى سعيد بن منصور في سننه عن أبي مجلز - بكسر الميم ويحكي فتحها وإسكان الجيم وفتح اللام وبالزاي - واسمه لاحق بن حميد، قال: (كانوا يستحبون لمن أتى المساجد الثلاثة أن يختتم بها القرآن قبل أن يخرج). الرابعة: استحباب المجاورة به: روى الحاكم عن ثور بن يزيد عن مكحول قال: (كان عبادة بن الصامت وشداد بن أوس رضي الله عنهما يسكنان بيت المقدس). وقد سكنه عدة من الصحابة رضي الله عنهم. الخامسة: يستحب الصيام فيه فقد روي: (صوم في بيت المقدس براءة من النار). السادسة: استحباب الاحرام بالحج والعمرة منه: روى أبو داود عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) (٤). السابعة: يستحب لمن لم يقدر على زيارته أن يهدي له زيتاً، روى أبو داود وابن ماجه واللفظ له عن ميمونة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله: أفتنا في بيت المقدس. قال: (أرض المحشر والمنشر، إيتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كالف صلاة في غيره). قلت: يا رسول الله أرأيت إن لم أستطع أن أصل إليه؟ قال: (فتهدي إليه زيتاً ليسرج فيه فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه). المحشر مفعول من الحشر وهو الجمع يعني يوم القيامة، فإذا فتحت البين فهو المصدر، وأما الموضوع فهو بالكسر. قال الجوهرى: المحشر بالكسر

موضع الحشر. انتهى. وذكر صاحب مختصر العين أن المحشر بالكسر والفتح الموضع الذي يحشر إليه الناس والمنشر موضع النشور وهو قيام الموتى من قبورهم. الثامنة: حكى عن بعض السلف أن السيئات تضاعف فيه، روي ذلك عن كعب

(١) أخرجه ابن ماجة (١٤١٣) وابن الجوزي في العلل ٢ / ٨٦. (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٤ / ١٠ وعزاه للطبراني في الأوسط وقال: رجاله رجال الصحيح. (٣) أخرجه البخاري ٢ / ٧٠ (١١٩٧) ومسلم ٢ / ٩٧٦ (٤١٥ - ٨٢٧). (٤) أخرجه أبو داود (١٧٤١) والبيهقي ٥ / ٣٠ والبخاري في التاريخ ١ / ١٦١. (*)

[١١٠]

الاحبار وأنه لما كان يأتي من حمص للصلاة فيه، فإذا صار منه قدر ميل اشتغل بالذكر والتلاوة والعبادة حتى يخرج منه بقدر ميل أيضا ويقول: (السيئات تضاعف فيه)، أي تزداد قبحا وفحشا لان العاصي في زمان أو مكان شريف أشد جرأة وأقل خوفا من الله تعالى. وذكر أبو بكر الواسطي عن نافع قال: قال لي ابن عمر: (أخرج بنا من هذا المسجد فإن السيئات تضاعف فيه كما تضاعف الحسنات). التاسعة: أن الدجال لا يدخل بيت المقدس. روى ابن أبي شيبة في المصنف عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الدجال فقال: (وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس) وأنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس قال: فيهمزه الله وحنوده حتى إن حذم الحائط وأصل الشجرة ينادي: يا مؤمن: هذا كافر يستتر بي تعالى اقتله إلى آخره). العاشرة: أن الصخرة في المسجد الأقصى كالحجر الأسود في المسجد الحرام. روى أبو نعيم عن وهب بن منبه قال: (إن الله تعالى قال لصخرة بيت المقدس: لاضعن عليك عرشى ولاحشرن إليك خلقي وليأتينك يومئذ داود راكبا، وروى أبو بكر الواسطي وابن عساكر عن يزيد بن جابر في قوله تعالى: (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب) (ق ٤١). قال: (يقف إسرافيل على صخرة بيت المقدس فينفخ في الصور فيقول: يا أيها العظام النخرة والجلود المتمزقة والاشعار المتقطعة إن الله يأمرك أن تجتمع لي فضل الخطاب). وروى ابن جرير وابن أبي حاتم والواسطي عن قتادة في الآية قال: (كنا نتحدث أنه ينادى من بيت المقدس من الصخرة وهي أوسط الأرض)، وحدثنا أن كعبا قال: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا. الحادية عشرة: يكره استقبال بيت المقدس واستدباره بالبول والغائط ولا يحرم قاله في الروض. الثانية عشرة: روي أنه من دفن في بيت المقدس وفي فتنة القبر وسؤال الملكين ومن دفن في زيتون الملة (يعني بإبلياء) فكأنما دفن في السماء الدنيا. وروى أبو نعيم في تاريخه عن أحمد بن جعفر بن سعيد قال حدثنا يحيى بن مطرف حدثنا محمد بن بكر، حدثنا يوسف بن عطية، عن أبي سفيان، عن الضحاك بن عبد الرحمن ابن عرزب - يفتح المهملة وسكون الراء وفتح الزاي ثم موحدة، وقد تبدل ميمما - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء) (١).

(١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ٢ / ٢٢٠. (*)

[١١١]

الثالثة عشرة: روى الخطيب في الموضح عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أول من يدخل الجنة الانبياء ثم مؤذنو البيت ثم مؤذنو بيت المقدس ثم مؤذنو مسجدي ثم سائر المؤذنين) (١). الرابعة عشرة: ليحذر من اليمين الفاجرة فيه وكذا في المسجد الحرام ومسجد المدينة فإن عقوبتها معجلة. روي أن عمر بن عبد العزيز أمر بحمل عمال سليمان بن عبد الملك إلى الصخرة ليحلفوا عندها فحلفوا إلا واحدا، فدى يمينه بألف دينار، فما مر الحول على واحد منهم بل ماتوا كلهم. الخامسة عشرة: روي ابن جرير عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم) (٢). قيل: فأين هم يا رسول الله؟ قال: (ببيت المقدس أو بأكناف بيت المقدس). وروي أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة) (٣). السادسة عشرة: روي أبو المعالي المشرف بن المرجى المقدسي قال: (من حج وصلى في مسجد المدينة، ومسجد الأقصى في عام واحد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه). وإذا ثبت ذلك فقول النووي: (إنه لا أصل لذلك) فيه نظر. السابعة عشرة: ذكر الدارمي: (أنه لا يجوز الاجتهاد بمنة ولا بسرة بمحراب بيت المقدس) وألحقه بمسجد المدينة. الثامنة عشرة: نص الصيدلاني والماوردي والرويانى والبيغوي والبنديجي - بفتح الموحدة وسكون النون الاولى وكسر الثانية ثم تحتية والجيم - والجويني في مختصره والغزالي في الخلاصة والخراساني في كافيته على استحباب صلاة العيد في مسجد بيت المقدس وأن فعلها فيه أولى من المصلى. التاسعة عشرة: قال ابن سراقفة في كتاب الاعداد: (أكبر مساجد الاسلام واحد وهو

(١) أخرجه ابن الجوزي في العلل ١ / ٣٩٣ والبغدادي في موضع أوهام الجمع والتفريق ١ / ٥٠. (٢) أخرجه البخاري ٩ / ١٢٥ ومسلم في كتاب الامارة (١٧٠) وأخرجه أبو داود في كتاب الفتن باب (١) والترمذي (٢١٩٢) وابن ماجه (٦) وأحمد في المسند ٩ / ١٨١. (٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ٧ / ٢٥٤٥ وذكره ابن حجر في المطالب (٤٢٤٤) والمتقي الهندي في الكنز (٢٥٠٥١). (*)

[١١٢]

بيت المقدس). وقيل: (ما تم فيه صف واحد قط لا في عيد ولا في جمعة ولا غير ذلك). العشرون: يستحب لزاره زيارة الاماكن المشهورة بأثار الانبياء لا سيما مواضع صلاة نبينا صلى الله عليه وسلم. الحادية والعشرون: حشر الكعبة إلى بيت المقدس: روى الواسطي في فضائل بيت المقدس عن خالد بن معدان - بفتح الميم - قال: (لا تقوم الساعة حتى ترف الكعبة إلى الصخرة زف العروس، فيتعلق بها جميع من حج واعتمر، فإذا رأتها الصخرة قالت: مرحبا بالزائرة والمزور إليها). وروي أيضا عن كعب قال: (لا تقوم الساعة حتى يرف البيت الحرام إلى بيت المقدس فيتغادان إلى الجنة، فيها أهلها، والعرض والحساب ببيت المقدس) وروي ابن مردويه والاصفهانى في ترغيبه والديلمي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا كان يوم القيامة زفت الكعبة: البيت الحرام إلى قيري فتقول الكعبة: السلام عليك يا محمد، فأقول: عليك يا بيت الله، ما صنع بك أمتي بعدي؟ فتقول: يا محمد من أتاني فأنا أكفيه وأكون له شفيعا، ولم يأتني فانت تكفيه وتكون له شفيعا) (١). وروي الجندي عن الزهري نحوه. التنبية الخامسة عشر: أنكر حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس تلك الليلة، واحتج بأنه لو

صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه. قال البيهقي وابن كثير: والمثبت مقدم على النافي، يعني من أثبت الصلاة في بيت المقدس، وهم الجمهور من الصحابة معه زيادة علم على من نفى ذلك، فهو أولى بالقبول. والجواب عما استند إليه حذيفة رضي الله عنه منع التلازم في الصلاة إن كان أراد بقوله كتب عليكم الغرض، وإن أريد التشريع فيلتزمه، وقد شرع النبي صلى الله عليه وسلم في بيت المقدس، فقرنه بالمسجد الحرام ومسجده في شد الرحلة وذكر فضيلة الصلاة فيه في غير ما حديث. التنبيه السادس عشر: تضافرت الروايات على أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء قبل العروج وهو أحد الاحتمالين للقاضي، وقال الحافظ: "إنه الأظهر"، والاحتمال الثاني "أنه صلى الله عليه وسلم صلى بهم بعد أن هبط من السماء أيضا فهبطوا. وصححه الحافظ ابن كثير، وقال صاحب السراج: "وما المانع من أنه صلى الله عليه وسلم صلى بهم مرتين، فإن في بعض الأحاديث ذكر الصلاة بهم بعد ذكره المعراج". التنبيه السابع عشر: قيل: كيف يصلي الأنبياء وهم أموت في الدار الآخرة وليست

(١) ذكر السيوطي في الدر ١ / ١٣٧ وعزاه لابن مردويه والأصهاني في الترغيب والديلمي. (*)

[١١٣]

دار عمل ؟ وأجاب القاضي وتبعه السبكي بجوابين: الأول: إنا نقول: إنهم كالشهداء بل أفضل، والشهداء أحياء عند ربهم، فلا يبعد أن يحجوا وأن يصلوا كما ورد في الحديث الآخر، وأن يتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا لأنهم وإن كانوا قد توفوا فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتى إذا فنيت مدتها، وتعقبها الآخرة التي هي دار الجزاء انقطع العمل، وحاصله أن البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا في استكثارهم من الأعمال وزيادة الأجور. الثاني ولفظه للسبكي رحمه الله تعالى: "إنا نقول إن المنقطع في الآخرة إنما هو التكليف، وقد تحصل الأعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها والخضوع لله تعالى. ولهذا ورد أنهم يسبحون ويدعون ويقراون القرآن وانظر إلى سجود النبي صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة، أليس ذلك عبادة وعملا ؟ وعلى كلا الجوابين لا يمتنع حصول هذه الأعمال في مدة البرزخ". وقد صح عن ثابت البناني التابعي أنه قال: "اللهم إن كنت أعطيت أحدا أن يصلي في قبره فأعطني ذلك". فرؤي بعد موته يصلي في قبره. ويكفي رؤيه النبي صلى الله عليه وسلم لموسى قائما يصلي في قبره، لأن النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء لم يقبضوا حتى خيروا بين البقاء في الدنيا وبين الآخرة فاختاروا الآخرة. ولا شك أنهم لو بقوا في الدنيا لازدادوا من الأعمال الصالحة ثم انتقلوا إلى الجنة، فلو لم يعلموا أن انتقالهم إلى الله تعالى أفضل لما اختاروه، ولو كان انتقالهم من هذه الدار يفوت عليهم زيادة فيما يقرب إلى الله تعالى لما اختاروه. انتهى ولهذا مزيد بيان يأتي في باب حياته في قبره صلى الله عليه وسلم. التنبيه الثامن عشر: هذه الصلاة التي صلاها النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الصواب أنها الصلاة المعروفة لأن النص يحمل على حقيقتها الشرعية قبل اللغوية إلا إذا تعذر حملها على الشرعية، ولم يتعذر هنا فوجب حملها على الشرعية. وعلى هذا قال بعضهم: "كانت الصلاة التي صلاها العشاء" وقال بعضهم: "إنها الصبح". قلت: وليس بشئ سواء قلنا صلى بهم قبل العروج أو بعده لأن أول صلاة صلاها النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس مطلقا الظهر بمكة باتفاق، ومن حمل الأولية على مكة فعليه الدليل، والذي يظهر والله تعالى أعلم أنها كانت من النفل أو كانت من الصلاة المفروضة عليه قبل ليلة الإسراء، وفي فتاوى النووي ما يؤيد الثاني. التنبيه التاسع عشر: قال بعضهم: ورؤيته إياهم صلى الله عليه وسلم في

السماء محمولة على رؤيته أرواحهم إلا عيسى، لما صح أنه رفع بجسده، وقد قيل في إدريس أيضا ذلك. وأما الذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل الأرواح خاصة، ويؤيده ما في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عند الحاكم والبيهقي، " فلقي أرواح الأنبياء "، وفيه دليل على تشكل الأرواح

[١١٤]

بصور أجسادها في علم الله تعالى، ويحتمل الأرواح بالأجساد ويؤيده حديث عيد الرحمن بن هاشم عن أنس رضي الله عنه عند البيهقي. وبعث الله له آدم فمن دونه من الأنبياء. وعند البرار والطبراني: " فنشر لي الأنبياء، من سمى الله تعالى ومن لم يسم، فصليت بهم ". التنبيه العشرون: قول سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم: " وأعطاني ملكا عظيما "؛ قال ابن دحية: لا يعهد لإبراهيم ملك عرفي، وإنما أن يراد بالملك الإضافة إليه نفسه وذلك لقهره لعظماء الملوك، وناهيك بالنمرود، وقد قهره الله تعالى لخليله وأعجزه عنه، وغاية الملك العظيم قهر الملك العظيم، فالقاهر أعظم من المقهور قطعا، ويحتمل أن يراد الإضافة إلى نبيه وذريته وذلك نحو ملك يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم وهلم جرا كملك دواد وسليمان والكل من ولد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وفي التنزيل: (فقد أتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وأتيناهم ملكا عظيما) (النساء: ٥٤) والإشارة هنا إلى ذريته. وإنما أن يراد ملك النفس في مظنة الاضطراب مثل ملكه لنفسه. وقد سأل جبريل فقال: ألك حاجة ؟ فقال: أما إليك فلا. التنبيه الحادي والعشرون: اختلف في تقديم الأنبياء هل هو قبل العروج أو بعده ؟ واختلف في عددها فأكثر الروايات أنه كان قبله. روى أحمد والشيخان والنسائي والترمذي من حديث أنس عن مالك بن صعصعة رضي الله تعالى عنه: " ثم رفع إلى البيت المعمور "، إلى أن قال: " ثم أتيت بإناءين: أحدهما خمر والآخر لبن "، وعند البخاري في الأشربة من طريق شعبة عن قتادة عن أنس مرفوعا: " رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا فيها أربعة أنهار " قال: " وأتيت بثلاثة أفداح " (١). لم يذكر شعبة في الإسناد مالك بن صعصعة. وعند ابن عائد من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حديث المعراج بعد ذكر رؤيته إبراهيم في السماء السابعة: " ثم انطلقنا فإذا نحن بثلاثة أنبياء مغطاة ". قال السهيلي وابن دحية وابن المنبر وابن كثير والحافظ: " لعله قدم مرتين جمعا بين الروايات ". قال ابن كثير والحافظ: " وأما الاختلاف في عدد الأنبياء وما فيها فيحمل على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكر الآخر، ومجموعها أربعة أنبياء فيها تعرض الأنبياء مرتين وأربعة أشياء من الأنهار الأربعة التي تخرج من أصل سدرة المنتهى ". التنبيه الثاني والعشرون: إذا قلنا بعرض الأنبياء مرتين ففائدة عرض الخمر (مع) إعراضه عنها في المرة الأولى وتصويب جبريل له، تكثير التصويب والتحذير. وهل كانت

(١) أخرجه البخاري ٧ / ١٩٨ كتاب الأشربة (٥٦١٠) أخرجه الحاكم في المستدرک ١ / ٨١ وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣١٨٤٦). (*)

[١١٥]

الخمر من خمر الجنة أو من جنس خمر الدنيا ؟ فإن كان الأول فسيب تجنبها صورتها ومضاهاتها للخمر المحرمة، ويكون ذلك أبلغ في الورع. وإن كان الثاني فاجتنابها واضح. وعلى التقدير الأول يستفاد منه فائدة: وهو أول من وضع من الماء ونحوه من الأشربة ما يضاها

الخمير في الصورة وهيأة بالهيئة التي يتعاطاها (بها) أهل الشهوات من الاجتماعات والآلات فقد أتى منكرا وإن كان لا يحد. وذكر أصحابنا أن إدارة كأس الماء على شاربه تشبها بشارب الخمر حرام، ويعزز فاعله. التنبيه الثالث والعشرون: قال ابن دحية: اعلم أن التخيير قد يكون بين واجبين كخصال الكفارة وقد يكون بين مباحين وأما التخيير بين واجب وممنوع أو مباح وممنوع فمستحيل، فانظر في إحضار اللبن والخمر، هل أريد به الإباحة لهما والإذن فيهما؟ كما لو أحضرت طعامين لضيف وأباحتها له، فما معنى إختياره لأحدهما؟ وما معنى قول جبريل: "اخترت الفطرة" أو "أصبت، أصاب الله بك؟" وإن كان المراد الإذن في أحدهما لا بعينه، بحيث يكون الآخر ممنوعا لزم التخيير بين ممنوع ومباح* وذلك لا يتصور، والذي يرفع الإشكال إن شاء الله تعالى أن يكون المراد تفويض الأمر في تحريم ما يحرم منها وتحليل ما يحل إلى إجتهد النبي صلى الله عليه وسلم وسداد نظره المعصوم. فلما نظر فيها أداة اجتهاده إلى تحريم الخمر وتحليل اللبن، فوافق الصواب في علم الله تعالى، فقال له جبريل: "أصبت"، وعلى تقدير ألا تكون الخمر محرمة لأنها حرمت بالمدينة فيكون توقيها ورعا وتعريضا بأنها ستحرم. التنبيه الرابع والعشرون: قال أبو الخطاب الكلبي: "الفطرة تطلق على الإسلام وتطلق على أصل الخلقة، فمن الأول قوله صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة" (١). ومن الثاني قوله تعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها) (الروم: ٣٠)، وقال تعالى: (فاطر السموات والأرض) (فاطر: ١)، أي مبدئ خلقهما، وقول جبريل: "اخترت الفطرة" أي اخترت اللبن الذي عليه بنيت الخلقة وبه بنيت اللحم، أو اخترت له لأنه الحلال الدائم في دين الإسلام، وأما الخمر فحرام فيما يستقر عليه الأمر، وقد تكون الإشارة بتقديم اللبن إلى أن شعار العلم في التعبير، كما ورد أنه عليه الصلاة والسلام قال: (رأيت كأنبي أتيت بقدر من لبن فشربت حتى أرى الري يخرج من أظفاري ثم ناولت فضلى عمر بن الخطاب)، قالوا: يا رسول الله ما أولته؟ قال: (العلم) (١). والإسراء وإن كان يقظة إلا ربما وقعت في اليقظة إشارة إلى حكم الفأل يعبر كما يعبر في المنام. ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن، فكانه لما ملئ قلبه إيمانا وحكمة أردف

(١) أخرجه البخاري ١٢ / ٤١٠ (٧٠٠٦). (*)

[١١٦]

ذلك بالعلم مطلقا، ويجعل الله تعالى ذلك اللبن سببا في ترادف العلم وأشجان القلب النبوي بأنوارها. وقال القرطبي: يحتمل أن يكون تسمية اللبن فطرة لكونه أول شئ يدخل بطن المولود ويشق أمعاءه، والسر في ميل النبي صلى الله عليه وسلم إليه دون غيره لكونه مألوفاً له، ولأنه لا ينشأ عن جنسه مفسدة، وافهم قول جبريل (أصبت)، فإن اختيار الخمر خطأ عصم منه النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت المسألة حينئذ اجتهادية لان الخمر لم تكن حرمت بعد، فقد وقع تخييره في ملك الله الاعظم. التنبيه الخامس والعشرون: ظاهر قوله: (ثم أتى بالمعراج) أن العروج كان لا على البراق وفي ذلك خلاف، فظاهر حديث مالك بن صعصعة أنه استمر على البراق حتى عرج به إلى السماء، وهو مقتضى كلام ابن أبي جمره وابن دحية. قال الحافظ: (لكن في غير هذه الرواية من الاخبار أن العروج لم يكن على البراق بل رقي في المعراج وهو السلم، ويؤيده قوله في حديث ثابت عن أنس كما في صحيح مسلم: (ثم أتيت بالمعراج). وقال الحافظ ابن كثير: (إنه لما فرغ صلى الله عليه وسلم من أمر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم، فصعد فيه إلى السماء، ولم يكن الصعود على البراق كما قد توهمه بعض

الناس، بل كان البراق مربوطا على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة). وقال الشيخ رحمه الله تعالى: (إنه الصحيح الذي تقرر من الأحاديث الصحيحة). التنبيه السادس والعشرون: (نوع ابن دحية المعراج إلى عشرة أنواع على عدد سني الهجرة، منها سبعة معارج إلى السموات السبع، والمعراج الثامن إلى سدرة المنتهى والمعراج التاسع الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصريف الاقدار، والمعراج العاشر إلى العرش والرُفرف والرؤية وسبائتي ما أبداه من الحكم في ذلك. التنبيه السابع والعشرون: ورد أن بين الدرجة والدرجة في الجنة خمسمائة عام وأن الدرجة تهبط كالابل ليصعد عليها ولي الله تعالى ثم ترفع به إلى مكانها والظاهر أن درج المعراج كذلك. التنبيه الثامن والعشرون: لا يتوهم بما تسمعه في قصة المعراج من الصعود والهبوط أن بين العبد وربّه مسافة، فإن ذلك كفر، نعوذ بالله من ذلك، وإنما هذا الصعود والهبوط بالنسبة إلى العبد لا إلى الرب، والنبى صلى الله عليه وسلم مع انتهائه ليلتئذ إلى أن كان قاب قوسين أو أدنى، لم يجاوز مقام العبودية، وكان هو ونبى الله يونس بن متى صلى الله عليه وسلم إذا التقمه الحوت وذهب به إلى البحار يشقها حتى انتهى به إلى قرار البحر، في مباينة الله تعالى خلقه وعدم الجهة والتحيز والحد والاحاطة سواء. وقد ذهب به مسيرة سنة آلاف سنة ذكره الامام البيهقي وغيره. وإذا علمت ذلك فالمارد بترقيه صلى الله عليه وسلم وقطع هذه المسافات إظهار مكانته عند أهل

[١١٧]

السموات وأنه أفضل المخلوقات. ويقوي هذا المراد بكونه أركبه البراق ونصب له المعراج وجعله إماما للنبين والملائكة، مع أنه تعالى قادر على أن يرفعه بدون البراق والمعراج. ويقال لأصحاب الجهة: إنما منعكم من اعتقاد الحق استبعادكم موجودا إلا في جهة، فأخبرونا عن العرش والفوق هل ذلك قديم؟ أو محدث؟ فإن قالوا قديما جاهرنا بقدم العالم وأدى ذلك إلى محالين: أحدهما أن يكون مع البارئ تعالى في الازل غيره، والقديمان ليس أحدهما بأن يكون مكانا للثاني بأولى من الآخر. ثانيهما أن الجهة والمكان إما أن يكونا جسمين، وهذا يؤدي إلى جواز وجود الاجساد كلها، وهو قول من قال يقدم العالم، نعوذ بالله من ذلك. وإن قالوا: محدث، قل فقد صدقتم بأن الرب تعالى كان موجودا أولا ولا جهة، والمستحيل (لا) ينقلب جائزا أو واجبا لان الحادث لا يحتاج إليه القديم، فإنه قبل كونه كان مستغنيا عنه، وهو على استغنائه عنه لم يزل وكذلك لا يزال، ومحال أن يكون خالق الكل مفتقرا إلى بعض مخلوقاته. وما ورد من الاستواء والنزول وغير ذلك من الصفات التي يشكل إجراؤها على ظاهرها، تؤمن به ونكل علم معناه إلى الله تعالى، ولا نشبهه تعالى بخلقه ولا ننفي الصفات التي أثبتتها لنفسه وأثبتها له رسول الله صلى الله عليه وسلم (١). التنبيه التاسع والعشرون: نقل ابن دحية عن ابن حبيب، والحافظ عن ابن النمير عن ابن حبيب وأقره: أن بين السماء والأرض بحرا يسمى المكفوف تكون بحار الدنيا بالنسبة إليه كالقطرة من المحيط، فعلى هذا يكون ذلك البحر انغلاقا لنبينا صلى الله عليه وسلم فهو أعظم من انغلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام. التنبيه الثلاثون: في قدر ما بين السماء والأرض: روى الامام أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه، وابن خزيمة في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (اتدرون كم بين السماء والأرض)؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: (بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر من أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك ثمانية أو عال (٢) بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء وفوق ظهورهن العرش وبين أعلاه وأسفله كما

بين السماء والارض ثم الله تعالى فوق ذلك. وروى إسحق بن راهويه
والبزار بسند صحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: (ما بين السماء والارض خمسمائة عام وغلظ
كل سماء خمسمائة عام

(١) سقط في أ. (٢) ثمانية أو عال: أي ملائكة على صورة الاعداء. انظر النهاية لابن
الاثير ٥ / ٢٠٧. (*)

[١١٨]

كذلك إلى السماء السابعة، والارضون مثل ذلك. وما بين السماء
السابعة إلى العرش مثل جميع ذلك (١). وروى ابن جرير وابن
المنير عن ابن مسعود وناس من الصحابة رضي الله عنهم قالوا: إن
الله عز وجل كان عرشه على الماء لم يخلق شيئاً غير ما خلق، فلما
أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسمما
عليه فسماه سماء، ثم أبيض الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فتقها
فجعلها سبع أرضين في يومين: الأحد والاثنين، فخلق الارض على
الحوث، وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله (ن والقلم وما يسطرون)،
والحوث في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك
والملك على صخرة والصخرة على الريح، وهي الصخرة التي ذكر
لقمان ليست في السماء ولا في الارض، فتحرك الحوث فاضطرب
فتزلزلت الارض فأرسي عليها الجبال فقرت وخلق الجبال فيها وأقوات
أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين: الثلاثاء والاربعاء، ثم
استوى إلى السماء وهي دخان، والدخان من تنفس الماء حين
تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات في
يومين: الخميس والجمعة وإنما سمي الجمعة لانه جميع فيه خلق
السموات والارض وأوحى في كل سماء أمرها أي خلق خلقها من
الملائكة والخلق الذي فيهما من البحار والجبال والبرد وما لا يعلم، ثم
زين السماء الدنيا بالكواكب، فجعلها زينة وحفظاً من الشياطين.
وروى ابن أبي حاتم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: (إن الله
تعالى على عرشه وعرشه على سمواته، وسمواته على أرضه
هكذا)، وقال بأصبغه: (مثل القبة) وروى ابن حاتم عن القاسم بن
أبي بزة - بالزاي المعجمة - قال: (ليس السماء مربعة ولكنها مقبوة
يراها الناس خضراء) وروى ابن راهويه والطبراني في الاوسط، وابن
المنذر، وابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس قال: (السماء ا لدنيا موج
مكفوف والسماء ا لثانية زمردة بيضاء والثالثة حديد والرابعة نحاس
والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء)، زاد ابن
أبي حاتم: (وما فوق ذلك صحاري من نور، ولا يعلم ما فوق ذلك إلا
الله تعالى وملك هو موكل بالحجب يقال له ميطاطروس). وروى أبو
الشيخ وابن أبي حاتم عن كعب قال: (السماء أشد بياضا من اللبن
واخضرت من خضرة جبل قاف). شرح الغريب (الموج) - بميم فواو
فجيم - ما ارتفع من فوران الماء. (المكفوف) - بميم

(١) ذكره السيوطي في الدر ١ / ٤٣ وعزاه لاسحاق بن راهويه في مسنده والبزار
وأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي. (*)

[١١٩]

فكاف بفاءين بينهما واو - المحبوس. التنبيه الحادي والثلاثون:
استفتاح جبريل باب السماء يحتمل أن يكون بقرع أو صوت. قال

الحافظ: (والاشبه الاول لانه صوت معروف). قلت: في حديث ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه: (فقرع الباب). قال ابن دحية: وفي استفتاح جبريل لآبواب السماء دليل على أنه صادف آبوابها مغلقة، وإنما لم تهيا للنبي صلى الله عليه وسلم بالفتح قبل مجيئه، وإن كان أبلغ في الاكرام، لانه لو رآها مفتحة لظن أنها لا تزال كذلك، ففعل ذلك ليعلم أن ذلك فعل من أجله، وأن الله تعالى أراد أن يطلعه على كونه معروفا عند أهل السموات، وقول أمين الوحي لما قيل له: من هذا؟ (جبريل): سمي نفسه لئلا يلتبس بغيره ولا يحتاج إلى موقف للمراجعة في المرة، فإنه معهود عندهم نزوله وصعوده ولذلك قدم اسمه لانه الرسول بإحضار النبي صلى الله عليه وسلم. واستنبت ابن دحية وتبعه ابن المنير من قول الملك: (مرحبا) إلى آخره، جواز رد السلام بغير لفظه. وتعقبا بأن قول الملك: مرحبا، ليس رد السلام، فإنه كان قبل أن يفتح الباب، والسياق يرشد إليه. وقد نبه على ذلك ابن أبي حمزة. ووقع في رواية أن جبريل قال له عند كل نبي: (سلم عليه)، فرد عليه السلام. التنبيه الثاني والثلاثون: ينبغي للمستأذن إذا قيل له هذا أن يسمي نفسه فيقول: محمد الشامي مثلا، ولا يقتصر على قوله: محمد، مثلا، لان المسمى بمحمد كثير، فيشتبه عليه، ولا يقول: (أنا) فإن جبريل ههنا لم يقل: (أنا)، بل سمي نفسه، ولم يرد أن أحدا من الملائكة سمي جبريل غير أمين الله تعالى على وحيه. وأنكر النبي صلى الله عليه وسلم على الذي استأذن عليه فقال: (من هذا؟) فجعل يقول: (أنا) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أنا أنا إنكارا لذلك (١). وكرهت هذه اللفظة لوجهين: أحدهما أن فيها إشعارا بالعظمة. وفي الكلام السائر أول من قال: أنا إبليس فشقي حيث قال: (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) (الاعراف: ١٢)، وتعس فرعون حيث قال (أنا ربكم الاعلى) (الزمر: ٢٤) والثاني أنها مبهمه لافتقار الضمير إلى العود، فهي غير كافية في البيان، والضمير إذا عاد وتعين مضمرة كان أعرف المعارف، والمستأذن محجوب عن المستأذن عليه غير متعين عنده فكأنه أحاله على جهالة. التنبيه الثالث والثلاثون: قول الخازن: (وقد بعث إليه؟) أراد الاستفهام فحذف الهمزة للعلم بها أي: (أو قد بعث إليه؟) قال العلماء: ليس هذا الاستفهام عن البعث الذي هو الرسالة لانه كان مشهورا في الملكوت الاعلى، بل البعث للمعراج، وقيل: بل سألوا تعجبا من

(١) أخرجه البخاري ١١ / ٣٧ (٦٢٥٠). (*)

[١٢٠]

نعمة الله تعالى بذلك أو استبشارا به، وقد علموا أن بشرا لا يترقى هذا الترقى إلا بإذن الله تعالى وأن جبريل لا يصعد بمن لا يرسل إليه. وقول الخازن: (من معك؟) يشعر أنهم أحسوا معه برفيق وإلا لكان السؤال: (أمعك أحد؟) وذلك الاحساس إما بمشاهدة لكون السماء شفافة، وإما لامر معنوي بزيادة أنوار، ولزم من البعث إليه صلى الله عليه وسلم الاذن في إزالة الموانع وفتح آبواب السماء. ولم يتوقف الخازن على أن يوحى إليه بالفتح، لانه لزم عنده من البعث الاذن، وفي قول الخازن: (مرحبا به) إلى آخره ما يدل على أن الخاشية إذا فهموا من سيدهم عزا لآكرام وافد أن يبشروه بذلك وإن لم يأذن لهم فيه، ولا يكون في ذلك إفشاء للسِر، لان الخازن أعلم النبي صلى الله عليه وسلم حال استدعائه أنه استدعاء إكرام وإعظام، فعجل بالبشرى والفراسة الصادقة عند أهلها وفي محلها يحصل (بها) العلم كما يحصله الوحي، ولم يخاطبه الخازن بصيغة الخطاب فيقول: (مرحبا بك) وإنما أراد التحية بصيغة الغيبة، والسِر في ذلك أنه حياه قبل أن يفتح الباب وقبل أن يصدر من النبي صلى الله عليه

وسلم خطاب، ولهذا قال الملك لجبريل: (ومن معك ؟) فخاطبه بصيغة الخطاب، لان جبريل خاطب الملك، فارتفع حكم الغيبة بالتخاطب من الجانبين، ويجوز أن يكون حياه بغير صيغة الخطاب تعظيما له لان هاء الغيبة ربما كانت أفخم من كاف الخطاب. التنبيه الرابع والثلاثون: قول جبريل حين سئل: (من معه) فقال: (محمد)، دليل على أن الاسم أرفع من الكنية لانه أخبر باسمه ولم يخبر بكنيته، وهو عليه الصلاة والسلام مشهور في العالمين العلوي والسفلي، فلو ك انت الكنية أشرف من الاسم لاخبر بها. التنبيه الخامس والثلاثون: قال ابن أبي حمزة: (استفهام الملائكة): (وقد أرسل إليه ؟) دليل على أن أهل العالم العلوي يعرفون رسالته ومكانته لانهم سألوا عن وقتها: هل جاء ؟ لا عنها، ولذلك أجابوا بقولهم: (مرحبا ونعم المجرئ جاء) وكلامهم بهذه الصيغة أدل دليل على ما ذكرناه من معرفتهم بجلالة مكانته وتحقيق رسالته لان هذا أجل ما يكون من حسن الخطاب، والترفع على المعروف من عادة العرب. وقد قال العلماء في معنى قوله تعالى: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) (النجم: ١٨) إنه رأى صورة ذاته المباركة في الملكوت فإذا هو عروس المملكة). التنبيه السادس والثلاثون: وقع في رواية أنس ومن رواية أبي ذر رضي الله عنهما: (قلت لجبريل: من هذا ؟ قال: أبوك آدم). وظاهره أنه سأل عنه بعد أن قال له آدم: (مرحبا). ورواية مالك بن صعصعة يعكس ذلك، وهي المعتمدة، فتحمل هذه عليها، وليس في رواية أبي ذر ترتيب، وفي قول آدم: (مرحبا بالابن الصالح)، إشارة إلى افتخاره بأبوته للنبي صلى الله عليه وسلم.

[١٦١]

وظاهر قوله في رواية آدم: (تعرض عليه أرواح ذريته) إلى آخره أن أرواح بني آدم من أهل الجنة والنار في السماء. قال القاضي: (وهو مشكل، فقد جاء أن أرواح المؤمنين منعمة في الجنة وأن أرواح الكفار في سجين، فكيف تكون مجتمعة في السماء ؟ وأجاب بأنه يحتمل أنها تعرض أوقاتا فصادف وقت عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم، ويدل على أن ك ونهم في النار في أوقات دون أوقات قوله تعالى: (النار، يعرضون عليها غدوا وعشيا)، (غافر: ٣) واعترض بأن أرواح الكفار لا تفتح لهم أبواب السماء كما هو نص القرآن، والجواب ما أبداه القاضي احتمالا أن الجنة كانت في جهة يمين آدم والنار كانت في جهة شماله وكان يكشف له عنهما. وقال الحافظ: (ويحتمل أن النسمة المرئية هي التي لم تدخل الاجساد بعد وهي مخلوقة قبل الاجساد ومستقرها عن يمين آدم وشماله، وقد أعلم بما سيصرون إليه فلذلك كان يستبشر إذا نظر إلى من على يمينه ويحزم إذا نظر إلى من على يساره، بخلاف التي في الاجساد فليست مرادة قطعا وبخلاف التي نقلت من الاجساد إلى مستقرها من الجنة أو النار فليست مرادة أيضا فيما يظهر، وبهذا يندفع الايراد، ويعرف أن قوله: (نسم بنيه) عام مخصوص أو أريد به الخصوص). انتهى. وقال في الفتح في باب المعراج: (وظهر لي الآن احتمال آخر وهو أن يكون المراد من (خرجت من الاجساد لا أنها مستقرة ولا يلزم من رؤية إدم لها وهو في السماء الدنيا أن تفتح لها أبواب السماء ولا أن تلجها، ويؤيد هذا ما رواه ابن إسحاق: فإذا أنا بآدم تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول: روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول: روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين. وفي حديث أبي هريرة: فإذا عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة، فهذا لو صح لكان المصير إليه أولى من جميع ما تقدم ولكن سنده ضعيف وظاهرها عدم اللزوم المتقدم) انتهى. وقال السهيلي: (فإن قيل كيف رأى عن يمينه أصحاب اليمين ؟ ولم يكن إذا ذاك منهم إلا نفر قليل، ولعله لم يكن مات تلك الليلة منهم أحد، وظاهر الحديث يقتضي أنهم كانوا جماعة، والجواب أن يقال: إن كان الاسراء رؤيا

بقلبه فتأويلها أن ذلك سيكون وإن كانت رؤيا عين فمعناها أن أرواح المؤمنين رآها هنالك لأن الله يتوفى الخلق في منامهم كما قال في التنزيل (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى إلى أجل مسمى) (الزمر: ٤٢) (فصعد بالارواح إلى هنالك ثم أعيدت إلى أجسادها). وقال ابن دحية: (فإن قيل: كيف تكون نسمة السعداء كلهم في السماء، وقد كان حين الاسراء جماعة من الصحابة رضي الله عنهم في الارض وهم من السعداء؟ فالجواب: أن آدم

[١٢٢]

إنما رآهم في مواضعهم ومقارهم في الارض، ولكنه يراهم من الجانب الايمن فالتقييد للنظر لا للمنظور). وفي قول جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: (هذا أبوك آدم فسلم عليه) ما يقتضي أن القادم يبدأ بالسلام على المقيم. التنبيه السابع والثلاثون: وقع في رواية شريك: (فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان - أي جريان - النيل والفرات، ويجمع منصرفهما) - أي أصلهما. وظاهر هذا يخالف حديث مالك بن صعصعة فإن فيه بعد ذكر سدرة المنتهى: (فإذا أصلها أربعة)، فذكر منها النيل والفرات، ويجمع بينهما بأن أصل منبعمها من تحت سدرة المنتهى ومقرهما في السماء الدنيا ومنها ينزلان إلى الارض. التنبيه الثامن والثلاثون: وقع في رواية شريك أيضا: (ثم مضى النبي صلى الله عليه وسلم في السماء الدنيا فإذا هو بنهر آخر عليه قصور من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فيه فإذا طينه مسك أذفر فقال: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا الكوثر الذي خبا لك ربك، وهذا مما استشكل في رواية شريك، فإن الكوثر في الجنة وإن الجنة في السماء السابعة. وقد روى الامام أحمد عن طريق حميد الطويل عن أنس، رفة: (دخلت الجنة فإذا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي في مجرى مائه فإذا هو مسك أذفر). فقال جبريل: (هذا الكوثر الذي أعطاك الله تعالى " وأصل هذا الحديث عند البخاري بنحوه، وأخرجه في التفسير عن قتادة عن أنس رضي الله عنه، ولكن ليس فيه ذكر الجنة. ورواه أبو داود من طريق سليمان التيمي عن قتادة ولفظه: " لما عرج بنبي الله صلى الله عليه وسلم عرض له في الجنة نهر "، قال الحافظ: ويمكن أن يكون في هذا الموضوع شئ تقديره: ثم مضى به في السماء الدنيا إلى السماء (السابعة) فإذا هو بنهر، قال تلميذه الحافظ قطب الدين الخبزي في الخصائص: " وهذا بعيد إذ بينه وبين السماء السابعة خمس سماوات أخرى وكل منها له صفة خلاف صفة الأخرى ولها أبواب وخدام غير الأخرى، فإطلاق المسير إليها وذكرها منها له صفة خلاف صفة الأخرى ولها أبواب وخدام غير الأخرى، فإطلاق المسير إليها وذكرها بعد السادسة مما يعده أيضا، ولكن يقال من غير استبعاد: إن أصل النهر - الذي هو الكوثر - في الجنة، وجعل الله تعالى منه فرعا في السماء الدنيا عجل لنبيه صلى الله عليه وسلم رؤيته استبشارا لأنها أول المراتب العلوية، ويؤيد هذا قول جبريل: " خبا لك ربك ". انتهى. التنبيه التاسع والثلاثون: في قول آدم: " مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح "، ثناء جميل جليل للنبي صلى الله عليه وسلم، ووصفه بالصلاح مكررا مع النبوة، أي صالح مع النبيين جميعا، وفيه تنويه بفضيلة الصلاح وعلو درجته، ولهذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم. قال بعضهم: وصلاح الأنبياء صلاح خاص لا يتناول عموم الصالحين. واحتج على ذلك بأنه قد تمين كثير من الأنبياء أن يلحق بالصالحين، ولا يتمنى الأعلى أن يلحق بالأدنى، ولا خلاف في أن النبوة أعلى من

[١٢٢]

صلاح الصالحين من الأمم، وبهذا تحقق أن الصلاح المضاف إلى الأنبياء غير الصلاح المضاف إلى الأمم، فصلاح الأنبياء صلاح كامل لأنه يزول بهم كل فساد، فلهم كل صلاح ومن دونهم الأمثل فالأمثل، فكل واحد يستحق اسم الصلاح على قدر ما زال به أو منه من الفساد، واقتصر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم على وصفه صلى الله عليه وسلم بالصلاح وتواردوا على ذلك لأن الصلاح يشمل خصال الخير، ولذلك كررها كل منهم عند وصفه. والصلاح هو الذي يقوم بما يلزمه من حقوق الله تعالى وحقوق العباد، فمن ثم كانت كلمة جامعة مانعة شاملة لسائر الخصال المحمودة ولم يقل له أحد: مرحبا بالنيبي الصادق ولا بالنيبي الأمين لما ذكرنا من أن الصلاح شامل لسائر أنواع الخير. التنبيه الأربعة: إنما رأى أكلة الربا منتفخة بطونهم لأن العقوبة مشاكلة للذنب، فأكل الربا يربو بطنه كما أراد أن يربو ماله بأكل ما حرم عليه فمحققت البركة من ماله وجعلت نفخا في بطنه حتى يقوم (كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس). وإنما جعلوا بطريق آل فرعون يمرّون عليهم غدوا وعشيا، لأن آل فرعون هم أشد الناس عذابا فضلا عن غيرهم من الكفار، وهم لا يستطيعون القيام. ومعنى كونهم في طريق جهنم بحيث يمر بالكفار عليهم أن الله سبحانه وتعالى قد أوقف أمرهم بين أن ينتهوا فيكون خيرا لهم وبين أن يعوّدوا ويصروا فيدخلهم النار، وهذه صفة من هو في طريق النار، قال الله تعالى: (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) البقرة: ٢٥٧) وفي بعض الأحاديث أنه رأى بطونهم كالبيوت يعني أكلة الربا، وفيها حيات ترى من خارج البتون. التنبيه الحادي والأربعة: فإن قيل: هذه الأحوال التي ذكرها عن أكلة الربا، إن كانت عبارة عن حالهم في الآخرة، فأل فرعون قد أدخلوا أشد العذاب وإنما يعرضون على النار غدوا وعشيا في البرزخ، وإن كانت الحال التي رأهم عليها فأى بطون لهم وقد صاروا عظاما ورفاتا ومزقوا كل ممزق؟ فالجواب أنه إنما رأهم عليها فأى بطون لهم وقد صاروا عظاما ورفاتا ومزقوا كل ممزق؟ فالجواب أنه إنما رأهم في البرزخ، وهذه الحال هي حال أرواحهم بعد الموت. وفيها تصحيح لمن قال: الأراج أحساد لطيف قابلة للنعيم والعذاب، فخلق الله تعالى في تلك الأرواح من الآلام ما يجده من انتفخ بطنه حتى وطئ بالأقدام ولا يستطيع معه قياما. وليس في هذا دليل على أنهم أشد عذابا من آل فرعون، ولكن فيه دليل على أنه يطؤون آل فرعون وغيرهم من الكفار الذين لم يأكلوا الربا، ما داموا في البرزخ إلى أن يقوموا يوم القيامة كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، ثم ينادي منادي الله تعالى (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) (غافر: ٤٦). وكذلك ما رأى من النساء المعلقات

[١٢٤]

بتدبيرهن يجوز أن يكون رأى أرواحهن وقد خلق من الآلام ما يجده من هذه حاله، ويحتمل أيضا أن يكون مثلت له حالهن في الآخرة. التنبيه الثاني والأربعة: ذكره لإدريس في السماء الرابعة مع قوله تعالى: (ورفعناه مكانا عليا) (مريم: ٥٧)، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهما في مكان أعلي من مكان إدريس، فذلك - والله تعالى أعلم - لما ذكر عن كعب الأحبار أن إدريس خص من بين جميع الأنبياء بأنه رفع قبل وفاته إلى السماء الرابع، رفعه ملك كان صديقا له وهو الملك الموكل بالشمس. وكان إدريس سأل أن يريه الجنة فأذن له الله في ذلك، فلما كان في السماء الرابعة رآه هناك ملك الموت فعجب وقال: أمرت أن أقبض روح إدريس الساعة في السماء الرابعة فقبضه هناك، فرفعه حيا إلى ذلك المكان العلي الذي خص به دون سائر الأنبياء، قاله السهيلي. وتقدم الكلام في النسب النبوي على قوله: " مرحبا بالأخ الصالح ". التنبيه الثالث والأربعة: قال العلماء: " لم يكن بكاء موسى حسدا، معاذ الله، فإن

الحسد في ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين، فكيف بمن اصطفاهم الله تعالى، بل كان أسفا على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم والمستلزمة لتنقيص أجره، لأن لكل نبي أجر من تبعه، ولهذا كان من اتبعه في العدد دون من اتبع نبيا صلى الله عليه وسلم مع طول مدتهم بالنسبة لمدة هذه الأمة. وقال ابن أبي حمزة: " قد جعل الله تعالى في قلوب أنبيائه عليهم الصلاة والسلام الرحمة والرافة لأمتهم، وقد بكى النبي صلى الله عليه وسلم، فسئل عن بكائه فقال: " هذه رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء " (١). والأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أخذوا من رحمة الله تعالى أوفر نصيب، فكانت الرحمة في قلوبهم لعباد الله أكثر من غيرهم. فلأجل ما كان لموسى عليه الصلاة والسلام من الرحمة واللفظ بكى إذا ذك رحمة منه لأمته لأن هذا وقت إفضال وجود وكرم. فرجا لعله يكون وقت القبول والإفضال فيرحم الله تعالى أمته ببركة هذه الساعة. فإن قيل: كيف يكون هذا وأمته لا تخلو من قسمين: قسم مات على الإيمان، قسم مات على الكفر فالذي مات على الإيمان لا بد له من دخول الجنة والذي مات على الكفر لا يدخل الجنة أبدا، فيكاؤه لأجل ما ذكرتم لا يسوغ إذ أن الحكم فيه قد مر ونفذ. قيل في الجواب: وكذلك قدر الله عز وجل قدره على قسمين، كما شاءت حكمته، فقدر قدرا أن ينفذ على كل الأحوال وقدر قدرا ألا ينفذ، ويكون وقوعه بسبب دعاء أو صدقة أو غير ذلك

(١) أخرجه البخاري ٢ / ١٠٠ ومسلم في كتاب الجنائز (١١). (*)

[١٢٥]

ومثاله دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوات الثلاث لأمته وهي: ألا يظهر عليهم عدو من غيرهم، وألا يهلكهم بالسنين، فأعطيهما ودعا بألا يجعل بأسهم بينهم، فاستجيب في الاثنين ولم يتسجب له في الثالثة، وقيل له: هذا أمر قدرته أي أنفذه (١)، فكانت الاثنتان من القدر الذي قدره الله تعالى وقدر ألا ينفذه بسبب الدعاء وكانت دعوته الثالثة من القدر الذي قدره الله تعالى وقدر إنفاذه على كل الأحوال لا يردده راد. وسيأتي لهذا مزيد إيضاح. " فلأجل ما ركب في موسى عليه الصلاة والسلام من اللطف والرحمة بالأمة طمع لعل أن يكون ما اتفق لأمته من القدر الذي قدره الله تعالى وقدر ارتفاعه بسبب الدعاء والتضرع. وهذا وقت يرجى فيه التعطف والإحسان من الله تعالى لأنه وقد أسرى فيه بالحبيب ليخلع عليه خلع القرب والفضل العميم، فطمع الكليم لعل أن يلحق لأمته نصيبا ". وبوجه آخر وهو البشارة للنبي صلى الله عليه وسلم وإدخال السرور عليه يشهد لذلك بكأؤه حين ولى النبي صلى الله عليه وسلم وقبل أن يبعد عند لكي يسمعه، لأنه لو كان البكاء خاصا بموسى لم يكن ليبيكي حتى يبعد عنه النبي صلى الله عليه وسلم فلا يسمعه لأن البكاء والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع، فيه شئ من التهوين عليه. فلما أن كان المراد بذلك ما يصدر عن البشارة له صلى الله عليه وسلم بسبب البكاء بكى والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع، والبشارة التي يتضمنها البكاء هي قول موسى عليه الصلاة والسلام للذي هو أكثر الأنبياء اتباعا: " إن الذي يدخل الجنة من أمة محمد أكثر ممن يدخلها من أمتي ". وقد وقع من موسى عليه السلام من العناية بهذه الأمة في أمر الصلاة ما لم يقع لغيره ووقعت الإشارة لذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، موفوعا: (كان موسى أشيدهم علي حين مرت به وخيرهم حين رجعت إليه). وفي حديث أبي سعيد: فأقبلت راجعا فمررت بموسى

ونعم الصاحب كان لكم). التنبيه الرابع والاربعون: قول موسى عليه الصلاة والسلام: (لان غلاما...) ليس على سبيل النقص بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه، إذ أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك السن ما لم يعطه أحدا قبله ممن هو أسن منه. وقال الخطابي: العرب تسمى الرجل المستجمع السن: غلاما ما دامت فيه بقية من القوة (في الكهولة) وقال ابن أبي جمرة: العرب إنما يطلقون على المرء غلاما إذا كان سيذا فيهم. فلاجل ما في هذا اللفظ من الاختصاص على غيره من ألقاب الافضلية ذكره موسى دون غيره تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم. قال الحافظ: ويظهر أن موسى عليه السلام أشار إلى ما أنعم الله

(١) أخرجه مسلم ٤ / ٢٣١٦ (٣٠ - ٣٨٩٠). (*)

[١٣٦]

به على نبينا عليه السلام من استمرار القوة في الكهولة إلى أن دخل في سن الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا عرا قوته نقص، حتى أن الناس لما رأوه مردفا أبا بكر عند قومه المدينة أطلقوا عليه اسم الشاب وعلى أبي بكر اسم الشيخ مع كونه عليه السلام في العمر أسن من أبي بكر. التنبيه الخامس والاربعون: قول موسى: (رب لم أظن أن ترفع علي أحدا - بفتح المثناة الفوقية و (أحدا) بالنصب، ورواته في الصحيح بضم المثناة التحتية و (أحد) بالرفع. قال ابن بطال: فهم موسى عليه الصلاة والسلام من اختصاصه بكلام الله تعالى في الدنيا دون غيره من البشر لقوله تعالى: (إنني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي) (الاعراف: ١٤٤) أن المراد بالناس هنا البشر كلهم، وأنه استحق بذلك ألا يرفع عليه أحد، فلما فضل الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام من المقام المحمود وغيره ارتفع على موسى وغيره بذلك. التنبيه السادس والاربعون: قال ابن أبي جمرة: الظاهر أن القائل لموسى: (ما أبكاك) ؟ هو البارئ تبارك وتعالى، يدل على ذلك قوله في الجواب: (رب هذام غلام بعثته من بعدي، يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي)). التنبيه السابع والاربعون: أكثر الروايات على أن موسى عليه الصلاة والسلام في السماء السابعة بتفضيل الله تعالى، هذا مطابق لقوله تعالى: (إنني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي) وهذا يدل على أن شريكا ضبط كون موسى في السابعة، وحديث أبي ذر يوافقه فإن فيه (فيما رواه ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك قال: (فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم) ولم يثبت منازلهم، غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة). فإن قلنا بالتعدد فلا إشكال ومع عدمه فقد يجمع بأن موسى كان حالة العروج في السماء السادسة وإبراهيم في السماء السابعة على ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط كان موسى في السابعة، لانه لم يذكر في القصة أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كلمه في شئ مما يتعلق بما فرض على أمته من الصلاة كما كلمه موسى عليه السلام والسماء السابعة هي أول شئ انتهى إليه حالة الهبوط، فناسب أن يكون لقي موسى في السادسة فأصعد معه إلى السماء السابعة تفضيلا له على غيره من أجل كلام الله تعالى وظهرت فائدة ذلك في كلامه مع نبينا فيما يتعلق بأمر أمته في الصلاة. التنبيه الثامن والاربعون: وقع في رواية شريك عن أنس رضي الله عنه أن كل سماء فيها أنبياء قد سماهم (فوعيت منهم إدريس في السماء الثانية وهارون في السماء الرابعة وآخر

في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة وموسى في السابعة). وفي رواية أنس عن أبي ذر رضي الله عنهما قال: (فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم)، ولم يثبت منازلهم، غير أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة). انتهى. وهذا موافق لرواية شريك في إبراهيم، وهما مخالفان لرواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة، والاكثر وافقوه، وسياقه يدل على رجحان روايته، فإنه ضبط اسم كل نبي والسماء التي هو فيها، ووافقه ثابت البناني عن أنس، كما هو عند مسلم فقال في روايته: (ثم سعد بي حتى أتى السماء الثانية وفيها فإذا بيحيى وعيسى وهما ابنا خالة)، وذكر في الثالثة يوسف وفي الرابعة إدريس وفي الخامسة هارون وفي السادسة موسى وفي السابعة إبراهيم، وفي سياق الزهري في روايته عن أنس عن أبي ذر أنه لم يثبت أسماءهم، وسياق شريك فيه أنه لم يضبط منازلهم. ولا شك أن رواية من ضبط أولى، ولا سيما مع اتفاق قتادة وثابت وقد وافقهما يزيد بن أبي مالك عن أنس إلا أنه خالف في إدريس وهارون، فقال: هارون في الرابعة وإدريس في الخامسة، ووافقهم أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، في رواية إلا أنه قال: (رأى يوسف في الثانية وعيسى ويحيى في الثالثة). قلت: والاول أثبت، وأما إبراهيم فالارجح من الروايات أنه في السماء السابعة لقوله فيها: إنه رآه مسندا ظهره إلى البيت المعمور، وهو في السابعة بلا خلاف. وأما ما جاء عن علي رضي الله عنه أن البيت المعمور في السماء السادسة عند شجرة طوبى فإن ثبت حمل على البيت الذي في السادسة بجانب شجرة طوبى لانه جاء عنه أن في كل سماء بيتا يحاذي الكعبة وكل منها معمور بالملائكة، وكذا القول فيما جاء عن الربيع بن أنس وغيره أن البيت المعمور في السماء. التنبيه التاسع والاربعون: اختلفت طرق المتكلمين على حديث الاسراء في ذكر من ذكر من الانبياء وترتيبهم في السموات، فمن العلماء من لم ير الكلام على سر ذلك أصلا، ومنهم من تكلم فيه، ثم اختلف هؤلاء، فمنهم من قال: اخص من ذكر من الانبياء بقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على عرف الناس إذا تلقوا الغائب مبتدرين للقاءه، فلا بد غالبا أن يسبق بعضهم بعضا، ويصادف بعضهم اللقاء ولا يصادف بعضهم وإلى هذا جنح ابن بطال وهذا زيقة السهيلي فأصاب. وذهب غير ابن بطال إلى أن ذلك تنبيه على الحالات الخاصة بهؤلاء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتمثيل لما سيقع للنبي صلى الله عليه وسلم مما اتفق لهم مما قصه الله تعالى عنهم في كتابه. والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الحسن ويستدل على حسن

العاقبة وبالصد من ذلك. والفأل في اليقظة نظير الرؤيا في المنام. وأهل التعبير يقولون من رأى نبيا من الانبياء بعينه في المنام فإن رؤياه تؤذن بما يشبهه من حال ذلك النبي من شدة أو رخاء أو غير ذلك من الامور التي أخبر بها عن الانبياء في القرآن والحديث. قال ابن أبي جمرة: (الحكمة في كون آدم في السماء الدنيا لانه أول الانبياء وأول الالاء فهو أصل فكان الاول في الاولى، ولاجل تأنيس النبوة بالابوة) وقال السهيلي رحمه الله: (فآدم وقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة إلى الارض بما سيقع للنبي صلى الله عليه وسلم من الهجرة إلى المدينة، والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما لقيه في الوطن، ثم كان لكل منهما أن يرجع إلى وطنه الذي خرج منه). وقال ابن دحية: (إن في ذلك تنبيها على أنه يقوم مقامه في مبدأ الهجرة لان مقام آدم التهيئة والنشأة

وعمارة الدنيا بأولاده، وكذا كان مقام المصطفى أول سنة من الهجرة مقام تنشئة الاسلام وتربية أهله واتخاذ الانصار لعماراة الارض كلها بهذا الدين الذي أظهره الله على الدين كله، وزوى الارض لنبيه حتى أراه مشارقها ومغاربها، فقال صلى الله عليه وسلم: (وليلغن ملك أمتي ما زوي لي منها). واتفق ذلك في زمن هشام بن عبد الملك حتى جئ إليه خراج الارض شرقا وغربا، وكان إذا نشأت سحابة يقول: (أمطري حيث شئت فسيصل إلي خراجك). ثم رأى في السماء الثانية عيسى ويحيى وهما الممتحنان باليهود. أما عيسى فكذبته اليهود وأذته وهموا بقتله فرفعه الله تعالى، وأما يحيى فقتلوه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان. وكان محتته فيها باليهود (آذوه) وظاهروا عليه وهموا بإلقاء الصخرة عليه ليقتلوه فجاه الله تعالى كما نجى عيسى منهم ثم سموه في الشاة، فلم تزل تلك الاكلة تعاده حتى قطعت أبهره (كما قال عند الموت). وقال ابن أبي حمزة: لأنها أقرب الانبياء عهدا بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال ابن دحية: كانت حالة عيسى ومقامه معالجة بني إسرائيل والصبر على معاداة اليهود وحيلهم ومكرهم، وطلب عيسى الانتصار عليهم بقوله: (من أنصاري إلى الله) أي مع الله؟ (قال الحواريون نحن أنصار الله) (يوسف: ٩٢) فهذه كانت حالة نبينا صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية من الهجرة، ففيها طلب الانصار للخروج إلى بدر العظمى فأجابوا ونصروا، فلقاؤه لعيسى في السماء الثانية تنبيه على أنه سيلقى مثل حاله ومقامه في السنة الثانية من الهجرة. وأما لقاؤه ليوسف عليه السلام في السماء الثالثة فإنه يؤذن بحالة ثلاثة تشبه حال يوسف بما جرى له مع إخوته الذين أخرجوه من بين أظهرهم ثم ظفر بهم فصفح عنهم وقال: (لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) (يوسف: ٩٢) وكذلك نبينا عليه

[١٢٩]

الصلاة والسلام أخرجهم قومه ثم ظفر بهم في غزوة الفتح فعفا عنهم وقال: (أقول كما قال أخي يوسف: (لا تثريب عليكم)). قال ابن أبي حمزة: لأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة على صورته، زاد ابن أقرص وإشارة إلى جعله على خزائن الارض. وقال ابن دحية: مناسبة لغائه ليوسف في السماء الثالثة أن السنة الثالثة من سني الهجرة اتفقت فيها غزوة أحد وكانت على المسلمين لم يصابوا بنازلة قبلها ولا بعدها مثلها، فإنها كانت وقعة أسف وحزن. وأهل التعبير يقولون: من رأى أحدا اسمه يوسف أذن ذلك من حيث الاشتقاق ومن حيث قصد يوسف عليه السلام بأسف يناله. قال ابن دحية: فإن كان يوسف النبي فالعاقبة حميدة والاخرة خير من الاولى. ومما اتفق في غزوة أحد من المناسبة شيوع قتل المصطفى فناسب ما حصل للمسلمين من الاسف على فقد نبيهم ما حصل ليعقوب من الاسف على يوسف لاعتقاده أنه فقد إلى أن وجد ريحه بعد تناول الامد. ومن المناسبة أيضا بين القستين أن يوسف كيد وألقي في غيابة الحب حتى أنقذه الله تعالى عليد يد من شاء. قال ابن إسحاق: وكتب الحجارة على جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش حتى سقط لجنيه في حفرة كان أبو عامر الفاسق قد حفرها مكيدة للمسلمين، فأخذ علي كرم الله وجهه بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتضنه طلحة حتى قام. قال السهيلي: (ثم لقاؤه لادريس عليه السلام في السماء الرابعة وهو المكان الذي سماه الله (مكانا عليا) (مريم: ٥٧) وإدريس أول من آتاه الله الخط بالقلم فكان ذلك مؤذنا بحال رابعة وهي علو شأنه عليه السلام حتى خافه الملوك وكتب إليهم يدعوهم إلى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ورأى ما رأى من خوف هرقل: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة حتى أصبح يخافه ملك بني الاصفر، (وكتب عنه بالقلم إلى جميع

ملوك الارض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي وملك عمان، ومنهم من هادنه وأهدى إليه وأنحفه كهرقل والمقوقس، ومنهم من تعصى عليه فأظهره الله عليه، فهذا مقام علي وخط بالقلم كنجو ما أوتى إدريس عليه السلام). (ولقاؤه في السماء الخامسة لهارون المحيب في قومه يؤذن بحب قريش وجميع العرب له بعد بغضهم فيه). وقال ابن أبي حمزة: إنما كان هارون في الخامسة لقربه من أخيه موسى، وكان موسى أرفع منه بفضل كلام الله تعالى. وقال ابن دحية ما نال هارون من بني إسرائيل من الازى ثم الانتصار عليهم والايقاع بهم وقصر التوبة فيهم على القتل دون غيره من العقوبات المنحطة عنه، وذلك أن هارون عندما تركه موسى في بني إسرائيل وذهب لموعد

[١٢٠]

المناجاة تفرقوا على هارون وتحزبوا عليه وداروا حول قتله ونقضوا العهد وأخلفوا الموعد واستضعفوا جانبه كما حكى الله تعالى ذلك عنهم وكانت الجناية العظمى التي صدرت منهم عبادة العجل فلم يقبل الله تعالى منهم التوبة إلا بالقتل فقتل في ساعة واحدة سبعون ألفا كان نظير ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم ما لقيه في السنة الخامسة من الهجرة من يهود قريظة والنضير وقينقاع، فإنهم نقضوا العهد وحزبوا الاحزاب وجمعوها وحشدوا وحشروا وأظهروا عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله. وذهب إليهم قبل الوقعة بزمن يسير يستعينهم في دية قتيلين فأظهروا إكرامه وأجلسوه تحت جدار ثم تواعدوا أن يلقوا عليه رحي، فنزل جبريل فأخبره بمكرهم الذي هموا به. فمن حينئذ عزم على حربهم وقتلهم، وفعل الله تعالى ذلك، وقتل قريظة بتحكيمهم سعد بن معاذ، فقتلوا شر قتلة وحاك المكر السيئ بأهله. ونظير استضعاف اليهود لهارون استضعافهم المسلمين في غزوة الخندق كما سيأتي بشط ذلك. ولقاؤه في السماء السادسة لموسى يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أمر بغزو الشام، فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها وأدخل بني إسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم، وكذلك غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك من أرض الشام وظهر على صاحب دومة حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيرا، وافتتح مكة ودخل أصحابه البلد الذي خرجوا منه. وقال ابن دحية: (يؤذن لقاؤه في السادسة بمعالجة قومه فإن موسى ابتلي بمعالجة بني إسرائيل والصبر على أذاهم، وما عالجهم المصطفى في السنة السادسة لم يعالج قبله ولا بعده مثله، ففي هذه السنة افتتح خيبر وفدك وجميع حصون اليهود وكتب الله عليهم الجلاء وضربهم بسوط البلاء وعالج النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السنة كما عالج موسى من قومه، أراد أن يقيم الشريعة في الارض المقدسة وحمل قومه على ذلك فتقاعدوا عنه وقالوا: إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها أبدا حتى يخرجوا منها. وفي الآخر سجلوا بالقنوط فقالوا: إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها، فغضب الله عليهم وحال بينهم وبينها، وأوقعهم في التيه. وكذلك أراد النبي صلى الله عليه وسلم في السنة السادسة أن يدخل بمن معه مكة يقيم بها شريعة الله وسنة إبراهيم، فصدوه فلم يدخلها في هذا العام، فكان لقاؤه لموسى تنبيها على التأسي به وجميل الاثر في السنة القابلة. ثم لقاؤه في السماء السابعة لإبراهيم عليه السلام لحكمتين: إحداهما أنه رآه عند البيت المعمور مسندا ظهره إليه. والبيت المعمور حيال الكعبة وإليه تحج الملائكة، كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة وأذن في الناس بالحج إليها والحكمة الثانية أن آخر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم حجه إلى البيت الحرام وحج معه في ذلك العام نحو من سبعين ألفا (من المسلمين). ورؤية إبراهيم عند أهل التأويل تؤذن بالحج لأنه الداعي إليه والرافع لقواعد (الكعبة المحجوجة).

قال ابن أبي جمرة: (وإنما كان إبراهيم في السماء السابعة لانه الاب
الآخر، فناسب أن يتجدد للنبي صلى الله عليه وسلم بلقائه أنس
لتوجهه بعده إلى عالم آخر، وأيضاً فمنزلة الخليل تقتضي أرفع
المنازل، ومنزلة الحبيب أرفع من منزلته فلذلك ارتفع النبي صلى الله
عليه وسلم عن منزلة إبراهيم إلى قاب قوسين أو أدنى) (١). وقال
ابن دحية: (مناسبة لقائه لإبراهيم عليه السلام في السماء
السابعة أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرة القضاء في
السنة السابعة من الهجرة، ودخل مكة وأصحابه مليون معتمرين
محييا لسنة إبراهيم ومقيما لرسمه الذي كانت الجاهلية أمانت ذكره
وبدلت أمره. وفي بعض الطرق أنه رأى إبراهيم مسندا ظهره إلى
البيت المعمور في السماء السابعة، وذلك - والله أعلم - إشارة إلى
أنه يطوف بالكعبة في السنة السابعة وهي أول دخلة دخل فيها مكة
بعد الهجرة. والكعبة في الأرض قبالة البيت المعمور. وفي قوله صلى
الله عليه وسلم في وصف البيت المعمور: (إذا هو يدخله كل يوم
سبعون / ألفا لا يرجعون إليه إلى آخر الدهر إشارة إلى أنه إذا دخل
البيت الحرام لا يرجع إليه لانه لم يدخله بعد الهجرة إلا عام الفتح
ولم يعاوده في حجة الوداع. التنبيه الخمسون: فإن قيل كيف أم
الانبياء في بيت المقدس وسلم عليهم وعرفهم ثم سأل عنهم ثم
يراهم تلك الليلة في السموات ويسأل عنهم جبريل؟ فإنه لو رآهم
وعرفهم لما احتاج إلى سؤال جبريل عنهم. والجواب أنه لما اجتمع
بهم بيت المقدس وأمهم على الهيئة البشرية تحقق وجودهم في
الأرض، ثم لما وصل إلى الملكوت العلوي لم يجدهم على تلك الحالة
التي شاهدتهم عليها، وإنما هم على صفات روحانية يشكل الله
تعالى لهم أشكالا لائقة بالملكوت العلوي تأنيسا لهم بأصلهم
البشري وتكريما لهم وتعظيما للقدرة الالهية حيث شاهدتهم تلك
الساعة في الأرض ثم رآهم في منازلهم في السماء، فلذلك سأل
عنهم استنباطا لا تعجبا، فإنه عالم أن الله تعالى الذي أضعده إلى
هذا المكان في لحظة قادر على نقلهم إلى السموات في أسرع من
طرفة عين سبحانه وتعالى. التنبيه الحادي والخمسون: استشكل
رؤية الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم في السموات مع أن
أجسادهم مستقرة في قبورهم في الأرض. وأجيب بأن أرواحهم
تشكلت بصور أجسادهم، أو أحضرت أجسادهم لملاقاة النبي صلى
الله عليه وسلم تلك الليلة تشريفا وتكريما ويؤيده حديث عبد الرحمن
بن هاشم عند البيهقي وغيره: (وبعث له آدم فمن دونه من الانبياء).
وقال ابن أبي جمرة: (رؤيته لهؤلاء الانبياء تحتمل وجوها: الاول: أن
يكون عليه السلام عاين كل واحد منهم في قبره في الأرض على
الصورة التي أخبر بها عن الموضع الذي عاينه فيه فيكون الله عز وجل
قد أعطاه من القوة في البصر والبصيرة ما أدرك به ذلك. ويشهد لهذا
الوجه قوله صلى الله عليه وسلم: (رأيت الجنة والنار في عرض
الحائط). وهو محتمل لوجهين أحدهما: أن

يكون صلى الله عليه وسلم رآهما من ذلك الموضع كما يقال رأيت
الهلل من منزلي من الطاق والمراد من موضع الطاق، الوجه الثاني:
أن يكون مثل له صورتها في عرض الحائط، والقدرة صالحة لكليهما.
الثاني: أن يكون صلى الله عليه وسلم عاين أرواحهم هناك في
صورهم. الثالث: أن يكون الله عز وجل لما أراد الاسراء بنينا رفعهم
من قبورهم لتلك المواضع إكراما لنبيه عليه السلام ولا نعلمه نحن،
وإظهارا له عليه الصلاة والسلام القدرة التي لا يغلها شئ ولا تعجز
عن شئ وكل هذه الواجه محتملة ولا ترجيح لاحدهما على الآخر

لان القدرة الصالحة لكلها. وقال ابن القيم في كتاب الروح (الارواح قسمان: أرواح معذبة وأرواح منعمة، فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي. والارواح المنعمة المرسله غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا، فتكون كل روح معها رفيقها الذي هو على مثل عملها. وروح نبينا صلى الله عليه وسلم في الرفيق الاعلى. قال تعالى: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) (النساء: 69) وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء والمرء مع من أحب. ثم ذكر حديث أبي هريرة: (لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم لقي إبراهيم وموسى وعيسى فتذكروا أمر الساعة). الحديث. قال: فهذا نص في تذاكر الارواح العلم، وقد أخبر الله تعالى عن الشهداء أنهم أحياء عند ربهم يرزقون وأنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل هذا يدل على تلاقهم من ثلاثة أوجه: أحدها أنهم أحياء عند الله وإذا كانوا أحياء عند الله فهم يتلاقون. الثاني: أنهم إنما يستبشرون بإخوانهم لقدومهم عليهم ولقائهم لهم. الثالث: أن لفظ يستبشرون يفيد في اللغة أنهم يبشر بعضهم بعضا مثل يتباشرون وقد تواترت المرثي بذلك فذكر عدة منامات. ثم قال: وقد جاءت سنة صريحة بتلاقي الارواح وتعارفها. قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع أنانا الفضيل بن سليمان النميري حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن أبي أنيسة عن جده قال: لما مات بشر بن البراء بن معرور - بمهملات - وجدت أم بشر عليه وحدا شديدا، فقالت: يا رسول الله إنه لا يزال الهالك يهلك من بني سلمة، فهل يتعارف الموتى فأرسل إلى بشر بالسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعم والذي نفسي بيده يا أم بشر، إنهم ليتعارفون كما يتعارف الطير في رؤوس الشجر). وذكر الحديث وأثارا تؤيد ذلك، ثم قال: (والروح ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتخرج وتذهب وتجيئ، وتتحرك وتسكن، وعلى هذا أكثر من مائة دليل قد ذكرناها في كتابنا: معرفة الروح والنفس، وبيننا بطلان ما خالف هذا القول من وجوه كثيرة، وأن من قال

[١٢٣]

غيره لم يعرف نفسه وقد وصفها الله تعالى بالدخول والخروج، والقبض والتوفي والرجوع، وصعودها السماء وفتح أبوابها وغلغلقها عنها، وقد ذكرت آيات وأحاديث كثيرة تشهد بما قاله). ثم قال: (وأما إخباره صلى الله عليه وسلم عن رؤية الانبياء ليلة الاسراء به، فقد زعم بعض أهل الحديث أن الذي رآه أشباحهم وأرواحهم. قال: فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون. وقد رأى المصطفى إبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور ورأى موسى قائما في قبره يصلي، وقد نعت الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لما رآهم بنعت الاشباح). ونازعهم آخرون وقالوا: هذه الرواية إنما هي لارواحهم دون أجسادهم، والاجساد في الارض قطعاً وإنما تبعث يوم تبعث الاجساد، ولا تبعث قبل ذلك، إذ لو بعثت قبل ذلك لكانت قد انشقت عنهم الارض قبل يوم القيامة، وكانت تذوق الموت عند نفخة الصور، وهذه مودة ثالثة وهذا باطل قطعاً، ولو كانت قد بعثت الاجساد من القبور لم يعدهم الله تعالى إليها، بل كانت في الجنة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله إن الله تعالى حرم الجنة على الانبياء حتى يدخلها هو، فهو أول من يستفتح باب الجنة، وأول من تنشق عنه الارض على الاطلاق، ولم تنشق عن أحد قبله، ومعلوم بالضرورة أن جسده صلى الله عليه وسلم في الارض طري. وقد سأله أصحابه: كيف تعرض عليك صلاتنا وقد بليت؟ فقال: (إن الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء) (١) ولو لم يكن جسده في ضريحه طريا لما أجاب بهذا الجواب. وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى وكل بقبوره ملائكة يبلغونه عن أمته السلام، وضح عنه صلى الله

عليه وسلم لما خرج بين أبي بكر وعمر قال: (هكذا نبعث). هذا مع إقطع بأن روحه الكريمة في الرفيق الأعلى في أعلى عليين مع أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. وقد صح أنه رأى موسى عليه السلام قائما يصلي في قبره ليلة الإسراء ورآه في السماء السادسة أو السابعة، فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراق عليه وتعلق به بحيث تصلي في قبره وترد سلام من سلم عليه وهو في الرفيق الأعلى. ولا تنافي بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان، فأنت تجد الروحين المتلائمتين المتناسبتين في غاية التجاور والقرب وإن كان بين بدنيهما غاية البعد، وتجد الروحين المتنافرتين المتباغضتين في غاية البعد وإن كان حسداهما متجاورين متلاصقين، وليس نزول الروح وصعودها، وقرنها وبعدها من جنس ما للبدن فهي تصعد إلى فوق سبع سموات ثم تهبط إلى الأرض ما بين قبضها ووضع الميت في قبره، وهو زمن يسير لا يصعد

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجمعة باب (١) وابن ماجه (١٠٨٥) وأحمد في المسند ٤ / ٨ والبيهقي في السنن ٣ / ٢٤٩ والحاكم في المستدرک ٤ / ٥٦٠ والطبراني في الكبير وابن حبان (٥٥). (*)

[١٣٤]

البدن وينزل في مثله، وكذلك صعودها وعودها إلى البدن في النوم واليقظة. وقد مثلها بعضهم بالشمس في السماء وشعاعها في الأرض. قال شيخنا - يعني أبا إلباس الحراني: وليس هذا مثلا مطابقا فإن نفس الشمس لا تزول من السماء والشعاع الذي على الأرض لا هو الشمس ولا صفتها بل عرض حصل بسبب الشمس والجرم المقابل لها، والروح نفسها تصعد وتنزل ويسط الكلام على ذلك ولهذا مزيد بيان في باب حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره. التنبيه الثاني والخمسون: في الكلام على البيت المعمور: قال أبو عبيدة: معنى المعمور الكثير الغاشية ويسمى الضراح (١) - بضم الصاد المعجمة - ويقال المهملة. قال الزمخشري في ربيع الأبرار وهو غلط صراح، وبالضراح تسميه الملائكة، وسمي به لأنه ضرح عن الأرض أي بعد قال مجاهد: (البيت المعمور وهو الضريح) يعني بالمعجمة وهو في اللغة: البعيد، وأكثر الروايات على أنه في السماء السابعة. وروى ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة) (٢). ورواه الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا أيضا. وروى إسحاق بن راهويه عن علي رضي الله عنه أنه سئل عن البيت المعمور، قال: (بيت الله في السماء السابعة يحيا البيت، وحرمة كحرمة هذا في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه). وفي حديث أبي هريرة عند ابن مردويه والعقيلي وابن أبي حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (في السماء السابعة بيت يقال له البيت المعمور وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان، يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرج عنه سبعون ألف قطرة، يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبدا، ويولي عليه أحدهم ثم يؤمر أن يقف بهم في السماء موقفا يسبحون الله في إلى أن تقوم الساعة) (٣). وإسناده ضعيف. والصحيح أنه ليس بموضوع كما

(١) الضراح بيت في السماء حيال الكعبة ويروي: الضريح وهو البيت المعمور، من المضارحة، وهي المقابلة والمضارعة. انظر النهاية لابن الاثير ٣ / ٨١. (٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١١ / ٤١٧ وأحمد في المسند ٣ / ١٥٣ والحاكم في المستدرک ٣ / ٤٦٨ وذكره السيوطي في الدر ٦ / ١١٧ والمتقي الهندي في الكنز (٣٤٧٩٤). (٣) أخرجه ابن كثير في التفسير ٧ / ٤٠٤ وقال: هذا حديث غريب جدا، تفرد به روح بن جناح هذا، وقد أنكر هذا الحديث عليه جماعة من الحفاظ منهم: الجوزجاني والعقيلي، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيرهم: وقال الحاكم: لا أصل له من حديث أبي هريرة ولا سعيد ولا الزهري. (*)

[١٣٥]

بينته في: (الفوائد المجموعة في بيان الاحاديث الموضوعة). وروي أبو الشيخ من طريق الليث قال: حدثني خالد بن سعيد قال: (بلغني أن إسرافيل مؤذن أهل السماء يسمع تأذينه من في السموات السبع ومن في الارض، إلا الجن والانس، ثم يتقدم عظيم الملائكة فيصلي بهم)، قال: (وبلغنا أن ميكائيل يؤم الملائكة بالبيت المعمور) واستدل بهذه الاحاديث على أن الملائكة أكثر المخلوقات، لانه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه في كل يوم سبعون ألف غير ما ثبت في هذه الاحاديث. التنبيه الثالث والخمسون: قوله: (فرفع إلى البيت المعمور)، معناه أنه أرى له. وقد يحتمل أن يكون المراد الرفع والرؤية معا، لانه قد يكون بينه وبين البيت عوالم حتى لا يقدر على إدراكه، فرفع إليه وأمد في بصره وبصيرته حتى رآه، ويحتمل أن تكون تلك العوالم التي كانت بينه وبين البيت المعمور أزيلت حتى أدركه بصره. وقد يحتمل أن يكون العالم بقي على حاله والبيت على حاله، وأمد في بصره وبصيرته حتى أدركه وعابنه، والقدرة سالحة للكل، يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (رفع إلي بيت المقدس على ما سيأتي فيه)، والتأويل فيه كالتأويل في البيت المعمور. وأكثر الروايات: (رفعت إلى سدرة المنتهى)، بضم الراء وسكون العين وضم الناء من (رفعت)، وبعده حرف الجر. ولبعضهم (ورفعت) بفتح العين وسكون الناء، أي (السدرة لي) باللام أي من أجلي، ويجمع بين الروايتين بأن المراد أنه رفع إليها أي ارتقي بها فظهرت له والرفع إلى الشئ يطلق على التقريب منه. التنبيه الرابع والخمسون: وجه مناسبة المعراج الثامن إلى سدرة المنتهى لما اشتملت عليه السنة الثامنة من الهجرة. إن السنة الثامنة اشتملت على فتح مكة، ومكة أم القرى وإليها المنتهى ومنها المبتدأ، على ما ورد أن الارض كلها دحيت (١) من مكة، فلذلك سميت أم القرى، أو هي أم القرى لان أهل القرى يرجعون إليها في الدين والدنيا حجا واعتمارا وجوارا وكسبا واتجارا قال الله تعالى: (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياسا للناس) (المائدة: ٩٧) أي تقوم بأبدانهم وأديانهم. نوقال تعالى (ليشهدوا منافع لهم) (الحج ٢٨) قيل هي الاجر والتجارات في الموسم. فبين سدرة المنتهى وأم القرى من المناسبة ما لا يخفى، إذ سدرة المنتهى ينتهي إليها علم الخلائق، ومكة ينتهي إليها أهل الافاق شرقا وغربا وفيها يكون الاجتماع. فكان بلوغه إلى سدرة المنتهى تنبيها على بلوغه إلى فتح مكة أم القرى في العام

(١) الدحو: البسط، والمدحوات: الارضون. يقال: دحا يدحو ويدحى: أي بسط ووسع. انظر النهاية لابن الاثير ٣ / ١٠٦. (*)

[١٣٦]

الثامن، وقد غشى السدرة الجراد والفراس والغربان الذي هو جند من جند الله كما غشى مكة في الفتح جند الله وحزبه وغشيتها أيضا

أجناس من الخلق وألوان من الاسود والاحمر. وجاء اللفظان معا في الحديث، كما غشى سدرة المنتهى ألوان لا يعلمها إلا الله تعالى: فلما غشيت الالوان السدرة حسنت إلى أن لا يحسن أحد أن يعتبها لفرط الحسن. كما أن ألوان الخلق لما غشيت مكة يوم الفتح حسنت حينئذ بالايامن وبأهل القرآن حتى لا يحسن أحد أن يصف حالها حينئذ من عظم الشأن. ثم كان ظهور الانهار الاربعة حينئذ دليلا على أن تلك الامة ستبلغها ويحققه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم: (زويت لي الارض مشارفها ومغاربها وسيلغ ملك أمتي ما زوي لي منها) (١). التنبيه الخامس والخمسون: وقع في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند مسلم أن السدرة في السماء السادسة وظاهر حديث أنس رضي الله عنها أنها في السابعة، قال القرطبي: (وهذا تعارض لا شك فيه). وحديث أنس قول الاكثرين وهو الذي يقتضيه وصفها بكونها التي ينتهي إليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرب، (ويترجح حديث أنس بأنه مرفوع وحديث ابن مسعود بأنه موقوف). قال الحافظ: (كذا قال ولم يعرج على الجمع بل حزم بالتعارض ولا يعارض قوله إنها في السادسة ما دلت عليه بقية الاخبار أنه وصل إليها بعد أن دخل في السماء السابعة لانه يحمل على أن أصلها في السماء السادسة وأغصانها وفروعها في السابعة وليس في السادسة منها إلا أصل ساقها، والله أعلم. التنبيه السادس والخمسون: قال ابن أبي جمرة: (والاظهر أن شجرة المنتهى مفروشة بأرض بدليل قوله: (ونهران باطنان) ولا يطلق هذا اللفظ وما أشبهه إلا على ما يفهم، والباطن لا بد أن يكون سريانه تحت شئ، وحينئذ يطلق عليه اسم الباطن. التنبيه السابع والخمسون: قال القاضي رحمه الله: دل الحديث على أن أصل سدرة المنتهى في الارض لكونه قال: (إن النيل والفرات يخرجان من أصلها)، وهما بالمشاهدة يخرجان من الأرض، فيلزم فيه أن يكون أصل السدرة في الارض. وتعقبه النووي بأن المراد بكونهما يخرجان من أصلها غير خروجهما بالنبع من الأرض، والحاصل أن أصلهما من الجنة وهما يخرجان أولا من أصل السدرة إلى أن يستقرا في الارض ثم ينبعان. التنبيه الثامن والخمسون: قال ابن أبي جمرة رحمه الله: قوله صلى الله عليه وسلم: (في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران)، هذا اللفظ يحتمل أن يكون على الحقيقة، ويحتمل أن

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٩٥٢) وذكره العراقي في تخريجه على الاحياء ٢ / ٢٨٧. (*)

[١٣٧]

يكون من باب تسمية الشئ بما قاربه، فإن كان على الحقيقة فتكون هذه الانهار تنبع من أصل الشجرة نفسها فتكون الشجرة طعمها نبق وأصلها ينبع منه الماء، والقدرة لا تعجز عن هذا. وإن كان من باب تسمية الشئ بما قاربه فتكون الانهار تنبع قريبا من أصل الشجرة). التنبيه التاسع والخمسون: في قوله: (أما الباطنان فنهران في الجنة)، دليل على أن الباطن أجل من الظاهر، لانه لما كان الباطنان أصلا جعلوا في دار البقاء، ولما كان الظاهران أقل أخرجا إلى دار الفناء، ومن ثم كان الاعتماد على ما في الباطن، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم). التنبيه الستون: في حديث أبي سعيد: (فإذا فيها - أي السماء السابعة - عين تجري يقال لها السلسبيل فينشقي منها نهران أحدهما نهر الكوثر والاخر يقال له نهر الرحمة. (ويمكن أن يفسر بهما النهران الباطنان المذكوران في الحديث، وكذا روي عن مقاتل، قال: (الباطنان السلسبيل والكوثر). التنبيه الحادي والستون: قال النووي في هذا الحديث: إن أصل النيل والفرات من الجنة وأنهما يخرجان من

أصل سدرة المنتهى ثم يسيران حيث شاء الله تعالى ثم ينزلان إلى الأرض ثم يسيران فيها ثم يخرجان منها. وهذا لا يمنعه العقل وقد شهد به ظاهر الخبر فليعتمد). التنبيه الثاني والستون: استدل بهذا الحديث على فضيلة ماء النيل والفرات لكون منبعهما من الجنة. وروى مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سيحان وجيحان والنيل والفرات من أنهار الجنة) (١). قال العلماء: والمراد به أن في الأرض أربعة أنهار أصلها من الجنة وحينئذ لم يثبت لسيحان وجيحان أنهما ينبعان من أصل سدرة المنتهى، فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك، وأما الباطنان المذكوران في الحديث فهما غير سيحان وجيحان. قال القرطبي: (لعل ترك ذكرهما في حديث الاسراء لكونهما ليسا أصلا برأسهما وإنما يحتمل أن يتفرعا من النيل والفرات). التنبيه الثالث والستون: قيل: إنما أطلق على هذه الأنهار أنها من الجنة تشبيها لها بأنهار الجنة لما فيها من شدة العذوبة والحسن والبركة. قال القرطبي: والاولى أنهار من أنهار الجنة. وقال غيره: صورة انصبابها كانصباب المطر متفرقا ثم يجتمع في مواقعها في الأرض إلى أن ينساق كل منها إلى مستقره ومجره. ويحتمل أن يكون انصبابها في نواحي الأرض

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة (٣٦) وأحمد في المسند ٢ / ٢٨٩ والبخاري في التفسير ٦ / ١٧٧. (*)

[١٢٨]

النائية المتصلة بمبادئ هذه الأنهار فإنه لم يقف أحد على مبادئها حتى الآن. وروى أبو الشيخ في العظمة وأبو المخلص - بوزن اسم الفاعل - بسند من طريق أبي صالح عبد الله بن صالح قال: حدثني الليث بن سعد قال: بلغني أنه كان رجل من بني العيص يقال له حائد بن شالموم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، خرج هاربا من ملك من ملوكهم حتى دخل أرض مصر، فأقام بها، فلما رأى أعاجيب نيلها، جعل لله عليه ألا يفارق ساحلها حتى يبلغ منتهاه ومن حديث يخرج أو يموت. فسار عليه، قبل ثلاثين سنة في الناس، وثلاثين سنة في غير الناس، وقيل خمس عشرة كذا وخمس عشرة كذا حتى انتهى إلى بحر أخضر، فنظر إلى النيل ينشق مقبلا، وإذا رجل قائم يصلي تحت شجرة تفاح، فلما رآه استأنس به وسلم عليه، فقال له: من أنت؟ قال: أنا حائد بن شالموم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام فمن أنت؟ قال: أنا عمران بن فلان بن العيص، فما الذي جاء بك يا حائد؟ قال: جئت من أجل هذا النيل وهل بلغك في الكتب أن أحدا من بني آدم يبلغه ولا أظنه غيرك قال كيف الطريق إليه؟ قال: سر كما أنت على هذا البحر فإنك ستأتي دابة ترى آخرها ولا ترى أولها فلا يهولنك آخرها، وهي معادية للشمس إذا طلعت أهوت إليها لتلتقمها وإذا غربت أهوت إليها كذلك، فاركبها تذهب بك إلى جانب البحر، فسر عليها فإنها ستبلغ أرضا من حديد، فإن جزتها وقعت في أرض من ذهب فيها ينتهي إليها علم النيل. فسار حتى انتهى إلى أرض من الذهب فسار فيها حتى انتهى إلى سور من ذهب، وشرفة من ذهب وقبة من ذهب لها أربعة أبواب، فنظر إلى ما ينحدر من فوق ذلك السور حتى يستقر في القبة ثم ينصرف في الأبواب الأربعة، فأما الثلاثة فتفيض في الأرض وأما واحد فيسير على وجه الأرض وهو النيل. فشرب منه واستراح وهوى إلى السور ليصعد فأناه ملك فقال له: (يا حائد قف فإنه قد انتهى إليك علم هذا النيل، وهذه الجنة، وإنما ينزل من الجنة. التنبيه الرابع والستون: قال ابن أبي حمزة في قول جبريل عليه السلام: (أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات)، دليل على أن النيل والفرات ليسا من الجنة لان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن جبريل أخبره أن هذه الأنهار منبعها من

سدرة المنتهى، فيسير الباطنان إلى الجنة، والنيل والفرات ينزلان إلى الدنيا، وسدرة المنتهى ليست في الجنة حتى يقال إنهما يخرجان منها بعد نبعهما من الجنة. وهذا معارض لما رواه مسلم عن أبي هريرة من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة). والجمع بينهما

[١٣٩]

- والله تعالى أعلم - أن النيل والفرات منبعهما من سدرة المنتهى، وإذا نزلا يسلكان أولاً طريقاً إلى الجنة فيدخلانها ثم بعد ذلك ينزلان إلى الأرض. التنبيه الخامس والستون: قال ابن أبي جمرة: وردت الأخبار أن من شرب من ماء الجنة لا يموت ولا يفنى وأنه ليس له فضلا تخرج على ما يعهد في دار الدنيا خروجه وإنما خروجه رشح مسك على البدن، فجعل فيه هذه الخاصية العظيمة، ثم لما شاءت الحكمة نزوله إلى هذه الدار نزعت منه تلك الخصوصية، وبقي جوهره بحاله، وكل الخواص مثله في هذا المعنى، إن شاء الله عز وجل أبقى له الخاصية وإن شاء سلبها مع بقاء جوهره وليس لذوات الخواص تأثير بل الخاصية خلقه والجوهر خلقه وإنما القدرة هي المؤثرة في كلها. التنبيه السادس والستون: قول ابن كثير: (المراد - والله أعلم - أن هذه الأنهار تشبه أنهار الجنة في صفاتها وعذوبتها وجرانها من جنس تلك في هذه الصفات كما قال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (العجوة من الجنة) (١) أي تشبه ثمر الجنة لا أنها مجتناة من الجنة فإن الحس يشهد بخلافه. فيتعين أن يكون المراد غيرة، وكذلك أصل منابع هذه الأنهار مشاهدة من الأرض)، انتهى. وهو متعقب بأنه لا يلزم من كونها كذلك ألا تكون من الجنة، لما قدمنا من كيفية النزول. وقد جزم النووي وغيره أنها من الجنة، ولا يشكل ذلك لأن في ماء الجنة خواص ليست في هذه الأنهار لما سبق في كلام ابن أبي جمرة. التنبيه السابع والستون: وقع في رواية شريك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في السماء الدنيا نهرين يطردان فقال له جبريل: (هما النيل والفرات عنصرهما). وفي رواية غيره: (رأهما في السماء السابعة). قال ابن دحية: والجمع بينهما أنه رأى هذين النهرين عند سدرة المنتهى مع نهر الجنة، ورأهما في السماء الدنيا دون نهر الجنة وأراد بالعنصر عنصر انتشارهما. التنبيه الثامن والستون: روى أبو نعيم والضياء عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدودا في الأرض، لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض) (٢) الأخدود شق في الأرض مستطيل. التنبيه التاسع والستون: روى الحارث بن أبي أسامة في مسنده والبيهقي في الشعب

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٦٦) وابن ماجه (٢٥٤٣) وأحمد في المسند ٢ / ٣٠١ والدارمي ٢ / ٢٢٨ وعبد الرزاق في المصنف (٢٠١٧٠) والخطيب في التاريخ ١٤ / ٤٤٥. (٢) ذكره السيوطي في الدر ١ / ٣٨ وعزاه لابن مردويه وأبي نعيم والضياء المقدسي كلاهما في صفة الجنة. (*)

[١٤٠]

عن كعب الأحبار قال: (إن نهر العسل نهر النيل ونهر اللبن نهر دجلة ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان). التنبيه السابعون: قوله في السدرة: (يغشاها جراد من ذهب). قال البيضاوي: (ذكر الجراد والفراس وقع على سبيل التمثيل لأن من شأن الشجر أن يسقط عليه الجراد وشبهه، وجعلها من ذهب لصفاء لونها وإضاءتها في

نفسها). وقال الحافظ: (ويجوز جعلها من الذهب حقيقة، ويخلق الله فيها الطيران، والقدرة صالحة لذلك). انتهى. التنبيه الحادي والسبعون: قوله (فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر)، قال شيخ الإسلام تقي الدين السبكي رحمه الله: (المراد تشريف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الامر، أي لو كان له ذنوب لغفرت ولم يكن له ذنب البتة). وحكى الشيخ رحمه الله في كتابه المحرر، في الكلام على هذه الآية اثني عشر قولاً، ونقل عن السبكي فساد خمسة منها وبين الشيخ فساد الباقي، ثم قال: (أما الأقوال المقبولة ففي الشفا للقاضي قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يقول: (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) (الاحقاف: ٩) سر بذلك الكفار فأنزل الله تعالى: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) (الفتح: ٢) وأخبر بمال المؤمنين في الآية الأخرى بعدها، فمقصد الآية أنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب وهذا الأثر رواه ابن المنذر في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، بدون قوله وأخبر بمال المؤمنين إلى آخره، وروى الامام أحمد والترمذي والحاكم نحوه. قال القاضي: قال بعضهم: المغفرة هنا تنزيه من العيوب، وقال بعض المحققين: المغفرة هنا كناية عن العصمة أي فعصمت فيما تقدم من عمري وفيما تأخر منه، وهذا القول في غاية الحسن. وقد عد البلاغ من أساليب البلاغة في القرآن أنه يكنى عن التخفيفات بلفظ المغفرة والعفو والتوبة، كقوله عند نسخ قيام الليل: (علم أن لن تحصوه فتاب عليكم) (المزمل: ٢٠) وعند نسخ تقديم الصدقة بين يدي النجوى (فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) (المجادلة: ١٣) وعند نسخ تحريم الطباخ ليلة الصيام: (فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن) (البقرة: ١٨٧). ثم نقل عن السبكي أنه قال: (قد تأملت هذه الآية بذهني مع ما قبلها وما بعدها فوجدتها لا تحتل إلا وجهاً واحداً وهو تشريف النبي صلى الله عليه وسلم، من غير أن يكون هناك ذنب، ولكنه أريد أن تستوعب في الآية جميع أنواع النعم من الله تعالى على عباده. وجميع النعم الأخرى شينان: سلبية وهي غفران الذنوب، وثبوتية وهي لا تتناهى وقد أشار إليها بقوله: (ويتم نعمته عليك) (البقرة: ١٨٧) وجميع النعم الدنيوية شينان: دنيوية أشار إليها بقوله:

[١٤١]

(ويهديك صراطاً مستقيماً) (الفتح: ٢) ودنيوية وإن كان المقصود بها الدين وهي قوله تعالى: (وينصرك الله نصرًا عزيزاً) (الفتح: ٣) وقدم الأخرى على الدنيوية تقديمًا للاهم، فانتظم بذلك تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم بإتمام أنواع نعم الله تعالى المتفرقة في غيره). وبعد أن وقفت على هذا المعنى رأيت ابن عطية قد وقع عليه فقال: (وإنما المعنى تشريف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحكم، ولم تكن ذنوباً البتة)، وقد وفق فيما قاله. التنبيه الثاني والسبعون: قوله: (ثم أخذ على الكوثر حتى دخل الجنة). قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في تفسيره: (هذا الحديث دليل على أن السدرة ليست في الجنة). وجزم به ابن أبي جمرة. وقال ابن دحية: (ثم هنا ليست للترتيب كما في قوله تعالى: (ثم كان من الذين آمنوا) (البلد: ١٧) إنما هي مثل الواو للجمع والاشتراك فهي بذلك خارجة عن أصلها، قال صاحب فتح الصفا: (وهي خلاف الظاهر). التنبيه الثالث والسبعون: قال بعض العلماء في توجيه كون درهم القرض بثمانية عشر: إن درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما ورد، ودرهم الصدقة بعشرة، ودرهم القرض يرجع للمقرض بدله، وهو بدرهمين من جملة مبلغ أصله عشرون يتأخر للمقرض منه ثمانية عشر. وسمعت شيخنا الامام العلامة نور الدين المحلي يذكر ذلك [في] الاصول. ثم رأيت في (نوادير الاصول) للحكيم الترمذي ما نصه: (معنى الحديث أن المتصدق حسب له الدرهم الواحد بعشرة، فدرهم صدقته وتسعة زائدة فصارت له عشرة، والقرض ضوعف له

فيه بدرهم والتسعة مضاعفة فهذه ثمانية عشر، ودرهم القرص لم يحسب لانه يرجع إليه، فيبقى التضعيف وهو ثمانية عشر، وفي الصدقة لم يرجع إليه فصارت له عشرة. التنبيه الرابع والسيعون: قال ابن دحية: (في عرض الجنة عليه كرامة عظيمة لانه كان يعرض الجنة على أمته ليشتروها كما قال عن ربه تبارك وتعالى: (إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (التوبة: ١١١). فأراد الله تعالى أن يعاين نبيه صلى الله عليه وسلم ما يعرضه على أمته ليكون وصفه لها عن مشاهدة ولانه كان يدعو الناس إلى الجنة وهي الدار التي هياها الله تعالى لضيافة عباده المؤمنين وبعثته صلى الله عليه وسلم داعيا إليها فأراد الله تعالى أن يريه الدار وكثرة ما أعد فيها من النعيم والكرامة لئلا يرضن بالدعوة وليعلم أنها تسع الخلائق كلهم ولا تمتلئ حتى ينشئ الله لها خلقا، كما ثبت في الحديث. ويحتمل أنه إنما أراه إياها ليعلم خسة الدنيا في جنب ما أراه فيكون في الدنيا

[١٤٢]

أزهذ وعلى الشدائد أصبر. فقد قيل: حبذا محنة تؤدي بصاحبها إلى الرخاء وبؤس نعمة تؤدي بصاحبها إلى البلاء. ويحتمل أن الله تعالى أراد ألا يكون لاحد كرامة إلا ولمحمد مثلها، ولما كان لأدريس كرامة دخول الجنة قبل يوم القيامة أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون (ذلك) أيضا لصفيه ونجيه محمد صلى الله عليه وسلم). التنبيه الخامس والسيعون: قال ابن دحية: (إنما عرضت عليه النار ليكون أمنا يوم القيامة، فإذا قال سائر الانبياء: نفسي نفسي فنبينا يقول: (أمتي أمتي، وذلك حين تسجر جهنم، ولذلك أمن الله محمدا صلى الله عليه وسلم، فقال عز من قائل: (يوم لا يخزي الله النبي) (التحرير: ٨) والحكمة في ذلك أن يفزع إلى شفاعته أمته، ولو لم يؤمنه لكان مشغولا بنفسه كغيره من الانبياء، لانهم لم يروا قبل يوم القيامة شيئا منها، فإذا رأوا جزعوا وكفت ألسنتهم عن الخطبة والشفاعة من هولها وشغلتهم أنفسهم عن أمهم، وهو صلى الله عليه وسلم قد رآها قبل ذلك فلا يفزع منها مثل ما فزعوا فيقدر على الخطبة وهو المقام المحمود، لان الكفار لما كانوا يكذبونه ويستهزئون ويؤذونه أشد الاذى أراه الله سبحانه وتعالى النار التي أعدها للمستخفين به تطيبيا لقلبه وتسكينا لفؤاده وللإشارة إلى أن من طيب قلبه بإهانة أعدائه والانتقام منهم فأولى أن يطيبه في أوليائه بالشفاعة والاكرام، وليعلم منة الله عليه حين أنقذهم منها ببركته وشفاعته. التنبيه السادس والسيعون: لم ير مالكا في صورته التي يراه عليها المعذبون في الآخرة، ولو رآه على تلك الصورة لما استطاع أن ينظر إليه. التنبيه السابع والسيعون: قال الطيبي: (إنما بدأ مالك رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالسلام ليزيل ما استشعر من الخوف منه بخلاف سلامه على الانبياء ابتداء). التنبيه الثامن والسيعون: ذكر صلى الله عليه وسلم أنه لم يلقه ملك من الملائكة إلا ضاحكا مستبشرا إلا مالكا خازن النار، وذلك أنه لم يضحك لاحد قبله، ولا هو ضاحك لاحد بعده. قال الله تعالى (عليها ملائكة غلاظ شداد) (التحرير: ٦) وهو موكلون بغضب الله تعالى، فالغضب لا يزالهم أبدا. وفي هذا الحديث معارضة لما رواه الامام أحمد وأبو الشيخ عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل: (مالي لم أر ميكائيل ضاحكا قط ؟) قال: (ما ضحك منذ خلقت النار) (١). وهذا الحديث يعارضه ما رواه الدار قطني وغيره أن رسول الله تبسم في الصلاة، فستل عن ذلك فقال: (رأيت ميكائيل راجعا في طلب القوم وعلى جناحيه الغبار، فضحك إلي، فتبسمت إليه) قال السهيلي: (وإذا صح الحديثان فوجه الجمع بينهما أن يكون لم

[١٤٣]

يضحك منذ خلقت النار إلا هذه المرة التي ضحك فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكون الحديث عاما يراد به الخصوص أو يكون الحديث الاول حدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هذا الحديث الاخر، ثم حدث بعد بما حدث به من ضحكه إليه). التنبيه التاسع والسبعون: المناسبة بين المعراج التاسع - وهو المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام - والعام التاسع من سني الهجرة. قال ابن دحية: (كان في العالم التاسع غزوة تبوك وفيها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى الشام في العدد الذي لم يتم قبله مثله، كان العدد ثلاثين ألفا، وكانت الشقة بعيدة، ولهذا لم يور فيها، بل أعلم الناس بوجههم ليكون تأهيبهم بحسب ذلك، ومع هذا الاجتهاد في الاستعداد لم يلق صلى الله عليه وسلم حربا ولا افتتح بلدا، لان أجل فتح الشام لم يكن حل بعد، فانتسخ العزم بالقدر وجفاف القلم ورجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وعلى المسلمين الوفاق والسكينة من غير اضطراب عند انصراف العزيمة. التنبيه الثمانون: صريف الاقلام، بالصاد المهملة وكسر الراء وبالفاء. قال القاضي والنووي رحمهما الله تعالى: هو صوت حركتها وجريانها على ما تكتبه الملائكة من أفضية الله تعالى ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ما شاء الله من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراد من أمره وتديبره. وفيه حجة لاهل السنة في الايمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتب الله تعالى من اللوح المحفوظ بالاقلام التي هو يعلم كيفيتها على ما جاءت به الايات في كتابه والاحاديث الصحيحة، وأن ما جاء من ذلك على ظاهره، لكن كيفية ذلك وصورته وحسنه لا يعلمه إلا الله تعالى، ومن أطلعه على شئ منه من ملائكته ورسله. وما يتأول هذا ويحيله إلا ضعيف النظر والايمان، إذ جاءت به الشريعة، ودليل العقول لا يحيله، والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، حكمة من الله وإظهارا لما يشاء من غيبه لمن يشاء من ملائكته وسائر خلقه وإلا فهو غني عن الكتب والاستذكار. التنبيه الحادي والثمانون: قال ابن دحية: (قد علم أن الاقلام إنما تكتب الاقدار، والقدر المكتوب قديم، وإنما الكتابة حادثة. وظاهر الاخبار أن اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه قبل خلق السموات والارض، وإنما هذه الكتابة المحدودة في صحف الملائكة كالفروع المنتسخة من الاصل، وفيها المحو والاثبات على ما ورد في الاثر. وأصل اللوح المحفوظ الذي انتسخ منه اللوح هو علم الغيب القديم في أزل القدم وهو الذي لا محو فيه ولا إثبات حيث لا لوح ولا قلم. والحكمة البالغة - والله أعلم - في سماعه لصريف الاقلام حصول الطمأنينة بجفاف القلم بما في القدر حتى يمكن التفويض للقدر لا للسبب، وحتى يتعاطى السبب تعيدا لا

[١٤٤]

تعوذا وبذلك يتم التوكل ويسكن الاضطراب عند اختلاف الاسباب. وقال القرطبي: (وأصل الاقلام الموصوفة هنا، هي المعبر عنها بالقلم المقسم به في قوله تعالى: (ن والقلم وما يسطرون) (القلم: ١) ويكون القلم هذا للجنس). التنبيه الثاني والثمانون: المناسبة بين المعراج العاشر وهو الرفرف حين لقي الله تعالى وحضر بحضرة القدس وقام مقام الانس ورفع الحجاب وسمع الخطاب، وكان قاب قوسين أو أدنى لا بالصورة بل بالمعنى، أن العام العاشر اجتمع فيه

اللقاءان: أحدهما: لقاء البيت وحج الكعبة ووقوف عرفة وإكمال الدين وإتمام النعمة على المسلمين، واللقاء الثاني: بقراب البيت وكانت فيه الوفاة واللقاء والانتقال من دار الفناء إلى دار البقاء والعروج بالروح الكريمة إلى المقعد الصدق وإلى الموعد الحق وإلى الوسيلة وهي المنزلة الرفيعة التي لا تنبغي إلا لعبد واحد اختاره الله تعالى وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في صحيح الخبر أنه سئل عن الوسيلة فقال: (درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله فأرجو أن أكون إياه (١) ورجاؤه محقق صلى الله عليه وسلم، وخاطره موفق. التنبيه الثالث والثمانون: قال ابن دحية: خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤية والمكالمة لانه صاحب الشفاعة يوم القيامة، فتوسط قبلها لئلا يقع له حشمة ا لبيهة كما يقع لغيره من الانبياء فأراد الله سبحانه وتعالى أن يزيل عنه الانقباض قبل ذلك ليتمكن من المقام المحمود وأهله قبل المشهد الاعلى للمشاهدة والكلام. التنبيه الرابع والثمانون: قوله تعالى: (وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي)، إلى آخر الحديث. قال التوريشتي: ليس يعني بقوله: (أعطى) أنها أنزلت عليه بل المعنى أنه استجيب له فيما لقن من الايتين: (غفرانك ربنا وإليك المصير) (البقرة: ٢٨٥) إلى قوله تعالى: (أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) (البقرة: ٢٨٦)، ولمن يقوم بحقهما من السائلين). وقال الطيبي: (وفي كلامه إشعار بأن الاعطاء بعد الانزال لان المراد منه الاستجابة وهي مسبوقة بالطلب والسورة والمعراج كان بمكة، ويمكن أن يقال هذا من قبيل (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (النجم: ٣، ٤) وإنما أوثر الاعطاء لما عبر عنه بكنز تحت العرش). وروى الامام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبلي).

(١) أخرجه مسلم ١ / ٢٨٨ (١١ - ٣٨٤). (*)

[١٤٥]

التنبيه الخامس والثمانون: الحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة ا لاسراء أنه صلى الله عليه وسلم لما عرج به رأى تلك الليلة تعبد الملائكة، وأن منهم القائم فلا يقعد، والراكع فلا يسجد، والساجد فلا يقعد، فجمع الله تعالى له ولامته تلك العبادات كلها في ركعة واحدة يصلحها العبد بشرائطها من الطمأنينة والاخلاص. التنبيه السادس والثمانون: وفي اختصاص فرضها بليلة ا لاسراء إشارة إلى عظم شأنها ولذلك اختص فرضها بكونه بغير واسطة بل بمراجعات عدة. قال السهيلي: (وأما فرض الصلاة عليه هنا لك، ففيه التنبيه على فضلها حيث لم تفرض إلا في الحضرة القدسية المطهرة، ولذلك كانت الطهارة من شأنها ومن شرائط أدائها والتنبيه على أنها من مناجاة الرب، وأن الرب تبارك وتعالى مقبل بوجهه على المصلي يناجيه يقول: حمدني عبدي أثنى علي عبدي إلى آخر السورة، وهذا مشاكل لفرضها عليه في السماء السابعة حيث سمع كلام الرب وناجاه، ولم يعرج به حتى طهر ظاهره وباطنه بماه زمزم كما يتطهر المصلي للصلاة وأخرج عن الدنيا بجسمه كما يخرج المصلي عن الدنيا بقلبه ويحرم عليه كل شيء إلا مناجاة ربه، وتوجهه إلى قبلته في ذلك الحين وهي بيت ا لمقدس، ورفع إلى السماء كما يرفع المصلي يديه إلى جهة السماء إشارة إلى القبلة العليا وهي البيت المعمور وإلى جهة عرش من يناجيه ويصلي له سبحانه وتعالى). التنبيه السابع والثمانون: قوله: (قد وضعت عنك خمسا)، كذا في رواية ثابت عن أنس. وفي رواية مالك بن صعصعة: (عشرا)، وفي رواية شريك: (وضع شطرها). قال النووي: (المراد بحط الشطر

أنه حط في مرات بمراجعات فلا يخالف رواية ثابت). قال الحافظ: (وكذا العشر فكأنه وضع العشر في دفعتين والشطر في خمس دفعات، والمراد بالشطر هنا البعض). قال: (وقد حقت رواية ثابت أن التخفيف كان خمسا، وهي زيادة معتمدة يتعين حمل باقي الروايات عليها. قلت: ويؤيد رواية ثابت ما رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي وابن مردويه من حديث مالك بن صعصعة: (فحط عني خمسا)، وفيه: (فما زلت بين موسى وبين ربي يحط عني خمسا خمسا). قال ابن دحية: (ذكر الشطر أعم من كونه وقع دفعة واحدة). التنبيه الثامن والثمانون: قال أبو طالب الجمحي في كتاب (التحيات): (لكل قوم تحية، فتحية العرب السلام وتحية الاكاسرة السجود قدام الملك وتقبيال الارض وتحية الفرس طرح اليد على الارض قدام الملك، وتحية الحيشة عقد اليدين على الصدر بين يدي الملك بسكون، وتحية الروم كشف غطاء الرأس من بعد تنكيس رأسه. وتحية النوبة إيماء الرجل بالدعاء

[١٤٦]

بالاصابع وتحية البجا وضع يد الداخل على كتف الملك، فإن بلغ الخدمة رفعها ووضعها مرارا. وهذه التحيات غالبها مجموعة في الصلاة التي هي خدمة ملك الملوك سبحانه وتعالى، ولهذا ناسب أن يقال في آخرها: (التحيات لله) إشارة إلى أنه تعالى يستحق جميع التحيات). التنبيه التاسع والثمانون: وقع في رواية أنس عن أبي ذر رضي الله عنهما: (فرض الله على أمتي خمسين صلاة) وفي رواية ثابت عن أنس: (فرض الله على خمسين صلاة كل يوم وليلة). ونحوه في رواية مالك بن صعصعة، فيحتمل أن يقال في كل من رواية أبي ذر والرواية الاخرى اختصارا. ويؤيد قوله في الرواية الاخرى: (إنني فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة) إلى آخره. ويقال ذكر الفرض عليه يستلزم ذكر الفرض على الامة وبالعكس، إلا ما استثنى من خصائصه. التنبيه التسعون: قال ابن أبي جمرة: (الحكمة في كون إبراهيم عليه السلام لم يكلم المصطفى في طلب التخفيف أن مقام الخلعة إنما هو الرضى والتسليم، والكلام في هذا الشأن ينافي ذلك المقام. وموسى هو الكليم، والكليم أعطي الا دلال والانبساط). وقال القرطبي: (الحكمة في تخصيص موسى عليه الصلاة والسلام بمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الصلاة، لعلها لكون أمة موسى كلفت من الصلوات ما لم يكلف به غيرها من الامم فتقلت عليهم فأشفق موسى على أمة محمد - عليهما الصلاة والسلام - من مثل ذلك ويشير إلى ذلك قول موسى: (إنني قد جربت الناس قبلك). وقال غيره: لعلها من جهة أنس ليس في الانبياء من له أتباع أكثر من موسى، ولا من له كتاب أك بر ولا أجمع للاحكام من كتابه، فكان من هذه الجهة مضاهيا للنبي صلى الله عليه وسلم، فناسب أن يتمنى أن يكون له مثل ما أنعم به عليه من غير أن يريد زواله عنه، وناسب أن يطلعه على ما وقع له وينصحه فيما يتعلق به. ويحتمل أن موسى عليه السلام لما غلب عليه في الابتداء الاسف على نقص حظ أمته بالنسبة لامة محمدص لى الله عليه وسلم حتى تمنى ما تمنى أن يكون منهم، استدرك ذلك ببذل النصيحة لهم والشفقة عليهم ليزيل ما عساه أن يتوهم عليه مما وقع منه في الابتداء، والعلم عند الله تعالى. قال القرطبي: (وأما قول من قال إنه أول من لقيه بعد الهبوط فليس بصحيح، لان حديث مالك بن صعصعة أنه رآه في السادسة وإبراهيم في السابعة، وهو أقوى إسنادا من حديث شريك الذي فيه أنه رأى موسى في السابعة). قال الحافظ: (إذا جمعنا بينهما بأنه لقيه في الصعود في السادسة، وصعد موسى معه إلى السابعة فلقية فيها بعد الهبوط ارتفع الاشكال وبطل الرد). قال السهيلي: (وأما اعتناء موسى عليه السلام بهذه الامة والحاحه على نبيها أن يشفع

لها ويسأل التخفيف عنها فلقوله - والله أعلم - حين قضي إليه الامر بجانب القربي ورأى صفات أمة محمد عليه السلام في الالواح وجعل يقول: إني أجد في الالواح أمة صفتهم كذا: اللهم اجعلهم أمتي. فيقال له: تلك أمة محمد. قال: اللهم اجعلني من أمة محمد، وهو حديث مشهور في التفاسير. فكان إشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم يعتني بالقوم من هو منهم لقوله: اللهم اجعلني منهم). التنبيه الحادي والتسعون: في قول موسى: (قد عالجت الناس قبلك) إلى آخره دليل على أن علم التجربة زائدة على العلوم، ولا يقدر على تحصيله بكثرة العلوم ولا يكتسب إلا بها، أعني التجربة، لان النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس وأفضلهم سيما وهو حديث عهد بالكلام مع ربه تبارك وتعالى وورد إلى موضع لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ثم مع هذا الفضل العظيم قال له موسى عليه السلام: (أنا أعلم بالناس منك)، وذكر له العلة التي لاجلها كان أعلم منه بقوله: (عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة). فأخبره أنه أعلم منه في هذا العلم الخاص الذي لا يوجد ولا يدرك إلا بالمباشرة وهي التجربة، التنبيه الثاني والتسعون: وفيه دليل على جواز الحكم بما أجرى الله تعالى بحكمته من ارتباط العوائد لان موسى عليه السلام حكم على هذه الامة بأنها لا تطيق، وذلك سبب ما أخبر به وهو علاج بني إسرائيل، ومن تقدم أقوى وأجلد ممن يأتي بعد، كما أخبر تعالى بقوله: (كانوا أشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها) (الروم: ٩) فرأى موسى أن ما لم يحمله القوي فمن باب أولى ألا يحمله الضعيف فهو بعد محكم بأثر الحكمة في ارتباط العادة، مع أن القدرة سالحة لان يحمل الضعيف ما لا يحمل القوي. وقد ورد أن الصلاة التي كلف بها بنو إسرائيل ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي ومع هذا لم يقوموا بذلك. التنبيه الثالث والتسعون: وفي سؤال موسى طلب التخفيف عن هذه الامة دليل على أن بكاءه أولا حين صعود النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن إلا للوجه الذي أديناه لا لغيره، لانه لو كان لغير ذلك لبكى حين رجوع النبي صلى الله عليه وسلم أو سكت، ولكنه قام في الخدمة والنصيحة للنبي صلى الله عليه وسلم، فلما أن كان بكأؤه أولا للوجه الذي ذكرناه ولم يصادف ما أشرنا إليه وإنما كانت هذه النفحة من النفحات الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، تعرض أيضا لهذه الامة بطلب التخفيف، فصادف اعتراض هذه النفحة في موضعها لانها خاصة بهذه الامة. وتكلم هو صلى الله عليه وسلم في حقها فأسعف فيما أراد وحقق عز وجل دعاءه إذ ذاك ورد الخمسين إلى خمسين، وزاد بالافضل فجعل الحسنة عشرا في الثواب عليها، فأزال الله تعالى عن الامة فرض تلك الصلوات وأبقى لهم ثوابا تفضلا منه وإحسانا. التنبيه الرابع والتسعون: قال ابن أبي جمرة: (في الحديث دليل للصوفية حيث

يقولون: (حسنات الابرار سيئات المقربين)، لان ابراهيم عليه السلام لم يتكلم في هذا الشأن بسبب أن مقامه أعلى من الكلام، فلو تكلم لكان ذلك في حقه سيئة بالنسبة إلى مقامه الخاص، وموسى عليه السلام كان كلامه مما يتقرب به إلى مقامه الخاص، كل منهم له مقام خاص لا يتعداه). التنبيه الخامس والتسعون: قال ابن دحية: (في هذه المراجعة التي وقعت بين موسى والنبي عليهما السلام فوائدها منها: تكرار الشفاعة في القصة الواحدة إلى أن يتم مقصود الشافع، ومنها أن الامر إذا انتهى إلى حد الالجاج كان الاولى الترك، ومنها تعظيم الامر الذي لا يقدر عليه، ومنها الرجوع إلى المشير الناصح، ومنها أن الشافع لا يتوقف على طلب المشفوع له في ذلك،

ومنها أن الشافع يقيم عذر المشفوع له عند المشفوع عنده في ذلك، ومنها أنه لا يمتنع من الشفاعة وإن كان داخلا فيها). التنبيه السادس والتسعون: إنما امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من طلب التخفيف في المرة العاشرة لما أمره موسى بذلك لامرين: أحدهما: أن الأمر إذا انتهى إلى حد الإلحاح كان الأولى الترك. ثانيهما: أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم تفرس أن هذا العدد لا يحط عنه فاستحى أن يسأل في مظنة الرد، ووجه التفرس أن الله تعالى أدرج التخفيف خمسا خمسا من خمس إلى خمس. فالقياسي أنه إن خفف بحذف الخمسة الأخيرة ارتفعت الصلاة بجملتها، وقد علم أنه لا بد من وظيفة، فلماذا ترك السؤال، وكشف الغيب أن العلم القديم تعلق ببقاء هذه الخمس، ولهذا بقيت، فصدقت الفراسة، وأصابت الفكرة، ولهذا جاء في بعض الطرق أن النبي صلى الله عليه وسلم لما امتنع من المراجعة في العاشرة نادى مناد: (أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي). التنبيه السابع والتسعون: قال ابن دحية: (دلت مراجعته صلى الله عليه وسلم في طلب التخفيف تلك المرات كلها، لأنه علم أن الأمر في كل مرة لم يكن على سبيل الإلزام بخلاف المرة الأخيرة، ففيها ما يشعر بذلك لقوله تعالى: (ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) (ق: ٢٩). التنبيه الثامن والتسعون: قال ابن أبي جمرة: (في امتناع النبي صلى الله عليه وسلم في المرة العاشرة من طلب التخفيف دليل على أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد إسعاد عبد جعل اختياره في مرضاة ربه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل اختياره وإيثاره لما أراد الحق تبارك وتعالى إنفاذه وإمضاه، وهو فرض الصلوات الخمس، وذلك تكريم له صلى الله عليه وسلم ورتقيح، لأنه لو رجع لطلب التخفيف فلم يخفف كما خفف أولا لكان اختياره مخالفا للمقدور. فلما أن اختار وأسعف في اختياره كان دليلا على ما استدللنا عليه وهو علو منزلته صلى الله عليه وسلم، فإنه ما دام يطلب التخفيف أسعف في مناه، ففي كل حال من طلب ومن عدم طلب كان اختياره موافقا للمقدور).

[١٤٩]

وفيه دليل للصوفية حيث يقولون: (إن الحال حامل (لا محمول)، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما أن ورد عليه حال الأشفاق على أمته بادر إلى طلب التخفيف عنهم ولم ينظر لغير ذلك، ثم لما ورد عليه حال الحياء من الله تعالى لم يلتفت لامته إذ ذاك ولا طلب شيئا). التنبيه التاسع والتسعون: في هذا الحديث دليل على أن قدر الله تعالى على قسمين، كما قدمنا. فالقدر الذي قدره وقدر ألا ينفذ بسبب واسطة أو دعاء هو فرضه هنا للخمسين صلاة لأنه تعالى لما أن أمر بالخمسين أولا وسبقت إرادته ألا ينفذ ذلك جعل بحكمته موسى هناك سببا لرفع ذلك. والقدر الذي قدره إنفاذه ولا يردده راد هو فرضه للخمسين صلوات لأنه تعالى لما أن أمر بها وسبقت إرادته بإمضائها لم يرفع كلام موسى عليه السلام إذ ذاك لأنه من القدر المحتوم. التنبيه الموفى مائة: قال ابن دحية: (فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: (ما يبدل القوم لدي) (ق: ٢٩) ؟ فإن كان المراد لا يبدل الخبر فكيف يطلق الحديث، لأن السياق في الأحكام فلماذا نسخ الخمسين إلى خمس وتبديل النسخ لا يبقى، فإن كان المراد لا يبدل الحكم فقد تقرر أن النسخ في الأحكام جائز وقد وقع في هذا الحديث إلى خمس. فالجواب أنه تعالى إذا أخبر عن الحكم أنه مؤيد استحال التبديل والنسخ حينئذ لأجل العلم، وقد أخبر الله تعالى أنه الفريضة أي أبدها فلا يبدل الخبر ولا يتوقع النسخ بعد ذلك والله تعالى أعلم). ويكون المراد أنه تعالى وعد هذه الأمة على السنة الملائكة أو في صحفها أن لهم أجر خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فلما نسخها إلى خمس حصل للعدد نقص، وإن الأجر المراد لم ينقص لأن الحسنه بعشر أمثالها، ولهذا قال تعالى: (هن خمس

وهن خمسون أي هن خمس عددا وخمسون اعتدادا، ذلك الفضل من الله، ويكون ذلك كقوله في الصيام: (من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر) (١)، بتأويل أن الحسنه بعشر أمثالها، فسته وثلاثون في عشرة بثلاثمائة وستين عدد أيام السنة. واعتبرت الصلاة بما تحتاج إليه كل صلاة من وضوء ونحوه، فوجد لها ما يأتي على ساعتين وبعض الساعة غالبا، فعلم بذلك أن الخمسين لو استقرت على أمة لاستوعبت اليوم والليله لما تحتاج إليه كل صلاة من طهارة وغيرها، وكانت الطهارة واجبة التجديد في أول الامر، ثم نسخ الوجوب إلى الندب، فكان المصلي من هذه الأمة لهذه ا لخمس استوعب الدهر صلاة وكأنه أيضا استوعب الدهر صياما.

(١) أخرجه مسلم ٢ / ٨٣٢ (٣٠٤ - ١١٦٤). (*)

[١٥٠]

والظاهر أن نقص الخمسين إلى خمس ليس من تبديل القول لانه تبديل تكليف، وأما بعد الاخبار بالخمس والخمسين فتبديل أخبار. التنبيه الحادي والمائة: قال أبو الخطاب وتبعه ابن المنير: (جواز النسخ قبل التمكّن من الفعل قبل دخول الوقت مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة، وجرى كل فريق على قاعدته وعقيدته. فعند أهل السنة التكليف على خلاف الاستطاعة جائز، بل واقع إذ الافعال كلها مخلوقة لله تعالى، والعبد مطالب بما لا يقدر على إيجاده ولا يتمكّن من التأثير في إحراره، عملا بقوله تعالى: (والله خلقكم وما تعملون) (الصفات: ٩٦) بتقدير أن (ما) هنا مصدرية، والمعتزلة تجعل (ما) هنا موصولة وجرّوا على عقيدتهم في إعتقادهم أن العبد يخلق فعل نفسه، ويوجد طاعة ربه باستطاعته واختياره، ولا يسقط التكليف عندهم على خلاف الاستطاعة فلا يتصور النسخ قبل التمكّن من الفعل كما تتصور قاعدته. واستدل أهل السنة على جواز النسخ قبل التمكّن بأنه وقع، وأي دليل على الجواز أتم من الوقوع؟ ومثلا ذلك بقصة الذبيح فإن الله تعالى أمر إبراهيم بذبح ولده، ثم خفف ذلك ونسخه إلى الفداء قبل أن يمضي زمن يسع الذبح ولا يمكن فيه الفعل. ومن هنا ضاقت على المعتزلة المضايق حتى غالطوا في الحقائق، واختلفوا في الاجوبة، فمنهم من قال لم يأمره بالذبح لان ذلك كان في المنام لا في اليقظة، ولا عقل أضل من عقل من زعم أنه استنظر على نبي في واقعة هو صاحبها وقضى فيها ومنه ظهرت، وعنه أثرت، فإن الذبيح قال فيما حكاه الله تعالى وصوبه (يا أبت افعل ما تؤمر) (الصفات: ١٠٢)، ونحن نقول إن راوي الحديث أعرف بتأويله وتفسيره، وأقعد بتبينه وتنزيله. وحتى لو تعارض تأويلان قدمنا تأويل صاحب الواقعة لانه أفهم لها. فكيف لا يقدم تأويل الذبيح النبي الذكي المسدد المصوب من رب العالمين على تأويل المبتدع الضال الحائر المسكين؟ ومنهم من قال: أمر ولكن بالمقدمات: الشد والتل والصرع وتناول (المدية). وهذا من الطراز الاول لتهافت القول، فإن إبراهيم قال: (إني أذبحك) (الصفات: ١٠٢) ولم يقل أصرعك، وأيضا ليست المقدمات (بلا)، ولا سيما في حق إبراهيم عليه السلام الذي علم أن الحال لا ينتهي بغى الراضطجاع خاصة لما لا يتعنّى حينئذ للفداء، فهذا أحمق عن السنن وجنوح إلى العناد والغيب. ومنهم من قال: (أمر بالذبح وفعل، ولكن انقلبت السكين أو لم تقطع، أو انقلبت العنق حديدا، وهذا من النمط المردود، وحاصله النقل بالتقدير وهو الكذب بعينه، ومنهم من قال: (ذبح والتحم)، وهذه معايرة النقول ومكابرة العقول. وذلك أن الامر لو كان على هذه المثابة

لم يقع الاقتصار في الآية على حكاية (وتله للجيبين) (الصفات: ١٠٣) ولكن ذكر الذبح أوقع في الابتلاء ولسقطت فائدة اللفاء. فبطل ما قالوه، وتعين القول بجواز النسخ قبل التمكن بدليل وقوعه في قصة الذبيح، فلا يمكنهم ترديد مثلها في قصة الاسراء إذ لا خفاء بأنه صلى الله عليه وسلم أمر في حق الأمة بخمسين صلاة ثم نسخ ما نسخ قبل أن يدخل وقت الصلاة فضلا عن أن يمضي زمان يسعها. قال شيخنا السهيلي: وأما فرض الصلوات خمسين ثم حط منها عشرا بعد عشر إلى خمس صلوات وقد روي أيضا أنها حطت خمسا بعد خمس. وقد يمكن الجمع بين الروايتين لدخول الخمس في العشر، فقد تكلم في هذا لنقص من الفريضة أهو نسخ أم لا؟ على قولين. فقال قوم: هو من باب نسخ العبادة قبل العمل بها، وأنكر أبو جعفر النحاس هذا القول من وجهين: أحدهما: البناء على أصله ومذهبه في أن العبادة لا يجوز نسخها قبل العمل لها لأن ذلك عنده من البداء، والبداء محال على الله سبحانه. الثاني: أن العبادة إن جاز نسخها قبل العمل بها عند من يرى ذلك فليس يجوز عند أحد نسخها قبل هبوطها إلى الأرض وهبوطها إلى المخاطبين... إنما هي شفاعة شفعتها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته ومراجعة راجعها ربه ليخفف عن أمته ولا يسمى مثل هذا نسخا). أما مذهب أبي جعفر النحاس في أن العبادة لا تنسخ قبل العمل بها وأن ذلك بداء فليس بصحيح لأن حقيقة البداء أن يبدو للامر رأي يتبين له الصواب فيه بعد أن لم يكن تبينه، وهذا محال في حق من يعلم الأشياء بعلم قديم. وليس النسخ من هذا في شيء، إنما النسخ تبديل حكم بحكم، والكل سابق في علمه ومقتضى حكمته، كنسخه المرض بالصحة والصحة بالمرض ونحو ذلك، وأيضاً بأن العبد المأمور يجب عليه عند توجه الامر إليه ثلاث عبادات: الفعل الذي أمر به، والعزم على الامتثال عند سماع الامر، واعتقاد الوجوب إن كان واجبا، فإن نسخ الحكم قبل الفعل فقد حصلت فائدتان: العزم واعتقاد الوجوب، وعلم الله تعالى ذلك منه علم مشاهدة. فصح امتحانه له واختباره إياه، وأوقع الجزاء على حسب ما علم من نيته والذي لا يجوز إنما هو نسخ الامر قبل نزوله وقبل علم المخاطب به. والذي ذكر النحاس من نسخ العبادة بعد العمل بها ليس هو حقيقة النسخ لأن العبادة المأمور بها قد مضت وإنما جاء الخطاب بالنهي عن مثلها لا عنها. وقولنا في الخمس والاربعين صلاة الموضوععة عن محمد صلى الله عليه وسلم وأمته. أحد وجهين إما أن يكون نسخ ما وجب على النبي صلى الله عليه وسلم من أدائها، ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب. وهذا قد قدمنا أنه نسخ على الحقيقة، ونسخ عنه ما وجب

عليه من التبليغ، فقد كان في كل مرة عازما على تبليغ ما أمر به (وقول أبي جعفر إنما كان شافعا ومراجعا ينفى النسخ فإن النسخ قد يكون عن سبب معلوم فشفاعته عليه السلام لأمته كانت سببا للنسخ لا مبطله لحقيقته، ولكن المنسوخ ما ذكرنا من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم الصلوات الخمس في خاصته وأما أمته فلم ينسخ عنهم حكم (إذ) لا يتصور نسخ الحكم قبل وصوله إلى المأمور به. وهكذا كله أحد الوجهين في الحديث. والوجه الثاني: أن يكون هذا خيرا لا تعبدا وإذا كان خيرا لم يدخله النسخ، ومعنى الخبر أنه عليه السلام، أخبره ربه أن على أمته خمسين صلاة ومعناه: أنها خمسون في اللوح المحفوظ، وكذلك قال في آخر الحديث: هي خمس، وهي خمسون والحسنة بعشر أمثالها، فتأوله رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنها خمسون بالفضل، فلم يزل يراجع ربه حتى بين له أنها خمسون في الثوب لا بالعمل. التنبيه

الثاني والمائة: قد علم مما سبق جواز نسخ الفعل قبل التمكن من فعله، وأن ذلك صحيح في حقه صلى الله عليه وسلم، وغير صحيح بالنسبة لأتمته لاستحالة النسخ قبل البلاغ إذ شرط التكليف تمكين المكلف من العلم به، أي إذا لم يكن العلم به شرطاً فإن نسخ التكليف قبل البلاغ يناقض ذلك. وقال ابن دحية: " يصح النسخ في حق الأمة أيضاً بأن الإسلام يوجب على كل مسلم الدخول في فروغه وفي شرائع الدين بتفصيلها، وكل من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم في حياته دخل في الإسلام، على أن هنالك تكاليف منها ما نزل وبين بكل وجه، ومنها ما نزل مجملاً من وجه ومبيناً من وجه، ومنها ما لم ينزل بعد وسينزل، والإيمان والالتزام شامل للجميع. فكما يجوز نسخ التكليف بعد أن يبلغ بخصوصية يجوز أيضاً قبله. وأكثر القواعد أن ما وجب مجملاً ثم بين في وقت الحاجة كالصلاة والزكاة، لم يقترن بأول وجوبها ذكر أعدادها ولا إعدادها ولا أوقاتها ولا هيئاتها ولا شرائطها، بل للتكليف بها مستقر مع هذه الإجماليات، لأن المكلف بالالتزام الأول قد دخل على الالتزامها على ما هي عليه في نفس الأمر. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن الإسلام هو " أن تشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله وتقيم الصلاة والمكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت (١) ". فنجز التكليف عليه بهذه القواعد مجملة غير مبينة ". التنبيه الثالث والمائة: قال ابن دحية: " إذا سمعت العلماء يتكلمون على النسخ قبل

(١) أخرجه البخاري ١ / ١١٤ (٥٠) ومسلم / ٤٠ (٧، ١٠). (*)

[١٥٣]

الفعل فاعلم أنهم أرادوا قبل مضي زمن يسع الفعل الأول. هذا هو المتخلف فيه، وإلا فكل نسخ متفق عليه لا يتصور إلا قبل الفعل ما فعل مضي وانقطع التكليف به والنسخ فيه. قال: وإذا سمعتم يقولون نسخ التكليف قبل البلاغ متعذر لأن شرط التكليف البلاغ فاعلم أنهم يريدون تنجيز التكليف، هذا هو المشروط بالبلاغ. وأما أصل التكليف عندنا فلا يتوقف على ذلك فإن مذهبنا أن الأمر قديم محقق قبل وجود الأمور فضلاً عن بلاغه والله تعالى الموفق. التنبيه الرابع والمائة: قال بعض أهل الإشارات: " لما تمكنت المحبة من قلب موسى عليه السلام أضاءت له أنوار نور الطور ليقتبس، فاحتبس فلما نودي في النادي اشتاق إلي المنادي فكان يطوف في بني إسرائيل فيقول: من يحملني حتى أبلغ رسالة ربي، ومراده أن تطول المناجاة مع الحبيب، فلما مر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج رده في أمر الصلاة ليسعد برؤية حبيب الحبيب. وقال آخر: لما سأك موسى عليه السلام الرؤية ولم تحصل له البغية، بقي الشوق يقلقه والأمل يعلله، فلما تحقق أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم منج الرؤية وفتح له باب المزية أكثر السؤال ليسعد برؤية من قد رأى، كما قيل: وأستنشق الأرواح من نحو أرضكم * لعلني أراكم أو أرى من يراكم وأنشد من لاقيت عنكم عساكم * تجودون لي بالعطف منكم عساكم فأنتم حياتي إن حبيت وإن أمت * فإيا حبذا إن مت عبد هواكم وقال آخر: وإنما السر في موسى يردده * ليجتلي حسن ليلي حين يشهده يبدو سناها على وجه الرسول فإيا * الله در رسول حين أشهده وقال آخر: لما جلس الحبيب في مقام القرب، دارت عليه كؤوس الحب، ثم عاد وهلال (ما كذب الفؤاد ما رأى) (النجم: ١١) بين عينيه، وبشر (فأوحى إلى عبده ما أوحى) (النجم: ١٠) ملء قلبه وأذنيه. فلما اجتاز بموسى عليه السلام قال لسان حاله لنبينا صلى الله عليه وسلم: يا وارداً من أهيل الحي يخبرني * عن جيرتي شنف الأسماع بالخبر ناشدتك الله يا راوي

حديثهم * حدث ناب سمعي اليوم عن بصري فأجاب لسان حال نبينا صلى الله عليه وسلم: ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا * سر أرق من النسيم إذا سرى وأباح طرفي نظرة أملتها * فعدوت معروفًا وكنت منكرا

[١٥٤]

التنبيه الخامس والمائة: قوله فلما جاوزت نادى مناد: " أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي "، من أقوى ما يستدل به على أن الله تبارك وتعالى كلم نبيه صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء بغير واسطة. التنبيه السادس والمائة: ظاهر سياق حديث شريك أن موسى هو الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: " فاهبط باسم الله "، لأنه ذكر عقب قوله صلى الله عليه وسلم " قد والله استحييت من ربي مما أختلف إليه "، قال: " فاهبط "، وليس كذلك بل الذي قال له: " اهبط باسم الله " جبريل، وبذلك جزم الداودي. التنبيه السابع والمائة: قال السهيلي: " فإن قيل: " كيف استباح النبي صلى الله عليه وسلم شرب الماء الذي في القدر وهو ملك لغيره، وأملاك الكفار لم تكن أبيحت يومئذ ولا دماؤهم؟ " فالجواب أن العرب في الجاهلية كان في عرف العادة عندهم إباحة اللبن لابن السبيل فضلا عن الماء وكانوا يعهدون بذلك إلى رعائهم ويشترطونه عليهم عند عقد إجارتهم ألا يمنعوا (الرسول وهو) اللبن من أحد مر بهم، فكيف بالماء؟ وللحكم بالعرف في الشريعة أصول تشهد له وقد ترجم البخاري عليه في كتاب البيوع وخرج حديث هند بنت عتبة وفيه: " خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف ". قلت: وذكر أئمتنا رحمهم الله تعالى في الخصائص أنه صلى الله عليه وسلم أبيع له الطعام والشراب من مالكما المحتاج إليهما إذا احتاج صلى الله عليه وسلم إليهما فإنه يجب على صاحبهما البذل له صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) (الأحزاب: ٦). التنبيه الثامن والمائة: يأتي الكلام على حبس الشمس في المعجزات. التنبيه التاسع والمائة: قوله صلى الله عليه وسلم: " فجئ بالمسجد وأنا أنظر إليه " إلى آخره كذا في رواية ابن عباس رضي الله عنهما عند الإمام أحمد والنسائي بسند صحيح، وفي رواية عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة عند مسلم قال: " فسألوني عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا لم أكرب مثله قط، فرفعه الله تعالى لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به ". وفي رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: " فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه ". ومعنى " جلي الله بيت المقدس " كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته، ويحتمل أن يريد أنه حمل إلى أن وضع بحيث يراه، ثم أعيد، ويؤيده رواية ابن عباس السابقة، وهذا أبلغ في المعجزات ولا استحالة في ذلك. وقد أحضر عرش بلقيس في أقل من طرفة عين. ووقع في حديث أم هانئ عند ابن سعد: " فخبيل إلي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن

[١٥٥]

آياته ". فإن ثبت احتمال أن يكون المراد أنه مثل قريبا كما قيل في حديث: " أريت الجنة والنار " ويؤيد قوله: " حتى جئ بمثاله ". التنبيه العاشر والمائة: مجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره: من المشهور اثنا عشر شيئا: الأول: كون المعراج قبل البعثة وقدمنا جوابه. الثاني: كونه مناما وتقدم الكلام على ذلك. الثالث: أمكنة الأنبياء في السموات وقد اتضح أنه لم يضبط منازلهم لكن وافقه الزهري في بعض ما ذكر. الرابع: مخالفته في محل سدرة المنتهى وأنها فوق السماء السابعة، مما لا يعلمه إلا الله تعالى، والمشهور

أنها في السابعة أو السادسة كما تقدم، الخامس: مخالفته في النهرين وهما النيل والفرات وأن عنصرهما في السماء الدنيا، والمشهور في غير روايته أنهما في السماء السابعة وأنهما تحت سدرة المنتهى وتقدم جوابه السادس: شق الصدر عند الإسراء وقد وافقته رواية غيره كما تقدم بسط ذلك في أبواب صفاته، السابع: ذكر نهر الكوثر في السماء الدنيا، والمشهور في الحديث أنه في الجنة، وتقدم الكلام على ذلك. الثامن: نسبة الدنو والتدلي إلى الله تعالى، والمشهور أنه جبريل. قال الخطابي: (ليس في هذا الكتاب - يعني صحيح البخاري - أشنع ظاهرا ولا أمتع مذاقا من هذا - يعني قوله: (ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى) - فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر وتمييز مكان كل واحد منهما، هذا مع ما في التدلي من التشبيه، والتمثيل له بالشئ الذي تعلق من فوق إلى أسفل. قال: فمن لم يبلغه من هذا الحديث إلا هذا القدر مقطوعا من غيره، ولم يعتبره بأول القصة ولا بأخرها اشتبه عليه وجهه ومعناه، وكان فصراه إما رد الحديث من أصله وإما الوقوع في التشبيه، وهما خطان مرغوب عنهما. (وأما من اعتبر أول الحديث بأخره فإنه يزول عنه الأشكال فإنه مصرح فيهما بأنه كان رؤيا لقوله في أوله: (وهو نائم) وفي آخره: (استيقظ). وفي بعض الرؤيا مثل يضرب ليتناول على الوجه الذي يجب أن يصرف إليه معنى التعبير في مثله، وبعض الرؤيا لا يحتاج إلى ذلك بل يأتي كالمشاهدة). قال الحافظ: (وهو كما قال ولا التفات إلى من تعقب كلامه بقوله: إن في الحديث الصحيح أن رؤيا الانبياء وحي فلا يحتاج إلى تعبير، لأنه كلام من لم يمعن النظر في هذا المحل، فإن بعض مرآئي الانبياء يقبل التعبير، فمن ذلك قول بعض الصحابة له صلى الله عليه وسلم في رؤيا القميص: (فما أولته يا رسول الله ؟) قال: (الدين). وفي رؤيا اللبن قال: (العلم). لكن جزم الخطابي بأن ذلك كان مناما، وهذا متعقب بما قدمناه من ترجيح كونه في اليقظة بالادلة التي أشرنا إليها.

[١٥٦]

ثم قال الخطابي مشيرا إلى رفع الحديث من أصله (إن القصة بطولها إنما هي حكاية يحكيها أنس من تلقاء نفسه لم يعزها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا نقلها عنه ولا أضافها إلى قوله، فحاصل الأمر في النقل أنها من جهة الراوي أنس، وأما شريك فإنه كثير التفرد بمناكير الالفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة). قال الحافظ: (وما نفاه من أن أنسا لم يسند هذه القصة إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا تأثير له، فأدنى أمره فيها أن تكون مرسل صحابي، فإذا أن يكون تلقاها عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن صحابي تلقاها عنه. ومثل ما اشتملت عليه لا يقال بالرأي فيكون لها حكم الرفع. ولو كان لما ذكره تأثير لم يحمل حديث أحد روى مثل ذلك على الرفع أصلا وهو خلاف عمل المحدثين قاطبة فالتعليل بذلك مردود. ثم قال الخطابي: (إن الذي وقع في هذه الرواية من نسبة التدلي للجبار عز وجل مخالفة لعامة السلف والعلماء وأهل التفسير ومن تقدم منهم ومن تأخر. والذي قيل فيه ثلاثة أقوال: أحدها: دنا جبريل من محمد فتدلى أي تقرب منه، وقيل هو على التقديم والتأخير أي تدلى فدنا لأن التدلي سبب الدنو. الثاني: تدلى جبريل بعد الانصياب والاندفاع حتى رآه متدليا كمار آه مرتفعا، وذلك من آيات الله حيث أفدره على أن يتدلى في الهواء من غير اعتماد على شئ وتمسك بشئ. الثالث: دنا جبريل فتدلى محمد ساجدا لربه شكرا على ما أعطاه من الزلفى. وقد روي هذا الحديث عن أنس رضي الله عنه من غير طريق شريك فلم يذكر هذه الالفاظ الشنيعة، وذلك مما يقوي الظن أنها صادرة من شريك). قال الحافظ: (قد أخرج البيهقي من طريق الاموي في مغازيه عن محمد بن عمر بن أبي سلمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى)

(النجم: ١٣)، قال: (دنا منه ربه)، وهذا سند حسن وهو شاهد قوي لرواية شريك. ثم قال الخطابي: (وفي هذا الحديث لفظة أخرى تفرد بها شريك أيضا لم يذكرها غيره، وهي قوله: (فعلا به) يعني جبريل إلى الجبار تعالى، فقال وهو مكانه: (رب خفف عنا). قال الخطابي: (والمكان لا ينسب إلى الله تعالى، إنما هو مكان النبي صلى الله عليه وسلم في مقامه الاول الذي قام فيه قبل هبوطه). قال الحافظ: (وهذا الاخير متعين وليس في السياق تصريح بإضافة المكان إلى الله تعالى، وأما ما جزم به من مخالفته للسلف والخلف فقد ذكرنا من وافقه). وقد نقل القرطبي عن ابن عباس أنه قال: (دنا الله)، قال القرطبي: (والمعنى دنا أمره وحكمه، وأصل التدلي النزول إلى الشئ حتى يقرب منه). قال: (وقيل التدلي تدلي الرفرف لمحمد حتى جلس عليه، ثم دنا محمد من ربه). وقد أزال العلماء إشكاله فقال القاضي: (إضافة الدنو والقرب هنا من الله أو إلى الله تعالى ليس بدنو مكان وقرب مدى ينتهي إليه وإنما دنو

[١٥٧]

النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه إبانة لعظيم منزلته وتشريف رتبته اعتناء بشأنه وإظهارا لما لم يؤته أحدا غيره وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته، كما قال جعفر بن محمد: (الدنو من الله تعالى لا حد لا ينتهي إليه مطمح فهم أو مطرح وهم، ومن العباد بالحدود الغائية المنتهية إلى غاية). وقال أيضا: (انقطعت الكيفية عن الدنو، ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكونق لبه إلى ما أدناه إليه وأزال من قلبه الشك والارتباب أي الذي عرا خاطره: هل يغشى حضرة هذا القرب وينال مواهبه من إنافة وإكرام وشرف وإنعام فأنجح الله أمنيته لا الشك في ذلك، إذ كان أثبت الناس معرفة وإيمانا وأسكنهم جنانا وأملكهم طمأنينة وسكونا، وإنما الدنو والقرب من الله تعالى أو إليه كناية عن جزيل فوائده إليه وجميل عوائده عليه وتأنيس لاستيحاشيه بانقطاع الاصوات عنه، ويسط بالمكاملة وإكرام بشرائف منيفة، يتأول في دنوه تعالى منه ما يتأول به في قوله صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر) (١)، على أحد الوجوه من أن نزوله تعالى إنما هو نزول إفضال وإجمال وقبول توبة وإحسان بمعرفة وإشفاق). وقال الواسطي: (من توهم أنه بنفسه دنا فقد جعل ثم مسافة ولا مسافة لاستحالتها بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا، يعني كلما قرب منه نزل بساحة البعد كناية عن نفيهما جميعا أو عن إدراك حقيقته إذ لا يدركها أحد، ولا دنو للحق ولا بعد، لاستحالتهما. وأما قوله تعالى: (فإنني قريب) فتمثيل لكمال علمه وإجابة لتعالیه عن القرب مكانا. ويتأول في الدنو ما يتأول في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري حكاية عن ربه تبارك وتعالى: (من تقرب مني سشبرا تقربت منه ذراعا)، وهو تمثيل يقرب المعنى للأفهام، أي من تقرب إلى طاعتي جازيته بأضعاف ما تقرب به إلي. (ومن أتاني يمشي أتيته هزولة)، أي سبقته بجرائه، فهو أقرب بالاجابة والقبول، وإتيان بإحسان، وتعجيل المأمول، ثوابا مضاعفا على حسب ما تقرب به، وقد سبق به طريق المشاكلة فمساها تقريبا). التاسع: تصريحه بأن امتناعه صلى الله عليه وسلم من الرجوع إلى سؤال ربه تبارك وتعالى في طلب التخفيف كان عند الخامسة، ومقتضى رواية ثابت أنه كان بعد السابعة. العاشر: قوله: (فعلا به الجبار)، وهو مكانه تقدم ما فيه. الحادي عشر: رجوعه بعد الخمس، والمشهور في الاحاديث أن موسى أمره بالرجوع بعد أن انتهى التخفيف إلى خمس فلم يرجع. الثاني عشر: زيادة ذكر (التور) بالتاء المثناة في الطست، فإنه قال: (أتي بطست من ذهب فيه تور من

[١٥٨]

ذهب)، فيحتمل أنه طست صغير كبير لئلا يتبدد منه شئ فيكون في الكبير. وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه ورواية شريك أنهم غسلوه بماء زمزم فيحتمل أن يكون أحدهما فيه ماء زمزم والآخر هو المحشو بالإيمان، ويحتمل أن يكون التور ظرف الماء والإيمان والطست لما يصب فيه عند الغسل صيانة له عن التبدد في الأرض وجريا له على العادة في الطست وما يوضع فيه الماء. التنبيه الحادي عشر والمائة: في بيان غريب ما تقدم: (بينما): الأصل (بين) فأشبع الفتحة فصارت ألفا وزيدت الميم فيقال: (بيناً) و (بينما). قال في النهاية: وهما ظرفا زمان بمعنى المفاجأة، وقال في المطالع: (بيناً أنا) و (بينما أنا) من البين الذي هو الوصل أي أنا متصل بفعل كذا. (الحجر)، بكسر الحاء وسكون الجيم وهو هنا حطيم مكة وهو المدار عليه بالبناء من جهة الميزاب وسمي حجرا لانه حجر عنه بحيطانه وحطيمه لانه حطيم جداره عن مساواة الكعبة وعليه ظاهر قوله: (بيناً أنا في الحطيم)، وربما قال: (في الحجر)، والشك من قتادة. وقال الطيبي: (لعله صلى الله عليه وسلم حكى لهم قصة المعراج فعبر بالحطيم تارة وبالحجر أخرى). وقيل: الحطيم غير الحجر، وهو ما بين المقام إلى الباب، وقيل: ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر، والراوي شك أنه سمع في الحطيم، أو في الحجر. (أوسطهم) خيرهم. (الثغرة) (١) بضم المثناة وسكون المعجمة الموضع المنخفض بين الترقوتين، إلى أسفل بطنه أي شعرته بكسر الشين المعجمة أي شعر العانة. وفي رواية: (فشق جبريل ما بين نحره إلى لبيه وهي بفتح اللام وتشديد الموحدة موضع القلادة من الصدر، وفي رواية (إلى ثنته) بضم المثناة وتشديد النون أي ما بين سرته إلى عانته. وفي رواية: (من قصته بفتح القاف وتشديد الصاد المهملة أي رأس صدره، وفي رواية: (فرج صدري) ومعنى الروايات واحد. (الطشت) (٢) بفتح الطاء وسكون السين المهملة، وإعجامها ليس بلحن، بل لغة صرح بها صاحب القاموس فيه وفي كتاب: (تخيير الموشين فيما يقال بالسين والشين)، وبمثلة وقد تحذف وهو الأكثر وإتيانها لغة طئ، وأخطأ من أنكرها، وتدغم السين في التاء بعد قلبها فيقال طس وهي مؤنثة وجمعها طساس وطسوس وطسوت.

(١) انظر الوسيط ١ / ٩٧. (٢) الطساس: جمع طس، وهو الطست، والتاء فيه بدل من السين، فجمع على أصله، ويجمع على طسوس أيضا. انظر النهاية لابن الأثير ٣ / ١٢٤، والمعجم الوسيط ٣ / ٣٦٥١. (*)

[١٥٩]

(اختلف إليه): تردد. (ممثلئ) بالتذكير على معنى الاناء، وفي رواية: (مملوءة)، بالتأنيث أي الطست، وفي رواية (محشوا) بالنصب وأعرب بأنه حال من الضمير في الجار والمجرور، وفي رواية (محشو)، وفي رواية شريك: بطشت من ذهب بمثناة فوقية وباتي لهذا مزيد بيان. (إيماناً) منصوب على التمييز (وحكمة) معطوف عليه. قال ابن أفي جمرة: وفي هذا الحديث أن الحكمة ليس بعد الإيمان أجل منها، ولذلك قرنت به، ويؤيده قوله تعالى: (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) (البقرة: ٢٦٩) وقد اختلف في تفسير الحكمة فقيل إنها العلم المشتمل على معرفة الله تعالى مع نفاذ البصيرة وتهذيب

النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده، والحكيم من حاز ذلك، قال النووي: (هذا ما صفا لنا من أقوال كثيرة)، انتهى. وقد تطلق الحكمة على القرآن وهو مشتمل على ذلك كله، وعلى النبوة كذلك، وقد تطلق على العلم فقط ونحو ذلك. قال الحافظ: (وأصح ما قيل فيها إنها وضع الشيء في محله، أو الفهم في كتاب الله، وعلى التفسير الثاني قد توجد الحكمة دون الايمان وقد لا توجد، وعلى الاول قد يتلازمان لان الايمان يدل على الحكمة. (دابة أبيض) إنما قال أبيض ولم يقل بيضاء لانه أعاده على المعنى أي مركوب أو براق. (مسرحا ملجما) حالان من البراق. (الحافر) (١) أحد حوافر الدابة سمي بذلك لحفره الارض لشدة وطئه عليها. (الطرف) بسكون الراء وبالفاء النظر. (مضطرب الاذنين) أي طويلهما والطاء بدل من التاء. (يحفز (٢) بها رجليه) بمثابة تحتية مفتوحة فحاء مهملة ساكنة فحاء مكسورة قال في النهاية: الحفز الحث والاعجال. (عرف (٣) الفرس) بضم العين المهملة وبالفاء الشعر النابت في محذب رقبتة. (الاطلاف) جمع ظلف بكسر الطاء المعجمة المشالة وهو من الشاء والبقر كالظفر للانسان.

(١) انظر لسان العرب ٢ / ٩٢٥. (٢) أنظر اللسان ٢ / ٩٢٦. (٣) أنظر المعجم الوسيط ٢ / ٥٩٥. (*)

[١٦٠]

(صرت بأذنيها) أي جمعت بينهما وأصل الصر الجمع والشد قاله في النهاية وفي الصحاح: الصره الشدة من كرب وغيره. (ارفض) جرى وسال. (عرفا) منصوب على التمييز من الفاعل ولذا ورد مخففا والمعنى فترا من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب فوثب. (الزمام) بالكسر المقود. (طيبة) (١) من أسماء المدينة الشريفة. (يهوي به) يسرع السير. (مدين) بفتح الميم وسكون الدال المهملة وفتح المثناة التحتية بلد بالشام تلقاء غزة. (طور سينا): الطور جعل بيت المقدس وسينا بكسر السين اسم للبقعة. (بيت لحم) بلام مفتوحة فحاء (مهملة) ساكنة قرية من قرى الشام تلقاء بيت المقدس. (العفريت) من الجن العارم الخبيث ويستعمل في الانسان استعارة الشيطان له. (الشعلة) من النار بالضم وهي شبه الجذوة، والجذوة مثلثة الجيم الجمرة. (خر لفيه) أي على فمه. (الكلمات التامات) أي الكاملة فلا يدخلها نقص ولا عيب، وقيل النافعة الشافية. (لا يجاوزهن) أي لا يتعداهن. (البر) بفتح الباء التقوي. (الفاجر) المائل عن الحق. (ذراً) خلق. (طوارق الليل) (٢) حوادثه التي تأتي ليلا. (الماشطة) اسم فاعل من مشط الشعر يمشطه ويمشطه بضم المعجمة وكسرهما مشطا سرحه، والتثقيب مبالغة. (المشط) بضم الميم وإسكان الشين ومع ضمها أيضا، وبكسر الميم مع إسكان الشين، ويقال ممشط بميمين الاولى مكسورة.

(١) اللسان ٤ / ٢٧٣٤. (٢) المعجم الوسيط ٢ / ٥٥٦. (*)

[١٦١]

و (تعس) بفتح العين وتكسر، تعسا بسكون العين وفتحها لم يستقل من عثرته وأتعسه الله فتعسى ويقال تعس أكبر على وجهه. (راودوا) (١) المرأة) أي راجعواها. (فأمر ببقرة من نحاس) بباءين موحدتين فقاف، قال الحافظ أبو موسى المدني: الذي يقع لي في معناه أنه

لا يريد شيئا مصوغا علي صورة البقرة، ولكنه ربما كانت قدرا كبيرة واسعة فسامها بقرة مأخوذا من التبقر التوسع أو كان شيئا يسع بقرة تامة بتوابلها فسميت بذلك. ولا تقاعسي (٢) أي لا تتأخري وتتوقفي عن إلقاءك في النار، يقال تقاعس عن الامر إذا تأخر ولم يتقدم فيه. (ترضخ (٣) رؤوسهم) تشدخ كذا في الغريب. وقال في المصباح: تكسر. (لا يقر) لا يسكن. (يسرحون) يقال سرحت الابل به سرحا وسروحا أيضا رعت. (الضريع) (٤): الشوك اليابس أو نبات أحمر منتن الريح يرمي به البحر. (الزقوم) ثمر شجر كربه الطعم قيل لا يعرف في شجر الدنيا وإنما هي في النار يكره أهل النار أكلها، كما قال تعالى (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلوعها كأنه رؤوس الشياطين) (الصفات: ٦٤، ٦٥) (رضف جهنم) بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة بعدها فاء، هي الحجارة المحماة واحدها رضفة (٥). (النئ) بالهمز وزان حمل كل شئ شأنه أن يعالج بشئ أو طبخ لم ينضج يقال لحم نئ والادغام والابدال عامي. (الجحر) بضم الجيم وسكون الحاء المهملة وهو النقب المستدير. (الثور) بالمثلثة معروف.. (الغرف) بالضم جمع غرفة وهي العلية.

(١) راوده على الامر: طلب منه فعله. انظر المعجم الوسيط ١ / ٣٨٢. (٢) اللسان ٥ / ٣٦٩٢. (٣) الرضخ: الشدخ. والرضخ أيضا: الدق والكسر. انظر النهاية لابن الاثير ٢ / ٢٢٩. (٤) المفردات في غريب القرآن ٣٩٥. (٥) رضفه: كواه بالرضفة، الرضفة: الحجر المحمي بالنار أو الشمس. انظر المعجم الوسيط ١ / ٣٥١. (*)

[١٦٢]

(الاستبرق) ثخين الديباج. (السندس) رقيب الديباج. (العبقري) قيل هو الديباج وقيل البسط الموشية وقيل الطنافس الثخان والاصل في العبقري فيما قيل إن عبقر قرية يسكنها الجن فيما يزعمون فكلمتا يرون شيئا فائقا غريبا مما يصعب عمله ويدق أو شيئا عظيما في نفسه نسبه إليها. (اللؤلؤ (١)) بهمزتين وبحدفهما وبإثبات الاولى دون الثانية. (المرجان): قال الازهرى وغيره هو صغار اللؤلؤ وقال الطرطوشي هو عروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف، قال: وهكذا شاهدناه بمغارب الارض كثيرا. (الاكواب): جمع كوب: إناء لا عروة ولا خرطوم. (الصحاف). جمع صحفة إناء كالقصة. (السعير) النار، وسعرتها وأسعرتها وأوقدتها. (الدجال): أصل الدجل الخلط يقال رجل دجل (٢) إذا لبس وموه والدجال فعال من أبنية المبالغة أي يكثر من الكذب والتليبس وهو الذي يظهر في آخر الزمان. (فيلمانيا) (٣): قال في النهاية الفيلم العظيم الجنة والفيلم الامر العظيم وإلياء زائدة والفيلمانني منسوب إليه بزيادة ال لالف والنون للمبالغة. (أقمر) أي شديد البياض. (هجان): شديد البياض. (دري): مضئ. (عبد العزى بن قطن): بفتح القاف والمهملة وهو ابن عمرو بن جندب / بن سعيد بن عابد بن مالك بن المصطلق. هلك في الجاهلية، ووقع عند ابن مردويه: قطن بن عبد العزى وهو وهم من بعض روايته. (العمود) بفتح العين المهملة وضم الميم معروف وجمعه عمد بضمعين وأعمدة بكسر الميم وفتح الدال.

(١) اللؤلؤ: الدر، وهو يتكون في الاصداف من رواسب أو جوامد صلبة لماعة مستديرة في بعض الحيوانات المائية الدنيا من الرخويات. واحده: لؤلؤة. انظر المعجم الوسيط ٢ / ٨١٧. (٢) لسان العرب ٢ / ١٣٣٠. (٣) انظر اللسان ٥ / ٤٤٦٧. (*)

[١٦٣]

(حاسرة) اسم فاعل من حسر. (با أول حاشر) تقدم الكلام عليهما في الاسماء النبوة. (الكثير) (١): التل من الرمل. (طوال): يقال رجل طويل فإن زاد قيل طوال بالضم مخففا، فإن زاد قيل طوال مشددا. (شعر سبط) (٢) بفتحين وككتف ويسكن، ثم قد يكسر، مسترسل، وجسم سبط ككتف ويسكن حسن القد والاستواء. (أدم): بالمد أسمر. (أزد) بفتح الهمزة وسكون الزاي وبالذال المهملة. (شنوءة) بفتح الشين المعجمة وضم النون وسكون الواو وبعدها همزة ثم تاء تأتي حي من اليمن ينسبون إلى شنوءة وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد، ينسبون إلى شنوءة وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد، ولقب شنوءة لشبان كان بينه وبين أهله والنسبة إليه شنوئي بالهمز بعد الواو وشنأي (٣) بالهمز بغير واو. وقال ابن قتيبة: (أزد شنوءد): من قولك: رجل فيه شنوءة أي تقزز. والتقزز بقاف وزاين التباعد من الادناس. قال الداودي: (رجال الازد معروفون بالطول). وفي رواية: كانوا من رجال الزط (٤) وهم معروفون بالطول والادمة. (يعاتب ربه) وفي رواية سمعت صوتا وتذميرا فقلت من هذا؟ قال: هذا موسى. قلت: أعلى ربه؟ قال: نعم قد عرف حديثه. قال الخليل رحمه الله تعالى: حقيقة العتاب مخاطبة الادل ومذاكرة الموحدة، والتذمر بذال معجمة مثله. (الحدة) بكسر الحاء المهملة. (السرحة) بسين فراء فحاء مهملات وزن كتب جمع سرحة وهي الشجرة العظيمة. (حلها) بضم الجيم معظمها. (مثل الزرابي) بزاي فراء كما رأته بخط جماعة منهم الذهبي في تاريخ الاسلام والهيتمي في مجمع الزوائد والشيخ في تفسيره جمع زربية بتثليث الزاي وهي الطنفسة بكسر الطاء والفاء وبضمهما وبكسر الطاء وفتح الفاء وهي البساط الذي له خمل رقيق، ورأيت بخط

(١) انظر المعجم الوسيط ٢ / ٧٧٧. (٢) أنظر اللسان ٣ / ١٩٢٢. (٣) اللسان ٤ / ٢٢٢٥. (٤) انظر لسان العرب ٣ / ١٨٢٠. (*)

[١٦٤]

بعض المحدثين الروابي براء فواو وأظنه تصحيفا وإن كان قريب المعنى. (الحممة) بحاء مضمونة الفحمة. (السحنة) بضم السين المهملة وسكون الخاء المعجمة أي الحارة. (بالحلقة) بإسكان اللام ويجوز فتحها وبالفتح جمعها حلق وحلقات وبالاسكان حلق وحلق بفتح الحاء وكسرها. (يربط به الانبياء): قال النووي: كذا في الاصول (به) بضمير المذكر أعاده على معنى الحلقة وهو الشيء. قال صاحب التحرير: المراد حلقة باب مسجد بيت المقدس. (الخليل والامة والقانت) سبق بيانها في أسمائه الشريفة (المحارب (١))، قال في أنوار التنزيل هي قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانه يذب عنها ويحارب عليها. (التمثيل) الصور ولم تكن محرمة في زمنه. (الجفان) جمع جفنة بفتح الجيم وسكون الفاء وهي القصعة الكبيرة، قال ابن الجوزي في زاد المسير: قال المفسرون كانوا يصنعون القصاع الكبيرة كحياض الابل يجتمع على الواحدة منها ألف رجل. (الجوابي) جمع جابية وهي الحوض الكبير يجبي فيه الماء أي يجتمع. (الاكمة) الذي يولد أعمى. (كافة للناس): تقدم في الاسماء الشريفة. (قدور راسيات): أي ثوابت قال في زاد المسير: وكانت القدور كالجبال لا تتحرك من أماكنها يأكل من القدر ألف رجل. (الفرقان) من أسماء القرآن وسمي به لانه فرق به بين الحق والباطل. (التبيان): بكسر أوله البيان الشافي. (وسطا): خيارا عدلا: (الاولون) في دخول الجنة (والآخرون) في الوجود. (الوزر): يأتي الكلام عليه في أبواب عصمته. (ورفع لي ذكرى): يأتي ذكره في الخصائص. (جعلني فاتحا): أي الابواب الايمان والهداية إلى صراط

مستقيم وليبان أسباب التوفيق وما استعلق من العلم أو هو من
الفتح بمعنى الحكم فجعله حاكما في خلقه فانفتح ما انغلق

(١) انظر المفردات في غريب القرآن ١١٢. (*)

[١٦٥]

بين الخصمين بأحيائه الحق وإيضاح وإماتته الباطل وإذ حاضه. (خاتما
للنبيين): أي آخرهم بعثا. (وجبتها) سقوطها. (النجد) ما ارتفع من
الارض. (ينسلون) يسرعون. (تجزم الارض) (١). من ريجهم بالجيم
تنتن من حيفهم. (الحامل المتم) أي التي دنا ولادها. (الفطرة):
بالكسر الهدى والاستقامة. (المعراج) لغة السلم وجمعه معارج
ومعارج. قال الاخفش إن شئت جعلت الواحد معرج ومعرج بفتح
الميم وكسرهما، فعلى هذا يكون الجمع لمعرج بفتح الميم معارج
بياء ومعرج بكسرهما معارج بغير ياء، والمعارج المضاعف، ويقال عرج
في السلم بفتح الراء يعرج بضمها عروجا إذا ارتقى وعرج أيضا بفتح
الراء إذا غمز من شئ أصابه في رجله فجمع (٢) ومشى مشية
الاعراج إذا لم يكن خلقه أصلية، فإذا كان خلقه يقال عرج بكسر الراء
يعرج بفتحها. (طمح) (٣) بصره إلى الشئ ارتفع وكل طامح مرتفع.
(المرقاة (٤)) موضع الرقي ويجوز فيها فتح الميم على أنه موضع
الارتفاع ويجوز الكسر تشبيها باسم الآلة كالمطهرة وأنكر أبو عبيد
الكسر. (منضد باللولؤ): أي جعل بعضه على بعض. (مرحبا) بالتنونين:
كلمة تقال عند المسرة بالقادم ومعناها صادفت رحبا أي سعة
ويكنى بذلك عن الانشراح فوضع المرحب موضع الترحيب. (وأهلا) أي
أتيت أهلا فاستأنس ولا تستوحش. (حياه الله) أي أبقاه، من الحياة
وقيل سلم عليه من التحية والسلام وقول الملائكة: (من أخ)، المراد
بهذه الاخوة أخوة الايمان المشار إليها بقوله تعالى: (إنما المؤمنون
إخوة) (الحجرات: ١٠).

(١) انظر اللسان ١ / ٦١٩. (٢) الخمع: العرج ورجل في رجل خمع أي عرج. انظر ترتيب
القاموس ٢ / ١١٠. (٣) انظر لسان العرب ٣ / ٢٧٠٤. (٤) اللسان ٣ / ١٧١١. (*)

[١٦٦]

(الخليفة): تقدم في أسمائه الشريفة.. (نعنم المجرى جاء):
المخصوص بالمدح محذوف وفيه تقديم وتأخير، والاصل: فلنعنم
المجرى مجيئه. (خلصا) وصلا. (عليين): اسم لاعلى الجنة. (سجين)
(١): موضع فيه كتاب الفجار. (الاسودة) (٢) جمع سواد ويجمع على
أساود. قال النووي: قال أهل اللغة: السواد الشخص وقيل السواد
الجماعة. وقال في التقريب: السواد نقيض البياض وكل شخص من
متاع أو حيوان والجمع أسودة ثم أساود. (نسم) (٣) نبيه) بنون
فسين مهملة مفتوحتين جمع نسمة بالتحريك وهي الروح. (قبل
يمينه) بكسر القاف وفتح الموحدد أي جهة يمينه. (هنيهة (٤))
تصغير هنة يعني شيئا يسيرا والهاء بدل من الباء والاصل هنية.
(الاخونة) (٥) جمع خوان بكسر المعجمة وضمها الذي يؤكل عليه.
وقال الخليل: هو المائدة. (أروح) تغيرت رائحته. (المائدة) الخوان إذا
كان عليه طعام. (جيف) (٦) بكسر الجيم وفتح الباء جمع حيفة وهي
الميتة من الدواب والماشية سميت بذلك لتغير ما في جوفها. (ا)
لسابلة): أبناء السبيل المختلفة. (يضجون): بالجيم يصيحون من
الفرع. (المس) الجنون.

(١) المفردات ٢٢٥، (٢) انظر المعجم الوسيط ١ / ٤٦١، (٣) انظر المعجم الوسيط ٢ / ٩١٩، (٤) انظر المعجم الوسيط ٢ / ٩٩٨، (٥) المصباح المنير ١٨٥، (٦) المعجم الوسيط ١ / ١٥٠ (*).

[١٦٧]

(المشافر) بالمعجمة جمع مشفر بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الفاء وهي من البعير كالجحفة من الفرس وهي من ذي الحافر كالشفة للإنسان، (ثديهن) بضم المثناة وكسر المهملة جمع ثدي يذكر ويؤنث فيقال هو الثدي وهي الثدي ويجمع أيضا على أئد وزن أكل وربما جمع على ثداء مثل سهم وسهام، (الهمازون) الذين يغتابون الناس من غير مواجهة؛ (١) للمازون (١) العيابون، (بابني الخالة): قال ابن السكيت: (يقال أبناء خالة ولا يقال أبناء عمه، ويقال أبناء عم ولا يقال أبناء خال)، قال الحافظ: (وسبب ذلك أن ابني الخالة أم كل منهما خالة الآخر، بخلاف ابني العمه، (عيسى): اسم أعجمي غير منصرف، للعلمية والعجمة، وقيل مشتق من العيس وهو البياض، والإعيس الجميل الأبيض وجمعه عيسى فقيل له عيسى لبياض لونه، وقيل من العوس وهو السياسة وأصله عوسا فقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها، وقيل له عيسى لأنه ساس نفسه بالطاعة، وقلبه بالمحبة، وأمنته بالدعوة إلى رب العزة، (مريم): اسم أعجمي فيه ثلاث علل: العلمية والتأنيث المعنوي والمعجمة، وقيل معناه بالعبراني: خادمة الله، وقيل أمة الله، وقيل المحررة، (يحيى): مشتق من الحياة وأطلق عليه هذا الاسم لأنه ولد في حال شيخوخة والديه، وغالبا لا يطول عمر من كان كذلك، فوهبه الله تعالى هذا الاسم طمأنة لقلبيهما أن يحيا كثيرا، وأنه ولد يحيا بالمحبة، حي الجسم بالطاعة حي اللسان بالذكر حي السر بالمعرفة معصوما من الزلة، (زكريا): اسم أعجمي يقصر ويمد وقرئ بهما في السبعة، ويقال له زكريا بتخفيف الباء وتشديدها، وزكريا كان عالما بالتوراة والانجيل وكان إمام علماء بيت المقدس ومقدمهم وكان من تلاميذه أربعة آلاف عالم قارئ للتوراة: (النفر) محركا جماعة الرجا لمن ثلاثة إلى عشرة أو إلى سبعة، (وإذا هو بعيسى جعد (٢)): قال النووي: قال العلماء: (المراد بالجعد هنا جعودة الجسم وهو اجتماع واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر)، (مربوع) هو الرجل الذي بين الرجلين في القامة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحقيق.

(١) المفردات في غريب القرآن ٤٥٤، (٢) اللسان ١ / ٦٣٢ (*).

[١٦٨]

(سبط الرأس) بفتح الباء وكسرها ويجوز إسكان الباء مع فتح السين ومع كسرها على التخفيف أي مسترسل الشعر وليس فيه تكسير، (الديماس) (١) بكسر الدال المهملة وفتح وبإسكان المثناة لتحتية، فسره الراوي وهو عبد الرزاق بالحمام، والمعروف عند أهل اللغة أن الديماس هنا هو الشرب، والمراد من ذلك وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه حتى كأنه كان في موضع كن فخرج منه وهو عرفان، قال السهيلي: وفي هذه الصفة من صفات عيسى عليه السلام إشارة إلى الري والخصب في أيامه إذا أهبط إلى الأرض، (عروة بن مسعود) أحد السادة الصحابة رضي الله عنهم، (يوسف): اسم أعجمي وتثنت سینه وهو غير منصرف للعلمية والعجمة، (إذ هو قد أعطى) بدل من الاول بدل اشتمال (الشطر):

قال بعض شراح المصاييح: المراد به هنا النصف، وقيل: البعض لان الشطر كما يراد به نصف الشيء قد يراد به بعضه مطلقا. قال الطيبي: وقد يراد به الجهة أيضا نحو قوله تعالى: (فول وجهك شطر المسجد الحرام) (البقرة: ١٤٤) أي جهته (من الحسن) أي مشحة منه كما يقال على وجهه مسحة ملك ومسحة جمال أي أثر ظاهر ولا يقال ذلك إلا في المدح. (هارون): اسم أعجمي للعلمية والعجمة وقل معرب. (أرون) والارن النشاط سمي به لنشاطه في طاعة الله تعالى، ثم قيل هارون كما قالوا في إياك هياك. (الرهط) يسكون الهاء وفتحها ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة أو منها إلى الاربعين. (القوم): جماعة الرجل عند الاكثرين. (الافق) بضمتمين وجمعها آفاق بالمد أي النواحي. (موسى) اسم معرب أصله (مو) وهو بالعبرانية الماء، (والسا) وهو الشجر، سمي به لانه وجد في الماء والشجر الذي كان حول قصر فرعون. (آدم أسمر طوال): تقدم. (جاوزة): عداه وفارقه.

(١) لسان العرب ٢ / ١٤٢١. (*)

[١٦٩]

(يزعم): يقول: (إسرائيل) يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ومعناه عبد الله وقيل صفوة الله وقيل سر الله لانه أسرى به لما هاجر، وفيه لغات أشهرها بباءين بعد الهمزة ثم لام، وقرئ إسرائيل بلا همز. (الشمط) (١): بياض شعر الرأس يخالطه سواده والرجل أشمط وقوم شمطان مثل أسود وسودان وقد شمط بالكسر شمطا والمرأة شمطاء. (مسند ظهره)، مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو مسند ظهره، وفي رواية: مسندا ظهره بالنصب على الحال. فائدة: نقل في النور أن السلطان الملك برقوق سأل عن البيت المعمور من أي شيء هو؟ قال بعض الحاضرين بأنه من عقيق، ونقله عن بعض التفاسير. (الغراس) بكسر الغين المعجمة وبالسين المهملة يقال غرست الشجرة غرسا من باب ضرب، والشجر مغروس ويطلق عليه أيضا غرس وغراس بالكسر فاعل بمنى مفعول مثل كتاب وبساط. (القرطيس) جمع قرطاس ما يكتب فيه، وكسر القاف فيه أشهر من ضمها، والقرطس وزان جعفر فيه لغة. (ولم يلبوسا إيمانهم بظلم) أي لم يخلطوه بشرك. (ثياب رمد) (٢) أي لون الرماد. (آخر ما عليهم) بضم الراء وفتحها، فالرفع على تقدير: ذلك آخر ما عليهم، والنصب على الظرف، قال القاضي: والرفع أجود. (الجلس) - بحاء مهملة مكسورة ويفتح فلام ساكنة فسين مهملة. كساء يلي ظهر البعير القتب، والمراد أنه لتصاغره واختفائه عن هيبة الله تعالى أشبه المجلس المختفي تحت القتب، ولهذا في بعض الروايات قال (لا طئ) وهو بهمزة في آخره. ويقال لطئ بالارض لطوءا لصق بها، وهو شدة معرفته بها، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (فعرقت فضل علمه بالله علي). قال بعضهم: وإنما قال ذلك صلى الله عليه وسلم تواضعا إذ لا خلاف أنه أفضل خلق الله، وإنما الخلاف في غيره من الملائكة. قلت: أو قال ذلك قبل أن يصل إلى ما وصل إليه. (أسن الماء) (٣) بفتح السين وكسرها يأسن مثلثة (أسنا وأسنا) وأسونا تغير فلم يشرب فهو أسن.

(١) لسان العرب ٢ / ٢٢٢٧. (٢) لسان العرب ٢ / ١٧٢٧. (٣) المفردات في غريب القرآن ١٨. (*)

(النبق): يفتح النون وكسر الباء وتسكن ثمره السدرة. (قلال هجر): قال الخطابي بكسر القاف جمع قلة بالضم وهي الجرار الواحدة تسع قريتين أو أكثر وهجر بفتح الهاء والجيم من قرى المدينة ولا تنصرف للتأنيث والعلمية، ويجوز الصرف، يريد أن ثمر السدرة في الكبر مثل القلال، وكانت معروفة عند المخاطبين، ولذلك وقع التمثيل بها. تنبيه: سئل: هل ثمر سدرة المنتهى كالثمار المأكولة في أنه يزول ويعقبه غيره؟ وهل الزائل يؤكل أو يسقط؟ (وإذا ورقها مثل آذان الفيلة): بكسر الفاء وفتح المثناة التحتية بعدها لام، وحكى الزركشي والبرماوي (١) فتح الفاء وقال الدماميني: إنه سهو، والفيلة جمع فيل، وفي رواية: مثل آذان الفيول وهي جمع فيل أيضا، ولا منافاة بين ذلك وبين قوله: (تكاد الورقة تغطي هذه الامة)، لان المراد التشبيه في الشكل خاصة لا في الكبر ولا في الاحسن. (أنهار): جمع نهر بسكون الهاء وفتحها. (غشيتها ألوان): علاها ولايسها، (فلما غشيتها من الله ما غشيتها) هو كقوله تعالى: (إذ يغشى السدرة ما يغشى) (النجم: ١٦) في إرادة الابهام للتخيم والتهويل، وإن كان معلوما كما في قوله تعالى: (فغشيه من اليم ما غشيه) (طه: ٧٨) في حق فرعون. وقوله: فراش بيان له. (الزبرجد) (٢) بزاي مفتوحة وبالذال المهملة جوهرم عروف ويقال هو الزمد (٣). (يلوذ بها): يطوف بها. (الغراش) بالفتح جمع فراشة: الطير الذي يلقي نفسه في ضوء السراج.

(١) محمد بن عبد الدائم بن موسى، الشيخ الامام، العالم المغنن، شمس الدين أبو عبد الله العسقلاني الاصل البرماوي، المصري، مولده في ذي القعدة سنة ثلاث وستين وسبعائة، وأخذ عن الشيخ سراج الدين البلقيني، والشيخ سراج الدين الملقن، والشيخ زين الدين العراقي، والشيخ عز الدين بن جماعة، ومجد الدين البرماوي، والقاضي بدر الدين ابن أبي البقاء. وكان في صغره في خدمته، وسمع الكثير وفضل وتميز في الفقه والنحو، والحديث والاصول وكانت معرفته بهذه العلوم الثلاثة أكثر من معرفته بالفقه، وكتب شرحا على البخاري لم يبينه، وجمع شرحا على العمدة سماه جمع العدة لفهم العمدة، وأفرد أسماء رجال العمدة. وله الالفية في الاصول وشرحها، أخذ أكثره من البحر للزركشي، وله منظومة أخرى في الفرائض وغير ذلك، ومات في جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة. الطبقات لابن قاضي شهبه ٤ / ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، وإنباء الغمر ٨ / ١٦١، والاعلام ٧ / ٦٠، وشذرات الذهب ٧ / ٢٠١. (٢) أنظر المعجم الوسيط ١ / ٢٨٨. (٣) الزمرد: حجر أخضر اللون، شديد الخضرة، شفاف، واشده خضرة أجوده وأصفاه جوهرا، واحدته زمردة. انظر المعجم الوسيط ١ / ٤٠١. (*)

(خلي على سبيلك): بالبناء للمفعول، وهو صفة لقوله: أي أحد من أمتك ترك على طريقك. (الفرات): بضم الفاء وبالطاء المبسوطة وصلا ووقفا. ومن قال بالهاء فقد أخطأ. (العنصر): بضم العين والصاد المهملتين بينهما نون ساكنة، وهو الاصل. (السلسبيل) اسم عين في الجنة. (الكوثر): يأتي الكلام عليه في الخصائص وفي أبواب حشره صلى الله عليه وسلم. (يطرد): يجري. (عجاجا) (١): كثير الماء كأنه يعج من كثرتة وصوت تقعقه. (الخيام) جمع خيم كفرخ وفراخ وسهم وسهام وهو مثل الخيمة، وهو بيت تنبيه العرب من عيدان الشجر. قال ابن الاعرابي: لا تكون الخيمة عند العرب من ثياب بل من أربعة أعواد ثم يسقف بالثمام بضم الثاء (المثلثة) وهو نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص، والجمع خيمات وخيم وزان بيضات وقطع. (الرضاض) (٢): بفتح الراء وسكون الصاد المعجمة، وبأخرى مثلها: الحصى الصغار. (الزمرد) بزاي فميم فراء مشددة مضمومات فذال معجمة، هو الزبرجد. (خبا لك): بفتح الخاء المعجمة والموحدة مهموزا أي ادخره لك ربك. (ابن حارثة): يأتي الكلام عليه في الموالي. (جنايد اللؤلؤ) (٣): بجيم فنون مفتوحتين فألف فباء موحدة

فذل معجمة وهي القباب واللؤلؤ تقدم. (القيعان): جمع قاع وهو المكان المستوي من الارض، ويجمع أيضا على أقوع وأقواع. (الوجس) (٤) بفتح الواو وسكون الجيم بعدها سين مهملة: الصوت الخفي. (الدلاء) بكسر الدال جمع دلو. (للابل المقتبة) أي التي بأقتابها (٥).

(١) انظر اللسان ٤ / ٢٨١٣. (٢) اللسان ٣ / ١٦٥٩. (٣) انظر لسان العرب ١ / ٦٩٥. (٤) انظر المعجم الوسيط ٢ / ١٠١٤. (٥) القتب: الرجل الصغير على قدر سنام البعير. والجمع أقتاب. المعجم الوسيط ٢ / ٧٢٠. (*)

[١٧٢]

(مسك أذفر): يقال ذفر الشيء بالكسر ذفرا بالتحريك اشتدت رائحته طيبة كانت أو كريهة. (عافر الناقة): اسمه قدار بضم القاف والتخفيف، ابن سالف بالسين المهملة والفاء. (غشيتها أنوار الخلائق): إضافة تشريف كما يقال بيت الله. (الغريان) جمع غراب. (ظهر) ارتفع. (سبوح (٢) قدوس (٢)) بضم أولهما أي نزه عن سوء وعيب. (لمستوى): بفتح الواو وبالتنوين: موضع مشرف (يستوي عليه) أي يصعد وقيل المكان المستوي، (وفي بعض الاصول): (بمستوي) بموحدة بدل اللام وعليهما فالباء ظرفية. وعلى رواية اللام: قال التوربشتي: اللام للعلة أو ارتفعت لاستعلاء مستوى أو لرؤيته أو لمطالعتة ويحتمل أن يكون متعلقا بالمصدر أي ظهرت ظهور المستوى، ويحتمل أن تكون بمعنى (إلى). قال تعالى: (أوحى لها) أي إليها، والمعنى: إنني أقمت مقامها بلغت فيه من رفعة المحل إلى حيث اطلعت على الكواكب فظهر لي ما يراد من أمر الله وتدبيره في خلفه، وهذا هو المنتهى الذي لا تقدم فيه لاحد عليه. وقال الطيبي: (لام) الغرض (والى) الغائية يلتقيان في المعنى، قال في الكشف في قوله تعالى: (كل يجري إلى أجل مسمى) (لقمان: ٢٩): (فإن قلت: يجري لأجل مسمى، ويجري إلى أجل مسمى، أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت: كلا ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن (٢)، ولكن المعنيين أعني الانتهاء والاختصاص كلواحد منهما ملائم لصحة الغرض، لان قولك: يجري إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه، وقولك: يجري لأجل مسمى، تريد: يجري لإدراك أجل مسمى. فالحاصل أن (اللام) و (إلى)، وإن كان معناه أعني الإدراك والانتهاء ملائما لصحة الغرض فليستا متعاقبتين، فمعنى: ظهرت إلى مستوى بلغته وانتهيت إليه، ومعنى (لمستوى) هو أدركت مستوى.

(١) لسان العرب ٣ / ١٩١٤. (٢) اللسان ٥ / ٢٥٥٠. (٣) يقال: فلان واسع العطن: واسع الصبر والحيلة عند الشدائد، سخي كثير المال. وضده: ضيق العطن. انظر المعجم الوسيط ٢ / ٦١٥. (*)

[١٧٣]

(صريف الافلام) بفتح الصاد المهملة وكسر الراء وبالفاء وهو صوت حركتها وجريانها على المكتوب فيه من أقضية الله تعالى ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ وما شاء الله تعالى الذي يعلم بكيفيتها. (العرش): السرير الذي للملك كما قال الله تعالى: (ولها عرش عظيم) (النمل: ٢٣)، وثبت في الشرع أنه له قوائم تحمله الملائكة، وهو فوق الجنة والجنة فوق السموات، وفي الجنة مائة درجة ما بين

كل درجتين كما بين السماء والارض، وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات، وقد بسطت الكلام عليه في (الجواهر النفائس في تحبير كتاب العرائس). (لسانه رطب من ذكر الله): أي لم يجف. (قلبه معلق بالمساجد) كأنه ربط بها أو حبا من العلاقة وهي المحية. (لم يستسب لوالديه) أي لم يعرضهما للسب وهو الشتم ولا جرهما إليه بأن يسب أبا غيره فيسب (هذا) أباه مجازة له. وقد جاء مفسرا في الحديث الاخر: (أن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه). قيل: وكيف يسب والديه؟ قال: (يسب أبا الرجل فيسب أباه وأمه). (لبيك): هو من التلبية وهي إجابة لمنادي أي إجابتي لك يا رب وهو مأخوذ من لب بالمكان وألب إذا أقام به، وألب على كذا إذا لم يفارقه، ولم يستعمل إلا على لفظ التثنية في معنى التكرير أي إجابة بعد إجابة، وهو منصوب على المصدر بعامل لا يظهر كأنك قلت: ألب إلبا بعد إلباب. (يحفظون الكتاب المجيد): يتلونه حفظا. (أناحيلهم): الاناحيل جمع انجيل وهو اسم كتاب الله تعالى المنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام. (سبعا من المثاني): هي كل سورة دون الطوال ودون المائتين. (الرعب) الفرع وسباني الكلام على ذلك في الخصائص. (فواتح الكلم) وفي رواية مفاتيحه ومفاتيحه وهما جمع مفتاح ومفتاح وهما في الاصل كل ما يتوصل به إلى استخراج المغلقات التي يتعذر الوصول إليها، فأخبر أنه أوتي مفاتيح الكلم، وهو ما يسر الله له من البلاغة والفصاحة والوصول إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم ومحاسن العبارات التي أغلقت على غيره وتعذرت. (خواتمه) به فصل الخطاب. (جوامعه): أي من الكلمات القليلة الالفاظ، الكثيرة المعاني.

[١٧٤]

(١ لمخيط): بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح التحتية وبالطاء المهملة ما خيط به الثوب. (الملك القائد): بقاف فألف فهمزة فдал مهملة: المقدم. (الغر) (١): بالغين المعجمة: جمع أعر، وهو هنا الابيض الوجه من نور الوضوء. (المحجلين) (٢): البيض الوجه والرجلين من نور الوضوء. (المقدمات): بضم الميم وإسكان القاف وكسر الحاء المهملة: الذنوب العظام الكبار التي تهلك أصحابها وتقودهم إلى النار، والتفحم الوقوع في المهالك. قال النووي: والمراد بغفرانها ألا يخلد في النار بخلاف المشركين، وليس المراد، ألا يعذب أيضا فقد علم من نصوص الشرع وإجماع أهل السنة إثبات عذاب العصاة من الموحدين. (فسله): أصله فأسأله لأنه أمر من السؤال، فنقلت حركة الهمزة إلى السين فحذفت واستغني عن همزة الوصل فحذفت. (خبرت) (٣) الناس وبلوت بني إسرائيل): بمعنى جربتهم ومارستهم وعالجتهم من المعالجة مثل المزاوله، ولقيت الشدة فيما رأيت منهم من نبد الطاعة. (أن نعم): بفتح الهمزة في (أن) والتخفيف وهي المفسرة، فهي من معناه مثل (أي)، وهي بالتخفيف. (فلم يزل يرجع بين موسى وبين ربه): أي بينه وبين مناجاة ربه. (ومن هم بحسنة): أي أراد فعلها مصمما بقلبه. (كتبت له حسنة): أي كتبت له الحسنة التي هم بها ولم يعملها كتابة واحدة لان الهم بسببها أو بسبب الخير خير، فوضع حسنة موضع المصدر، وكذا إن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة. (لبيك): تقدم. (وسعديك): أي إسعادا لك بعد إسعاد أو مساعدة بعد مساعدة، والاصل في الاسعاد والمساعدة متابعة العبد أمر ربه ورضاه. (ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب شيئا): أي إذا لم يصمم على الفعل كما هو مذكور في محله.

[١٧٥]

(ولكن أرضى وأسلم): قال الطيبي: فإن قلت: وقوع هذا بين كلامين متغايرين معني فما وجه ناهنا ؟ قلت: تقدير الكلام: حتى استحييت فلا أرجع، فأني إذا رجعت كنت غير راض ولا مسلم، ولكني أرضي. (برهج): بفتح الهاء وهو الغبار وفي قوله: (ثم ركب منصورفا)، دليل على أنه حالة العروج لم يكن راكبا. (العين): بكسر العين المهملة - الابل بأحمالها - . (الغرازتان) (١): تثنية غرارة وهي الجوالق بجيم مضمومة فواو فألف فلام ففاف: (الخرج. (قطع) (٢) بفاء فطاء معجمة مشالة أي اشتد عليه وهابه. (بين ظهرانينا): بفتح النون أي: بيننا. (المطعم بن عدي): بضم الميم وسكون الطاء وكسر العين مخففا، هلك كافرا. (مصعد شهرا): بميم مضمومة فصاد ساكنة فعين مكسورة فдал مهملات. (منحدرا شهرا): بميم مضمومة فنون ساكنة فحاء فдал مكسورة مهملتين فراء (جبهته): بفتح الجيم والموحدة والهاء والقوقية أي استقبلته بالمكروه، وأصله من إصابة الجبهة يقال جبهته إذا أصبت جبهته. (كرب كريا): وفي رواية: فكربت كربة - بضم الكاف وسكون الراء - ما كربت مثله قط والضمير في مثله يعود على معنى الكربة وهو الكرب أو الغم أو الهم أو الشئ. (الروحاء) (٣): براء مفتوحة فواو ساكنة فحاء مهملة فألف ممدودة: بلد من عمل الفرع (٤) على نحو أربعين ميلا من المدينة ويقال على ستة وثلاثين ميلا، ويقال على ثلاثين ميلا. التنعيم (٥): من الحل بينه وبين سرف على فرسخين من مكة نحو المدينة.

(١) لسان العرب ٥ / ٣٢٣٦. (٢) المعجم الوسيط ٢ / ٦٩٥. (٣) الروحاء من الفرع، على نحو أربعين ميلا من المدينة. وفي كتاب مسلم بن الحجاج: على ستة وثلاثين ميلا. وفي كتاب ابن أبي شيبة: على ثلاثين ميلا وهو الموضوع الذي نزل به تبع حين رجع من قتال أهل المدينة يريد مكة، فأقام بها وأرواح فسامها الروحاء. (٤) الفرع بالضم، ثم السكون، وأخره عين مهملة. وقيل: بضمين: قرية من نواحي الريدة، عن يسار السقيا، بينها وبين المدينة ثمانية برد، على طريق مكة. وقيل: أربع ليال: قرية. (٥) التنعيم: موضع بمكة خارج الحرم، هو أدنى الحل إليها، على طريق المدينة، منه يحرم المكيون بالعمرة، به مساجد مبنية بين سرف ومكة. قال: على فرسخين من مكة. وقيل: أربعة. قلت: لا خلاف بين الناس أنه على ثلاثة أميال من مكة. (*)

[١٧٦]

(يقدمها): بضم الدال في المضارع ويفتحها في الماضي، يقال: قدم يقدم قدما، بضم القاف في المصدر، أي تقدم. قال تعالى: (يقدمه يوم القيامة) (هود: ٦). (جمل أورك) (١): أي في لونه بياض إلى سواد، قاله الاصمعي. وقال أبو زيد: يضرب لونه إلى الخضرة. (أهريقت) (٢): انكبت. (في غدوة): بضم العين المعجمة: ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس. (الروحة) (٣): اسم للوقت من الزوال إلى الليل. هذا ما يسر الله تعالى من الكلام على بعض فوائد القصة وشرح مشكلها، وقد جمعت جزءا في بيان تخريج أحاديثها سميته: (الافراج في تخريج أحاديث قصة المعراج)، فمن توقف في ورود لفظ فليراجع ذلك الجزء يظهر بمعرفة من رواه من الأئمة، والله سبحانه وتعالى موفق للصواب.

الباب العاشر في صلاة جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وكيف فرضت الصلاة روى الامامان الشافعي وأحمد، وأبو داود والترمذي وحسنه، والطحاوي (١) والبيهقي عن ابن عباس، والامام أحمد والنسائي والدارقطني والحاكم وصححه وأقره الذهبي عن جابر بن عبد الله، والدارقطني والحاكم والاسماعيلي في معجمه، وابن السكن في صحيحه عن أنس، والدارقطني بإسناد جيد عن ابن عمر، والنسائي والحاكم وصححه وأقره الذهبي عن أبي هريرة وإسحاق بن راهويه عن أبي مسعود الانصاري، وعبد الرزاق وإسحاق عن أبي سعيد الخدري، وإسحق عن أبي بكر بن منجم بن عمرو بن حزم، عن أبيه عن جده عمرو بن حزم رضي الله تعالى عنهم. قال الحافظ في المطالب: إسناده حسن، إلا أن محمد بن عمرو بن حزم لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم لصغر سنه، فإن كان الضمير في جده يعود على أبي بكر توقف على سماع أبي بكر من عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أمني جبريل عند البيت) - ولفظ الشافعي والطحاوي والبيهقي: (عند باب البيت) - مرتين فصلى بي الظهر حين زالت الشمس، وكانت قدر الشراك، وصلّى بي العصر حين صار ظل كل شيء مثله، وصلّى بي المغرب حين أفطر الصائم، وصلّى بي العشاء حين غاب الشفق، وصلّى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم، فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظله مثله) - وفي لفظ: (كوقت العصر بالامس) - (وصلّى بي العصر حين كان ظله مثليه، وصلّى بي المغرب حين أفطر الصائم، وصلّى بي العشاء إلى ثلث الليل الاول، وصلّى بي الفجر فأسفر)، ثم التفت فقال: (يا محمد هذا وقت الانبياء من قبلك، والوقت ما بين هذين) (٢). هذا ما وقفت عليه في صلاة جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بالصلوات الخمس، وأما عدد ركعاتها حين فرضت فمن الناس من ذهب إلى أنها فرضت أول ما فرضت ركعتين ركعتين، ثم زيد في صلاة الحضر فأكملت أربعاً إلا المغرب وأقلت صلاة السفر ركعتين. وروى ذلك عن عائشة رضي الله عنها الشعبي وميمون بن مهران ومحمد بن إسحاق. ومنهم من ذهب إلى أنها

(١) منهم أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي: وإليه انتهت رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر. أخذ العلم عن أبي جعفر بن أبي عمران وعن أبي خازم وغيرهما. وكان شافعيًا يقرأ على أبي إبراهيم المزني فقال له يوماً: والله لا جاء منك شيء، فغضب أبو جعفر من ذلك وانتقل إلى أبي جعفر بن أبي عمران، فلما صنف مختصره قال: رحم الله أبا إبراهيم لو كان حياً لكفر عن يمينه وصنف (اختلاف العلماء) و (الشروط) و (أحكام القرآن) و (معاني الآثار). ولد سنة ثمان وثلاثين ومائتين ومات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. طبقات الفقهاء للشيرازي ١٤٢. (*) (٢) أخرجه الشافعي في الام ١ / ٧١ وأحمد في المسند ١ / ٢٣٢ وأبو داود ١ / ٢٧٤ (٢٩٣) والترمذي ١ / ٢٧٨ (١٤٩) وابن خزيمة في صحيحه ١ / ١٦٨ (٢٣٥) والدارقطني ١ / ٢٥٨ (٦ - ٩). (*)

فرضت أول ما فرضت أربعاً إلا لمغرب ففرضت ثلاثاً والصبح ركعتين، وبه قال الحسن ونافع بن جبير بن مطعم وابن جبرير. ومنهم من ذهب إلى أنها فرضت في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين، يروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكر أدلة هذه الأقوال والكلام عليها مذکور في المطولات. وروى الشيخان وابن إسحاق عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترضت ركعتين ركعتين كل صلاة ثم إن الله أنمها في

الحضر أربعاً وأقرأها في السفر على فرضها الاوّل ركعتين). تنبيهات الاوّل: ذكر بعضهم أن المعروف في رواية المواقيت عند البيت - وروي عند باب البيت - وقد علمت أنها رواية الشافعي والطحاوي والبيهقي. الثاني: المشهور في الاحاديث السابقة الابتداء بالظهر. روى ابن أبي خيثمة في تاريخه عن أحمد بن محمد، حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبي إسحاق عن عتبة بن مسلم عن نافع بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما فرضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جبريل فصلّى به الصبح حين طلع الفجر)، وذكر الحديث. وكذا وقع في رواية الدار قطني وابن حبان في الضعفاء من طريق محبوب بن جهم، وهو ضعيف، وفي رواية أبي هريرة عند النسائي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم)، فصلّى الصبح حين طلع الفجر. الثالث: قال أبو عمر: لم أحد قوله (هذا وقتك ووقت الانبياء قبلك)، إلا في هذا الحديث، يعني رواية ابن عباس، قلت: قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله: ظاهره يوهّم أن هذه الصلوات في هذه الاوقات مشروعة لمن قبله من الانبياء، وليس كذلك، إنما معناه: هذا وقتك المشروع لك، يعني الوقت الموسع المحدود بطرفين: الاوّل والاخر، ووقت الانبياء قبلك، يعني مثله وقت الانبياء قبلك أي صلاتهم كانت واسعة الوقت وذات طرفين مثل هذا. وإلا فلم تكن هذه الصلوات على هذا الميقات إلا لهذه الامة خاصة وإن كان غيرهم قد يشاركونهم في بعضها. وقد روى أبو داود في حديث العشاء: (أعتموا بهذه الصلاة فإنكم قد فضلتم بها على سائر الامم ولم تصلها أمة قبلكم وكذا قال أبو الفتح: يريد بها التوسعة عليهم في أن للوقت أولاً وآخراً إلا أن الاوقات هي اوقاتهم بعينها).

[١٧٩]

الرابع: استشكل بعضهم لفظ (عند البيت) بأنه صلى الله عليه وسلم كان يستقبل بيت المقدس قبل الهجرة. قلت: ولا إشكال في ذلك لاحتمال أنه صلى الله عليه وسلم جعل البيت بينه وبين بيت المقدس، وكذلك رواية: (عند الباب) لا إشكال فيها، إذ لا يلزم في كون الصلاة عند الباب أن تكون الصلاة إليه. الخامس: قال ابن المنير: (لما أمر الله سبحانه وتعالى جبريل أن يعلم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة، كانت هذه فرضاً عليه لأنه أمر بذلك، فكانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم صلاة مفترض خلف مفترض). السادس: قال الحربي: (أول ما فرضت الصلاة عليه: ركعتين أول النهار وركعتين آخره بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة ركعتين ركعتين ثم زاد فيها في الحضر). قال أبو عمر: (ليس في حديث عائشة دليل على صحة ما ذهب إليه الحربي، ولا يوجد هذا في أثر صحيح، بل فيه دليل على أن الصلاة التي فرضت ركعتين ركعتين هي الصلوات الخمس لان الإشارة بالالف واللام في (الصلاة) إشارة إلى المعهود). قال الحافظ: (الذي يظهر وبه تجمع الأدلة أن الصلاة فرضت ليلة الاسراء ركعتين ركعتين إلا المغرب، ثم زيدت عقب الهجرة إلا الصبح كما روى ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي من طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: (فرضت صلاة السفر والحضر ركعتين ركعتين، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واطمأن، زيد في صلاة الحضر ركعتان وتركت صلاة الفجر لطول القراءة وصلاة المغرب لانها وتر). انتهى. ثم بعد أن استقر فرض الرباعية خفف منها في السفر عند نزول الآية وهي قوله تعالى: (وإذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبيناً) (النساء: ١٠١) قال ويؤيد ذلك ما ذكره ابن الاثير في شرح مسند الشافعي: إن قصر الصلاة كان في ربيع الاوّل من السنة الثانية، وهو مأخوذ مما ذكره غيره أن نزول آية الخوف كان فيها. وقيل قصر الصلاة كان في ربيع الاوّل من السنة

الاولى ذكره الدولابي وأورده السهيلي بلفظ بعد الهجرة بعام أو بنحوه، وقيل بعد الهجرة بأربعين يوماً. فعلى هذا فالمراد بقول عائشة: فأقرت صلاة السفر باعتبار ما آل إليه الامر من التخفيف لانها استمرت منذ فرضت فلا يلزم من ذلك أن القصر عزيمة. السابع: قال السهيلي: هل هذه الزيادة في الصلاة نسخ أم لا؟ فيقال: أما زيادة ركعتين أو ركعة إلى ما قبلها من الركوع حتى تكون صلاة واحدة فنسخ، لان النسخ رفع الحكم، وقد

[١٨٠]

ارتفع حكم الاجزاء (١) من الركعتين وصار من سلم فيها عامداً مفسداً لها، وإن أراد أن يتم صلاته بعد ما سلم عامداً لم يجزه إلا أن يستأنف الصلاة من أولها، فقد ارتفع حكم الاجزاء بالنسخ، وأما الزيادة في عدد الصلوات حتى المكث خمسا بعد ما كانت اثنتين فسميت نسخاً عند أبي حنيفة، قال الزيادة عنده نسخ، وجمهور المتكلمين على أنه ليس بنسخ، واحتجاج الفريقين موضع غير هذا. الثامن: في بيان غريب ما سبق: (زوال الشمس): عبارة عن ميلها من جانب الشمال إلى جانب اليمين إذا استقبلت القبلة. (الشراك) (٢): أحد سيور النعل التي على وجهها وقدرة هنا ليس على معنى التحديد.

(١) يقال: أجزأني الشيء: أي كفاني، وبرىء بالياء. انظر النهاية لابن الاثير ١ / ٢٦٦.
(٢) انظر لسان العرب ٤ / ٢٢٥٠. (*)

[١٨١]

جماع أبواب بدء إسلام الانصار الباب الاول في نسبهم قال السهيلي رحمه الله تعالى: (الانصار جمع ناصر على غير قياس في جمع فاعل، ولكن على تقدير حذف الالف من ناصر لانها زائدة، فالاسم على تقدير حذفها ثلاثي، والثلاثي يجمع على أفعال، وقد قالوا في نحوه صاحب وأصحاب وشاهد وأشهاد). وفي الصحاح الناصر الناصر، والجمع أنصار مثل شريف وأشرف، وجمع الناصر نصر مثل صاحب وصحب). انتهى. ولم يكن (الانصار) اسماً لهم في الجاهلية بل سماهم الله تعالى به في كتابه كما سيأتي في الباب بعده. والانصار حزيان: الاول: بنو الاوس، قال السهيلي: وهو لغة العظية أو العوض. زاد في الزهر: وأوس زجر للغنم والبقر، ودخول الالف واللام فيه على حد دخولها في التيم جمع تيمي، وهو من باب رومي وروم، ومثل هذا إذا كان علماً لا تدخله الالف واللام. والثاني: بنو الخزرج، قال السهيلي: وهو في اللغة الريح الباردة، وقال بعضهم: هي الجنوب خاصة، وقال بعضهم في الزهر: الريح الشديدة. والاولس والخزرج ابنا حارثة - بجاء مهملة وئاء مثلثة - ابن ثعلبة العنقاء - بعين مهملة مفتوحة فنون ساكنة فحاف فهمة ممدودة، لقب به لطول عنقه - ابن عمرو مزيقيا - بميم مضمومة فزاي مفتوحة فمثلة تحتية ساكنة، فحاف مكسورة فمثلة تحتية فهمة ممدودة، لقب عمرو بذلك لانه كان من ملوك اليمن، وكان يلبس كل يوم حلتين فيمزقهما بالعشي ويكره أن يعود فيهما، ويأنف أن يلبسهما أحد غيره، قاله في النور والروض يمزق كل يوم حلة بالافراد - ابن عامر ماء السماء - لان قومه كانوا إذا فحطوا بث فيهم ماله، فكان يقوم لهم مقام ماء السماء - ابن حارثة - بجاء مهملة ومثلثة، ويلقب بالخطر - بعين معجمة مكسورة فطاء مهملة ساكنة فراء مكسورة وفي آخره فاء، وهو في اللغة السيد وفرخ البازي - ابن امرئ القيس - ويلقب: البطريق بباء موحدة فطاء مهملة ساكنة وفي آخره قاف - وهو القائد من قواد

الروم وهو معرب، والجمع بطارقة، وهو في اللغة السمين من الطير وغيره، وأيضاً المختال في مشيه - ابن ثعلبة - ويلقب باليهلول بياء موحدة مضمومة

[١٨٢]

وهاء ساكنة وهو في اللغة السيد - ابن مازن - ويلقب: زاد السفر - ابن الازد - اسم الازد (درا) بدال مكسورة فراء مهملتين ألف ممدودة - ابن الغوث - يغيث معجمة مفتوحة فواو ساكنة فمثلة - ابن مالك - بن زيد بن كهلان - بكاف مفتوحة فهاء ساكنة وأخره نون - ابن سبا - يمد ويقصر، ويصرف ولا يصرف واسمه عامر وقيل عبد شمس - ابن يشجب - بمثناة تحتية مفتوحة فشين معجمة ساكنة فجيم مضمومة فموحدة، وزان ينصر، ولا ينصرف للعلمية - ابن يعرب - بعين مهملة وزان يشجب - ابن قحطان - بقاف مفتوحة فحاء ساكنة مهملتين فنون، والنسبة إليهما قحطاني على القياس، ولقبه يقطن - بمثناة تحتية فقاق فطاء مهملة وزان يعرب وسمي بقحطان لأنه كان أول من قحط أموال الناس من ملوك العرب واسمه مهزم، ويقال إن قحطان كان أول من تكلم بالعربية وهو والد العرب المتعربة وأما إسماعيل فهو والد العرب المستعربة، وقيل قحطان أول من قيل له: أبيت اللعن، وعم صباحا، وذهب الزبير بن بكار إلى أن قحطان من ذرية إسماعيل عليه السلام وأنه قحطان بن الهميسع وتقدم ضبطه في النسب النبوي: ابن إسماعيل وهو ظاهر قول أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم في قصة هاجر حيث قال وهو يخاطب الانصار: (تلك أمكم يا بني ماء السماء). قال الحافظ: (وهذا هو الراجح في نقدي). وبسط الكلام على ذلك.

[١٨٣]

الباب الثاني في فضلهم وجيهم والوصية بهم والتجاوز عن مسيئهم والنهي عن بغضهم قال الله سبحانه وتعالى: (والذين أووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) (الانفال: ٧٤) وقال الله عز وجل: (والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (الحشر: ٩) وقال تقديس اسمه: (فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) (الانعام: ٨٩). وعن غيلان بن جرير قال: (قلت لانس: أرايت اسم الانصار كنتم تسمون به أم سماكم الله؟ قال: بل سمانا الله عز وجل)، رواه البخاري والنسائي. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، يرفعه: (إن الله أمدني بأشد الناس ألسنا وأذرعاً، بابني قيلة: الاوس والخزرج)، رواه الطبراني في الكبير. وعن أبي واقد الليثي قال: كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه أت فالتقم أذنه فتغير وجهه وسار الدم في أساريره، ثم قال: (هذا رسول عامر بن الطفيل يتهددني فكفانيه الله بالبيتين من ولد إسماعيل بابني قيلة)، يعني الانصار، رواه الطبراني في الكبير والاوسط. وعن أنس رضي الله عنه قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان مقبلين قال: حسبت أنه قال: من عرس فقام النبي صلى الله عليه وسلم ممثلاً، فقال: (اللهم أنتم من أحب الناس إلي)، قالها ثلاث مرات. رواه البخاري (١). وعنه أيضاً قال: جاءت امرأة من الانصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها صبي لها فكلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (والذي نفسي بيده إنكم أحب الناس إلي)، مرتين، رواه الشيخان والنسائي (٢). وعن البراء بن عازب رضي الله عنه يرفعه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الانصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أح به الله ومن

أبغضهم أبغضه الله) (٣)، رواه الستة خلا أبو داود. وعن أنس رضي الله عنه يرفعه: (آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار) (٤). رواه الشيخان والنسائي. وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر ببعض سكك المدينة فإذا بجوار يضربن بدفين ويتغنين ويقلن: نحن جوار من بنى النجار يا حبيذا محمد من جار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم تعلم أني لاحيكن)، حديث صحيح رواه ابن ماجه، وعن سعد بن عباد يرفعه: (إن هذا الحي من الانصار محنة: حبههم

(١) أخرجه البخاري ٥ / ١١١ (٣٧٨٥). (٢) أخرجه البخاري ٥ / ٤٠ (دار الفكر) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (١٧٥). (٣) أخرجه البخاري ٧ / ١١٢ (٣٧٨٣) ومسلم ١ / ٨٥ (١٢٩ - ٧٥). (٤) أخرجه البخاري ٧ / ١١٢ ومسلم ١ / ٨٥ (١٢٨ - ٧٤). (*)

[١٨٤]

إيمان وبغضهم نفاق) (١)، رواه الامام أحمد. وعن أبي سعيد الخدري يرفعه: (حب الانصار إيمان وبغضهم نفاق) (٢)، رواه الامام أحمد. وعنه، (لا يبغض الانصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر) (٣)، رواه الامام أحمد. وعنه أيضا يرفعه: (من أحبني أحب الانصار ومن أبغضني فقد أبغض الانصار، لا يحبهم منافق ولا يبغضهم مؤمن، من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله، الناس دثار والانصار شعاع، ولو سلك الناس شعبا وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار) رواه الامام أحمد (٤). وعن جده رباح بن عبد الرحمن بن حويطب يرفعه: (لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه، ولا يؤمن بالله من لا يؤمن بي ولا يؤمن بي من لا يحب الانصار)، رواه الترمذي وابن ماجه دون ذكر الانصار فيه، وقال الترمذي عن البخاري إنه قال: هذا أحسن حديث في هذا الباب. وعن علي بن سبرة عن أبيه عن جده يرفعه: (أيها الناس لا صلاة إلا بوضوء ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه، ولم يؤمن بالله من لم يؤمن بي ولم يؤمن بي من لم يعرف حق الانصار)، رواه البغوي في معجمه والطبراني في الأوسط. وعن الجارث بن زياد يرفعه: (من أحب الانصار أحبه الله ومن أبغض الانصار أبغضه الله) رواه الامام أحمد (٥). وعنه أيضا يرفعه: (والذي نفسي بيده لا يحب رجل الانصار حتى يلقي الله إلا لقي الله وهو يحبه، ولا يبغض رجل الانصار حتى يلقي الله إلا لقي الله وهو يبغضه)، رواه الامام أحمد والطبراني وسنده صحيح (٦). وعن أنس رضي الله عنه قال: افتخر الحيان من الامام أحمد والطبراني وسنده صحيح (٦). وعن أنس رضي الله عنه قال: افتخر الحيان من الانصار: الاوس والخزرج، فقالت الاوس: (منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر الراهب، ومنا من اهتز له عرش الرحمن، سعد بن معاذ، ومنا من حمته الدبر، عاصم بن ثابت (٧) بن أبي

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥ / ٢٨٥ والطبراني في الكبير ٦ / ٢٤ وذكره الهيثمي في المجمع ١٠ / ٢٨ والمتقي الهندي في الكنز (٣٣٧٤٣). (٢) أخرجه أحمد في المسند ٢ / ٧٠ وابن عدي في الكامل ٢ / ٧٣٠. (٣) أخرجه مسلم ١ / ٨٦ (٧٧ - ١٣٠) والترمذي (٦ - ٣٩) وأحمد في المسند ١ / ٣٠٩ - ٢ / ٤١٩ والطبراني في الكبير ١٢ / ١٧. (٤) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠ / ٣٢ وعزاه للبرار بإسنادين وفيهما كلاهما عطية وحديثه يكتب على ضعفه، ويقية رجاله رجال الصحيح. (٥) أخرجه ابن ماجه (١٦٣) وأحمد في المسند ٢ / ٥٠١ والطبراني في الكبير ٣ / ٢٩٩ وابن أبي شيبه في المصنف ١٢ / ١٥٨. (٦) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠ / ٤١ وعزاه لاحمد والطبراني بإسنادين ورجال بعضها رجال الصحيح غير محمد بن عمرو وهو حسن الحديث. (٧) عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح قيس بن عصمة بن النعمان بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن بدر بن مالك بن عمرو بن عوف الانصاري جد عاصم بن عمرو بن الخطاب لاه من السابقين الاولين من الانصار... الاصابة ٤ / ٢. (*)

الاقلاح، ومنا من أجزت شهادته بشهادة رجلين، خزيمة بن ثابت. فقال الخزرجيون: منا أربعة نفر جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجمعه غيرهم: زيد بن ثابت، وأبو زيد، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل)، حديث رواه أبو يعلى والبخاري والطبراني في الكبير، وفي الصحيح منه الذين جمعوا القرآن. وعن معاوية بن أبي سفيان وأبي هريرة يرفعانه: (من أحب الانصار أحبه الله ومن أبغض الانصار أبغضه الله) (١)، رواه أبو يعلى، وهو حديث حسن صحيح رواه البزار عن أبي هريرة والطبراني عن معاوية، وله طريق آخر عند الطبراني عن معاوية يرفعه: (من أحب الانصار فيحبي أحبهم ومن أبغض الانصار فيبغضهم) (٢)، حديث صحيح. وعن أنس رضي الله عنه قال: قالت الانصار يوم فتح مكة وأعطى قريشا: (والله إن هذا لهو العجب إن سيوفنا تقطر من دماء قريش وغنائمنا ترد عليهم). فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فدعا الانصار، قال: فقال: (ما الذي بلغني عنكم؟) وكانوا لا يكذبون، فقالوا: (هو الذي بلغك). قال: (أو لا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيوتكم، لو سلكت الانصار واديا أو شعبا لسلكت وادي الانصار أو شعبهم) (٣). رواه الشيخان والنسائي، وهو عند البخاري أيضا من حديث أبي هريرة، وفي أخرى: (ولولا الهجرة لكنت امرأة من الانصار). وعند النسائي بعد الشعب: (اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وأبناء أبناء الانصار) (٤)، فيكى الانصار حتى اخضلت لحاهم، وقالوا: (رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسما وحظا)، حديث صحيح رواه الامام أحمد. وعن أبي هريرة يرفعه: (ألا إن الناس دثار والانصار شعار، ولو سلك الناس وسلك الانصار شعبا لا تبعث شعب الانصار، ولولا الهجرة لكنت امرأة من الانصار، فمن ولى من أمر الانصار شيئا فليحسن إلى محسنهم وليتجاوز عن مسيئتهم، من أفزعهم فقد أفزع هذا الذي بين هذين (٦)، وأشار إلى نفسه، حديث صحيح رواه الامام أحمد والطبراني، وزاد في أخرى: يعني قلبه. وعن

(١) أخرجه أبو يعلى في المسند ١٣ / ٣٥٦ (١٤ - ٧٣٦٧) وذكره الهيثمي في المجمع ١٠ / ٤٢ وعزاه لأبي يعلى وقال: إسناده جيد. ورواه البزار وفيه محمد بن عمرو وهو حسن الحديث وبقية رجاله رجال الصحيح. (٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١٩ / ٣٤١ وذكره الهيثمي ١٠ / ٤٢ وعزاه للطبراني وقال: ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن حاتم وهو ثقة. (٣) أخرجه البخاري ٥ / ٢٨ (دار الفكر) ومسلم في كتاب الزكاة (١٣٤). (٤) أخرجه أحمد في المسند ٣ / ٧٧ والبيهقي في الدلائل ٥ / ١٧٨ وابن سعد في الطبقات ٢ / ١ / ١١١. (٥) أخرجه البخاري ١٣ / ٢٢٨ (٧٢٤٤) ومسلم في كتاب الزكاة (١٣٩). (٦) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠ / ٣٥ وعزاه للطبراني في الأوسط عن شيخه مقدم بن داود وهو ضعيف. وقال ابن دقيق العيد: إنه وثق، وبقية رجاله ثقات. (*)

السائب بن يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم الفئ الذي أفاء الله تعالى بحنين من غنائم هوازن، فأحسن، فذكر الحديث وفيه: ثم قال: (يا معشر الانصار ألم يمن الله عليكم بالايامن وخصكم بالكرامة وسماكم بأحسن الاسماء: انصار الله وانصار رسوله؟ ولولا الهجرة لكنت امرأة أنصاريا ولو سلك الناس واديا وسلكتم واديا لسلكت واديكم، أو لا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والنعيم وينهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: قد رضينا. قال: (أجيبوني فيما قلت). قالت الانصار: يا رسول الله وجدتنا في ظلمة فأخرجنا الله بك، ووجدتنا على شفا حفرة من النار فأيدنا الله بك، ووجدتنا ضلالا

فهدانا الله بك، فرضينا بالله ربا وبالاسلام ديننا وبمحمد نبيا فاصنع يا رسول الله ما شئت فأوسع الحل. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لو أحيتموني بغير هذا القول لقلت صدقتم، لو قلتم: ألم تأتينا طريدا فأوبناك، ومكذبا فصدفناك، ومخذولا فنصرتناك، قبلنا مارد الناس عليك ؟ لو قلتم هذا لصدقتم). فقالت الانصار: (بل الله ذو الفضل علينا وعلى غيرنا). ثم بكوا فكثر بكاءهم وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم. رواه الطبراني في الكبير (١). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ملحفة متعظا بما على منكبيه وعليه عصاة دسما حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد أيها الناس فإن الناس يكثرون وتقل الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام. فمن ولي منك أمرا يضر فيه أحدا أو ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئتهم). رواه البخاري (٢). وعن أنس رضي الله عنه يرفعه: (الانصار كرشى وعييتي والناس سيكثرون ويقلون فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم)، رواه البخاري (٣). وعن أنس أيضا، قال: مر أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم ؟ قالوا، ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك. قال: فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب على رأسه حاشية برد، قال فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أوصيكم بالانصار فإنهم كرشى وعييتي وقد قضاوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم (٤)). رواه الشيخان والنسائي والترمذي. وعن أسيد بن حضير يرفعه: (الانصار كرشى وعييتي وإن الناس يكثرون وهم يقلون،

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٧ / ١٨٠ وذكره السيوطي في الدر ٣ / ٣٧٠ وعزاه للطبراني. (٢) أخرجه البخاري ٦ / ٦٢٨ (٣٦٢٨). (٣) أخرجه البخاري ٧ / ١٥١ (٣٨٠١). (٤) أخرجه البخاري ٧ / ١٢٠ (٣٧٩٩). (*)

[١٨٧]

فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم (١)، حديث صحيح رواه الطبراني في الكبير. وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما، يرفعه: (اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم)، يعني الانصار، رواه البزار والطبراني وهو حديث حسن. وعن أبي سعيد يرفعه: (ألا إن عييتي التي أوى إليها أهل بيتي وأن كرشى الانصار فاعفوا عن مسيئتهم واقبلوا من محسنهم) (٢) حديث صحيح حسن رواه الترمذي. وعن كعب بن مالك عن رجل من الصحابة قال: (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه واستغفر للشهداء الذين قتلوا بأحد ثم قال: (إنكم يا معشر المهاجرين تزيدون وإن الانصار لا يزيدون، وإن الانصار عييتي التي أوى إليها، أكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئتهم، وإنهم قد قضاوا الذي عليهم وبقي الذي لهم)، رواه الامام أحمد عن عبد الله بن زيد بن عاصم في ذكر قسم غنائم هوازن في المؤلفه قلوبهم، وفي آخره: (إنكم ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) (٣). رواه الشيخان. وعن أبي طلحة يرفعه: (أقرئ قومك السلام فإنهم ما علمت أعفة صبر)، حديث حسن صحيح، رواه الترمذي والبزار. وعن عائشة رضي الله عنها ترفعه: (ما يضر امرأة نزلت بين بيتين من الانصار أو نزلت بين أوبئها)، رواه الامام أحمد، والبزار. وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: (أسلمت الملائكة طوعا، وأسلمت الانصار طوعا وأسلمت عبد القيس طوعا) حديث حسن رواه الطبراني في الاوسط (٤). وعن أنس رضي الله عنه يرفعه: (ألا إن لكل نبي تركة وضيعة، وإن تركتي وضيعتي الانصار فاحفظوني فيهم) (٥)، رواه الطبراني في الاوسط.

وعنه يرفعه: (الانصار أحيائي، وفي الدين إخواني وعلى الاعداء أعواني (٦)، غريب رواه الديلمي في مسند الفردوس. تنبيه في غريب ما سبق (السنا) جمع لسان. (قيلة) بفتح القاف وسكون المثناة التحتية، أم الاوس والخزرج.

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠ / ٤٠ وعزاه للطبراني وقال: ورجاله رجال الصحيح. (٢) أخرجه الترمذي (٣٩٠٤) وابن أبي شيبه في المصنف ١٢ / ١٥٩ وذكره السيوطي في الدر ٣ / ٢٧٠. (٣) أخرجه البخاري ٧ / ١٤٦ (٣٧٩٢). (٤) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠ / ٣١ وعزاه للطبراني في الاوسط عن شيخه علي بن سعيد بن بشير وفيه لين، وبقيته رجاله ثقات. (٥) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠ / ٢٥ وعزاه للطبراني في الاوسط وقال: إسناده جيد. (٦) أخرجه ابن الجوزي في العلل ١ / ٢٨٤ وابن حجر في اللسان ٢ / ٨٥٨ والذهبي في اللسان (١٨١٠) وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٣٧٤٦). (*)

[١٨٨]

(التقم أذنه) أي ساره بشئ. (الاسارير): خطوط الجبهة واحدها سر أو سرر والجمع أسرار، وأسارير جمع الجمع، وفي تكملة الصغاني عن بعض أهل اللغة هي الخدان والوجنتان ومحاسن الوجه. (إزائي) بالزاي أي حدائي أي بالقرب مني. (السكك) (١) جمع سكة بالكسر الزقاف. (الذثار) (٢) بالكسر والمثلثة ما يتدثر به الانسان، وهو ما يلقيه عليه من كساء وغيره فوق الشعار. (الشعار): ما ولي الجسد، سمي بذلك لانه يلي الشعر، المعنى أنهم الخاصة والبطانة. (الشعب): بالكسر الطريق في الجبل. (الدبر): بفتح الدال المهملة وسكون الموحدة يقال لجماعة النحل والزنابير أيضا قيل وهو المراد هنا. (ا لاقلح): بالقاف والمهملة. (قسما): بكسر القاف أي نصيبا. (طريدا): أي مخرجا من بلده. (الملحفة): بكسر الميم الملافة التي يلتحف بها. (متعظفا بها): أي ثانيا طرفي الملحفة على كتفيه. (دسما): أي سوداء. (الكرش): ككتف ويخفف، والمراد هنا ما يحفظ فيه نفيس المتاع. (العبيبة) (٣) من الرجل موضع سره وأمانته. (أثرة): بفتح الهمزة والمثلثة الاسم من أثر يؤثر إثارا إذا أعطى أراد أن يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفئ. (أعفة) جمع عفيف وهو من يكف عما لا يحل ولا يجمل. (صبر) (٤): بضم أوله وثانيه جمع صبير وهو هنا مقدم القوم. (التركة): الشئ المتروك أي الذي تركه الميت لوارثه. (الضيعة): بالفتح العفار.

(١) انظر لسان العرب ٣ / ٢٠٥١. (٢) انظر لسان العرب ٢ / ١٣٣٧. (٣) انظر اللسان ٤ / ٣١٨٤. (٤) انظر لسان العرب ٤ / ٢٣٩٢. (*)

[١٨٩]

الباب الثالث في بدء اسلامهم رضي الله عنهم قال ابن إسحق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره كلما اجتمع له ناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله تعالى وإلى الاسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاءهم به من الله تعالى من الهدى والرحمة، ولا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله تعالى وعرض عليه ما عنده. وروى ابن إسحق بسند جيد عن محمود بن لبيد قال: لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع [مكة] - فيما ذكره ابن إسحق، وبشر فيما ذكره الزبير بن بكار - في فتية من قومه بني عبد الاشهل يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم فأتاهم جلس إليهم فقال لهم: هل لكم في خير مما جئتم له ؟ فقالوا له: وما ذاك ؟ قال، (أنا رسول الله بعثني إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وأنزل علي الكتاب)، ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن، فقال إياس بن معاذ، وكان غلاماً حدثاً: (أي قوم هذا والله خير مما جئتم له). فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ، وقال: دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا. فصمت إياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا إلى المدينة. وكانت وقعة بعث بين الاوس والخزرج ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك. قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حضره من قومي عند موته أنهم لم يزالوا يسمعون يهلل الله تعالى ويكبره ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أن قد مات مسلماً، لقد كان استشعر الاسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع. وروى أبو زرعة الرازي في دلائل النبوة له بسند حسن، والحاكم وصححه عن معاذ بن رفاعة بن رافع (١) عن أبيه عن جده أنه خرج هو وابن خالته معاذ بن عفراء (٢) حتى قدما مكة (٣)،

(١) معاذ بن رفاعة الانصاري الزرقبي.. ذكره الواقدي وقال: شهد غزوة بني قريظة مع النبي صلى الله عليه وسلم على فرس، قلت: وفي التابعين ما ذن رفاعة آخر يروي عن أبيه وجابر وخولة روى عنه عبد الله بن محمد بن عقيل. الاصابة ٦ / ١٠٨. (٢) معاذ بن الحرث بن رفاعة بن الحرث بن سواد بن مالك بن غ نم بن مالك التجاري الانصاري الخزرجي المعروف بابن عفراء وقيل: يحذف الحرث الثاني في نسبه وعفراء أمه عرف بها.. شهد العقبة الاولى مع الستة الذين هم أول من لقي النبي صلى الله عليه وسلم من الاوس والخزرج وشهد بدرًا وشرك في قتل أبي جهل وعاش بعد ذلك وقيل: بل جرح بدمر فمات من جراحته. الاصابة ٦ / ١٠٧، ١٠٨. (٣) مكة بيت الله الحرام: بلدة فيها الكعبة القبلة التي يتوجه المسلمون إليها في صلاتهم من سائر الافاق، سميت مكة، لانها تمك أعناق الجبابرة، أي تذهب نخوتهم وتذلهم. وقيل: لتمكك الناس بها، وهو ازدحامهم. وتسمى بكة أيضا - بالياء - لتمكك الناس بها، وهو ازدحامهم. وقيل: مكة اسم المدينة، وبكة اسم للبيت. مراد الاطلاع ٣ / ١٣٠٣. (*)

[١٩٠]

فلما هبطا من الثنية (١)، رأى رجلا تحت شجرة. قال: وهذا قبل خروج الستة من الانصار، فلما رأيناه قلنا نأتي هذا الرجل لنستودعه راحلتنا حتى نطوف بالبيت، فجئنا فسلمنا عليه تسليم أهل الجاهلية، فرد علينا تسليم أهل الاسلام، وقد سمعت بالنبي، فأنكرنا قلنا: من أنت ؟ قال: (انزلوا) فنزلنا قلنا: أين هذا الرجل الذي يدعي ما يدعي ويقول ما يقول ؟ قال: (أنا هو). قلنا: أعرض علينا الاسلام، فعرض، وقال: من خلق السموات والارض والجبال ؟ قلنا: خلقهن الله عز وجل. قال: (فمن خلقكم ؟) قلنا: الله عز وجل. قال: (فمن عمل هذه الاصنام التي تعبدون ؟) قلنا: نحن. قال: (الخالق أحق بالعبادة أو المخلوق ؟) قلنا: ا لخالق. قال: (فأنتم أحق أن تعبدوا ربكم وأنتم عملتموهن والله أحق أن تعبدوه من شيء عملتموه وأنا أدعوكم إلى عبادة الله عز وجل وشهادة ألا إله إلا الله وأني رسول الله، وصلة الرحم وترك العدوان وإن غضب الناس). فقالا: لو كان هذا الذي تدعو إليه باطلا لما كان من معالي الامور ومحاسن الاخلاق، فأمسك راحلتنا حتى نأتي البيت. فجلس عنده معاذ بن عفراء. قال رافع: فجئت البيت فطفت وأخرجت سبعة أقذاح وجعلت له بينها قدحا، فاستقبلت البيت وقلت: اللهم إن كان ما يدعو إليه محمد حقا فأخرج قدحه سبع مرات، فضربت بها سبع مرات، فصحت: (أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)، فاجتمع الناس علي وقالوا: مجنون رجل صبا، فقلت: بل رجل مؤمن، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة، فلما رأني معاذ بن عفراء قال: لقد جئت بوجه ما ذهبت به يا رافع، لقد جئت وأمنت. وعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يوسف، وسورة العلق: (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق). ثم خرجنا راجعين إلى

المدينة. بيان غريب ما سبق ((٢) الحلف) - بكسر الحاء وسكون اللام: المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والاتفاق. (أبو الحيسر): بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية بعدها سين مهملة ثم راء، ذكره ابن مندة في الصحابة، وذكره الحافظ في الاصابة في الاسماء وفي الكنى في القسم الرابع فيمن ذكر في الصحابة غلطا. (إياس بن معاذ): ذكره ابن السكن وابن حبان في الصحابة، وذكره البخاري في تاريخه الاوسط فيمن مات على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار.

(١) ثنية أم قردان الثنية في الاصل كل عقية في جبل مسلوكة. وقردان بالكسر جمع قرد، وهي بمكة عند بئر الاسود بن سفيان المخزومي. (٢) المعجم الوسيط ١ / ١٩٢. (*)

[١٩١]

(الثنية (١)) كل عقية مسلوكة. (الاقداح): جمع قحح - بكسر القاف - وهو عود السهم إذا قوم وإلى أن يراش فإذا ركب فيه النصل وريش فهو سهم، والمراد هنا السهم الذي يستقسمون به.

(١) انظر لسان العرب ١ / ٥١٦. (*)

[١٩٢]

الباب الرابع في ذكر يوم بعثت قالت عائشة رضي الله عنها: (كان يوم بعثت يوما قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد افترق ملؤهم وقتلت سرواتهم وجرحوا، فقدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في دخولهم في الاسلام). رواه البخاري (١). بيان غريبه (بعثت): بضم الموحدة، وحكى القزاز في الجامع فتحها وبتخفيف العين المهملة وآخره المثناة - قال الجمهور - وقال ابن دريد: وذكر عن الخليل إجماعها ولم يسمع من غيره وإنما هو بالعين المهملة. وذكر الازهري أن الذي صحفه الليث عن الخليل. وذكر القاضي أن الاصيلي (٢) أحد رواة الصحيح رواه بالوجهين أي بالعين المعجمة والعين المهملة، وأن وجهها واحدا هو الذي وقع في رواية أبي ذر بالعين المعجمة. ويقال إن أبا عبيدة ذكره بالمعجمة أيضا. وبعثت: مكان ويقال حصن، وقيل مزرعة عند بني قريظة على ميلين من المدينة كانت به وقعة بين الاوس والخزرج قتل فيه كثير منهم، وكان رئيس الاوس فيه. حضير - بضم الحاء المهملة وفتح الصاد المعجمة وسكون التحتية بعدها راء - والد أسيد بن حضير، وكان يقال له: حضير الكنائب، وبه قتل، وكان رئيس الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضي فقتل بها أيضا. وكان النصر فيها أولا للخزرج ثم هزم حضير فرجعوا وانتصرت الاوس وجرح حضير يومئذ فمات منهزما، وذلك قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل بأربعين سنة وقيل بأكثر. قال الحافظ: (الاول أصح). وذكر أبو الفرج الأموي أن سبب ذلك كان من قاعدتهم أن الاصيل لا يقتل بالحليف، فقتل رجل من الاوس حليفا للخزرج، فأرادوا أن يقيدوه، فامتنعوا، فوقع بينهما الحرب لاجل ذلك، فقتل فيها من أكابره من كان لا يؤمن أن يتكبر، ويأنف أن يدخل في الاسلام حتى لا يكون تحت حكم غيره، وقد كان بقي منهم من هذا النحو عبد الله بن أبي بن سلول كما سيأتي بيان ذلك.

(١) أخرجه البخاري ٥ / ١٢١ (٣٨٤٦). (٢) عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر، أبو محمد، الأموي المعروف بالاصيلي: عالم بالحديث والفقہ. من أهل أصيلة (في المغرب) أصله من كورة (شدونة) ولد فيها ورجل به أبوه إلى (أصيلا) من بلاد العدة فنشأ فيها. ويقال: ولد في أصيلا. رحل في طلب العلم، فطاف في الأندلس والمشرق. ودخل بغداد سنة ٣٥١ هـ، وعاد إلى الأندلس في آخر أيام المستنصر، فمات بقرطبة. له كتاب (الدلائل على أمهات المسائل) في اختلاف مالك والشافعي وأبي حنيفة. الاعلام ٤ / ٦٣. (*)

[١٩٣]

(سرواتهم) (١): بفتح المهملة والراء المخففة والواو، أي خيارهم، والسروات جمع السراة - بفتح المهملة وتخفيف الراء - والسراة جمع السري، وهو الشريف. (جرحوا) للاكثر بضم الجيم والراء المكسورة مثقلا ومخففا فحاء مهملة، وعند الاصيلي بجيمين جرحوا أي اضطرب قولهم، من قول العرب جرح الخاتم إذا جال في الاصبع، وعند ابن أبي صفرة بحاء مهملة مفتوحة من الحرج: أي ضيق الصدر، وعند المستملي وعبدوس والقابسي: (وخرجوا) بفتح الخاء المعجمة والراء من الخروج، وصوب ابن الاثير الاول وقال صاحب التقريب إنه المشهور، وصوب غيره الثالث.

(١) لسان العرب ٣ / ٢٠٠٢. (*)

[١٩٤]

الباب الخامس في بيعة العقبة الاولى وكانت في رجب. وقال الزهري وابن عقبة وابن إسحق: (فلما أراد الله سبحانه وتعالى إظهار دينه وإعزاز رسوله وإنجاز مواعده له، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم. فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا. فقال لهم: (من أنتم) ؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: (أمن موالي يهود ؟) قالوا: نعم. قال: (أفلا تجلسون أكلمكم ؟) قالوا: بلى، من أنت ؟ فانتسب لهم وأخبرهم خبره. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الاسلام، وتلا عليهم القرآن. وكان مما صنع الله لهم به من الاسلام أن يهود، كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا [هم] أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد عزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شئ قالوا لهم: إن نبيا مبعوث الآن قد أطل زمانه، نتبعه فنقتلكم قتل عاد وإرم. فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله أيقنوا به وإطمأنت قلوبهم إلى ما سمعوا منه وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب من صفته، فقال بعضهم لبعض: يا قوم تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه [فأجابوه إلى ما دعاهم إليه] بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام. ثم قالوا: قد علمت الذي بيننا من الاختلاف وسفك الدماء، ونحن حراس علي ما أرسلك الله به، مجتهدون لك بالنصيحة، وأنا لننشير عليك برأينا، فامكث على رسلك باسم الله حتى نرجع إلى قومنا، فنذكر لهم شأنك، وندعوهم إلى الله ورسوله، فلعل الله يصلح ذات بينهم ويجمع لهم أمرهم، فإننا اليوم متباغضون متباعدون، ولكننا نواعدك الموسم من العام المقبل. فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانصرفوا راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا. وهم فيما ذكر ابن إسحق في رواية ستة نفر من الخزرج: ١ - من بني النجار: أبو أمامة

أسعد بن زرارة - بضم الزاي - ابن عدس بن عبيد بن ثعلبة ابن غنم بن مالك بن النجار. ٢ - عوف بن الحارث ابن رفاعة - بكسر الراء وبالفاء - ابن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار وهو ابن عفراء. ٣ - ومن بني زريق - بتقديم الزاي على الراء - ابن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن

[١٩٥]

مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج: رافع بن مالك بن العجلان. قال ابن الكلبي: وهو أول من أسلم من الأنصار. ٤ - ومن بني سلمة - بلام مكسورة - [ابن سعد بن علي بن أسد]: قطبة - بضم القاف وسكون الطاء المهملة وبالموحدة - ابن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب ابن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة. ٥ - ومن بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة: عقبة - بضم العين المهملة وسكون القاف - ابن عامر بن نابي - بنون فألف فباء موحدة فمثناة تحتية - ابن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة. ٦ - ومن بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة: جابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان بن عبيد... وفي رواية جرير بن أبي حازم عن ابن إسحاق بدل عقبة بن عامر، معاذ بن عفراء، وعند موسى بن عقبة عن الزهري عن عروة أنهم ثمانية. وهم: معاذ بن عفراء، وذكوان - بفتح الذال المعجمة وسكون الكاف - ابن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق، وعبادة - بضم العين المهملة فباء موحدة - ابن الصامت بن قيس بن الأصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن الخزرج بن حارثة، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة من بني غصينة ثم من بني حليف لهم. وأبو الهيثم بن التيهان (١) بن جشم بن الحارث، وعويم - بضم العين المهملة وفتح الواو وسكون المثناة التحتية - ابن ساعدة من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس بن حارثة. بيان ما سبق (العقبة الأولى): قال المحب الطبري: (الظاهر أنها العقبة التي تضاف إليها الجمرة إذ ليس أظهر منها وعن يسار الطريق لقاصد منى من مكة شعب قريب منها، فيه مسجد مشهور عند أهل مكة أنه مسجد البيعة، وهو على نشز من الأرض، ويجوز أن يكون المراد من العقبة ذلك النشز، وعلى الأول يكون قد نسب إليها لقبه منها) قال في النور: (وجزم غيره بأن البيعة التي وقعت عندها البيعة هي العقبة التي تضاف إليها الجمرة).

(١) أبو الهيثم بن التيهان بن مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن زعور الانصاري الاوسي. انظر الاصابة ٧ / ٢٠٩. (*)

[١٩٦]

(موالي يهود): أي حلفاؤهم، وهم سموا حلفاء لانهم تحالفوا على التناصر والتعاضد. (الرهط): بسكون الهاء وتفتح دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة أو منها إلى أربعين. (يهود): لا ينصرف للعلمية والتانيث. (أطل زمانه): بفتح الطاء المعجمة وتشديد اللام أي قرب ودنا. (قتل عاد وإرم): أي نستأصلكم. (تعلموا): بفتح اللام المشددة ومعناه اعلماوا.

الباب السادس في بيعة العقبة الثانية قال ابن إسحاق: فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا، فبايعوا رسول الله صلى الهل عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يفرض عليهم الحرب، وهم: أسعد بن زرارة، وذكوان بن عبد قيس الزرقبي، وعبادة بن الصامت، والعباس بن عبادة بن نضلة - بالنون والصاد المعجمة - وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وعوف بن الحارث - بالفاء - ابن رفاعة، وعويم بن ساعدة، ومالك بن التيهان - بمثناة تحتية مخففة عند أهل الحجاز وعند غيرهم بتشديدها - ومعوذ - بميم مضمومة فعين مهملة مفتوحة فواو مكسورة مشددة فذال معجمة - ابن الحارث، أخو عوف السابق، ويزيد بن ثعلبة أبو عبد الرحمن البلوي حليف لهم. فبايع هؤلاء على بيعة النساء رسول الله صلى الله عليه وسلم. وروي الشيخان والبيهقي، واللفظ له عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض علينا الحرب، على ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي بيهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف. قال: (فمن وفى ذلك منكم فأجره على الله). وفي لفظ: (فله الجنة)، (ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة وطهور، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء ع ذب وإن شاء غفر). فبايعناه على ذلك. قال ابن إسحاق: (فلما انصرف القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي). وذكر ابن إسحاق في رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مصعبا حين كتبوا إليه ببعثه إليهم، وهو الذي ذكره [موسى] بن عقبة إلا أنه جعل المرة الثانية هي الأولى. قال البيهقي: (وسياق ابن إسحاق أتم). قال ابن إسحاق: (وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين، فكان يسمى في المدينة المقرئ والقارئ، وكان منزله على أسعد بن زرارة [بن عدس أبي أمامة]، وذلك أن الاوس كره بعضهم أن يؤمه بعض. وقوله (على بيعة النساء) يعني على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية، وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة، وليس هذا عجيب فإن القرآن نزل بموافقات عمر بن الخطاب. (تنبيه): ذكروا هنا أن أسعد بن زرارة أول من جمع بالصحابة قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم وسيأتي الكلام على ذلك في الخصائص إن شاء الله تعالى.

الباب السابع في إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله تعالى عنهما روى ابن أبي الدنيا والخرائطي والبيهقي عن عبد المجيد بن أبي عيسى عن أبيه عن جده، وابن عساكر عن البخاري في تاريخه الاوسط عن شيخه أبي محمد الكوفي قال: سمعت قريش قائلا يقول في الليل على أبي قبيس: فإن يسلم السعدان يصبح محمد * بمكة لا يخشى خلاف المخالف فلما أصبحوا قال أبو سفيان - وفي لفظ قريش - من السعدان ؟) (أسعد بن بكر أم سعد بن هذيم ؟) فلما كانت الليلة الثانية سمعوا قائلا يقول: فيا سعد سعد الاوس كن أنت ناصرا * ويا سعد سعد الخزرجيين الغطارف أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا * على الله في الفردوس زلفة عارف فإن ثواب الله للطالب الهدى * جنان من الفردوس ذات زخارف فقالت قريش: هذا سعد بن معاذ وسعد بن عبادة؛ قال ابن إسحاق: وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقب، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير،

يريد به دار بني عبد الاسهل ودار بني ظفر، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل ابن خالة أسعد بن زرارة، فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر فجلسا فيه، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الاشهل، وكلاهما مشرك علي دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما وانهما عن أن يأتيا دارنا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، فهو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدا. قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته، ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه فاصدق الله فيه. قال مصعب: إن يجلس أكلمه. قال: فوقف عليهما متشمتا، قال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ فقال: أنصفت. ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن. فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم به في إشراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالوا له: نغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي. فقام فاغتسل

[١٩٩]

وطهر ثوبيه وتشهد بشهادة الحق، ثم قام فصلى ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن: سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه، وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف علي النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين فو الله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا: نفعنا ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك. قال، فقام سعد مغضبا مبادرا تخوفا للذي ذكر له من أمر بني حارثة. فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أعنيت شيئا. ثم خرج إليهما، فلما رأهما مطمئنين عرف سعد أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما. فوقف عليهما متشمتا، ثم قال لاسعد بن زرارة: يا أبا أمامة أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره؟ وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مصعب: جاءك والله سيد من وراءه من قومه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان. قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره. قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن. قالوا: فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم لاشراقه وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالوا: نغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين. ثم أخذ حربته فأقبل عامدا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلا قالوا: نحف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف عليهما قال: يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمرني فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة. قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله. قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما أو مسلمة، حاشا الاصيرم وهو عمرو بن ثابت بن وقش فإنه تأخر إسلامه إلي يوم أحد فأسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة. قال ابن إسحاق: ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن

زرارة، فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف، وتلك أوس الله وهم من الاوس بن حارثة، وذلك أنه كان فيهم أبو

[٢٠٠]

قيس بن الاسلت واسمه صيفي. وكان شاعرا لهم قائدا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق. قال سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي (١): كان أبو قيس هذا قد ترهب في الجاهلية وليس المسوح وفارق الاوثان واغتسل من الجنابة، وتطهر من الحائض من النساء، وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتا له فاتخذة مسجدا لا يدخل عليه فيه حائض ولا جنب، وقال: أعيد إله إبراهيم حين فارق الاوثان وكرهها حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه وهو شيخ كبير، وكان قوالا بالحق معظما لله في الجاهلية وله في ذلك أشعار حسنة. بيان غريب ما سبق (الحائض): البستان. (لا أبالك): هذا أكثر ما يستعمل في المدح أي، لا كافي لك غير نفسك، وقد يذكر في معرض الذم كما يقال: لا أم لك، وقد يذكر في معرض التعجب ودفعا للعين كقولهم: لله درك، وقد تكون بمعنى (جد في أمرك وشمر)، لأن من له أب اتكل عليه في بعض شأنه، وقد تحذف اللام فيقال: (لا أبك). (دارينا): هو ثنية دار، والدار هي القبيلة والعشيرة ا لمجتمعة في المحلة فتسمى المحلة دارا. (النادي): متحدث القوم. (ليخفروك) (٢): بضم أوله وكسر الفاء رباعيا أي لينقضوا عهدك، يقال: أخفرت الرجل إذا نقضت عهده وذمامه. (الطارف) (٣): جمع غطريف بكسر الغين المعجمة: السيد. (متشمتا): من الشتم وهو السب.

(١) سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص، أبو عثمان الاموي. سمع أباه، وعمه عيد الله بن سعيد، وعيد الله بن المبارك، وعيسى بن يونس، وأبا القاسم بن أبي الزناد، وأبا بكر بن عياش، وعيد الرحيم بن سليمان، ومروان بن معاوية، وشجاع بن الوليد مات في سنة تسع وأربعين ومائتين. انظر تاريخ بغداد ٩ / ٩٠. (٢) انظر لسان العرب ٢ / ١٢٠٩. (٣) انظر لسان العرب ٥ / ٢٣٧٠. (*)

[٢٠١]

الباب الثامن في بيعة العقبة الثالثة قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم مجتة وعكاظ وفي المواسم بمنى يقول: (من يؤويني؟ ومن ينصرني؟ حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة)، فلا يجد أبدا أحدا يؤويه ولا ينصره، حتى أن الرجل ليرحل من مضر أو اليمن، فيأتيه قومه وذوو رحمة فيقولون: احذر فتى قريش لا يفتنك يمضي بين رجالهم، وهم يشيرون إليه بأصابعهم، حتى بعثنا الله إليه من يثرب فيأتيه الرجل منا فيؤمن به ويفرته القرآن فيقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم تبق دار من دور يثرب إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الاسلام. ثم بعثنا الله تعالى فأنتمنا واجتمعنا فقلنا: متى نذر رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا فيه من رجل ورجلين حتى توافينا عنده، فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: (تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر

واليسر، وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله، لا تأخذكم لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم يثرب، تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة). فقمنا نبايعه، فأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو أصغر السبعين رجلا إلا أنا فقال: رويدا يا أهل يثرب. فإننا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله وأن إخراجهم اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصيرون على عض السيوف إذا مستكم وعلى قتل خياركم وعلى مفارقة العرب كافة، فخذوه، وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة، فذروه فهو أعذر لكم عند الله. فقلنا: ابسط يدك يا أسعد بن زرارة، فو الله لا نذر هذه البيعة ولا نستقبلها. فقمنا إليه نبايعه رجلا رجلا، يأخذ علينا شرطه ويعطينا على ذلك الجنة)، رواه الامام أحمد والبيهقي. وروى ابن إسحاق عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: (خرجنا في حجاج قومنا من المشركين وقد صلبنا وفقهنا، ومعنا البراء بن معمر سيدنا وكبيرنا - زاد الحاكم - وكنا خمسمائة، حتى إذا كنا بظاهر البيداء قال: يا هؤلاء إنني قد رأيت رأيا، ووالله ما أدري أتوافقوني عليه أم لا. فقلنا: وما ذلك؟ قال: قد رأيت ألا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها. قال: فقلنا: والله ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصلي إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه، فقال: إنني لمصل إليها. فقلنا له: لكننا لا نفعل. قال فكنا إذا حضرت الصلاة صلبنا

[٢٠٢]

إلى الشام وصلى هو إلى الكعبة حتى قدمنا مكة وقد كنا عبنا عليه ما صنع وأبى إلا الإقامة على ذلك فلما قدمنا مكة قال لي: يا ابن أخي، انطلق بنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أسأله عما صنعت. في سفري هذا، فإنه والله لقد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم إياي فيه. قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنا لا نعرفه لم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا. قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قلنا: نعم. وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا. قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس. قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه. فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس: (هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟) قال: نعم، هذا البراء بن معمر سيد قومه، وهذا كعب بن مالك. قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الشاعر؟) قال: نعم. فقال البراء بن معمر: يا نبي الله، إنني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله تعالى للإسلام فرأيت ألا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: (قد كنت على قبلة لو صبرت عليها). قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلى معنا إلى الشام. قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا، نحن أعلم به منهم. قال ابن هشام: وقال عون بن أيوب الانصاري: ومنا المصلي أول الناس مقبلا * على كعبة الرحمن بين المشاعر (١) يعني البراء بن معمر (٢). قال كعب: ثم خرجنا إلي الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق - زاد ابن سعد - (ليلة النفر الاول [إذا هدأت الرجل] أن يوافوه في الشعب الايمن إذا انحدروا من منى بأسفل العقبة حيث المسجد الحرام اليوم، وأمرهم ألا يبنهوا نائما ولا ينتظروا غائبا). [قال]: فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، سيد من

ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا فكلماه وقتلنا له: يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، وأنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا، ثم

(١) البيت في الروض الانف ٢ / ١٨٩. (٢) البراء بن معمر بن صخر بن سابق بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي السلمي.. أبو بشر قال موسى بن عقبة عن الزهري: كان من نفر الذين بايعوا البيعة الأولى بالعقبة وهو أول من بايع في قول ابن إسحاق وأول من استقبل القبلة وأول من أوصى بثلت ماله وهو أحد النقباء. الاصابة ١ / ١٤٩. (*)

[٢٠٢]

دعوانه إلى الاسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة. قال: فأسلم وشهد معنا العقبة [وكان نقيبا]. [قال]: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا، ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة (١) بنت كعب، أم عمارة، إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو (٢) بن عدي [بن نابي، إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع]. فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم - وذكر ابن سعد وأبو معشر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيقيمهم وانتظرهم - حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له. فلما جلس كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال: (يا معشر الخزرج، - قال: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها - إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم وللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده. وروى الامام أحمد عن الشعبي عن أبي مسعود البدي (٣) رضي الله عنه قال: انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة فقال: (ليتكلم متكلمكم ولا يطل الخطبة فإن عليكم من المشركين عينا، وإن يعلموا بكم يفضحوكم). فقلنا (قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما أحببت). قال: فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الاسلام، ثم قال: (أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم). قال: فأخذ البراء بن معمر

(١) نسيبة بفتح النون أيضا بنت كعب بن عمرو بن عوف بن عمرو بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار الأنصارية أم عمارة مشهورة بكنيتها واسمها معا. الاصابة ٨ / ١٩٨. (٢) أسماء بنت عمرو بن عدي بن ياسر بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارية السلمية أم معاذ بن جبل وكنيتها أم منيع.. ذكر ابن إسحاق بسند صحيح عن كعب بن مالك أنها كانت مع من شهد العقبة مع السبعين هي نسيبة بنت كعب وقال في التجريد وقيل: هي أسماء بنت عدي بن عمرو. الاصابة ٨ / ٨. (٣) عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة: - بفتح الهمزة وكسر المهملة - ابن عطية بن جدارة بجيم - ابن عوف بن الخزرج الأنصاري البدي أبو مسعود. عده فيمن شهد بدرًا البخاري تبعًا لابن شهاب والحكم بن عتيبة وابن إسحاق. وقال سعيد بن إبراهيم: لم يشهدا. له مائة وحديثان، اتفقا على تسعة، وانفرد (خ) بحديث، و (م) بسبعة. وعنه ابن بشير

[٢٠٤]

بيده، ثم قال: (نعم فوالله الذي بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة وورثناها كآبنا عن كآبنا). قال: فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الهيثم بن التيهان، فقال: (يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبلا وأنا فاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟) قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: (بل الدم الدم والهدم الهدم) أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم - (أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتهم وأسالم من سالمتم). قال كعب: وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم). فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس: فمن الخزرج: أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيب بني النجار، ورافع بن مالك بن العجلان نقيب بني زريق، وسعد بن الربيع، بفتح الراء، وعبد الله بن رواحة نقيب بني الحارث بن الخزرج وسعد بن عباد والمندر بن عمرو نقيب بني ساعدة والبراء بن معرور - بالعين المهملة وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت. ومن الأوس: أسيد بن حضير - بالحاء المهملة والضاد المعجمة - نقيب بني عبد الأشهل ورفاعة بن عبد المنذر وسعد بن خيثمة نقيب بني عمرو بن عوف. قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء: (أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي) - يعني المسلمين. قالوا: نعم. قال ابن هشام: وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولا يعدون رفاعة. وروى البيهقي عن الامام مالك رضي الله عنه قال: حدثني شيخ من الانصار أن جبريل عليه السلام كان يشير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من يجعله نقيبا ليلة العقبة، قال مالك: وكنت أعجب كيف جاء هذا؟ رجلا من قبيلة ورجل من أخرى، حتى حدثت بهذا الحديث: أن جبريل هو الذي ولاهم وأنه أشار إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وروى أبو نعيم عن ابن عمر قال: (لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم النقباء قال: لا يجد امرؤ في نفسه شيئا إنما أخذ من أشار إليه جبريل) وروى أنه صلى الله عليه وسلم نقب على النقباء أسعد بن زرارة فلما توفي أسعد والمسجد بيني اجتمع بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله أن يجعل منهم شخصا نقيبا عليهم، فقال لهم: (أنتم أخوالي وأنا نقيبكم) (١) وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخص بها بعضهم دون بعض قال السهيلي: (وإنما

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣ / ٢٢٩. (*)

[٢٠٥]

جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر نقيبا اقتداء بقول الله تعالى في قوم موسى (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) (المائدة: ١٢). وقال كعب بن مالك يذكرهم فيما رواه ابن هشام عن أبي زيد (الانصاري): فأبلغ أبا أنه قال (١) رأيه * وحان غداة الشعب والحين واقع أبى الله ما منتك نفسك إنه * بمرصاد أمر الناس راء وسامع وأبلغ أبا سفيان أن قد بدا لنا * بأحمد نور من هدى الله ساطع فلا

ترعين في حشد أمر تريده * وألب وجمع كل ما أنت جامع ودونك فاعلم أن نقض عهدنا * أباه عليك الرهط حين تبايعوا أباه البراء وابن عمرو كلاهما * وأسعد بأباه عليك ورافع وسعد أباه الساعدي ومنذر * لانفك إن حاولت ذلك جادع (٢) وما ابن ربيع إن تناولت عهده * بمسلمه لا يطمعن ثم طامع وأيضاً فلا يعطيكه ابن وراحة * وإخفاره من دونه السهم نافع وفاء به والقولقي ابن صامت * بمندوحة فما تحاول يافع أبو هيثم أيضاً وفي يمثلها * وفاء بما أعطى من العهد خانع وما ابن حضير إن أردت بمطمع * فهل أنت عن أحموقة الغي نازع وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه * ضروح لما حاولت ملامر مانع أولاك نجوم لا يغيبك منهم * عليك بنحس في دجى الليل طالع فذكر كعب فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعة. قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عباد بن نضلة الانصاري أخو بني سالم بن عوف: (يا معشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟) قالوا: نعم. قال: (إنكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس فإن كنتم تريدون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتل أسلمتموه فمن الان فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والاخرة وإن كنتم تريدون أنكم وافون له بما عاهدتموه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والاخرة). قالوا: (فإنا نأخذ على مصيبة الاموال وقتل الاشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله) قال: (الجنة). قالوا: ابسط يدك. فبسط يده، فبايعوه. فأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال: (والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) قال رأيه: فيلا، وفيولا: أخطأ وضعف. انظر المعجم الوسيط ٢ / ٧١٥. (٢) أنظر الروض الانف ٣ / ١٩٠، ١٩١. (*)

[٢٠٦]

في أعناقهم). وأما عبد الله بن أبي بكر فقال: (ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلول فيكون أقوى لامر القوم)، فالله أعلم أي ذلك كان، قال ابن إسحاق: (وبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو عبد الاشهل يقولون: (بل أبو الهيثم بن التيهان). وفي حديث كعب بن مالك قال: (كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، البراء بن معرور، ثم بايع بعد القوم، فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجباب: هل لكم في مذمم والصباء معه قد اجتمعوا على حريككم؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذا أرب العقبة، هذا ابن أزيب، استمع أي عدو الله، أما والله لا فرغن لك). ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارفضوا إلى رجالكم). فقال له العباس بن عباد بن نضلة، (والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيا فإنا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رجالكم). فرجعنا إلى مضاجعنا فمنا عليها (حتى أصبحنا). وذكر سليمان بن طرخان التيمي في كتاب السير له أن إبليس لعنه الله، لما أسلم من أسلم من الانصار صاح بينه وبين الحجاج: (إن كان لكم بمحمد حاجة فأتوه بمكان كذا وكذا فقد حالفه الذين يسكنون يثرب). قال: (ونزل جبريل فلم يبصره من القوم أحد، واجتمع الملا من قريش عند صرخة إبليس، فعظم الامر بين المشركين والانصار حتى كاد أن يكون بينهم قتال: ثم إن أبا جهل كره القتال في تلك الايام فقال: يا معشر الاوس والخزرج أنتم إخواننا وقد أتيتم أمرا عظيما، تريدون أن تغلبونا على صاحبنا، فقال له حارثة بن النعمان: نعم وأنفك راغم، والله لو نعلم أنه من أمر رسول الله صلى

الله عليه وسلم أن نخرجك أيضا لاخرجناك. فقال أبو جهل: نعرض عليكم أن نلحق بكم من أصحاب محمد من شاء بعد ثلاثة أشهر، ونعطيك ميثاقا ترضون به أنتم ومحمد لا نجسبه بعد ذلك. فقالت الانصار: (نعم إذا رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم)، فذكر الحديث. وقال كعب في حديثه: فقالوا: (يا معشر الخزرج، نه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين أظهرنا وتبايعوه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم). قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شئ وما علمنا ه. وقد صدقوا لم يعلموه. قال: وبعضنا ينظر إلى بعض. قال: ثم قام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومي - وأسلم بعد ذلك - وعليه نعلان حديدان. قال: فقلت له كلمة كأنني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا: يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش؟ قال: فسمعها

[٢٠٧]

الحرث فخلعهما من رجليه، ثم رمى بهما إلي، فقال: والله لتنتعلنهما. قال: يقول أبو جابر: [مه] أحفظت والله الفتى فاردد عليه نعليه. قال: قلت: لا والله لا أردهما، قال والله صالح، لئن صدق الفأل لا سليناه. قال ابن إسحاق: (وحدثني عبد الله بن أبي بكر: أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول فقالوا له مثل ما ذكر كعب من القول، فقال لهم: والله إن هذا لامر جسيم ما كان قومي ليتفوقوا علي بمثل هذا وما علمته. قال: فانصرفوا عنه. قال: ونفر الناس من منى، فتنطس القوم الخبر، فوجدوه قد كان. وخرجوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عبادة بأذخر، والمنذر بن عمرو، وكلاهما كان نقيبا. فأما المنذر فأعجز القوم، وأما سعد فأخذه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته وكان ذا جمرة وشعر كثير. قال سعد: فوالله إنني لفي أيديهم إذا طلع علي نفر من قريش فيهم رجل وضئ أبيض شعشاع حلو من الرجال. قال: قلت في نفسي: إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا. قال: فلما دنا مني رفع يده فطممني لطمة شديدة - قال ابن هشام: هو سهيل بن عمرو، قلت: وأسلم بعد ذلك - قال: فقلت في نفسي: لا والله ما عندهم بعد هذا خير. قال: فوالله إنني لفي أيديهم يسحبونني إذا أوى إلى رجل ممن كان معهم - قال ابن هشام: هو أبو اليختر بن هشام، قلت: ومات كافرا - فقال: ويحك: أما بينك وبين أح د من قريش جوار ولا عهد؟ قال: قلت: بلى والله ولقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدي تجارة، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي، وللحرث بن حرب بن أمية. قال: ويحك، فاهتف باسم الرجلين، وأذكر ما بينك وبينهما. قال: ففعلت وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدتهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما: إن رجلا من الخزرج الآن يضرب بالابطح ليهتف بكما ويذكر أن بينه وبينكما جوارا. قال: ومن هو؟ قال: سعد بن عبادة. قال: صدق والله إن كان ليجير لنا تجارنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده. قال: فجاء فخلصا سعدا من أيديهم، فانطلق. قال ابن إسحاق: وكان أول شعر قيل في الهجرة بيتين قالهما ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر - قلت: وأسلم بعد ذلك. تداركت سعدا عنوة فأخذته * وكان شفاء لو تداركت منذرا ولو نلتته طلعت هناك جراحه * وكان حريا أن يهان ويهدرا (١) قال ابن هشام: وبرى: (وكان حقيقا أن يهان ويهدرا) قال ابن إسحاق: فأجابه حسان بن ثابت فيهما فقال:

(١) انظر ديوان حسان ١١٦. (*)

فلست إلى عمرو ولا المرء منذر * إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا
 أتفخر بالكتان لما لبسته * وقد يلبس الانباط ريطا مقصرا فلولا أبو
 وهب لمرت قصائد * على شرف البرقاء يهوين حسرا فلاتك
 كالوسنان يحلم أنه * بقرية كسرى أو بقرية قيصرا ولاتك كالثكلي
 وكانت بمعزل * عن الثكل لو كان الفؤاد تفكرا ولاتك كالشاة التي كان
 حتفها * بحفر ذراعها فلم ترض محفرا ولاتك كالغاوي فأقبل نحره *
 ولم يخشه سهما من النبل مضمرا فإننا ومن يهدي القصائد نحونا *
 كمستبضع تمرا إلى أهل خيبرا (١) تنبيهات الاول: لم يأمر النبي
 صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور بإعادة الصلاة التي صلاها إلى
 الكعبة حيث كان الفرض عليهم إلى بيت المقدس لان البراء أسلم
 لما شاهد النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يأمره بإعادة تلك الصلاة
 من أجل ذلك كذا قيل، والذي يقتضيه سياق القصة أن البراء كان
 مسلما قبل هجرته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن
 تكون صلاة البراء إلى الكعبة اتباعا لما علم به من علماء اليهود أن
 هذا النبي المبعوث في عصرهم هو على دين إبراهيم ودينهم
 وقبلته الكعبة مستصحبا لاصل الحكم في ذلك، ورجحه على ما وجد
 فيه من التردد وضده في ثبوته والاختلاف في صحته، وهو وجه من
 وجوه الترجيح. وقال السهيلي: إنما لم يأمره صلى الله عليه وسلم
 بإعادة ما قد صلى لانه كان متأولا. الثاني: في بيان غريب ما سبق:
 (مجنة): بميم فجيم مفتوحتين، وكسر بعضهم الميم، سويق بأسفل
 مكة على بريد منها. (عكاظ) بالضم: سوق بقرم مكة وراء قرن
 المنازل. (مضر) بضم الميم وفتح الصاد المعجمة. (يؤويني): بضم
 إليه ويجوطني. (فقهنا) بكسر القاف: فهمنا. (واعدنا) رسول الله
 صلى الله عليه وسلم، يجوز بسكون الدال، فيكون رسول الله صلى
 الله عليه وسلم منصوبا على أنه مفعول، ويجوز فتح الدال، فرسول
 مرفوع فاعل. (أثمرنا): شاور بعضنا بعضا في ذلك وعزم عليه.

(١) القصيدة في ديوان حسان ١١٧. (*)

(نذر): نترك. (الشعب) بكسر الشين المعجمة: انفرج بين جبلين.
 (القطا) (١): بالقصر وفتح القاف: نوع من الحمام (واحدتها قطاة).
 (توافينا): من توافي القوم: تماموا. (النشاط): طيب النفس. (الكسل)
 كالتعب: الفتور، فيتخلف العبد عن أسباب الخير والصلاح، وإن كان
 لعدم قدرته فهو العجز، وإن كان لعدم إرادته فهو الكسل. (نضرب أكباد
 الابل): أي نركب ونسير. (اللوم): عذل الانسان بنسبته إلى ما فيه
 لوم. (المطي) جمع مطية فعلية بمعنى مفعولة: البعير سمي بذلك
 لانه يركب مطاه أي ظهره. (مستكم): أي أصابتكم. (تعضمكم
 السيوف): أي تجرحكم. (فدروه): فاتركوه. (أمت) (٢) نح وأبعد.
 (البيداء): المغارة. (أدع): أترك. (البنية): بفتح الموحدة وكسر النون
 وتشديد المثناة التحتية المفتوحة ثم تاء تأنيث، وهي الكعبة.
 (الرحال) بالحاء المهملة: جمع رحل وهو في الاصل ماوى الشخص
 في الحضر ثم أطلق على أمتعة المسافر لانها هناك ماواه. (منعة)
 (٣) بفتح النون باختلاف المعنى وتقدم بيان ذلك. (الانحياز إليكم):
 الاختلاط بكم. (أزرننا) (جمع إزار) قال أبو ذر: يعني نساءنا والمرأة قد
 يكنى عنها بالازار.

[٢١٠]

(الحلقة) بسكون [اللام]: السلاح. (كابرا عن كابر): أي كبيراً كبير في العز والشرف. (حبالاً): بكسر الحاء ا لمهملة وبالموحدة جمع جبل وهو العهد والميثاق. (عسيت): بكسر السين وفتحها لغتان. (الدم الدم الهدم الهدم): قال في النهاية: يروى الهدم بسكون الدال وفتحها فالهدم بالتحريك القبر يعني: أني أقبر حيث تقبرون، وقيل: هو المنزل أي منزلكم منزلي، كحديثه الآخر: المحيا محياكم والممات مماتكم أي لا أفارقكم، والهدم بالسكون وبالفتح أيضا هو إهدار دم القتل، يقال: دماؤهم بينهم هدم أي مهذرة والمعنى أن من طلب دمكم فقد طلب دمي وأن من أهدر دمكم فقد أهدر دمي، لاستحكام الالفه بيننا، وهو قول معروف للعرب يقولونه عند المعاهدة والنصرة وفي تهذيب الأزهري أن ابن الأعرابي رواه بالفتح: دمي دمك وهدمي هدمك. (النقيب) (١): قال في التقريب: يقال: نقب الرجل ونقب بالتخفيف والتشديد استخراج الأسرار والنقيب الأمين والكفيل والعريف أو هو فوق العريف، وشاهد ا لقوم نقب عليهم كقتل نقابة بالكسر فعل ذلك. ونقب بالضم نقابة بالفتح إذا لم يكن فصار نقيبا، ونقباء الانصار الذين تقدموا لاخذ البيعة لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم سموا بذلك لضمانهم إسلام قومهم شرح أبيان كعب بن مالك [الانصاري] (قال رأيه) بفاء ولام: أي بطل. (فلا ترعين): بضم المثناة الفوقية وسكون الراء وكسر العين ا لمهملة وفتح المثناة التحتية ونون التوكيد: أي لا تبقين. يقال: ما أرعى عليه أي ما أبقى عليه. (ألب) وجمع بمعنى (جادع) (٢) بالجيم أي قاطع. (إخفاره) بالخاء المعجمة: نقض عهده. (ناقع) بالقاف: ثابت. (القوقلي) بقاف مفتوحة فواو ساكنة ففاف مفتوحة ولام. (نسبة لابي بطن) من الخزرج: قوقل، وهو غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، كذا لابن الكلبي، وقال ابن

[٢١١]

إسحاق: قيل لهم القوافل لانهم كانوا إذا أجاروا أحدا أعطوه سهما وقالوا له: قوقل به حيث شئت، أي سر به حيث أردت. (بمندوحة) (١) أي بمتسع. (يافع) بالمثناة التحتية والفاء المكسورة: أي موضع مرتفع فاليفاع ما ارتفع من الارض ومن رواه باقع بالباء الموحدة والقاف فمعناه بعيد وهو مأخوذ من بقع الارض. (خانغ) (٢) بالخاء المعجمة والنون: أي مقر متذل. (الاحموقه) أفعولة من الحمق وحقيقته وضع الشئ في غير موضعه مع العلم ببقحه. (نازع) بالزاي والعين المهمله: أي ذاهب. (ضروح) (٣) بفتح الضاد المعجمة وضم الراء وبالحاء ا المهمله أي مانع ودافع عن نفسه من قولهم: ضرحت الدابة برجلها ضربت بها. (أولاك) بترك الهمزة أي أولئك. (يبغك) بضم المثناة التحتية وكسر العين المعجمة وتشديد الباء الموحدة من أغب القوم إذا جاءهم يوما وتركهم يوما. (دجى الليل) بضم الدال المهمله: أي ظلمة الليل. شرح ما جاء في بيعة العقبة (كفلاء) جمع كفيل: وهو الضمين. (علام): ما استفهامية اتصلت بعلى. (الاحمر): العجم (والأسود): العرب. (نهكت) بضم النون وكسر الهاء وفتح الكاف فتاء تأنيث: نقصت. (أنفذ صوت) بالذال المعجمة: أبعده. (الجباب) بجيمين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة وبعد كل جيم موحدة، قال

في القاموس: جبال بمكة أو أسواقها أو منحرج منى كان يلقي به الكروش. (المذمم) يذال معجمة: ا لمذموم جدا، وأرادت قريش عكس اسم النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا

(١) انظر لسان العرب ٦ / ٤٢٨١. (٢) اللسان ٣ / ١٢٧٩. (٣) انظر اللسان ٤ / ٢٥٧٢.
(*)

[٢١٢]

يقولون عوض محمد: مذمم بوزنه وعكس معناه، وكذبوا بل محمد من كثرة خصاله المحمودة وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو اسم صادق على مسماه. (الصباء) (١) بضم الصاد المهملة والباء المشددة جمع صابئ: وهو الخارج من دين إلى دين. (إزب) بهمزة مكسورة فزاي ساكنة فباء موحدة. وفيما ذكر ابن هشام بفتح الهمزة وسكون الزاي وفتح الياء (أزيب). (أرفضوا) (٢): تفرقوا. (أحفطت) الفتى بالحاء ا لمهملة والفاء والطاء المعجمة: أي أغضبتة والحفيظة الغضب. (أمر جسيم): عظيم. (ليتفتوتوا علي)، من الفتوت، يقال: تفتوت فلان على فلان في كذا وافتات عليه إذا انفرد برأيه دونه في التصرف ولما ضمن معنى التغلب عدي بعلى. (تنطس) بمثناة فوقية فنون فطاء فسين مهملتين، قال ابن هشام: المبالغة في التفتيش. (أذاخر) بذال وحاء مكسورة معجمتين: اسم موضع. (بنسج رحله) (٣): بنون مكسورة فسين فعين مهملتين: السير المضفور من الاديم على هيئة أعنة البغال.. (الجمة): بالضم: الشعر إلى شحمة الأذن. (وضئ): جميل. (لكمه): ضربه بجمع كفه. (أوى): أي أشفق ورحم. (شعشاع) (٤): طويل. (جوار): بضم الجيم وكسرهما: العهد والامان. (تجار): بكسر التاء يخفف ويشدد: جمع تاجر. (فاهتف): صح وادع.

(١) انظر اللسان ٤ / ٢٢٨٥. (٢) يرفض: تفرق وتبدد وزال وسال وترش وارفض بمعنى ترفض. الوسيط ١ / ٣٦٠. (٣) النسج: سير يضفر على هيئة أعنة النعال تشدد به الرجال: والجمع أنساع ونسوع ونسج والقطعة فيه نسعة قال عبد يغوث: أقول وقد شدوا لسانني بنسعة اللسان ٦ / ٤٤١٠. (٤) أنظر لسان العرب ٣ / ٢٢٧٩. (*)

[٢١٢]

شرح أبيات ضرار بن الخطاب وحسان بن ثابت (عنوة) (١): بفتح العين: أي قهرا. (طلبت) بضم الطاء المهملة وتشديد اللام المفتوحة ثم تاء التأنيث: أي أهدرت. (حريرا): بفتح الحاء المهملة وكسر الراء وتشديد المثناة التحتية: أي حقيفا وحديرا. (ضمرا): بضم الصاد المعجمة: جمع ضامر. (شرف): المكان العالي يشرف على ما حوله. (تداركت وأخذت): كلاهما بقاء الخطاب. (البرقاء) (٢): كل موضع فيه حجارة مختلفة الألوان. (الكتان): بفتح الكاف. (الانباط): قوم من العجم. (الريط) (٣): الملاحف البيض واحدها ربطة. (مقصرا): بميم مضمومة فقاق مفتوحة فصاد مهملة مشددة: أي قصرت بالمقصرة كمكنسة خشبة القصار. (حسرا): مغيبة. (الوسنان) (٤): النائم. (الثكلى): المرأة الفاقدة ولدها. (حتفها): هلاكها. (محفر) بفتح الفاء: مصدر (ومحفر) بكسر الفاء: مكان. الثالث: في معرفة أسماء الذين بايعوا ليلة العقبة الثالثة: وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين. قال في العيون: هذا هو العدد المعروف، وإن زاد في التفصيل فليس ذلك بزيادة في الجملة وإنما هو لمحل الخلاف فيمن شهد. فبعض الرواة يثبته وبعضهم يثبت غ يره بدله. قلت: ورتب ابن إسحاق أسماءهم

على القبائل والبطون وترتيبهم على حروف المعجم ليسهل الكشف عنهم، وإعلم أن كل اسم يأتي فيهم بلفظ: (عبد

(١) انظر المصباح المنير ٤٣٤. (٢) البرقاء: أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطنين مختلطة وجمعها (براقبي) الوسيط ١ / ٥١. (٣) الربطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين وقيل: الربطة كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسيج واحد وقيل: هو كل ثوب لين رقيق، والجمع ربط ورباط، اللسان ٣ / ١٧٩٢. (٤) الوسن الناس قال ابن القطاع: والاستيقاظ، ورجل وسنان وامرأة وسنى. المصباح المنير ص ٦٦٠. (*)

[٢١٤]

الاشهل) فإنه بشين معجمة، أو بلفظ (بهته) فإنه بضم الباء الموحدة وسكون الهاء وبالثاء المثلثة، أو بلفظ (يزيد) فإنه بالمثلثة التحتية إلا (تزيد بن جشم) فإنه بالمثلثة الفوقية والزاي بعدها تحتية. أو بلفظ (جشم) فإنه بجيم مضمومة فشين معجمة مفتوحة، وهو غير منصرف للعلمية والعدل من جاشم، أو بلفظ (حارثة) فإنه بالحاء المهملة والمثلثة، أو بلفظ (حرام) فإنه بالحاء والراء المهملتين، أو بلفظ (خنساء) فإنه بخاء معجمة فنون فسین فالف تأنيث. أو بلفظ (زريق) فإنه بزاي مضمومة فراء مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فحاف. أو بلفظ (زعوراء) فإنه بزاي مفتوحة فعين مهملة مضمومة فواو ساكنة فراء فهمزة ممدودة، أو بلفظ (ساردة) بكسر الراء فإنه بمهملات، أو بلفظ (سرح) بسكون الراء فإنه بمهملات، أو بلفظ (سلمة) بكسر اللام، أو بلفظ (السلم) فإنه بفتحيتين. أو بلفظ (سنان) فإنه بسين مكسورة ونونين بينهما ألف أو بلفظ (سواد) فإنه بفتح السين المهملة وتخفيف الواو وآخره دال مهملة. أو بلفظ (غنم) فإنه بغير معجمة فنون ساكنة أو بلفظ (لوزان) فإنه بفتح اللام والذال المعجمة. أو بلفظ (مبذول) فإنه بالموحدة والمعجمة بلفظ اسم المفعول. أو بلفظ (نابي) فإنه بالنون والباء الموحدة. أو بلفظ (النجار) أو (النجاري) فإنه بالنون والجيم، باب الهمزة: أبي - بضم الهمزة وفتح الموحدة وتشديد التحتية - ابن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن عمرو بن حبيب - بفتح المهملة وكسر الموحدة - ابن حارثة بن غضب بفتح الغين وسكون الصاد المعجمتين. أسعد بن زرارة - بضم الزاي - ابن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري أبو أمامة. أسيد - بضم أوله وسكون التحتية - ابن حضير - بحاء مهملة مضمومة فصاد معجمة مفتوحة فراء - ابن سماك - بكسر السين المهملة وآخره كاف - ابن عتيك - ككريم - ابن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس الاشهلي يكنى أبا يحيى وقيل كنيته أبو عتيك، أوس بن ثابت - بالمثلثة - ابن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة - بفتح الميم - ابن عدي بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج أخو حسان بن ثابت رضي الله عنه. أوس بن زيد بن أصرم، ذكره ابن عتبة فيهم. الباء الموحدة: البراء - بفتح الموحدة فالراء ممدودا مخففا - ابن معرور - بميم مفتوحة فعين مهملة ساكنة فراء مضمومة فواو فراء أخرى - ا بن صخر - بصاد مهملة مفتوحة فحاء معجمة - ابن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، وهو أول من بايع ليلتئذ في قول ابن

[٢١٥]

إسحاق، وأول من أوصى بثلاث ماله. بشر بن البراء بن معرور. بشير -
بفتح أوله وكسر المعجمة بعدها مثناة - ابن سعد بن ثعلبة بن
جلاس - بضم الجيم مخففا وضبطه الدار قطني بفتح الخاء المعجمة
وتشديد اللام - ابن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن
الحارث بن الخزرج. بهيز - بضم أوله وفتح الهاء وسكون التحتية، قال
في النور: وآخره زاي، وضبطه الحافظ في الاصابة بالراء: وقيل: أوله
نون بدل الموحدة - ابن الهيثم بن عامر، وقيل ابن نابي بن مجدعة -
بفتح الميم وسكون الجيم، وبالعين المهملة - ابن حارثة بن الحارث
ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس الاوسي الحارثي. الثاء
المثلثة: ثابت بن الجذع - واسم الجذع ثعلبة، والجذع بكسر الجيم
وبالذال المعجمة كذا قال في النور، وفي نسخة صحيحة من العيون
بضم الجيم وفتح الذال وفي نسخة صحيحة من سيرة ابن هشام
بفتحها - ابن زيد بن الحارث بن حرام بن كعب بن سلمة بن سعد بن
علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن حشم بن الخزرج الخزرجي
السلمي. ثعلبة بن عبيد بن عدي: قال الذهبي في التجريد: (ذكره
ابن الجوزي في التلخيص). قال الحافظ: (أخشى أن يكون وقع في
اسم أبيه تصحيف وهو ثعلبة بن عنمة - بعين مهملة ونون فميم
مفتوحات - ابن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب
بن سلمة السلمي الخزرجي). الجيم: جابر بن عبد الله بن عمرو بن
حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب ابن سلمة بن
سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن حشم بن الخزرج
الخزرجي السلمي. جبار - بجيم مفتوحة فباء موحدة مشددة فراء -
ابن صخر بن أمية بن خنساء - ويقال خنيس - ابن سنان بن عبيد بن
عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي ثم السلمي أبو عبد الله.
الهاء المهملة: الحارث بن قيس بن خلدة - بفتح الخاء المعجمة
واللام ويقال خالد - ابن مخلد - بضم الميم فحاء معجمة فلام
مشددة مفتوحتين - ابن عامر بن زريق (بن عامر بن زريق) بن عبد
حارثة بن مالك بن غضب - بغير مفتوحة فصاد ساكنة معجمتين -
ابن حنشم ابن الخزرج الخزرجي ثم الزرقى، أبو خالد. الخاء المعجمة:
خارحة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الاغر
ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث الخزرجي. خالد بن زيد بن
كليب - بضم الكاف - ابن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن
النجار (واسمه) تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج (الاكبر) أبو
أيوب الخزرجي النجاري. خالد بن عمرو بن عدي بن نابي بن عمرو
بن سواد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة (الخزرجي) اسلمي.
خالد بن قيس بن مالك بن

[٢١٦]

العجلان بن مالك بن عامر بن بياضة (ابن عامر بن زريق بن عبد حارثة
بن مالك بن غضب بن حشم بن الخزرج الاكبر الخزرجي البياضي.
خديج بن سلامة - وقيل بن سالم بن اوس بن عمرو بن القراق -
بقافين وراءين مهملتين - ابن الضحيان البلوي نسبا الانصاري حلفا،
حليف لبني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة من الانصار.
خلاد - بفتح أوله وتشديد اللام وآخره ذال مهملة - ابن سويد بن
ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن مالك الاغر بن ثعلبة بن
كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الاكبر الانصاري الخزرجي
الحارثي (من بلحارث بن الخزرج). الذال المعجمة: ذكوان بن عبد
قيس بن خلدة - أخو الحارث السابق - ابن مخلد بن عامر بن زريق
أبو السيع - بسين مهملة فباء موحدة، كان خرج إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة فهو مهاجري أنصاري. الراء: رافع بن
مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق بن عامر بن عبد حارثة
بن مالك بن بن غضب بن حشم بن الخزرج الخزرجي الزرقى. رفاع
- بكسر الراء وتخفيف الفاء وفتح العين المهملة - ابن رافع بن مالك
بن العجلان الخزرجي الزرقى. رفاعة بن عبد المنذر بن زبئر - بزاي

مفتوحة فنون ساكنة فموحدة مفتوحة - ابن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس أبو لبابة الاوسي. رفاة بن عمرو بن زيد - وقيل ابن نوفل وقيل ابن عمرو وقيل ابن قيس - ابن ثعلبة بن جشم بن مالك بن سالم بن غ نم بن عوف بن الخزرج الخزرجي أبو الوليد. الزاي: زياد بن ليبيد - يفتح اللام وكسر الموحدة وسكون التحتية وأخره دال مهملة - ابن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة - بالمعجمة - ابن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج الخزرجي البياضي. زيد بن سهل بن الاسود بن حرام بن عمرو بن زيد مائة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري أبو طلحة (وهو مشهور بكنيته وهو زوج أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك. السين المهملة: سعد بن خيثمة - بحاء مفتوحة فمثناة تحتية فمثناة فميم فهاء تأنيث - ابن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط - بنون فحاء وطاء مهملتين بينهما ألف - ابن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم - بسين مهملة مشددة فلام ساكنة - ابن امرئ القيس بن مالك بن الاوس الاوسي أبو خيثمة. سعد بن الربيع - يفتح الراء - ابن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج. سعد بن زيد بن مالك بن عبد بن كعب بن عبد الاشهل الاوسي الاشهلي. سعد بن عبادة - يعين مهملة

[٢١٧]

مضمومة فباء موحدة مخففة - ابن دليم - بدال مهملة مضمومة فلام مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة - ابن حارثة بن أبي حزيمة - بحاء مهملة مفتوحة فزاي مكسورة فمثناة تحتية، قال في الاملاء: هذا هو الصواب وكذا قيده الدار قطني ويروي بحاء مضمومة وزاي مفتوحة - ابن ثعلبة بن طريق - بالطاء المهملة المفتوحة وبالفاء - ابن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، يكنى أبا ثابت (وقيل) أبا قيس، سيد الخزرج. سلمة - يفتح أوله وثانيه - ابن سلامة بن وقش - يفتح الواو وإسكان القاف وتفتح - ابن زغبة - بزاي مضمومة فعين معجمة ساكنة، فموحدة مفتوحة فناء تأنيث - ابن زعوراء بن عبد الاشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن مالك بن الاوس الاوسي الاشهلي، سليم بن عمرو - أو عامر - ابن حديدة - يفتح الحاء المهملة - ابن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة، السلمى. سنان بن صيفي بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي السلمى. سهل بن عتيك - ككريم - ابن النعمان بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبدول - بالذال المعجمة اسم مفعول - وهو عامر بن مالك بن النجار الخزرجي. الشين المعجمة: شمر بن سعد بن ثعلبة، كذا في التلخيص ولم أره في غيره. الصاد المهملة: صيفي بن سواد بن عباد بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة السلمى. الضاد المعجمة: الضحاك بن زيد بن الطفيل، كذا في التلخيص ولم أره في غيره. الضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي ثم السلمى. الطاء المهملة: الطفيل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب السلمى. الطاء المعجمة: ظهير - بالتصغير - ابن رافع بن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو - وهو التنيث - ابن مالك بن الاوس الاوسي. العين المهملة: عامر بن نابي - بالنون وبالموحدة - ابن زيد بن حرام. عبادة - بضم أوله وتخفيف الموحدة - ابن الصامت - بكسر الميم - ابن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الخزرجي أبو الوليد. عباد - يفتح أوله وتشديد الموحدة - ابن قيس - بالمثناة التحتية - ابن عامر بن خالد بن مخلد - كمحمد - ابن عامر بن زريق الزرقى. العباس بن عبادة بن نضلة - بنون مفتوحة فضاء معجمة ساكنة - ابن مالك بن العجلان

الخرزجي - عبد الله بن أنيس - بضم أوله مصغرا - ابن أسعد بن حرام
بن حبيب بن

[٢١٨]

مالك بن غنم بن كعب بن ناشز - بالنون والشين المعجمة والزاي -
ابن يربوع - بمثناة مفتوحة فراء ساكنة فموحدة مضمومة فعين
مهملة - ابن البرك - بموحدة مضمومة فراء ساكنة فكاف - ابن وبرة -
بفتح الواو فالموحدة والراء، وعند ابن عمر: تيم بن نفاثة - بنون
مضمومة ففاء ومثلثة - ابن إياس بن يربوع، دخل البرك في جهينة
حليفا لهم. عبد الله بن جبير - بضم الجيم وفتح الموحدة - ابن
النعمان بن أمية بن امرئ القيس - وهو البرك - بضم الموحدة وفتح
الراء وبالكاف - ابن ثعلبة بن عمرو (بن عوف بن مالك بن الاوس
الاوسي) ثم من بني ثعلبة بن عمرو. عبد الله بن الربيع بن قيس بن
عمرو بن عباد بن الابجر - بفتح الهمزة فموحدة ساكنة فجيم مفتوحة
فراء، والابجر هو خدره - بضم الخاء المعجمة وإسكان الدال المهملة -
ابن عوف بن الحارث بن الخزرج الخرزجي. عبد الله بن رواحة - بالفتح
ومهملة مخففا - ابن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ
القيس الاكبر بن مالك الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث
بن الخزرج الخرزجي. عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد من
بني جشم بن الحارث بن الخزرج، الخرزجي الحارثي ويكنى أبا
محمد وهو الذي أري الاذان في النوم. عبد الله بن عمرو بن حرام بن
ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن
علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الخرزجي
السلمي، يكنى أبا جابر والد جابر بن عبد الله. عيس - بفتح أوله
وسكون الباء وبالسين المهملة - ابن عامر بن عدي بن نابي بن
عمرو بن سواد بن تميم بن كعب بن سلمة السلمى. عبيد - بضم
أوله بغير إضافة - ابن التيهان، أخو أبي الهيثم. عقبة - بضم أوله -
ابن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة - بضم الهمزة وفتح المهملة - ابن
عسيرة، واختلفوا في تقييد عسيرة فمنهم من يفتح العين ويكسر
السين المهملتين ومنهم من يضم العين ويفتح السين - ابن عطية
بن خدارة - بالخاء المعجمة المضمومة، وبعضهم يقول بجيم مضمومة
ومكسورة - ابن عوف بن الحارث بن الخزرج أبو مسعود البدرى. عقبة
بن وهب بن كلدة - بفتح الكاف واللام والدال المهملة - ابن الجعد -
بفتح الجيم وسكون العين وبالذال المهملتين - ابن هلال بن الحارث
بن عمرو بن عدي بن جشم بن عوف - بالفاء - ابن بهثة بن عبد الله
بن غطفان - بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة والفاء - ابن قيس
بن عيلان العطفاني، حليف لبني سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج.
قال ابن إسحاق: (كان أول من أسلم من الانصار ولحق برسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة فلم يزل معه حتى هاجر فكان يقال له
مهاجري أنصاري). عمارة - بضم أوله والتخفيف - ابن حزم بن زيد بن
لودان بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار،
الخرزجي النجاري. عمرو بن الجموح - بفتح الجيم وضم الميم وبالحاء
المهملة - ابن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة السلمى من
بني جشم بن الخزرج.

[٢١٩]

عمرو بن الحارث بن كندة بن عمرو بن ثعلبة من القواقل شهد العقبة
الثانية قاله ابن إسحاق. عمرو بن عنمة - بمهملة فيون فميم
مفتوحات - ابن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب
بن سلمة السلمى. عمرو بن غزية - بغير معجمة مفتوحة فزاي
مكسورة فمثناة تحتية مشددة - ابن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن

ميدول بن عمرو بن غنم بن مازن - بالزاي - ابن النجار الخزرجي ثم المازني، يقال إنه شهد العقبة، وقال ابن هشام: عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة وهو عطية بن خنساء، عمير - وقيل عمرو - ابن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد الخزرجي كذا نسبه ابن إسحاق وزاد موسى بن عقبة بين الحارث وثعلبة: لبدة - بكسر اللام وإسكان الموحدة وبالمهمله. عمير بن عامر بن نابي بن يزيد بن حرام الخزرجي، قال ابن الكلبي: شهد المشاهد كلها، وأقره الشاطي والحافظ، وقال الحافظ الدمياطي: لم أمر من ذكره في الصحابة غيره. عوف بن الحارث بن رفاعه - بكسر الراء - ابن الحارث بن سواد (بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار الخزرجي) النجاري يعرف بأمه عفراء، ويقال يحذف الحارث الثاني. عويم - بضم أوله وفتح الواو وسكون التحتية بعدها ميم وليس بعدها راء - ابن ساعدة بن عابش - بمثناة تحتية فثنين معجمة - ابن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس الاوسي. الفاء: فروة - يفتح الفاء وسكون الراء - ابن عمرو بن ودفة - بفتح الواو وإسكان الدال، قال ابن إسحاق: وهي معجمة وقال ابن هشام: مهمله ورجحه السهيلي وفسره بالروضة - ابن عبيد بن عامر بن بياضة البياضي. القاف: قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر بن الخزرج (بن عمرو بن مالك بن الاوس) الاوسي ثم الظفري، ذكره فيهم إلا ابن إسحاق. قطبة - بضم أوله وسكون الطاء المهمله - ابن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي السلمي يكنى أبا زيد. قيس بن أبي صعصعة - واسم أبي صعصعة عمرو - ابن زيد بن عوف بن ميدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار الخزرجي المازني. الكاف: كعب بن عمرو بن عباد - يفتح العين المهمله وتشديد الباء الموحدة - ابن عمرو بن سواد بن غنم (بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج) الخزرجي السلمي أبو اليسر - بفتح المثناة التحتية والمهمله - كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القين - بفتح القاف وسكون المثناة التحتية - ابن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي - بضم العين المهمله وفتح اللام - ابن أسد بن ساردة أبو عبد الله الخزرجي السلمي - بفتحيتين ويقال أبو بشير، ويقال أبو عبد الرحمن.

[٢٢٠]

الميم: مالك بن التيهان - بمثناة فوقية مفتوحة فمثناة تحتية مكسورة مشددة ويجوز تخفيفها فألف فتون - ابن مالك بن عبيد بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن زعوراء بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو وهو النبيث - بفتح النون وكسر الباء الموحدة فمثناة تحتية ساكنة فمثناة فوقية - ابن مالك بن الاوس، أبو الهيثم الاوسي. مالك بن الدخشم - بدال مهمله مضمومة فحاء ساكنة فثنين مضمومة معجمتين فميم ويقال بالنون بدل الميم ويقال كذلك بالتصغير. - ابن مالك بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف، وقيل في نسبه غير هذا. قال أبو عمر: لا يصح منه النفاق فقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع من اتهامه بذلك. مالك بن رفاعه بن عمرو بن زيد، ذكره الاموي، كذا في العيون ولم أره في التلقيح لابن الجوزي ولا في العجالة للبرهان النووي ولا في الاصابة للحافظ. مسعود بن يزيد بن سبيع بن خنساء - ويقال سنان - ابن عبيد بن عدي بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي.. معاذ - بضم أوله وبالذال المعجمة - ابن جبل - بفتح الجيم والموحدة - ابن عمرو بن اوس بن عابد - بالمثناة التحتية والذال المعجمة - ابن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي - بضم الهمزة وفتح الدال المهمله وتشديد المثناة التحتية - ابن سعد بن علي - بضم العين المهمله وفتح اللام - ابن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، أبو عبد الرحمن الخزرجي الجشمي،

الامام المقدم في علم الحلال والحرام رضي الله تعالى عنه. معاذ بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار الخزرجي، يعرف بأمه عفراء معاذ بن عمرو بن الجموح - بجم مفتوحة فميم فواو - ابن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي السلمي. معقل - بميم مفتوحة فعين ساكنة مهملة فقف مكسورة فلام - ابن المنذر بن سرح - بسين فراء فحاء مهملات - ابن خناس بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم السلمي، معن بن عدي بن الجد - بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة - ابن العجلان بن ضبيعة - بضم الصاد وفتح الموحدة وسكون التحتية وبالعين - ابن حارثة بن ضبيعة بن حرام بن جعل - بضم الجيم وسكون العين المهملة - ابن عمرو بن جشم بن درم بن ذبيان بن هميم - بضم الهاء مصغرا - ابن ذهل - بضم الذال المعجمة - ابن هندي بن بلي البلوي، حليف بني عمرو بن عوف. معوذ - بالذال المعجمة بلفظ اسم الفاعل - اسم الحارث بن رفاعة، ويعرف بأمه عفراء. المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لؤذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الخزرجي الساعدي. النون: النعمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار. نهير بن بهير - بالموحدة، وهو نهير بن الهيثم - من بني نايي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس الاوسي.

[٢٢١]

الهاء؛ هانئ - بهمزة آخره - ابن نيار - بكسر النون وتخفيف المثناة التحتية وآخره راء - ابن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان - بدال مهملة مضمومة فهاء ساكنة - بن غنم بن ذبيان - بذال معجمة مكسورة ويجوز ضمها فموحدة ساكنة فمثناة تحتية وآخره نون - ابن هميم - بهاء مضمومة فميم مفتوحة فمثناة تحتية فميم أخرى - ابن كاهل - بكسر الهاء - ابن ذهل - بضم الذال المعجمة وسكون الهاء - ابن هندي - بفتح الهاء وكسر النون وتشديد التحتية - ابن بلي - بالموحدة واللام وزان علي - ابن عمرو بن الحاف - بالحاء المهملة والفاء ومنهم من يكسر همزته ويقطعها ومنهم من يجعل الالف واللام فيه للتعريف منزلة اسم الفاعل من حفي يحيى - ابن قضاة - بضم القاف وبالضاد المعجمة حليف لبني حارثة من الانصار. المثناة التحتية؛ يزيد بن ثعلبة بن خزمة - بفتح المعجمتين قاله الدار قطني، وقال ابن إسحاق وابن الكلبي بسكون الزاي - ابن أصرم بن عمرو بن عمارة - بفتح أوله والتشديد - ابن مالك البلوي أبو عبد الرحمن حليف بني سالم بن عوف بن الخزرج. يزيد بن خذام - بخاء مكسورة وذال معجمتين، ويقال حرام بالحاء والراء المهملتين - ابن سبيع - بموحدة مصغرا - ابن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي السلمي. يزيد بن عامر بن حديدة - بالحاء المهملة - ابن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة أبو المنذر الخزرجي السلمي. يزيد بن المنذر بن سرح - بمهملات - ابن خنان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي السلمي. الكنى؛ أبو سنان بن صيفي بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة. النساء؛ أسماء بنت عمرو بن عدي بن نايي بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة، أم منيع السلمية. نسيبة بفتح النون وكسر السين المهملة - بنت كعب بن عمرو بن عوف بن عمرو بن مبدول بن عمرو بن مازن، أم عمارة.

[٢٢٢]

الباب التاسع في إسلام عمرو بن ا لجموح بفتح الجيم وبالحاء المهملة رضي الله تعالى عنه قال ابن إسحاق وغيره: لما قدم النفر الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أظهروا الاسلام بالمدينة، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك، منهم عمرو بن الجموح (بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة السلمى من بني جشم بن الخزرج)، وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها. وكان عمرو (بن الجموح) سيذا من سادات بني سلمة (وشريفا من أشرفهم)، وكان قد اتخذ في داره صنما من خشب يعظمه يقال له: مناة (كما كانت الاشراف يصنعون تتخذ إليها تعظمه وتظهره). فلما أسلم فتيان بني سلمة: معاذ بن جبل ومعاذ بن عمرو في فتیان منهم ممن أسلم وشهد العقبة، وكانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه وي طرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذر الناس، منكسا على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويحكم! من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطرهه وطيبه، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لآخزينه. فإذا أمسى ونام عدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك، (فيغدوا فيجده في مثل ما كان فيه من الاذى فيغسله ويطهره ويطيبه ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك) فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما فغسله وطرهه وطيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما أرى، فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك. فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه فأخ ذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر من عذر الناس. وغدا عمرو بن الجموح يلتمسه فلم يجده في مكانه، فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت. فلما رآه أبصر شأنه، وكلمه من أسلم من قومه، فأسلم رحمه الله وحسن إسلامه. فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف (وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة): والله لو كنت إليها لم تكن * أنت وكلب وسط بئر في قرن ألف لملائك إليها مستدن * الان فتشناك عن سوء الغبن الحمد لله العلي ذي المنن * الواهب الرزاق ديان الدين هو الذي أنقذني من قبل أن * أكون في ظلمة قبر مرتين بأحمد المهدي النبي المؤمن

(١)

(١) انظر الروض الانف ٢ / ٢٠٥. (*)

[٢٢٢]

تنبيهان الاول: في الزهر قول عمرو: (لو كنت إليها لم تكن) فيه عيب يسمى: سناد الاشباع وهو تغيير حركة الدخيل فالضمة مع الكسرة غير معيب والفتحة مع واحد منهما معيب والمذكور في الرجز معيب بغير شك لانه جمع بين الفتح والضم في قوله: في قرن. الثاني: في بيان غريب ما سبق: (مناة) (١) وزنه فعلة من منيت الدم وغيره إذا صببته لان الدماء كانت تمنى عنده أي تصب تقريبا إليه. (العذر) بفتح العين المهملة وكسر الذاال المعجمة: جمع عذرة الخروء. (القرن) (٢) بفتحيتين: الحبل. (مستدن) بفتح المثناة الفوقية والذال المهملة معناه: دليل مستعبد ذكره في الاملاء قال في الروض: هو من السدانة وهي خدمة البيت وتعظيمه. (الغبن) (٣) بفتح الغين المعجمة والباء الموحدة يقال: غبن رأيه كما يقال سفه نفسه، فنصبوا لان المعنى خسر نفسه وأوبقها وأفسد رأيه ونحو هذا. (الدين). بكسر الذاال المهملة: جمع دينة وهي العادة ويقال لها دين أيضا، ويجوز أن يكون أراد بالدين الاديان أي هو ديان أهل الاديان،

ولكن جمعها على الدين لانها ملل ونحل والله أعلم بالصواب وإليه
المرجع والمناب وإلى الله ترجع الامور.

(١) اللسان ٦ / ٤٢٨٥. (٢) انظر المصباح المنير ٥٠١. (٣) انظر المعجم الوسيط ٢ / ٦٤٤ (*).

[٢٢٤]

جماع أبواب الهجرة إلى المدينة الشريفة الباب الاول في إذن النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين في الهجرة إلى المدينة روى ابن سعد عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف وعن عروة عن عائشة رضي الله عنهما قال: لما صدر السبعون من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طابت نفسه وقد جعل الله له منعة وقوما أهل الخروج فضيقوا على أصحابه وتعبثوا بهم، ونالوا منهم ما لم يكونوا يبالغون من الشتم والاذي، فشكا ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنوه في الهجرة، فقال: (قد أريت دار هجرتكم، أريت سيخة ذات نخل بين لابتين) - وهما الحرتان - (ولو كانت البصرة أرض نخل وسبخ لقلت هي هي). ثم مكث أياما ثم خرج إلى أصحابه مسرورا فقال: (قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج إليها). فجعل القوم يتجهزون ويترافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك. فكان أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سلمة بن عبد الأسد - بسين ودال مهملتين (١) - قال ابن اسحاق: (هاجر إلى المدينة قبل بيعة العقبة بسنة. وحسبت عنه امرأته أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بمكة نحو سنة ثم أذن لها بنو المغيرة الذين حبسوها في اللحاق بزوجها فانطلقت وحدها مهاجرة حتى إذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة (بن أبي طلحة) أخا بني عبد الدار وكان يومئذ مشركا وأسلم بعد ذلك، فشيّعها حتى إذا أوفى على قرية بني عمرو بن عوف بقاء قال لها: هذا زوجك في هذه القرية. ثم انصرف راجعا إلى مكة، فكانت تقول: ما أريت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى إذا نزلت عنه استأخر بعيري فحط عنه ثم قيده في الشجرة، ثم أتى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني وقال: اركبي. فإذا ركبت واستويت على بعيري أنى فأخذ بخطامه فقادني، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة).

(١) أخرجه البخاري ٣ / ١٢٨ وابن سعد في الطبقات ١ / ١ / ١٥٢ وابن خزيمة في صحيحه (٢٦٥) والبيهقي في الدلائل ٢ / ٤٥٩ (*).

[٢٢٥]

وقيل: أول المهاجرين مصعب بن عمير. روى البخاري في صحيحه، والحاكم في الاكلیل عن البراء بن عازب قال: (أول من قدم علينا المدينة من المهاجرين مصعب بن عمير). وروى ابن اسحاق وابن سعد: (ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة: عامر بن ربيعة (حليف بني عدي بن كعب)، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة (١) - بالحاء المهملة المفتوحة وسكون الثاء المثناة - قال: (وهي أول طعينة قدمت المدينة). قال ابن اسحاق: (ثم عبد الله بن جحش احتمل بأهله وبأخيه أبي أحمد عبد بن جحش - بإضافة عبد إلى ابن جحش - وكان أبو أحمد رجلا ضير البصر، وكان يطوف مكة

أعلاها وأسفلها بغير قائد، وكان شاعرا، وكانت عنده الفارعة ابنة أبي سفيان بن حرب، وهاجر جميع بني جحش بنسائهم فعدا أبو سفيان على دارهم فتملكها، قال بعضهم: إنه باعها من عمرو بن علقمة أخي بني عامر بن لؤي، فذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارا في الجنة خيرا منها؟) قال: بلى. قال: (فذلك لك). ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كلمه أبو أحمد في دارهم، فأبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال الناس لابي أحمد: يا أبا أحمد إن رسول الله يكره أن ترجعوا في شئ أصيب منكم في الله. فأمسك الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن إسحاق: وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام، قد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرة رجالهم ونسائهم: (عبد الله بن جحش وأخو أبو أحمد بن جحش، وعكاشة بن محصن وشجاع وعقبة بن وهب وأريد بن حمير). وروى ابن السمان في (الموافقة) عن علي رضي الله عنه قال: ما علمت أن أحدا من المهاجرين هاجر إلا مختفيا إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتكب قوسه وانتضى في يده أسهما واختصر عنزته، ومضى قبل الكعبة، والملا من قريش بغنائها فطاف بالبيت سبعا (متمكنا)، ثم أتى المقام فصلى ركعتين، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة وقال لهم: شأهت لوجه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن يتكل أمه أو يؤتم ولده أو يرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي. قال علي رضي الله عنه: فلم يتبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علمهم ما أرشدهم إليه ثم مضى لوجهه. وروى ابن إسحاق: حدثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

(١) ليلى بنت أبي حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن كعب بن لؤي القرشبية العدوية أخت سليمان وكانت زوج عامر بن ربيعة العنبري فولدت له عبيد الله... وقال ابن سعد: أسلمت قديما وبايعت كانت من المهاجرات الأولى هاجرت الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة يقال: إنها أول طعينة دخلت المدينة في الهجرة ويقال أم سلمة. انظر الاصابة ٨ / ١٨٠. (*)

[٢٣٦]

انعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص (بن وائل) السهمي التناضب من أضاة بني غفار فوق سرف، وقلنا: أبنا لم يصح عندها فقد حبس فليمض صاحباه. قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب ووطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وفتن فافتتن. ثم إن أبا جهل والحارث بن هشام - وأسلم بعد ذلك - خرجا حتى قدما المدينة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فقالا لعياش بن أبي ربيعة وكان ابن عمهما وأخاهما لامهما: إن أمك قد نذرت ألا يمسه رأسها مشط حتى تراك ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرق لها. فقلت له: يا عياش إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد أذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستطلت. فقال: أبر قيسم أمي ولي هنالك مال فاخذه. فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريشا مالا فلك نصف مالي ولا تذهب معهما. فأبى علي إلا أن يخرج معهما. فلما أبى إلا ذلك قلت: أما إذا قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجية ذلول فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها، فخرج عليهما معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: والله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبنني على ناقتك هذه؟ قال: بلى. قال: فناخ وأناخ ليتحول عليها، فلما استوتوا بالارض عدوا عليه فأوثقاه رباطا وفتناه فافتتن ودخلا به مكة نهارا موثقا، ثم قال: يا أهل مكة هكذا فافعوا بسفهاكم كما

فعلنا بسفيها هذا. قال عمر: فكنا نقول: ما الله تعالى بقابل ممن إفتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم. قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم. فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم، وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون وأتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) (الزمر: ٥٣، ٥٤، ٥٥). قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاصي. قال: فقال هشام: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذى طوى أضعدها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت: اللهم فهمنيها قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا. قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم. هذا ما ذكره ابن إسحاق في شأن هشام. قال ابن هشام: فحدثني من أتق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالمدينة: (من لي بعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاصي؟) فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة: أنا لك يا رسول الله بهما.

[٢٢٧]

فخرج إلى مكة فقدمها مستخفيا، فلقي امرأة تحمل طعاما فقال لها: أين تريد يا أمة الله؟ قالت: أريد هذين المحبوسين. تعنيهما، فتبعها حتى عرف موضعهما، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له، فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مروة فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما، فكان يقال لسيفه: ذو المروة، لذلك ثم حملهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت إصبعه فقال: هل أنت إلا إصبع دميت؟ * وفي سبيل الله ما لقيت ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تتابع المهاجرون أرسالا فنزل طلحة بن عبيد الله وصهيب بن سنان على خبيب - بضم الخاء المعجمة وفتح الوحدة - ابن إساف - بكسر الهمزة - بالسنج ويقال: بل نزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زرارة. وروى ابن سعد عن سعيد بن المسيب أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صلوكا حقيرا فكثير مالك عندنا وبلغت ا لذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك. فقال لهم صهيب: أرايتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم. قال: فأني جعلت لكم مالي. قال: فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (ريح صهيب ربح صهيب) (١). قال ابن سعد: لما قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا فنزلوا في الانصار في دورهم وأووهم ونصروهم وأسوهم، وكان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين بقاء قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن إسحاق وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن، إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما. وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول له: (لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا). فيطمع أبو بكر أن يكونه. قال ابن سعد: وكان نفر من الانصار بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة الاخرة، ثم رجعوا إلى المدينة، فلما قدم أول من هاجر إلى قباء خرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، حتى قدموا مع أصحابه في الهجرة، فهم مهاجرون أنصاريون وهم: ذكوان بن عبد قيس (بن خلد الزرقى)، وعقبة بن وهب بن كلداء والعباس (ابن عبادة) بن نضلة وزياد بن لبيد (بن ثعلبة الخزرجي البياضي).

[٢٢٨]

تنبيهات الاول: ذكر ابن إسحاق وابن سعد أن أول من هاجر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد. وروى ابن أبي شيبة والبخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: أول من قدم علينا المدينة من المهاجرين مصعب بن عمير. قال الحافظ: (فيجمع بينهما بحمل الاولية في أحدها على صفة خاصة. فقد جزم ابن عقبة بأن أول من قدم من المهاجرين مطلقاً أبو سلمة بن عبد الأسد، وكان رجع من الحبشة إلى مكة، فأوذي بمكة، فبلغ ما وقع للثاني عشر من الانصار في العقبة الاولى، فتوجه إلى المدينة في أثناء السنة، فيجمع بين ذلك وبين ما وقع في حديث البراء بأن أبا سلمة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة بل فراراً من المشركين، بخلاف مصعب بن عمير فكان على نية الإقامة بالمدينة). الثاني: جزم أبو عمر بأن ليلى بنت أبي حنيفة بن غانم أول طعينة دخلت المدينة من المهاجرات، وقال موسى بن عقبة: بل أم سلمة فإله أعلم. الثالث: ذكر ابن إسحاق في مهاجرات بني (غنم بن) دودان بن أسد: بنات جحش وذكر فيهن أم حبيبة - بالهاء - وقال السهيلي: أم حبيب - بغير هاء - وقال أبو عمر: هو قول الأكثر، قال الحافظ: كذا قال. قلت لأن قصتها في الاستحاضة رواها الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها. وقال عمرو بن الحارث، ومحمد بن إسحاق وابن أبي ذئب كلهم عن الزهري: أم حبيبة بالهاء وقال معمر عنه: أم حبيب بغير هاء، وقال يحيى بن أبي كثير عن أم سلمة عن أم حبيبة بالهاء. وقال ابن عيينة عن الزهري: أم حبيبة أو حبيب على الشك. فظهر من هذا أن أكثر الرواة قالوا: أم حبيبة بالهاء خلافاً لما قاله أبو عمر. قال في العيون: (وأما ابن عساكر فعنده أم حبيبة واسمها حمنة فهما أي بنات جحش ثنتان على هذا). انتهى. قلت: كان مستند الحافظ ابن عساكر في ذلك ما رواه أبو داود والترمذي عن عمران بن طلحة عن عبيد الله عن أمه حمنة بنت جحش قالت: كنت أستحاض فذكر الحديث. فلما رأى الحافظ ابن عساكر حديث الاستحاضة تارة يروي عن حمنة بنت جحش وتارة يروي عن أم حبيبة ظن أن اسم أم حبيبة حمنة، وليس كذلك فإن حمنة غير أم حبيبة وكل منهما استحيض. وقد ذكر ابن إسحاق وابن سعد وغيرهما بنات جحش وسموهن وذكروا أزواجهن، ولهذا مزيد بيان في كتابي: (عين الاصابة في معرفة الصحابة)، أعان الله على إكماله. الرابع: ذكر ابن إسحاق من نساء بني جحش: جذامة بنت جندل. قال السهيلي: (وأحسبها جذامة بنت وهب وأما جذامة بنت جندل فلا تعرف في آل جحش الاسديين ولا في غيرهم ولعله وهم وقع في الكتاب وأنها بنت وهب بن محصن بنت أخي عكاشة بن محصن.

[٢٢٩]

قال في الزهر: وهذا غير لان محمد بن جرير ذكر جذامة في المهاجرات، قال: والمحدثون قالوا فيها: جذامة بنت وهب، والمختار أنها بنت جندل الاسدية أخت عكاشة بن محصن المشهور، وتكون أخته من أمه. وفي كتاب الصحابة لابن حبان: جذامة بنت جندل من بني غنم من المهاجرات، وجذامة بنت وهب من بني هلال. وفي الطبقات لابن سعد: جذامة بنت جندل الاسدية أسلمت قديماً وبايعت وهاجرت إلى المدينة. ويزيد ذلك وضوحاً ما ذكره أبو الحسن الخزرجي في كتاب تقريب المدارك في الكلام على موطأ مالك: أن جذامة بنت وهب أسلمت عام الفتح، ودال جذامة روى إجماعها

وإهمالها وصحح. الخامس: في بيان غريب ما سبق: (اللاحق) (١):
يفتح اللام مصدر لحقه ولحق به. (أرسالا) (٢): يفتح الهمزة أي:
أفواجا وفرقا. (التنعيم): على لفظ المصدر محل بين مكة وسرف
على مرحلتين من مكة. (منعة): بفتحين أي في قوم يمنونه
ويحمونه جمع مانع ككاتب وكتبة وتقدم مبسوطة غير مرة.
(السيخة): بكسر الموحدة وتسكن: الأرض المالحة. (بين لابتين):
تننية لابة بالموحدة وهي الحرة وتأتي. (الحرثان): تننية حرة وهي
أرض ذات أحجار سود نخرة كأنها أحرقت بالنار. (السراة): بفتح
السين المهملة: أعظم جبال بلاد العرب. (الظعينة): بفتح الظاء
المعجمة الشالة: المرأة وأصله اليهودج الذي تكون فيه المرأة. (عدا):
بالعين المهملة: من العدوان. (فأبطأ): بهمزة مفتوحة في أوله وأخرى
في آخره. (أصيب منكم) بالبناء للمفعول. (أوعبوا): قال ابن السكيت:
أوعب بنو فلان جلاء: لم يبق بدارهم منهم أحد. (تتكب قوسه):
ألقاها على منكبه.

(١) انظر المعجم الوسيط ٢ / ٨١٩. (٢) انظر اللسان ٣ / ١٦٤٣. (*)

[٢٣٠]

انتضى (١) في يده أسهما): أي سلها من كنانته وتركها معدة في
يده وكذلك انتضى سيفه ونضاه سله. (اختصر العنزة) (٢) العنزة
بالتحريك: أطول من العصا وأقصر من الرمح وفيه زج كرج الرمح،
واختصرها: حملها مضمومة إلى خاصرتة. (المعاطس) (٣) جمع
معطس بزنة مجلس وهو الانف. (وإرغامها): إصافها بالرغام وهو
التراب كنى بذلك عن الاهانة والذل. (التناضب): بمثابة فوقية مفتوحة
فنون فألف فضاء معجمة مضمومة: هو اسم موضع وبروي بكسر
الضاد جمع تنضب وهو شجر واحدته تنضبة. (ا لاضاة): بفتح الهمزة
والضاد المعجمة بوزن حصة ومناة الغدير يجتمع من ماء المطر يمد
ويقصر. (غفار) بكسر الغين المعجمة وبالفاء وبالراء. (سرف) بفتح
السين والراء المهملتين وبالفاء: موضع بين مكة والمدينة. (تسور
الحائط): تسلقه. (المروة) (٤): الحجر الصلب. (فعثر) بفتح المثناة
صدم رجله شئ. (ذو طوى) (٥) بتثليث الطاء: بمكة قال النووي:
يصرف ولا يصرف.

(١) انظر المعجم الوسيط ٢ / ٩٢٩. (٢) انظر اللسان ٤ / ٢١٢٨. (٣) المعطس: بزنة
المجلس والمعطش بفتح الطاء. الألف لأن العطاس منه يخرج، قال الأزهري: المعطس
بكسر الطاء لا غير وهذا يدل على أن اللغة الجيدة يعطس بالكسر. اللسان ٤ / ٢٩٩٥.
(٤) انظر اللسان ٦ / ٤١٨٨. (٥) انظر اللسان ٤ / ٣٧٣٠. (*)

[٢٣١]

الباب الثاني في سبب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه
الكريمة وكفاية الله تعالى رسوله مكر المشركين حين أرادوا ما أرادوا
روى ابن إسحاق وعبد الرزاق والامام أحمد وابن جرير وابن المنذر
والطبراني عن ابن عباس، وعبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة،
والبيهقي عن ابن إسحاق أن قريشا لما رأوا أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا
خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارا وأصابوا
جوارا ومنعة، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرفوا
أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قصي

بن كلاب التي كانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر النبي صلى الله عليه وسلم حين خافوه. فاجتمعوا لذلك واتعدوا، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة فاعترضهم إبليس لعنة الله في هيئة شيخ جليل عليه بت له، فوقف على باب الدار، فلما رآوه واقفا على بابها قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى ألا تعدموا منه رأيا ولا نصحا. قالوا: أجل فادخل، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشرف قريش: من بني عبد شمس: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب - وأسلم بعد ذلك - (ومن بني نوفل بن عبد مناف): طعيمة بن عدي، وجبير بن مطعم - وأسلم بعد ذلك - (والحرث بن عامر بن نوفل. ومن بني عبد الدار بن قصي): النضر بن الحرث بن كلفة (ومن بني أسد بن عبد العزى): أبو البخترى بن هشام، وزمعة بن الأسود - وأسلم بعد ذلك - وحكيم بن حزام - وأسلم بعد ذلك، (ومن بني مخزوم): أبو جهل بن هشام، (ومن بني سهم): نبيه ومنبه ابنا الحجاج، ومن بني جمح: أمية بن خلف، ومن كان معهم، وغيرهم ممن لا يعد من قريش. فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، وأنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأيا. قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم - نقل السهيلي عن ابن سلام أنه أبو البخترى بن هشام - احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله: زهيراً والنايعة ومن مضى منهم من هذا لموت حتى يصيبه ما أصابهم. فقال الشيخ النجدي - لعنه الله -: لا والله ما هذا لكم برأي، والله لو حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلاوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركن، ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره. فتشاوروا ثم قال قائل منهم - ذكر السهيلي أنه أبو الاسود ربيعة بن عمرو أحد بني

(١) في أ: أخو. (*)

[٢٢٢]

عامر بن لؤي - نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا (كما كانت) فقال الشيخ النجدي: لا والله، ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبروا فيه رأيا غير هذا. فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسييا وسيطا، ثم تعطى كل فتى منهم سيفا صارما، ثم يعمدوا إليه بأجمعهم فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا، فرضوا منا بالعقل ففعلناه لهم. فقال الشيخ النجدي أخزاه الله، القول ما قال الرجل، هذا الرأي لا أرى غيره. وذكر ابن الكلبي أن إبليس لما حمد رأي أبي جهل لعنه الله قال: الرأي رأيان: رأي ليس يعرفه * هاد ورأي كنصل السيف معروف يكون أوله عز ومكرمة * يوما وآخره جد وتشريف وتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له. فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، وأخبره

بمكر القوم وإذن الله تعالى له بالخروج. فلما كانت العتمة من الليل اجتمعوا علي بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: (نم على فراشي وتسج ببردِي هذا الحضرمي الا حضر فَنم فيه فإنه لن يخلص إليك شئٍ تكرهه منهم)، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام. فلما اجتمعوا قال أبو جهل بن هشام: إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان كجنان الاردن وإن أنتم لم تفعلوا كان فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها. فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: (نعم أنا أقول ذلك وأنت أحدهم). وأخذ الله عزوجل على أبصارهم عنه فلا يروونه فجعل يذري ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الايات: (يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم) إلى قوله تعالى: (فأغشيهاهم فهم لا يبصرون) (يس: ١ - ٩) فلم يبق منهم رجل الا وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسه ترابا، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب.

[٢٢٢]

فأتاهم أت ممن لم يكن معهم فقال: (ما تنتظرون ههنا) ؟ قالوا: (محمدا). قال: (خبيكم الله، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم) ؟ قال: (فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب)، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائما عليه بردة. فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا. فقام علي رضي الله عنه من الفراش. فقالوا: (والله لقد صدقنا الذي كان حدثاه). وذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غار ثور. وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (شرى علي نفسه وليس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه). وكان المشركون يرجون رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا يرمون عليا ويرونه النبي صلى الله عليه وسلم، وجعل علي يتوضأ فإذا هو علي، فقالوا: إنك للثيم، إنك لتتصور (١) وكان صاحبك لا يتصور وقد استنكرناه منك. وروى الحاكم عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال: إن أول من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله علي، وقال في ذلك شعرا: وقيت بنفسي خير من وطئ الحصى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر رسول إله خاف أن يمكروا به * فنجاه ذو الطول الاله من المكر وبات رسول الله في الغار أمنا * موقى وفي حفظ الاله وفي ستر وبت أراعيهم وما يتهمونني * وقد وطنت نفسي على القتل والاسر قال ابن إسحاق: وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك بالوثاق والحيس والاثخان بالبحر (أو يقتلوك) بسيفوفهم (أو يخرجوك) - من مكة - (ويمكرون) - يحتالون في أمرك - (ويمكر الله) - يجازيهم جزاء مكرهم فسمى الجزاء مكرًا لأنه في مقابلته، والمعنى أنهم احتالوا في إبطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى منعه منهم وأظهره وقواه ونصره فضاع فعلهم وظهر فعل الله عز وجل - (والله خير الماكرين) (الانفال: ٣٠) - لان مكره حق، وإتيان هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز إطلاقه ابتداء لما فيه من إيهام الذم، وهذه السورة مدنية، وهذه الواقعة كانت بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة. وقد ذكر الله تعالى النبي محمدا صلى الله عليه وسلم نعمته عليه. قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى في ذلك (فذكر) - أي دم علي تذكير المشركين ولا ترجع عنهم لقومهم لك كاهن مجنون (فما أنت بنعمة ربك كاهن) - جزما - (ولا مجنون) معطوف عليه - (أم) - بل - (يقولون شاعر نربص به رب المنون) - أي حوادث

[٢٢٤]

الدهر فيهلك كغيره من الشعراء - (قل) - لهم - (تربصوا) - هلاكي -
(فإني معكم من المتربصين) (الطور: ٢٩، ٣١) - لهلاككم، فعذبوا
بالسيف يوم بدر، والتربص الانتظار. تنبيهات الاول: روى ابن جرير وابن
المنذر عن عبيد بن عمير، وابن جرير من طريق آخر عن المطلب بن
أبي وداعة قال: لما أئتمروا بالنبى صلى الله عليه وسلم ليثبتوه أو
يقتلوه أو يخرجوه قال عمه أبو طالب: هل تدري ما أئتمروا بك؟ قال:
يريدون أن يسجنوني أو يقتلونني أو يخرجوني. قال: من حدثك بهذا؟
قال: ربي. قال: نعم الرب ربك إلى آخره. قال في البداية: ذكر أبي
طالب فيه غريب بل منكر لأن القصة قبل الهجرة وذلك بعد موت أبي
طالب بثلاث سنين. الثاني: قال السهيلي: إنما قال لهم إبليس إنه
من أهل نجد لأنهم قالوا: لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل
تهامة لأن هواهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، فلذلك تمثل لهم
في صورة شيخ نجدى وقد تقدم في بنى قريش الكعبة أنه تمثل
في صورة شيخ نجدى حين حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في أمر الركن من يرفعه، فصاح الشيخ النجدى: يا معشر قريش، أقد
رضيتم أن يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوي أسنانكم، فإن صح
هذا الخبر فلمعنى آخر تمثل نجدياً وذلك أن نجداً يطلع منها قرن
الشيطان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قيل له:
وفي نجدنا يا رسول الله؟ قال: هنا لك الزلازل والفتن ومنها يطلع
قرن الشيطان. الثالث: المانع لهم من التفحم تلك الليلة على علي
وهم يظنون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهم لم يزالوا قياماً
حتى أصبحوا أن بعض أهل السير ذكروا السبب المانع من ذلك مع
قصر الجدار وأنهم إنما جاؤوا لقتله، فذكر في الخبر أنهم هموا بالولوح
عليه فصاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض: والله إنها للسببة
في العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا
ستر حرمتنا (فهذا هو الذي أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون
خروجه ثم طمست أبصارهم عنه حين خرج) وقال بعضهم: (الحكمة
في كون الموضوع على رأسهم تراباً دون غيره الإشارة لهم بأنهم
الارذلون الاصغرون الذين أرغموا وأصقوا بالرغام وهو التراب، وأنه
سيلصقهم بالتراب بعد هذا). الرابع: روى ابن منده وغيره عن مارية
خادم النبي صلى الله عليه وسلم أنها طأطأت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى صعد حائطاً ليلة فر من المشركين، وما سبق في
القصة من أنه طلع على المشركين من الباب أقوى سندا منه،
وحديث مارية فيه مجاهيل. الخامس: في قراءته صلى الله عليه
وسلم الايات من سورة يس من الفقه التذكرة بقراءة الخائفين لها
اقتداء به صلى الله عليه وسلم، وورد في بعض الآثار: ما قرأها خائف
إلا أمن. السادس: في بيان غريب ما سبق: (منعة): سبق بيانها.

[٢٢٥]

(شيخ جليل): يقال جل الرجل وجلت المرأة إذا أسنا. (عليه بت):
البيت يفتح الموحدة وتشديد المثناة الفوقية: الكساء الغليظ المربع
وقيل الطيلسان من خز. (أجل): بفتح الهمزة والجيم وإسكان اللام
مخففة بمعنى نعم. (أجمعوا فيه رأياً) بفتح الهمزة وكسر الميم:
يقال أجمعت الأمر وعلى الأمر إذا عزمتم عليه. (أوشكوا) (١): بفتح
الهمزة والشين المعجمة: أي أسرعوا. (أظهرنا): بئنا. (ألفتنا): بضم
الهمزة. (أن يحل): بفتح أوله وضم الحاء المهملة أي ينزل. (جلدا):

بفتح الجيم وكسر اللام: أي قويا. (وسطا): بفتح الواو وكسر السين والطاء المهملتين: أي حسيبا في قومه. (صارما): قاطعا. (نعمد) بكسر الميم في المستقبل وفتحها في الماضي. (العقل) كعقل الانسان: الدية. (عتمة الليل): بفتح العين والمثناة الفوقية وقت صلاة العشاء، وقيل ثلث الليل الاول من الليل بعد غيبوبة الشفق، وعتمة الليل ظلامه. (الحضرمي): منسوب إلى حضرموت. (تابعتموه): بمثناة فوقية وموحدة من المتابعة. (بعثتم) بالبناء للمفعول. (الجنان) جمع حنة: البستان. (الاردن): بهمزة مضمومة فراء ساكنة فдал مهمله فنون مشددة: الكورة المعروفة من أرض الشام يقرب بيت المقدس. (حفنة) (٢): بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء هي ملء الكف والشئ المحصول حفنة بالضم ويجوز الفتح، والمرة بالفتح ليس غير. (صدقنا): بفتح الدال المخففة: أي حدثنا حديث صدق.

(١) وشك بضم الشين يوشك وشكا وشاكة ووشكنا أسرع وأوشك هو بمعنى وشك ويستعمل فعل مقاربة ويكون بمعنى: يقرب ويدنو أيضا. الوسيط ٢ / ١٠٣٥. (٢) الحفن بفتح الحاء: أجزلا الشئ براحة كفف والأصابع مضمومة وفي حديث الشفاعة: إنما نجد حفنة من حففات الله. اللسان ٢ / ٩٣٤. (*)

[٢٣٦]

الباب الثالث في قدر إقامة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة ورؤياه الأرض التي يهاجر إليها روى البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة، والرواية عن ابن عباس في ذلك مختلفة، وسيأتي تحريرها في الوفاة النبوية إن شاء الله تعالى وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب)، رواه الشيخان (١) وعن صهيب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهرائي حرتين فأما أن تكون هجرا أو يثرب)، رواه الترمذي والحاكم والطبراني (٢). وروى الامام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن عبد الله بن عدي بن الحمراء (٣) رضي الله عنه، والامام أحمد والنسائي عن أبي هريرة، قال الحافظ: وذكره وهم وإنما هو عبد الله بن عدي، والحاكم وابن جميع عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على الحزرة فقال: (والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض إلي ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت منك) (٤). تنبيهات الاول: قال ابن التين: أرى النبي صلى الله عليه وسلم أولا دار هجرته بصفة تجمع المدينة وغيرها، ثم أرى الصفة المختصة بالمدينة فتعينت. الثاني: حديث أبي هريرة مرفوعا: (اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إلي فأسكنني في أحب البقاع إليك) (٥)، رواه الحاكم، وقال الذهبي: إنه موضوع، وقال ابن عبد البر: لا

(١) أخرجه البخاري ٤ / ٢٤٧ ومسلم في كتاب الرؤيا (٢٠) وابن ماجه (٣٩٢١). (٢) أخرجه الحاكم ٣ / ٤٠٠ والطبراني في الكبير ٨ / ٢٧ والبيهقي في الدلائل ٢ / ٥٢٢. (٣) عبد الله بن عدي بن الحمراء القرشي الزهري ويقال إنه عفي حالف بني زهرة. قال البخاري: له صحبة يكنى أبا عمر وأبا ع مرو وكان ينزل قديدا وهو من مسلمة الفتح روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في مكة روى عنه أبو سلمة ومحمد بن جبير بن مطعم وقال البيهقي: سكن المدينة. الاصابة ٤ / ١٠٥. (٤) أخرجه الترمذي (٣٩٢٥) وابن ماجه (٢١٠٨) والحاكم ٢ / ٧ وأحمد في المسند ٤ / ٢٠٥ والدارمي ٢ / ٢٢٩ وابن عبد البر في التمهيد ٢ / ٢٨٨. (٥) ذكره العجلوني في كشف الخفا ١ / ٢١٢ وعزاه للحاكم في المستدرک وابن سعد في شرف المصطفى عن أبي هريرة مرفوعا، قال: قال الحاكم: ومسنده مدينوه في بيت أبي سعيد المقبري انتهى، وفي سنده عبد الله بن أبي سعيد المقبري ضعيف جدا، قال ابن عبد البر: لا يختلف أهل

[٢٢٧]

يختلف أهل العلم أنه منكر موضوع. الثالث: في بيان غريب ما سبق: (وهلي): بفتح أوله وثانيه: أي ظني، يقال: وهل يهل وهلا بالسكون إذا ظن شيئاً فتبين الأمر خلافه. (اليمامة): مدينة على يومين من الطائف وأربعة من مكة. (هجر): بفتح أوله وثانيه وهي هنا مدينة باليمن، وهي قاعدة البحرين وهي من مساكن عبد القيس، وقد سبقوا غيرهم من القرى إلى الاسلام، يذكر ويؤنث، قال الجوهري: مذكر مصروف. (أرض سبخة): بفتح السين المهملة وكسر الموحدة وتسكن وتفتح، أي مالحة. (ظهراني حرتين): أي بينهما والجرتان: تثنية حرة وهي أرض ذات حجارة سود. (الحزورة): بحاء مفتوحة فزاي ساكنة فواو فراء، سوق كانت بمكة أدخلت في المسجد.

[٢٢٨]

الباب الرابع في هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة وما وقع في ذلك من الايات قال الله تعالى: (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) (الاسراء ٨٠). روى الامام أحمد والترمذي والحاكم والضياء وصحوه عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأمر بالهجرة من مكة وأنزل عليه (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) (الاسراء ٨٠) الهجرة إلى المدينة (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا): كتاب الله عز وجل، وفرائضه وحدوده. وروى الحاكم وصححه عن قتادة في الآية قال: (أدخلني مدخل صدق) يعني المدينة (وأخرجني مخرج صدق) يعني مكة. وروى الزبير بن بكار عن زيد بن أسلم في الآية قال: جعل الله تعالى مدخل صدق المدينة ومخرج صدق مكة، وسلطانا نصيرا الانصار. قال ابن سعد: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من بيته أتى بيت أبي بكر بمكة فكان فيه إلى الليل، ثم خرج هو وأبو بكر فمضيا إلى غار ثور فدخلاه). وروى موسى بن عقبة وابن إسحاق والامام أحمد والبخاري وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها، وابن إسحاق والطبراني عن أختها أسماء رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج قبل المدينة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (على رسلك فإنني أرجو أن يؤذن لي). فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي وأمي أنت؟ قال: (نعم). فحيس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عند ورق السمر (١)، وهو الخبط (٢) أربعة أشهر. قال ابن شهاب: أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: (لم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية). قالت: (فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهرية (٣) قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها). فقال أبو بكر: (فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر). قالت: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن فدخل، فتأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال أبو بكر: (يا رسول الله ما جاء بك إلا أمر حدث). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) السمرة: هو ضرب من شجر الطلح الواحدة سمرة، انتظر النهاية لابن الاثير ٢ / ٣٩٩. (٢) الخيط، ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها، واسم الورق الساقط خيط بالتحريك، فعل بمعنى مفعول، وهو من علف الابل. انظر النهاية لابن الاثير ٢ / ٧. (*)

[٢٣٩]

لابي بكر: (أخرج من عندك). فقال أبو بكر: لا عين عليك إنما هي ابتائ، وفي لفظ: أهلك. قال: (إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة). فقال أبو بكر: (الصحة يا رسول الله). قال: (نعم). قالت عائشة: (فوالله ما أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ). قال أبو بكر: (يا رسول الله خذ إحدى راحلتي هاتين). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بالثمن، لا أركب بعيرا ليس هو لي). قال: فهو لك. قال: (لا ولكن بالثمن الذي ابتعتها به). قال (أخذتها بكذا وكذا). قال (أخذتها بذلك). قال: هي لك. وعند البخاري في غزوة الرجيع أنها الجدعاء، وأفاد الواقدي أن الثمن ثمانمائة. واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الدليل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا - والخريت الماهر بالهداية - قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش - وأسلم بعد ذلك - فأمناه فدفعنا إليه راحلتيهما وواعدها غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث. قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب. وأفاد الواقدي أنه كان في السفرة شاة مطبوخة. قالت عائشة: فشقت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها - وفي لفظ قطعت نطاقها قطعتين فأوكت بقطعة منه الجراب وشددت فم القربة بالباقي فسميت ذات النطاق وفي لفظ النطاقين. وعند البلاذري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لها نطاقين في الجنة) (١) فسميت ذات النطاقين. قال ابن إسحاق: وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شئ يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته). قالت عائشة: (ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بغار في جبل ثور). وفي حديث عمر عند البيهقي أنهما خرجا ليلا. وذكر ابن إسحاق والواقدي أنهما خرجا من خوذة في ظهر بيت أبي بكر. وروى أبو نعيم عن عائشة بنت قدامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لقد خرجت من الخوذة متنكرا فكان أول من لقيني أبو جهل فأعمى الله عز وجل بصره عني وعن أبي بكر حتى مضينا). قالت أسماء: (وخرج أبو بكر بماله خمسة آلاف درهم). قال البلاذري: (وكان مال أبي بكر يوم أسلم أربعين ألف درهم، فخرج إلي المدينة للهجرة وماله خمسة آلاف أو أربعة، فبعث ابنه عبد الله فحملها إلى الغار). قالت: (فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال: (والله إنني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه). قالت: (فقلت: كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا). قالت: (فأخذت أحجارا فوضعتها في كوة في البيت، كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبا، ثم أخذت بيده

(١) أخرجه البخاري ٦ / ١٥٠ (٢٩٧٩). (*)

[٢٤٠]

فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه. فقال: لا بأس إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم. ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك). وفي حديث

عند البيهقي أن أبا بكر رضي الله عنه لما خرج هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار، جعل أبو بكر يمشي مرة أمام النبي صلى الله عليه وسلم، ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: (يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك، ومرة عن يسارك لامن عليك، فلما انتهينا إلى فم الغار قال أبو بكر: والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله قبلك، فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك). فدخله فجعل يلتمس بيده، فجعل كلما دخل جحرا قام إلى ثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع: فبقي جحر) فوضع عقبيه عليه، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت الحيات يلسعن أبا بكر رضي الله عنه وجعلت دموعه تنحدر. وروى ابن أبي شيبه وابن المنذر عن أبي بكر أنهما لما انتحيا إلى الغار إذا جحر فألقمه أبو بكر رجله. قال: (يا رسول الله إن كان لدغة أو لسعة كانت بي). وروى ابن مردويه عن جندب بن سفيان قال: (لما انطلق أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار قال أبو بكر: يا رسول الله لا تدخل الغار حتى استبرئته. فدخل أبو بكر الغار فأصاب يده شيء فجعل يمسح الدم عن إصبعه ويقول هل أنت ألا إصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت وفي حديث أنس عند أبي نعيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصبح قال لابي بكر (أين ثوبك) ؟ فأخبره بالذي صنع فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال: (اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة). فأوحى الله إليه: (قد استجاب الله تعالى لك) (١). وروى ابن سعد وأبو نعيم والبيهقي وابن عساکر عن أبي مصعب المكي قال: (أدركت أنس بن مالك، وزيد بن أرقم، والمغيرة بن شعبة يتحدثون أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر شجرة - وفي رواية عند قاسم بن ثابت: أنبت الله شجرة الرءاء، فنبئت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسترته، وبعث الله العنكبوت فنسجت ما بينهما فسترت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا في فم الغار، وأقبل فتیان قريش من كل بطن بعصيمهم وهراويهم وسيوفهم، حتى إذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم على أربعين ذراعاً، جعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير إلا حمامتين وحشيتين بغم الغار، فرجع إلى أصحابه، فقالوا له: ما لك ؟ قال: رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١ / ٣٣ وذكره السيوطي في الجامع الكبير (٩٣٣٨).
(*)

[٢٤١]

أحد، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال، فعرف أن الله قد درأ عنه بهما فبارك عليهما النبي صلى الله عليه وسلم وفرض جزاءهن وانحدرتا في الحرم فأفرخ ذلك الزوج كل شيء في الحرم. وروى الامام أحمد بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن المشركين قصوا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل فمروا بالغار فأروا على يابه نسيج العنكبوت، فمكث فيه ثلاثة أيام. وروى الحافظ أبو بكر أحمد بن سعيد (١) القاضي شيخ النسائي في مسند الصديق عن الحسن البصري قال: (جاءت قريش يطلبون النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا إذا رأوا علي باب الغار نسج العنكبوت قالوا: لم يدخله أحد. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قائماً يصلي وأبو بكر يرتقب. فقال أبو بكر: يا رسول الله هؤلاء قومك يطلبونك، أما والله ما على نفسي أبكي ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تخف إن الله معنا) وروى الامام أحمد والشيخان عن أبي بكر الصديق

رضي الله عنه قال: (قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لأبصرنا تحت قدميه) فقال: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما) (٢). وروى أبو نعيم في الحلية عن عطاء بن ميسرة قال: (نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود حين كان طالوت يطلبه ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم في الغار). وذكر البلاذري في تاريخه وأبو سعيد في الشرف أن المشركين استأجروا رجلا يقال له علقمة بن كرز بن هلال الخزاعي - وأسلم عام الفتح - فقفا لهم الأثر حتى انتهى إلى غار ثور (٣) وهو بأسفل مكة فقال: ههنا انقطع أثره ولا أدري أخذ يمينا أم شمالا أم صدع الجبل. فلما انتهوا إلى فم الغار قال أمية بن خلف: ما أرىكم في الغار ظ إن عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد. ثم جاء فبال. وروى البيهقي عن عروة أن المشركين لما فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبوا في كل وجه يطلونه وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم به ويجعلون لهم الجعل العظيم وأتوا على ثور الجبل الذي فيه الغار الذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم حتى طلوعوا فوقه، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أصواتهم، فأشفق أبو بكر وبكي وأقبل عليه الهم والحزن والخوف، فعند ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تحزن إن الله معنا) (التوبة - ٤٠) ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت السكينة من الله

(١) أحمد بن سعد بن الحكم بن محمد بن سالم الجمحي أبو جعفر بن أبي مريم المصري الحافظ عن أبيه وأبي اليمان وحبيب كاتب مالك وسأل ابن معين عن الرجال. وعنه وقال: لا بأس به. قال ابن يونس: توفي يوم عرفة سنة ثلاث وخمسين ومائتين. الخلاصة ١ / ١٤. (٢) أخرجه البخاري ٥ / ٤ ومسلم في فضائل الصحابة (١) وأحمد في المسند ١ / ٤. انظر. مراد الاطلاع ١ / ٣٠٣. (*)

[٢٤٢]

تعالى. وروى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر عن ابن عباس في قوله تعالى: (فأنزل الله سكينته عليه) قال: على أبي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم لم تزل السكينة معه (١) (التوبة - ٤٠). وروى أبو نعيم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أن أبا بكر رأى رجلا مواجهها الغار فقال: (يا رسول الله إنه يرانا). قال: كلا إن الملائكة تستره الان بأجنحتها). فلم ينشب أن فعد يبوك مستقبلا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا بكر لو كان يراك ما فعل هذا). ويرحم الله الشرف البوصيري حيث قال: ويح قوم جفوا نيا بأرض * أفته ضبابها والظباء وسلوه وحن جذع إليه * وقلوه ورده الغرباء أخرجوه منها وأواه غار * وحمته حمامه ورفاء وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء وحيث قال: أقسمت بالقمر المنشق أن له * من قلبه نسبة مبرورة القسم وما حوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عم فالصدق في الغار والصدق لم ير * وهم يقولون ما بالغار من أرم ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تسج ولم تحم وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم لطيفة: سئل بعضهم عن الحكمة في اختفائه صلى الله عليه وسلم في غار ثور دون غيره فأجيب بأنه صلى الله عليه وسلم كان يجب الفأل الحسن، وقد قيل إن الارض مستقرة على قرن الثور فناسب استقراره صلى الله عليه وسلم في غار ثور تفاعلا بالطمأنينة والاستقرار فيما يقصده هو ورفيقه. وروى ابن عدي وابن عساكر عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان: (هل قلت في أبي بكر شيئا) ؟ قال: نعم. قال: (قل وأنا أسمع). فقال: والثاني اثنين في الغار المنيف وقد * طاف العدو به إذ صدع الجبل وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلا فضحك رسول الله

صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال: (صدقت يا حسان هو كما قلت (٢)).

(١) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٤٦٣٨١). (٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣ / ٧٧ وابن سعد في الطبقات ٣ / ١ / ١٢٣ والطبراني ٨ / ١٥٦ (*).

[٢٤٢]

قالت عائشة رضي الله عنها: (فكمننا في الغار ثلاث ليال وكان عبد الله بن أبي بكر يبيت عندهما، وهو غلام ثقف (١) لفن، فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش (بمكة كباتت)، فلا يسمع بأمر يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام. وعند ابن إسحاق أن أسماء بنت أبي بكر كانت تأتيهما إذا أمست بما يصلحهما من الطعام. وكان عامر بن فهيرة يركب غنما لابني بكر في رعيان أهل مكة فإذا أمسى يريحهما عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما (٢) (حتى ينق بها عامر بن فهيرة بغلس)، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث. فلما مضت الثلاث وسكن عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذي استأجراه فركبا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي. وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه ليخدمهما في الطريق - وعند البخاري في غزوة الرجيع كان عامر بن فهيرة غلاما لعبد الله بن الطفيل بن سخبرة أخو عائشة لامها - وأخذ بهما الدليل طريق الساحل أسفل من عسفان (٣) ثم أجاز بهما حتى عادا من الطريق على أمج. وروى أبو نعيم من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق قال: (بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج مهاجرا قال: (الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئا، اللهم أعني على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالي والأيام، اللهم اصحبني في سفري واخلفني في أهلي وبارك لي فيما رزقتني، ولك فذلنني، وعلى صالح خلقي فقومني، وإلى ربي فحبيبي، وإلى الناس فلا تكلمي، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرفت له السموات والأرض فكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الأولين والآخرين، أن يحل بي غضبك أو ينزل علي سخطك، أعوذ بك من زوال نعمتك وفجاءة نعمتك وتحول عاقبتك وجميع سخطك، لك العتبي خير ما استطعت، ولا حول ولا قوة إلا بك) (٤). وروى الامام أحمد والشيخان ويعقوب بن سفيان عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن أباه قال لابي بكر رضي الله عنه: كيف صنعتما ليلة سريت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: خرجنا

(١) ثقف: أي ذو فطنة ودكاء. ورجل ثقف، وثقف، وثقف والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه. انظر النهاية ١ / ٢١٦. (٢) الرضيف: اللبن المرصوف، وهو الذي طرح فيه الحجارة المحممة ليذهب وخمه. انظر النهاية ٢ / ٢٣١. (٣) عسفان بضم أوله، وسكون ثانيه، ثم فاء، وأخره نون. قيل: منهلة من مناهل الطريق. بين الجحفة ومكة. وقيل: عسفان بين المسجدين، وهي من مكة على مرحلتين. وقيل: هو قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلا من مكة، وهي حد تهامة وبين عسفان إلى ملل موضع يقال له الساحل. مراد الاطلاع ٢ / ٩٤٠. (٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٢٢٤) وذكره المتقي الهندي في الكنز (١٧٦١٥) وابن كثير في البداية والنهاية ٣ / ١٧٨ (*).

[٢٤٤]

فأدلجنا فأحينا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الطهيرة فضربت ببصري هل أرى طلا ناوي إليه فإذا أنا بصخرة فأهويت إليها فإذا بقية

ظلمها فسويته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرشت له فروة ثم قلت: اضطجع يا رسول الله وأنا أنفض لك ما حولك، ثم خرجت هل أرى أحدا من الطلب فإذا براع مقبل بغنمه يريد من الصخرة ما أردنا: فلقيته فقلت له: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من أهل مكة، فسماه فعرفته فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم. فأمرته فاعتقل شاة منها. فقلت: انفض الضرع من التراب والقذى، فحلب لي في قعب معه كنية من لبن ومعه إداوة أرتوى فيها للنبي صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ، علي فمها خرقة، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، وكرهت أن أوقفه من نومه، فوقفته حتى استيقظ، فصبت على اللبن من الماء حتى برد أسفله، فقلت: يا رسول الله اشرب من هذا اللبن. فشرب حتى رضيت. ثم قال: (ألم يأن الرحيل؟) قلت: بلى. قال: فارتحلنا بعد ما زالت الشمس (١). قصة أم معبد رضي الله عنها روى الطبراني والحاكم وصححه، وأبو نعيم وأبو بكر الشافعي عن حبيش بن خالد الأشعر الخزاعي القديدي (٢)، أخي أم معبد رضي الله عنهما، وأبو بكر الشافعي عن أبي سليل - بفتح السين المهملة وكسر اللام فمثناة تحتية فطاء مهملة - واسمه أسيرة - بضم أوله وفتح ثانيه وسكون المثناة لتحتية - ابن عمرو الانصاري رضي الله عنه، وابن سعد والبيهقي عن أبي معبد، وابن السكن عن أم معبد رضي الله عنها، والبخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة مهاجرا إلى المدينة هو وأبو بكر، ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ودليلهم الليثي عبد الله بن الأريقط، مروا على خيمة أم معبد الخزاعية، وهي لا تعرفه، وكانت برزة جلدة تحتية بغناء القبة ثم تسقي وتطعم فسألوها لحما وتمروا ليشتروه منها، فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك، وإذا القوم مرملون مستنون. فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم. فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة - وفي لفظ في كفاء البيت - فقال: " ما هذه الشاة يا أم معبد؟ " قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال: " هل بها من لبن؟ " قالت: هي أجهد من ذلك. قال: " أتأذنين لي أن أحلبها؟ " قالت: بأبي أنت وأمي نعم إن رأيت به حلبا فحلبها فوالله ما ضربها فحلب قط

(١) أخرجه البخاري ٤ / ٢٤٥ / ٢٤٥ ومسلم في كتاب الزهد (٧٥). (٢) حبيش بن خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن حبيش بن حزام بن حبشية بن كعب بن عمرو: وقيل: حبيش بن خالد بن ربيعة بن ربيعة. وقيل: حبيش بن خالد بن ربيعة لا يذكرون منقذا، الخزاعي الكعبي، أبو صخر، وأبوه خالد يقال له: الأشعر. وقال ابن الكلبي: حبيش هو الأشعر، وزاد في نسبه، فقال: حبيش بن خالد بن حليف بن منقذ بن أصرم، ووافق ابن مأكولا إلا أنه جعل الأشعر خالدا. وقال إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق: خنيس، بالخاء المعجمة والنون، والأول أصح، يكنى أبا صخر، وهو أخو أم معبد، وصاحب حديثها. أسد الغابة ١ / ٤٥١. (*)

[٢٤٥]

فشأنك بها. فدعا بها رسول الله فمسح بيده ضرعها وظهرها وسمى الله عز وجل ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت، ودعا بإناء يربض الرهط (١) فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء - وفي لفظ الثمال - ثم سقاها حتى رويت ثم سقى أصحابه حتى رواء، ثم شرب صلى الله عليه وسلم آخرهم، وقال: " ساقى القوم آخرهم شربا " (٢). ثم حلب فيه ثانية بعد بدء حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها. فبايعها وارتحلوا عنها. وروى ابن سعد وأبو نعيم عن أم معبد قالت: " بقيت الشاة التي لمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها عندها حتى كان زمان الرمادة وهي سنة ثمانى عشرة من الهجرة زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكنا نحلبها صوجا وغبوقا، وما في الأرض قليل ولا كثير ". وقال هشام بن حبيش: " أنا رأيت الشاة وإنها لتأدم أم معبد وجميع صرمتها "، أي أهل ذلك الماء.

فقل ما ليثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزنا حبالا (٣) عجافا يتساوكن هزالا مخهن قليل. فلما رأى اللين عجب فقال: من أين لك هذا اللين يا أم معبد والشاة عازب ولا حلوب في البيت؟ قالت: " لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا ". قال: " صفيه لي يا أم معبد ". قالت: " رأيت رجلا ظاهر الوضأة أبلج الوجه حسن الخلق، لم تعب ثجلة ولم تزر به صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج وفي أشفاره وطف وفي صوته صحل - أو قالت سهل - وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثائة، أزج أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر، كان منطق خرزات نظم يتحدرن، ربة لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود (٤) محشود لا عابس ولا مغند ". فقال أبو معبد: " هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره بمكة ما ذكر ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا ". قالت أسماء رضي الله عنها: " لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفر من قريش

(١) يريض الرهط: أي يرويههم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض. من ريض في المكان يريض إذا لصق به وأقام ملازمًا له. انظر النهاية ٢ / ١٨٤. (٢) أخرجه أبو داود (٣٧٢٥) والترمذي (١٨٩٤) وابن ماجه (٢٤٢٤) وأحمد في المسند ٤ / ٢٥٤ والدارمي ٢ / ١٢٢ والبيهقي في السنن ٧ / ٢٨. (٣) قال ابن الأثير: أي غير حوامل، حالت تحول حبالا وهي شاء حبال، وإبل حبال. والواحدة حائل، وجمعها حول أيضا بالضم، انظر النهاية ١ / ٦٤٢. (٤) المحفود: الذي يخدمه أصحابه ويعطونه ويسرعون في طاعته. انظر النهاية ١ / ٤٠٦. (*)

[٢٤٦]

فيهم أبو جهل بن هشام فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ " فقلت " والله لا أدري أين أبي ". فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشا خبيثا، فلطم خدي لطمة خرج منها قرطي، ثم انصرفوا، فمكثنا ثلاثة أيام ما ندرى أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى رجل من الجن من أسفل مكة يتعنى بأبيات من شعر غناء العرب وتبعه الناس يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلا مكة وهو يقول: جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتي أم معبد هما نزلا بالبر وارتحلا به * فأفلح من أمسى رفيق محمد فيالقصي ما زوى الله عنكم * به من فعال لا تجارى وسودد ليهن بني كعب مقام فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد سلوا أختكم عن شاتها وإنائها * فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مزيد فغادرها رهنا لديها لحالب * يرددتها في مصدر ثم مورد (١) فلما سمع ذلك حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال يجاوب الهاتف: لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم وقدس من بشري إليه ويغتدي ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد هداهم به بعد الضلالة ربهم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشد وهل يستوي ضلال قوم تسفها * عمى وهداة يهتدون بمهتد لقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم بأسعد نبي يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مسجد وإن قال في يوم مقالة غائب * فتصدقها في اليوم أو في ضحى الغد ليهن أبا بكر سعادة جده * بصحبته من يسعد الله يسعد (٢) وروى البيهقي بسند حسنه والحافظ ابن كثير عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: " خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، فانتبهنا إلى حي من أحياء العرب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت منتحيا فقصد إليه، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت: يا عبيد الله إنما أنا امرأة وليس معي أحد فعليكما بعظيم الحي إن أردتم القرى. قال: فلم نجها، وذلك عند

المساء، فجاء ابن لها بأعنز له يسوقها. فقالت له: يا بني انطلق
بهذه العنزة والشفرة إلى هذين الرجلين

(١) الأبيات في الروض الأنف ٢ / ٢٢٤ وديوان حسان ص ٥٩. (٢) القصيدة في الروض
٢ / ٢٢٥ وانظر ديوان حسان ص ٥٩. ٦٠. (*)

[٢٤٧]

فقل لهما: تقول لكم أمي: اذبحا هذه وأطعمانا. فلما جاء قال له
النبي صلى الله عليه وسلم: " انطلق بالشفرة وجئني بالقدح ".
قال: إنها عازب وليس لها لبن. قال: " انطلق ". فانطلق فجاء بقدح
فمسح النبي صلى الله عليه وسلم صرعها ثم حلب ملء القدح ثم
قال: انطلق به إلى أمك. فشربت ثم رويت ثم جاء به. فقال: انطلق
بهذه وجئني بأخرى ففعل بها كذلك. ثم سقى أبا بكر، ثم جاء بأخرى
ففعل بها كذلك ثم شرب النبي صلى الله عليه وسلم ". " فلبثنا
ليلتين ثم انطلقنا، وكانت تسميه الميارك، وكثرت غنمها حتى جلبت
حلبا إلى المدينة فمر أبو بكر رضي الله عنه فرآه ابنها فعرفه، فقال:
يا أمه إن هذا الرجل الذي كان مع الميارك، فقامت إليه فقالت: يا
عبد الله من الرجل الذي كان معك؟ قال: وما تدريين؟ قالت: لا. قال:
هو نبي الله صلى الله عليه وسلم قالت: فأدخلني عليه. قال:
فأدخلها فأطعمها وأعطاهما. وفي رواية: فأهدت إليه شيئا من أقط
ومتاع الأعراب، فكساها وأعطاهما "، قال - ولا أعلمه إلا قال: "
أسلمت " (١). قال البيهقي في الدلائل: " وهذه القصة وإن كانت
تنقص عما روينا في قصة أم معبد وتزيد في بعضها، فهي قريبة منها
ويشبهه أن تكونا واحدة، وقد ذكر ابن إسحاق في قصة أم معبد شيئا
يدل على أنها وهذه القصة واحدة. ثم روى البيهقي من طريق يونس
بن بكير عن ابن إسحاق قال: " فنزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم بخيمة أم معبد وهي التي تمرد بها الجن بأعلا مكة. واسم أم
معبد عاتكة بنت خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم
(الخزاعية)، فأراد القرى فقالت: والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا
لنا شاة إلا حائل، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض
غنمها فمسح صرعها بيده فدعا الله تعالى فحلب في العس حتى
رغى، وقال: " اشربي يا أم معبد ". قالت: اشرب أنت به أحق. فرده
عليها فشربت. ثم دعا بحائل أخرى ففعل به مثل ذلك، فسقى دليله
ثم دعا بحائل ففعل بها مثل ذلك فسقى عامر بن فهيرة، ثم إستراح.
وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد
فسألوها عنه فقالوا: (أرأيت محمدا من حليته كذا وكذا)؟ فوصفوه
لها، فقالت: (ما أدري ما تقولون فقد ضافني حالب الحائل)؟ قالت
قريش: (فذلك الذي أردنا). قاله البيهقي: فيحتمل أولا أنه رأى التي
في كسر الخيمة، كما روينا في حديث أم معبد، ثم رجع ابنها بأعنز
كما روينا ثم لما أتى زوجها وصفته له، والله أعلم.

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢ / ٢٢٢ وذكره المتقي الهندي في الكنز (٤٦٢٨٧)
وابن كثير في البداية والنهاية ٢ / ١٩١. (*)

[٢٤٨]

قصة سراقه رضي الله عنه روى الامام أحمد ويعقوب بن سفيان
والشيخان عن سراقه بن مالك رضي الله عنه، والامام أحمد
والشيخان ويعقوب عن أبي بكر رضي الله عنه قال سراقه بن

جعشم: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما مائة ناقة من الابل لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا (ونحن جلوس) فقال: يا سراقه إنني قد رأيت أنفا أسودة بالساحل - وفي لفظ: ركية ثلاثة - أراها محمدا وأصحابه. قال سراقه: فعرفت أنهم هم، فأومات إليه بعيني أن أسكت، فسكت، ثم قلت له: إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا يبتغون ضالة لهم. ثم لبثت في المجلس ثم قمت فدخلت بيتي فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فحططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها، فرفعتني تقرب بي حتى رأيت أسودتهما، فلما دنوت منهم عثرت بي فرسي فخررت عنها فقممت فأهويت بيدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها أضرهم، أم لا أضرهم، فخرج الذي أكره: أي لا أضرهم، وكنت أرجو أن أرده فأخذ المائة ناقة، فركبت فرسي وعصيت الازلام فرفعتني تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين فخررت عنها، ثم زحرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة إذا لاثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي أكره - ألا أضرهم - قال: فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني وأنه ظاهر، فناديتهم بالامان وقلت: أنظروني فوالله لا أذيتكم ولا يأتكم مني شئ تكروهونه. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر: (قل له وما تبتغي منا) ؟ فقلت: إن قومك قد جعلوا فيكما الدية وأخبرتني أخبار ما يرد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والتمتع فلم يرزأني شيئا ولم يسألاني إلا أن قال: (أخف عنا) فسألته أن يكتب لي كتاب موادة آمن به، قال: (اكتب له يا أبا بكر) - وفي رواية: فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم. (ثم رجعت) فسكت فلم أذكر شيئا مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرغ من حنين والطائف خرجت لالقاء ومعني الكتاب الذي كتب لي (لقينته بالجعرانة) قال: (فبينما أنا عامد له دخلت بين ظهري كنيبة من كنانة الانصار، فطفقوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك حتى إذا دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته،

[٢٤٩]

والله لكأنني أنظر إلى ساقه في غرزه (١) كأنها جمارة (٢). قال: فرفعت يدي بالكتاب. ثم قلت: يا رسول الله هذا كتابك لي وأنا سراقه بن مالك قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يوم وفاء وبر أدنه)، فدنوت منه فأسلمت، ثم تذكرت شيئا أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره، إلا أنني قلت: يا رسول الله الضالة من الابل تغشى حياضي وقد ملاتها لابل هل لي من أجر (في أن أسقيها) ؟ قال: (نعم في كل ذات كبد حري أجر) قال: ثم رجعت إلى قومي فشفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتي (٣). وقال أبو بكر رضي الله عنه: (وتبعنا سراقه بن مالك ونحن في جلد من الأرض فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا. قال: (لا تحزن إن الله معنا). فلما دنا منا وكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة قلت: هذا الطلب قد لحقنا وبكيت. (قال صلى الله عليه وسلم: (ما بيكيك؟)) قلت: (أما والله ما علي نفسي أبكي ولكني أبكي عليك). فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (اللهم اكفناه بما شئت). قال: فساخت به فرشه في الأرض إلى بطنها فوثب عنها، ثم قال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب وهذه كنانتي فخذ منها سهمًا فإنك ستمر على إبلي وغنمي

بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا حاجة لنا في إبلك وغنمك)، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم. فانطلق راجعا إلى أصحابه لا يلقى أحدا إلا قال: قد كفيتم ما ههنا، ولا يلقى أحدا إلا رده، ووفى لنا. وعند ابن سعد أن سراقا لما رجع قال لقريش: قد عرفتم بصري بالطريق وقد استبرأت لكم فلم أر شيئا، فرجعوا. وقال ابن سعد والبلاذري: عارضهم سراقا بقديد يوم الثلاثاء. وروى ابن عساکر عن ابن إسحاق قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - فيما يذكرون والله أعلم في دخوله الغار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي مسيرهم وفي طلب سراقا إياهم: قال النبي ولم يجزع يوقرنى * ونحن في شدة من ظلمة الغار لا تخش شيئا فإن الله ثالثنا * وقد توكل لي منه بإظهار وإنما كيد من تخشى بواده * كيد الشياطين كادته لكفار والله مهلكهم طرا بما كسبوا * وجاعل المنتهى منها إلى النار

(١) الغرز: ركب كور الجمل إذا كان من جلد أو خشب وقيل: هو الكور مطلقا، مثل الركاب للسرج. انظر النهاية ٢ / ٣٥٩. (٢) الجمارة: قلب النخلة وشحمتها، شبه ساقه ببياضها. انظر النهاية ١ / ٢٩٤ (جم). (٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٧ / ١٥٨ وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣ / ١٨٥. (*)

[٢٥٠]

وأنت مرتحل عنهم وتاركهم * إما غدوا وإما مدلج ساري وهاجر رضمهم حتى يكون لنا * قوم عليهم ذوو عز وأنصار حتى إذا الليل وإرتنا جوانبه * وسد من دون من تخشى بأستار سار الأريقط يهدينا وأينقه (١) * ينبعن بالقوم نعبا تحت أكوار يعسفن عرض الثيابا بعد أطولها * وكل سهب رفاق الترب موار (٢) حتى إذا قلت قد أنجدن عارضها * من مدلج فارس في منصب واري يردى به مشرف الأقطار معتزم * كالسيد ذي اللبدة المستأسد الضاري فقال: كروا فقلنا: إن كرتنا * من دونها لك نصر الخالق الباري أن يخسف الأرض بالأحوى وفارسه * فانظر إلى أربع في الأرض غوار فهيل لما رأى أرساغ مهرته * قد سخن في الأرض لم تحفر بمحفار فقال: هل لكم أن تطلقوا فرسي * وتأخذوا موثقا في نصح أشرار وأصرف الحي عنكم أن لقبتمهم * وأن أعور منهم عين عوار فادع الذي هو عنكم كف عورتنا * يطلق جوادى وأنتم خير أبرار فقال قولا رسول الله ميتلا * يا رب إن كان منه غير إخفار فنجح سالما من شر دعوتنا * ومهره مطلقا من كلم آثار فأظهر الله إذ يدعو حوافره * وفاز فارسه من هول أخطار (٣) وروى البخاري عن عروة والحاكم عنه عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابا بيضا. وروى البيهقي عن موسى بن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دنا من المدينة هو وأبو بكر وقد قدم طلحة بن عبيد الله من الشام خرج عامدا إلى مكة لما ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، خرج إما متلقيا لهما وإما عامدا عمرة بمكة ومعه ثياب أهداها لابي بكر من ثياب الشام، فلما لقيه أعطاه الثياب، فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأبو بكر. وروى أبو نعيم عن أنس بن مالك عن... الأوسي الأسلمي عن أبيه قال: (لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مروا بإبل لنا بالجحفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لمن هذه الإبل) ؟

(١) الأينق: جمع قلة لناقة، وأصله أنوق، فقلب وأبدل واوه ياء. وقيل: هو على حذف العين وزيادة الباء عوضا عنها، فوزنه على الأول: أعقل لانه قدم العين، وعلى الثاني: أيفل، لانه حذف العين. انظر النهاية ٥ / ١٢٩. (٢) يقال: مار التراب إذا تار. ورياح مواردة: مثيرة للتراب. انظر المعجم الوسيط ٢ / ٨٩٨. (٣) انظر الروض الانف ٣ / ٢٢٤. (*)

فقالوا: لرجل من أسلم فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر فقال: (سلمنا إن شاء الله). فأتاه أبي وحمله على فحل من إبله وبعث معه غلامه مسعود). وروى أبو يعلى والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن قيس بن النعمان قال: (لما انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مستخفين مروا بعيد يرمى عنما فاستسقياه اللبن فقال: ما عندي شاة تحلب، غير أن ههنا عنقا حملت أول الشتاء وقد أخذت وما بقي لها من لبن فقال: (ادع بها)، فدعا بها، فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها حتى أنزلت. ودعا أبو بكر بمجن، فحلب وسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعي، ثم حلب فشرّب، فقال الراعي: من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك قط. قال: (أوتراك تكتم علي حتى أخبرك ؟ قال: نعم. قال: (فإني محمد رسول الله). قال: أنت الذي تزعم قريش أنك صابئ ؟ قال: (إنهم ليقولون ذلك). قال: فأشهد أنك نبي الله وأشهد أن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي). وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر مدخله المدينة: (أله عني الناس فإنه لا ينبغي لنبي أن يكذب). فكان أبو بكر إذا سئل: من أنت ؟ قال: ياغ، وإذا قيل: من الذي معك ؟ قال: (هاد يهديني). وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: (أقبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ، والنبي صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف، فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: من هذا بين يديك ؟ فيقول: هذا الذي يهديني السبيل فيحسب الحاسب إنما يعني الطريق وإنما يعني سبيل الخير). وروى الزبير بن بكار في الموفقيات، وأبو نعيم عن طريق شهر بن حوشب عن ابن عباس عن سعد بن عبادة قال: (لما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة، خرجت إلى حضرموت لبعض الحاجة فقضيت حاجتي ثم رجعت حتى إذا كنت ببعض الأرض نمت ففزعت من الليل فإذا بصائح يقول: أبا عمرو تأويني السهود * وراح النوم وانقطع الهجود ثم صاح آخر: (يا خرعب، ذهب بك اللعب، إن أعجب العجب بين مكة ويثرب). قال: وما ذاك يا شهاب ؟ قال: (نبي السلام، بعث خير الكلام، إلى جميع الأنام، فأخرج من البلد الحرام، إلى نخيل وأطام) ثم طلع الفجر فذهبت أتفكر فإذا عظاية (١) وثعبان ميتان، فما علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم هاجر إلا بهذا الحديث). ولما شارف رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه أبو عبد الله بريدة بن الحصيب الأسلمي في

(١) العظاية السام الأبرص. انظر النهاية ٣ / ٣٦٠. (*)

سبعين من قومه من بني سهم، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: (من أنت) ؟ قال: بريدة، فقال لأبي بكر: (برد أمرنا وصلح). ثم قال: (ممن) ؟ قال: من أسلم. فقال لأبي بكر: (سلمنا). ثم قال: (من بني من) ؟ قال: من بني سهم. قال: (خرج سهمك يا أبا بكر). فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم: من أنت ؟ قال: (أنا محمد بن عبد الله رسول الله). فقال بريدة: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعا. قال بريدة: الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين، فلما أصبح قال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم: (يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء). فحل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى

بين يديه حتى دخلوا المدينة) (١). تنبيهات الاول: قال الحافظ: كان بين ابتداء هجرة الصحابة وبين العقبة الاولى والثانية وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهران وبعض شهر على التحرير. الثاني: قول عائشة رضي الله عنها: (ما كنت ارى أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي من الفرح). قال في الروض: (قالت ذلك لصغر سننها وأنها لم تكن علمت بذلك) وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى فأخذته استحسانا له فقال الطائي يصحف السحاب: دهم إذا وكفت في روضة طففت * عيون أزهارها تبكي من الفرح وذكر لابي الطيب وزاد على هذا المعنى: فلا تنكرن لها صرعة * فمن فرح النفس ما يقتل وقال بعض المحدثين: ورد الكتاب من الحبيب بأنه * سيزورني فاستعبرت أجفاني غلب السرور علي حتى أنه * من فرط ما قد سرنى أبكاني يا عين صار الدمع عندك عادة * تبكين في فرح وفي أحزان قال في الزهر: (وفيه من عدم التثبت ما ترى، أيجوز أن يحتج على عائشة بقول محدث؟ إنما كان يحتج عليها لو كانت العرب قالت، أما إذا لم تقله العرب فلا حجة عليها والله أعلم. قلت: السهيلي لم يحتج بذلك على عائشة رضي الله عنها، وإنما ذكره استطرادا للفائدة. الثالث: نقل في الروض عن بعض شيوخ أهل المغرب أنه سئل عن امتناعه من أخذ الراحلة مع أن أبا بكر أنفق عليه ماله، فقال: أحب ألا تكون هجرته إلا من مال نفسه.

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢ / ٢٢٦. (*)

[٢٥٢]

الرابع: كانت هجرته صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الاول سنة ثلاث عشرة من النبوة وذلك يوم الاثنين. روى الامام أحمد عن ابن عباس أنه قال: (ولد نبيكم صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين). قال الحاكم: (تواترت الاخبار أن خروجه كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين، إلا أن محمد بن موسى الخوارزمي قال: إنه خرج من مكة يوم الخميس). قال الحافظ (يجمع بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لانه أقام فيه ثلاث ليال: هي ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وخرج في أثناء ليلة الاثنين). الخامس: ذكر بعض أهل السير أن أبا بكر لما رأى المشركين وهو في الغار، ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (لو جاؤونا من ههنا خرجنا من ههنا). فنظر أبو بكر إلى الغار وقد انفرج من الجانب الآخر، وإذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة إلى جانبه). قال الحافظ ابن كثير: وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولكن لم يرد ذلك بإسناد قوي ولا ضعيف، ولسنا نثبت شيئا من تلقاء أنفسنا ولكن ما صح أو حسن قلنا به والله أعلم. السادس: السر في اتخاذ رافضة العجم اللبد المقصصة على رؤوسهم التعظيم للحيات للدغهن أبا بكر ليلة الغار. السابع: روى الامام أحمد والحاكم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لقد لبثت مع صاحبي - يعني أبا بكر - ليلة الغار بضعة عشر يوما ما لنا طعام إلا البرير) قال الحاكم (معناه: مكثنا محتفين من المشركين في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوما). قال الحافظ: (لم يقع في رواية أحمد ذكر الغار، وهي زيادة في الخبر من بعض رواته، ولا يصح حملة على حالة الهجرة لما في الصحيح من أن عامر بن فهيرة كان يروح عليهما في الغار باللبن، ولما وقع لهما في الطريق من لقاء الراعي ومن النزول بخيمة أم معبد وغير ذلك، ويظهر أنها قصة أخرى). الثامن: قال السهيلي: (انتبه أيها العبد المأمور بتدبر كتاب الله تعالى لقوله: (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) (التوبة ٤٠) الآية، كيف كان معهما بالمعنى وباللفظ؟ أما المعنى: فكان معهما بالنصر والارفاق، والهداية

والارشاد. وأما اللفظ: فإن اسم الله تبارك وتعالى كان يذكر إذا ذكر رسوله وإذا دعي فقول يا رسول الله أو فعل رسول الله. ثم كان لصاحبه كذلك، يقال: يا خليفة رسول الله، وفعل خليفة رسول الله، فكان يذكر معهما بالرسالة والخلافة ثم ارتفع ذلك فلم يكن لاحد من الخلفاء ولا يكون).

[٢٥٤]

التاسع: قال المهلب بن أبي صفرة (١) رحمه الله: (أنما شرب النبي صلى الله عليه وسلم من لبن الغنم لانه حينئذ كان في زمن المكارمة ولا يعارضه: (لا يحلبن أحد شاة إلا بإذنه) (٢) لان ذلك وقع في زمن التشاح، أو الثاني محمول على التسور، والاول لم يقع فيه ذلك، بل قدم أبو بكر سؤال الراعي: هل أنت حالب؟ فقال: نعم، كأنه سأل: هل أذن صاحب الغنم في حلبها لمن يرد عليه؟ فقال: نعم، أو جرى على العادة المألوفة للعرب في إباحة ذلك والاذن في الحلب للمار وابن السبيل، فكان كل راع مأذونا له في ذلك). وقال الداودي: (إنما شرب من ذلك على أنه ابن سبيل، وله شرب ذلك إذا احتاج ولا سيما النبي صلى الله عليه وسلم، وأبعد من قال: (إنما استجازه لانه مال حربي لان القتال لم يكن فرض بعد ولا أبيضت الغنائم) وقال الحافظ: (قول أبي بكر: أفي غنمك لبن؟ الظاهر أن مراده بهذا الاستفهام: أمعك إذن في الحلب لمن يمر بك على سبيل الضيافة؟ ويحتمل أن أبا بكر لما عرف مالك الغنم عرف رضاه بذلك لصداقته له أو إذنه العام بذلك). العاشر: ذكر أبو نعيم هنا قصة إسلام ابن مسعود، لما وقع في بعض طرقه، قال: (كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط بمكة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، وقد فرا من المشركين، فقالا: (يا غلام هل معك من لبن)؟ فذكر الحديث، ويأتي بتمامه في المعجزات. قال في البداية والفتح: (قوله في هذا السياق: (وقد فرا من المشركين)، ليس المراد به وقت الهجرة، وإنما ذلك في بعض الاحوال قبل الهجرة، لان ابن مسعود كان ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة كما تقدم ذلك، وقصته ثابتة في الصحاح. الحادي عشر: ذكر في (العيون) قصة سراقفة قبل قصة أم معبد والتزم في أولها أنه يرتب الوقائع. وذكر في (الإشارة) قصتها قبل قصة سراقفة، وتبعته في ذلك وهو الصحيح الذي صرح جماعة. الثاني عشر: ذكر رزين أن قريشا أقامت أياما لا يدرون أين أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمعوا صوتا على أبي قبيس وهو يقول:

(١) المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العنكي، أبو سعيد أمير بطايش، جواد، قال فيه عبد الله بن الزبير: هذا سيد أهل العراق، وقدم المدينة مع أبيه في أيام عمر. وولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير. وفقئت عينه بسمرقند وانتدب لقتال الأزارقة، وكانوا قد غلبوا على البلاد، وشرط له أن كل بلد يجلبهم عنه يكون له التصرف في خراجه تلك السنة فأقام يحاربهم تسعة عشر عاما لقي فيها منهم الأهلوا. وأخيرا تم له الظفر بهم، فقتل كثيرين وشرد بقيتهم في البلاد. ثم ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان، فقدمها سنة ٧٩ هـ ومات فيها سنة ٨٢ هـ. كان شعاره في الحرب: (حم لا ينصرون) وهو أول من اتخذ الركب من الحديد، وكانت قبل ذلك تعمل من الخشب. الاعلام ٧ / ٣١٥. (٢) أخرجه البخاري ٢ / ١٦٥ ومسلم في كتاب اللقطة (١٣). (*)

[٢٥٥]

فإن يسلم السعدان يصبح محمد * بمكة لا يخشى خلاف المخالف كما سمعوا أيضا البيتين السابقين في إسلام سعد بن معاذ وسعد بن عباد: فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا * ويا سعد سعد

الخزرجيين الغطارف أجييا إلى داعي الهدى وتمنيا * على الله في الفردوس منية عارف قال السيد: والأقرب ما تقدم من إنشاد هذه الأبيات قبل ذلك لان السعدين كانا قد أسلما قبل ذلك. الثالث عشر: في بيان غريب ما سيق: (قبل المدينة)، بكسر القاف وفتح الموحدة: أي جهتها. (علي رسلك) (١) بكسر أوله: أي علي مهلك والرسل السير الرقيق. (بابي أنت): أنت متبدأ وخبره: بابي أي: مفيدا بابي، ويحتمل أن يكون أنت تأكيدا للفاعل يرجو وبابي قسم. (حيس نفسه): منعها من الهجرة. (السمر): بسين مهملة مفتوحة وضم الميم: وهو الخبط بفتح المعجمة والموحدة وبالطاء المهملة، هذا المدرج في تفسير الزهري. ويقال: السمرة اسم شجرة أم غيلان، وقيل ورق الطلح، والخبط ما يخط بالعصا فيسقط من ورق الشجر. (نحر الظهيرة): أي أول الزوال وهو أشد ما يكون من حرارة النهار، والغالب في الحر القيلولة. (متقنعا) (٢): أي متطيلسا وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى في أبواب لباسه صلى الله عليه وسلم. (فدى): بكسر الفاء والقصر وفي رواية فداء بالمد.

(١) والرسل الرسالة: الرفق والتؤدة قال صخر: ويئس من أصحابه أن يلحقوا به وأحدق به أعداؤه. وأيقن بالقتل فقال: لو أن حولي من قريم رجلا * لمعنوني نجدة أو رسلا للسان ٣ / ١٦٤٣. (٢) القناع والمقنعة: ما تتقنع به المرأة من ثوب تغطي رأسها ومحاسنها وقال الليث: المقنعة ما تقنع به المرأة رأسها. وفي الحديث: أنه رجل مقنع بالحديد هو المتغطي بالسلاح وقيل: هو الذي على رأسه بيضة وهي الخوذة لان الرأس موضع القناع. انظر اللسان ٥ / ٣٧٥٥. (*)

[٢٥٦]

(الصحابة): بالنصب أي أريد أو أسألك المصاحبة ويجوز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف. (أمناه): بكسر الميم. (أحت): بجاء مهملة فمثلة أفعال تفصيل من الحث وهو الاسراع وفي رواية: أحب بالموحدة والاول أصح. (الجهاز) (١): بفتح الجيم أفصح من كسرهما، وهو ما يحتاج إليه المسافر. (ذات النطاق): وفي رواية: ذات النطاقين - بكسر النون - وهو ما يشد به الوسط، وقيل هو ثوب تلبسه المرأة، ثم تشد وسطها بحبل، ثم ترسل الأعلى على الأسفل. والمحفوظ في هذا الحديث أن أسماء شقت نطاقها نصفين فشدت بأحدهما الزاد واقتصرت على الآخر، ثم قيل لها: ذات النطاق وذات النطاقين، فالتثنية والافراد بهذين الاعتبارين. وعند ابن سعد أنها شقت نطاقها فأوكت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقي فسميت ذات النطاقين. (الخوذة) (٢): بجاءين معجمتين مفتوحتين بينهما واو ساكنة: باب صغير. (نور): بالمثلثة. (الرصد): بفتحتين جمع راصد كخادم وخدم. (استبراه): يقال: استبرأت الشيء طلبت آخره لقطع الشبهة عني. (القمة الجحر): الجحر بجيم فحاء مهملة: أي أدخله فيه. (العقب) (٣): بعين مهملة مفتوحة ففاف مكسورة فموحدة: مؤخر الرجل. (لدغه): بالذال المهملة والغين المعجمة: عضه. (الراءة): وهي شجرة معروفة قال أبو حنيفة الدينوري: هي من أعلا الشجر - بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وتعجم - وتكون مثل قامة الانسان ولها خيطان وزهر أبيض تحشى به المخاد فيكون كالريش. لخفته ولينه لانه كالقطن. قال في النور: وغالب ظني أن هذه الشجرة التي وصف أبو حنيفة أنها العشر كذا رأيتها بأرض بركة الحاج خارج القاهرة وهي تنفتق عن مثل قطن يشبه الريش في الخفة ورأيت من يجعله في اللحف في القاهرة.

(١) يفتح ويكسر قال الليث: وسمعت أهل الحجاز يخطنون الجهاز بالكسر. قال الازهري: والقراء كلهم على فتح الجيم في قوله تعالى (ولما جهزهم بجهازهم) قال:

[٢٥٧]

(فتيان): جمع كثرة لفتى وهو الشباب الحدث. (الهاوى) بفتح الهاء: جمع هراوة بكسرهما. (ذراً) (١): بمعجمة فمهملة فهمزة: أي دفع. (أثر): محركة والآخر بقية الشئ أو الخبر، وخرج في أثره بعده. (الارب) بالفتح: الحاجة. (ينشب): يلبث. (حو) بالحاء المهملة والواو: جمع. (الغار): نقب في الجبل. (الطرف): بفتح الطاء (المهملة) وسكون الراء. (فالصدق): أي ذو الصدق وهو النبي صلى الله عليه وسلم. (لم يرما) بفتح أوله وكسر ثانيه: أي لم يبرح. (من أرم): أي أحد. (طنوا): حسبوا. (الحمام): اسم جنس جمعى واحده حمامة يقع على الذكر والأنثى. (البرية): بتخفيف الراء: الخلق. (النسج) بالجيم الحياكة. (الحموم) (٢): الطواف. (الوقاية): بكسر الواو: الحفظ. (أغنت): أجزأت. (الدروع المضاعفة): المنسوجة حلقتين حلقتين تلبس للحفظ من العدو. (الاطم) بضميتين: الحصون. (المنيف): العالي.

(١) انظر المعجم الوسيط ١ / ٣٠٩، ٣١٠. (٢) من حام حول الشئ وعليه حوما وجومانا: أي دار وفي الحديث (من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه) المعجم الوسيط ١ / ٣١٠. (*)

[٢٥٨]

(حب) (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي محبوبه. (نواجذه) (٢): بفتح النون وكسر الجيم وضم الذاك المعجمة: جمع ناجذ وهو السن من الأضراس ويأتي الكلام على ذلك في باب ضحكه وتبسمه. (كمنا): بفتح الكاف والميم ويجوز كسرهما أي اختفيا فيه. (ثقف): بقاء مثلثة مفتوحة ففاه مكسورة ويجوز إسكانها وضمها ففاه: أي فطن يدرك حاجته بسرعة. (لقف) (٣): بفتح اللام وكسر القاف ويجوز سكونها: أي سريع الفهم. (يدلج) بتشديد الدال المهملة بعدها جيم: أي يخرج بسحر. (يكادان): وفي رواية يكتادان: أي يطلب لهما فيه المكروه وهو الكيد. (منحة): بكسر الميم وسكون النون فحاء مهملة. (رسل) بكسر الراء بعدها مهملة ساكنة: اللين. (الرضيف): براء فضاء معجمة ففاه وزن رغيغ: اللين ا لمرضوف الذي رضفت فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخاوته، وهو بالرفع ويجوز الجر. (ينعق): بكسر العين المهملة أي يصيح بغنمه، والنعق هو صوت الراعي إذا زجر الغنم، وفي رواية: ينعق بهما بالثنية أي يسمعهما صوته إذا زجر غنمه. (الدليل): بكسر الدال المهملة وسكون التحتية. (الخرية): بكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء فمثناة تحتيه ساكنة فمثناة فوقية، وهو الماهر بهداية الطريق. (العتبى): بضم العين المهملة الرضا. (بوائق الدهر) (٤): غوائله وشروبه واحدها بائقة وهي الداهية.

(١) الحب: هو الحبيب مثل حزن وحزين. قال ابن بري رحمه الله: الحبيب يعنى تارة بمعنى المحب كقول المخيل: أتتهجر ليلى بالفراق حبيبها * وما كان نفساً بالفراق تطيب أي محبها، ويعنى تارة بمعنى المحبوب كقول ابن الرهينة: وإن الكتيب الفرد من جانب الحمى * إلي وإن لم أره لحبيب اللسان ٢ / ٧٤٣. (٢) وقيل: الناجذ: آخر الأضراس وهو ضرس الحلم لانه ينبت بعد البلوغ وكمال الفعل وقيل: الأضراس كلها (نواجذ) قال في البار: وتكون النواجذ للانسان والحافر وهي من ذوات الخف الاياب.

المصباح المنير ص ٥٩٢. (٢) لقف الشئ لقسا ولقسانا: تناوله بسرعة، وأخذة بقمه فابتلعه. واللقف: يقال: رجل ثقف لقف سريع الاخذ لما يرمي إليه باليد وسريع الفهم لما يرحى إليه من كلام باللسان. الوسيط ٢ / ٨٣٥. (٤) المفرد باثقة: أي داهية، ويقال: داهية بؤوق أي شديدة، قال الكسائي: باقتهم الباقية تيقفهم بوقا أصابتهم اللسان ١ / ٢٨٨ (*).

[٢٥٩]

(قائم الظهيرة) (١): أي نصف النهار، سمي قائما لان الظل لا يظهر حينئذ فكأنه واقف. (رفعت لنا صخرة): أي ظهرت. (الفروة) معروفة ويقال فيها فرو يحذف الهاء وهو الاشهر في اللغة ولا يتجه أن يكون المراد بها الفروة من الحشيش لقوله: كانت معي. (وأنا أنفض لك ما حولك) أنفض بفتح الهمزة وسكون النون وضم الفاء بعدها صاد معجمة، أي أتحمسه وأتعرف ما فيه ممن تخافه - قاله في التقريب وفي النهاية - أي أحرسك وأطوف هل أرى طلبا. (لرجل من المدينة أو مكة): شك في ذلك أحمد بن يزيد، ورواه مسلم من طريق الحسن بن محمد بن أعين عن زهير فقال فيه: (لرجل من أهل المدينة) ولم يشك. ووقع في رواية ابن جريح: (فسمى رجلا من أهل مكة)، ولم يشك. قال الحافظ: (والمراد بالمدينة مكة، ولم يرد المدينة النبوية لأنها حينئذ لم تكن تسمى المدينة، وإنما كان يقال لها يثرب. وأيضا لم تجر العادة للرعاة أن يبعدوا في الرعي هذه المسافة البعيدة. ووقع في رواية إسرائيل فقال: (لرجل من قريش سماه فعرفته)، وهذا يؤيد ما قررته لان قريشا لم يكونوا يسكنون المدينة النبوية). (أفي غنمك لبن) ؟ بفتح اللام والموحدة، وحكى القاضي أن في رواية لبن، بضم اللام وتشديد الموحدة جمع (لأبن) (٢) أي ذات لبن. (العناق) (٣): بفتح العين المهملة: الأثى من المعز: (فأخذت قدحا فحلبت): وفي رواية: (أمرت الراعي فحلب)، ويجمع بأنه يجوز في قوله (فحلبت): مراده أمرت بالحلب. (كتبة) (٤): بضم الكاف وسكون المثناة وفتح الموحدة: أي قدر قدح، وقيل: حلبة خفيفة... (برد أسفله): بفتح الراء على المشهور وقال الجوهري بضمها.

(١) الوسيط ٢ / ٥٧٨. (٢) يقال: شاة لبون ولينة وملينة وملين: صارت ذات لبن وإذا كانت ذات لبن في كل أحابنها فهي لبون وولدها في تلك الحال ابن لبون واللبن جمع اللبون لسان العرب ٥ / ٣٩٩٠. (٣) الأثى من أولاد المعيز والغنم من حين الولادة إلى تمام حول جمعها أعنق وعنق وعنوق. الوسيط ٢ / ٦٣٢. (٤) كل قليل مجتمع من طعام أو لبن أو غير ذلك جمعها كئب. الوسيط ٢ / ٧٧٧ (*).

[٢٦٠]

شرح قصة أم معبد رضي الله عنها (الخرافية): بضم الخاء المعجمة فزاي فعين مهملة. (برزة): يقال امرأة برزة إذا كانت كهلة لا تحتجب احتجاب الشواب وهي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس وتحديثهم، من البروز وهو الظهور. (جلدة): إما قوية وإما عاسية. (الغناء) سعة أمام البيت، وقيل: ما امتد من جوانبه. (تسقي): تناولهم السقي ليشربوا منه. (مرملون): بضم الميم وسكون الراء، نغد زادهم وأصله من الرمل كأنهم لصقوا بالرمل كما قيل للفقير الترب بفتح التاء وكسر الراء. (مستنون): بكسر النون والمثناة الفوقية، أي أجدبوا أي أصابتهم سنة وهي القحط يقال: أسنت فهو مسنت إذا أجدب. (أعوزناكم): أحوجناكم. (كسر الخيمة) (١): بفتح الكاف وكسرها وسكون المهملة، أي جانبها، ولكل بيت كسران عن يمين وشمال. (كفاء البيت): قال في القاموس: الكفاء ككتاب سترة من أعلى البيت إلى أسفله من مؤخره أو الشقة في مؤخر الخباء أو

كسء يلقي على الخباء حتى يبلغ الارض وقد أكفأت البيت. (الجهد):
بافتح ويضم: الطاقة، وقيل: بالفتح المشقة وبالضم الطاقة والمراد
هنا الهزال. (ضربها فحل): ألقها. (شأنك): منصوب، أي أصلح
شأنك، أو نحو هذا، فهو مفعول بفعل مقدر. (ففاجت): بالمد وتشديد
الجيم: فتحت ما بين رجليها للحلب. (يريض): بضم المثناة التحتية
فراء ساكنة فموحدة مكسورة فصاد معجمة. قال في النهاية: أي
يروهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الارض، من ريض في
المكان يريض إذا لصق به وأقام ملازما له، يقال: أربضت الشمس إذا
اشتد حرها حتى تريض الوحش في كناسها، أي جعلها تريض فيه
ويروى بمثناة تحتية بعد الراء: يريض (٢) الرهط أو يروهم من

(١) الكسر بفتح الكاف وكسرها: الشقة السفلى من الخباء، والكسر أسفل الشقة
التي تلي الارض من الخباء، وكسر أكل كل شئ ناحيته حتى يقال لناحيتي الصحراء
كسرها لسان العرب ٥ / ٢٨٧٢. (٢) من أرض الوادي واستراض أي استنقع فيه الماء،
وكذلك أراض الحوض. ومنه قولهم: شربوا حتى أراضوا أي رويوا فنقعوا بالري اللسان ٣
/ ١٧٧٥. (*)

[٣٦١]

أراض الحوض إذا صب فيه من الماء ما يوارى أرضه. والروض نحو من
نصف قرية. (الرهط): بسكون الهاء وفتحها: ما دون العشرة من
الرجال ليس فيهم امرأة أو منها إلى الأربعين. (ثجا): أي لبنا سائلا
كثيرا. (علاه البهاء): أي علا الأناء بهاء اللين وهو بريق رغوته، وفي
رواية: الشمال بضم المثناة الرغوة. (العلل): بفتح العين المهملة
ولامين الأولى مفتوحة: الشرب الثاني. (النهل) (١) بفتح النون والهاء
وتسكن وباللام: الشرب الأول. (غادره): بالغين المعجمة: تركه.
(الصبوح). بفتح المهملة وبالموحدة: ما يشرب بالعادة فما دون
القائلة. (والغبوق): بفتح الغين المعجمة: الشرب بالعشي. (الحيال)
(٢): جمع حائل وهي التي لم تحمل. (عجافا): بكسر العين
المهملة: جمع عجفاء وهي المهزولة من الغنم وغيرها. (الشاء)
جمع شاة. (عازب) (٣): بعين مهملة فزاي فموحدة: أي بعيدة
المرعى لا تأوي إلى المنزل في الليل. (لا حلوب في البيت): أي لا
شاة تحلب. (الوضاءة): بفتح الواو وبالضاد المعجمة والهمزة: الحسن
والبهجة. (أبلج الوجه): بالموحدة وبجيم: أي مشرقة مسفرة، ومنه
تبلج الصبح وأنبليج. فأما الأبلج فهو الذي قد وضح ما بين حاجبيه فلم
يقترنا، والأسم البلج بفتح اللام، ولم ترد هذا أم معبد لانها قد وصفته
في حديثها بالقرن. (الاشفار): جمع شفر بضم الشين المعجمة وقد
تفتح: وهو طرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر، والمراد هنا
الشعر النابت.

(١) الوسيط ٢ / ٩٥٩. (٢) من حالت ا لناقة تحيل حيوالا: لم تحمل الواو في ذلك
أعرق قال الشاعر: من سراة الهجان صليها العض * ض ورعي الحمى وطول الحيال
اللسان ٢ / ١٠٧٢. (٣) العازب: البعيد المطلب وأنشد * وعازب نور في خلته اللسان
٤ / ٢٩٢٣. (*)

[٣٦٢]

(الوظف) (١): بفتح الواو والطاء المهملة وبالفاء: الطول، فمعنى
الكلام أن في شعر أجفانه طولا، قال في الاملاء: يروي الغطف
والعطف بالغين المعجمة والعين المهملة، فمعناه بالمعجمة مثل
معنى الوظف، وأما بالمهملة فلا معنى لها، وقد فسره بعضهم فقال:

هو أن تطول أشفار العين حتى تنعطف. (الدعج): بفتح الدال والعين المهملتين وبالجيم والدعجة بإسكان العين: السواد في العين يريد - والله أعلم - أن سواد عينه شديد السواد. (الصحل) (٢): بفتح الصاد والحاء المهملتين وباللام: وهو كالبحّة وألا يكون حاد الصوت، يقال منه صحل الرجل بالكسر يصحل بالفتح صحلا بفتحتنين إذا صار أبح فهو صحل وأصحل. (ولا يشنؤه): بالشين المعجمة والنون وقيل هاء الضمير همزة مضمومة: أي لا يبغضه لفرط طوله - ويروى لا يتشنى من طول، أبدل الهمزة ياء، يقال شنئته أشنؤه شنا وشنأنا. (ولا تقتحمه عين من قصر): أي لا تتجاوزته إلى غيره احتقارا له، وكل شئ ازدريته فقد اقتحمته. (لم تعب ثجليزية) (٣): الثلجة: بضم الناء المثناة ثم جيم ساكنة ثم لام مفتوحة: هي عظم البطن وسعته، ويروى بالحاء المهملة والنون أي نحول ودقة. (لم ترر به): أي لم تقصر. (صعلة): بفتح الصاد وإسكان العين المهملتين، والصعلة (٤) صغر الرأس وهي أيضا الدقة والنحول في البدن. وفي رواية: لم ترر صقلة بالقاف أي دقة ونحول وقيل: أرادت أنه لم يكن منتفخ الخاصة جدا ولا ناحلا جدا، ويروى بالسسين علي الأبدال من الصاد. قال أبو ذر الخشني: الصقلة جلدة الخاصة تريد أنه ناعم الجسم ضامر الخاصة وهو من الاوصاف الحسنة. (الهاتف): الصالح. (أبو قبيس): بضم القاف وفتح الموحدة فمثلة تحتية ساكنة: جبل بمكة معروف سمي

(١) كثرة شعر الحاجبين والعينين والاشفار مع استرخاء وطول، وقد يكون ذلك في الأذن، رجل أوطف بين الوطف وامرأة وطفاء إذا كانا كثيري شعر أهداب العين. لسان العرب ٦ / ٤٨٦٨. (٢) انظر اللسان ٤ / ٢٤٠٥. (٣) من نجل نجلا عظم بطنه واسترخى فهو أنجل وهي نجلاء جمعها نجل. انظر المعجم الوسيط ١ / ٩٤. (٤) الصعل والاصعل: الدقيق الرأس، والعنق، والانشى صعلة وصعلاء. انظر اللسان ٤ / ٢٤٥١ (*).

[٣٦٢]

باسم رجل من مذحج حداد لانه أول من بنى فيه. وكان أبو قبيس الجبل هذا يسمى الأمين لان الركن أي الحجر الاسود كان مستودعا فيه. (قالا): من القيلولة وهي نصف النهار. (الهدى): بفتح الهاء وإسكان الدال المهملة: والهدى الطريق، ولا يصح ضمها للوزن، ويعني بالطريق الطريق الموصلة إلى الجنة. (قصي): بضم القاف وفتح الصاد المهملة وتشديد التحتية: تقدم الكلام عليه في النسب. (مازوى) (١): بفتح الزاي والواو: أي جمع وقبض. (من فعال): الظاهر أنه بفتح الفاء وتخفيف العين وهو الكرم، ويجوز أن يكون بكسر الفاء جميعا. (لا يجارى): بالراء وفي رواية: يجازى بالزاي. (السودد): بضم السنين وإسكان الواو، يقال ساد قومه سيادة وسوددا وهو مصدر. (الصريح): بالصاد والحاء المهملتين: وهو اللبن الخالص الذي لم يمدق. (الضرة) (٢): بفتح الصاد المعجمة وتشديد الراء والمثناة الفوقية: أصل الضرع. (مزبد): بضم الميم وإسكان الزاي فموحدة مكسورة فдал مهمة: أي علاه الزبد. (غادرها): بالغين المعجمة والدال المهملة: تركها. (في مصدر ثم مورد): أي يحلبها مرة ثم أخرى. شرح شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه (قدس): بضم القاف وكسر الدال المهملة المشددة وبالسسين المهملة ميني للمفعول أي طهر. (يرشد): بضم الشين المعجمة وفتحها كنصر ينصر وفرح يفرح، والمصدر رشدا ورشدا ورشادا: أي يهتدي. (بأسعد): بضم العين، جمع سعد جمع قلة.

(١) زواه: قبضه قال الاعشى: يزيد بغض الطرف عندي كأنما * زوى بين عينيه على المحاجم اللسان ٣ / ١٨٩٤. (٢) انظر المعجم الوسيط ١ / ٥٢٨ (*).

(سعادة): بالرفع: فاعل يهنأ، وأبو بكر مفعوله. (جده) (١): بفتح الجيم وهو حظه. (من يسعد الله يسعد): يجوز أن يكون مبنياً للفاعل وللمفعول أيضاً. (عظم الحي): بضم أوله وسكون ثانيه أي أكثره. (القرى): بكسر القاف. (متنحياً): منفرداً. (الشفرة): بفتح الشين المعجمة وسكون الفاء وفتح الراء: المدينة وهي السكنين العريض والجمع شفار مثل كلبة وكلاب وشفرات مثل سجدة وسجدات. (الجلب) (٢): بفتح الجيم واللام: ما يجلب من بلد إلى بلد. (الاقط): ككتف ويسكن مثلث الهمزة: شئ يتخذ من اللبن المخيض، قال ابن الاعرابي: من ألبان الغنم خاصة. شرح قصة سراقه بن مالك رضي الله عنه (مدلج): بضم الميم. (أسودة): جمع سواد وهو الشخص. (ركبة): بفتح الراء والكاف: أقل من الركب وهو عشرة فما فوقها وهم أصحاب الابل، والاركوپ أكثر من الركب والركبان الجماعة منهم. (أراها): بضم الهمزة: أي أظنها. الاكمة: بفتح الهمزة والكاف والميم: الرابية. (فخططت به) بالخاء المعجمة وفي رواية: بالخاء المهملة أي أمسكت بأعلاه وجعلت أسفله في (الارض). الزج (٣): بضم الزاي بعدها جيم: الحديد التي في أسفل الرمح. (خفضت عاليه): أي أمسكه بيده وجر رمحه لئلا يظهر بريقه لمن بعد منه، لانه كره أن يتبعه منهم أحد فيشركه في الجعالة.

(١) الجد: البخت والحظوة، والحظ والرزق. اللسان ١ / ٥٦٠. (٢) من جلب الشئ جلباً أي اجتمع، وجلب الشئ ساقه من موضع إلى آخر فهو جالب وجلاب وفي المثل: رب أمنية جلبت منية. الوسيط ١ / ١٢٨. (٣) زجحت ا لرمح زجا من باب قتل جعلت له زجا وزجحت الرجل زجا طعنته بالزج. المصباح المنير ص ٢٥١. (*)

(دفعتها): بتخفيف الفاء يقال: دفع الفرس في السير إذا بالغ ودفعه يتعدى ولا يتعدى. (تقرب بي): التقريب السير دون العدو و فوق العادة وقيل أن ترفع الفرس يديها معا وتضعهما معا. (أهويت) بيدي: بسطتها للاخذ. (الكنانة): بكسر الكاف: الخريطة المستطيلة التي يجعل فيها السهام. (الازلام): واحدها زلم بفتحيتين وبفتحة فضمة وهو القدم واحد القداح بكسر القاف وهو عيدان السهام قبل أن تراش ويركب فيها النصال، فإذا فعل ذلك فهي سهام. وكان أهل الجاهلية يستقسمون بها مكتوب عليها الامر والنهي أي: إفعل: لا تفعل، فما خرج منها عملوا به. والاستقسام بها هو الضرب بها لاجرا ما قسم الله لهم من أمر وغيره بزعمهم. قال الحافظ أبو العباس تقي الدين الحاراني: (إن القرعة التي مع الطرقية التي فيها اب ج د من الازلام، ونقل ذلك عن أبي جعفر النحاس. (ساخت) (١): بسين مهملة فألف فحاء معجمة: أي غاصت. (ارتطمت به): أي ساخت قوائمها في الارض. (عثان): بضم العين المهملة والياء المثناة المخففة: شبه الدخان. (أن سيظهر): مرفوع، و (أن) قبله مخففة من الثقيلة وتقديره: سيظهر. (فلم يرزاني): براء فزاي: لم ينقصاني مما معي شيئاً. (أخف عنا) (٢): بفتح الهمزة. (قديد): بضم القاف وفتح الدال المهملة ثم مثناة تحتية ساكنة فذال مهملة أخرى، موضع بين مكة والمدينة. (بمجن) (٣): بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون: الترس سمي مجنا لانه يوارى حامله أي يستره.

(١) انظر المصباح المنير ٢٩٤. (٢) أخف عنا: أي استر الخبر لمن سألك عنا. انظر النهاية ٣ / ٥٧. (٣) أنظر المعجم الوسيط ١ / ١٣٧، ١٤١. (*)

[٣٦٦]

الباب الخامس في تلقي أهل المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزوله بقباء وتأسيس مسجد قباء روى البخاري عن عائشة، وابن سعد عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة عن جماعة من الصحابة أن المسلمين بالمدينة لما سمعوا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وتوقفوا قدومه كانوا يخرجون إذا صلوا الصبح إلى ظاهر الحرة ينتظرونه حتى تغلبهم الشمس على الظلال، ويؤذيهم حر الظهيرة، فإذا لم يجدوا ظلاً دخلوا، وذلك في أيام حارة حتى كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلوا البيوت فأوفى رجل من اليهود على أطم من أطامهم لأمير ينظر إليه، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين، يلوح بهم السراب، فلم يملك اليهودي نفسه فصرخ بأعلى صوته: (يا بني قيلة)، وفي لفظ: يا معشر العرب، (هذا جدكم)، وفي لفظ: (هذا صاحبكم الذي تنتظرون، (قد جاء). فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة وذلك يوم الاثنين لشهر ربيع الأول، فخرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر في مثل سنة. وقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله عند ذلك. وفي رواية: (فلما رأوا أبا بكر ينحاز له عن الظل عرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعدل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين حتى نزل بهم علو المدينة بقباء في بني عمرو بن عوف على كلثوم بن الهدم بكسر الهاء وسكون الدال المهملة، قيل: (وكان يومئذ مشركا، وبه جزم محمد بن الحسن بن زبالة)، وقيل: (إنما نزل على سعد بن خيثمة). قال رزين: (والأول أصح) وقال الحاكم إنه الأرجح، (قال: (وقد قاله ابن شهاب وهو أعرف بذلك من غيره) وقال الدمياطي: (إنه أثبت). وقال بعضهم (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل على كلثوم بن الهدم وكان يخرج للناس من منزله فيجلس للناس في بيت سعد بن خيثمة لأنه كان عزبا لا أهل له هناك وكان منزل العزاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين فمن هنالك يقال: نزل على سعد بن خيثمة. ونزل أبو بكر على خبيب بن إساف (١) أحد بني الحارث بالسبخ - بسين مهملة مضمومة فنون ساكنة فحاء مهملة. ويقال: على خارحة بن زيد بن أبي زهير أخي بني الحارث بن الخزرج).

(١) خبيب بن إساف، وقيل: يساف، ابن عتبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن ثعلبة، الأنصاري الخزرجي، شهد بدرًا وأحد والخندق، وكان نازلا بالمدينة وتأخر إسلامه حتى سار النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر فلحق النبي صلى الله عليه وسلم في الطريق فأسلم أسد الغابة ٢ / ١١٨. (*)

[٣٦٧]

وروى الزبير بن بكار عن عبد الله بن حارثة قال: (نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهدم، فصاح كلثوم بغلام له فقال: يا نجيح. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنجحت يا أبا بكر) وأقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة بعد مخرج رسول الله

صلى الله عليه وسلم أياما - قال بعضهم: ثلاثة - حتى أدى للناس ودائعهم التي كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفه ليردها، ثم خرج فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بقاء فنزل على كلثوم بن الهدم. وقال علي فيما رواه ابن إسحاق ووزين: (كنت نزلت بقاء وكانت امرأة مسلمة لا زوج لها، فرأيت إنسانا يأتيها من خوف الليل فيضرب عليها بابها، فتخرج إليه فيعطيه شيئا معه فتأخذه فاستريت شأنه، فقلت لها: يا أمه الله، من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطيك شيئا لا أدري ما هو، وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك؟ قالت: هذا سهل بن حنيف، قد عرف أنني امرأة لا أحد لي، فإذا أمسى عدا على أوئان قومه فكسرها ثم جاءني بها. فقال: احتطبي بها، فكان علي يأثر ذلك من أمر سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق. وكان لكلثوم بن الهدم مريد، والمريد الموضع الذي يبسط فيه التمر ليحف، فأخذه منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسس به وبناه مسجدا. وفي الصحيح عن عروة: (فليت في بني عمرو بن عوف وأسس المسجد الذي أسس على التقوى). وفي رواية عبد الرزاق عنه قال: (الذين بنى فيهم المسجد الذي أسس على التقوى) هم بنو عمرو بن عوف وكذا عند ابن عائذ ولفظه: (ومكث في بني عمرو بن عوف ثلاث ليال واتخذ مكانه مسجدا فكان يصلي فيه ثم بناه بنو عمرو بن عوف فهو الذي أسس على التقوى). وروى يونس بن بكير في زيادات المغازي عن المسعودي عن الحكم بن عتيبة - بضم العين المهملة وفتح الفوقية وسكون التحتية وبالموحدة - قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم فنزل بقاء قال عمار بن ياسر: (ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من أن يجعل له مكانا يستظل به إذا استيقظ ويصلي فيه). فجمع حجارة فبنى مسجدا قباء فهو أول من بنى مسجدا - روى الحافظ والسيد - يعني لعامة المسلمين أو للنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وهو في التحقيق أول مسجد صلى فيه بأصحابه جماعة ظاهرا، وإن كان قد بنى غيره من المساجد، فقد روى ابن أبي شيبة عن جابر رضي الله عنه قال: لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا النبي صلى الله عليه وسلم سنتين نعلم المساجد ونقيم الصلاة، ولذا قيل: كان المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والانصار بقاء قد بنوا مسجدا يصلون فيه، يعني هذا المسجد، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد قباء صلى بهم فيه إلى بيت المقدس، ولم يحدث فيه شيئا أي في أول الأمر لأن ابن شبة - بالشين المعجمة

[٣٦٨]

والموحدة المشددة المفتحتين - روى ذلك، ثم روى أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى مسجدا قباء، وقدم القبلة إلى موضعها اليوم وقال: (جبريل يوم بي البيت) (١). وروى الطبراني عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: لما سأل أهل قباء النبي صلى الله عليه وسلم أن يبني لهم مسجدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليقم بعضكم فيركب الناقة، فقام أبو بكر رضي الله عنه فركبها فحركها فلم تنبعث فرجع ففقد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (ليقم بعضكم فيركب الناقة)، فقام علي رضي الله عنه، فلما وضع رجله في غرز الركاب وثبت به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أرخ زمامها وابنوا على مدارها فإنها مأمورة). وروى الطبراني بسند رجاله ثقات عن الشموس - بفتح الشين المعجمة - بنت النعمان رضي الله عنها قالت: (نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس هذا المسجد: مسجدا قباء، فرأيت أنه يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يهصره الحجر، وأنظر إلى بياض التراب على بطنه أو سترته فيأتي الرجل من أصحابه ويقول: يا رسول الله بأبي أنت وأمي اعطني أكفك، فيقول: (لا خذ مثله)، حتى أسسه، ويقول: (إن جبريل عليه السلام هو يؤم الكعبة) قالت: فكان يقال: إنه

أقوم مسجد قبلة. قال السيد: (قد صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يستقبل بيت المقدس حتى نسخ ذلك وجاء نقيأؤهم في صلاة الصبح فأخبرهم وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة، فيحتمل أن جبريل عليه السلام كان يؤمر (به) البيت ليستدل به على جهة بيت المقدس لتقابل الجهتين ويعلمه بما يؤول إليه الامر من استقبال الكعبة. أو أنه صلى الله عليه وسلم كان مخيرا في ابتداء الهجرة في التوجه إلى بيت المقدس أو إلى الكعبة، كما قاله الربيع، فأمر به جبريل البيت لذلك، واختياره الصلاة لبيت المقدس أولا لاستمالة اليهود أو أن استقبال الكعبة كان مشروعا في ذلك الوقت ثم نسخ ببيت المقدس ثم نسخ بالكعبة كما قاله القاضي أبو بكر بن العربي وغيره من أن القبلة نسخت مرتين، أو أن ذلك تأسيس آخر غير التأسيس الأول. وبدل علي هذا ما قدمناه من رواية ابن شبة). وروى ابن شبة أيضا أن عبد الله بن رواحة كان يقول وهو بينون في مسجد قباء: (أفلح من يعمر المساجدا)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المساجدا)، فقال عبد الله: (ويقرأ القرآن قائما وقاعدا)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وقاعدا) فقال عبد الله: (ولا يبيت ا لليل عنه راقدا)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (راقدا).

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١ / ٢ / ٥. (*)

[٣٦٩]

تنبيهات الاول: اختلف في قدر إقامته في بني عمرو بن عوف، ففي الصحيح عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير أنه صلى الله عليه وسلم لبث فيهم بضع عشرة ليلة. وفيه عن أنس أنه أقام فيهم أربع عشرة ليلة، وقدمه في الاشارة، وقيل: خمس ليال قاله ابن إسحاق. وقال ابن حبان: أقام بها الثلاثاء والاربعاء والخميس، يعني وخرج يوم الجمعة فلم يعتد بيوم الخروج. وقال ابن عباس وابن عقبة: ثلاث ليل، فكأنهما لم يعتدا بيومي الخروج ولا الدخول. وعن قوم من بني عمرو بن عوف أنه أقام فيهم اثنين وعشرين يوما. الثاني: المعتمد أنه صلى الله عليه وسلم دخل قباء يوم الاثنين كما في الصحيح، قال ابن عقبة: لهلال ربيع الاول أي أول يوم منه، وفي رواية جريير بن حازم عن ابن إسحاق قدمها لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول، وفي رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق: قدمها لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول، وعند أبي سعيد في شرف المصطفى من طريق أبي بكر بن حزم قال: قدم المدينة لثلاث عشرة من ربيع الاول، وهذا يجمع بينه وبين الذي قبله بالحمل على الاختلاف في رؤية الهلال. الثالث: قال الحافظ: الاكثر أنه قدم نهارا، ووقع في رواية مسلم ليلا ويجمع بأن القدوم كان آخر الليل فدخل نهارا. الرابع: في بيان غريب ما سبق: (توكفوا): انتظروا. (الظهيرة): بفتح الظاء المعجمة وكسر الهاء بعدها مئناة تحتية: وهي نصف النهار. (أوفى): طلع إلى مكان عال. (الاطم) (١): بضم أوله وثانيه وهو الحصن، ويقال: بناء من حجارة كالقصر. (مبيضين): أي عليهم الثياب البيض التي كساهم إياها الزبير أو طلحة. (يزول بهم): أي يرفعهم ويظهرهم. (السراب): الذي يكون نصف النهار لاطنا بالارض كأنه ماء. (قيلة): بفتح القاف وسكون التحتية: الجدة الكبرى للانصار.

(١) الاطم: حصن مبني بحجارة، وقيل: هو كل بيت مربع مسطح والجمع القليل أطام قال الاعشى: فإما أتت أطام جو وأهله * أنيخت فألقت رحلها بفنائكا والكثير أطوم: وهي حصون لاهل المدينة. اللسان ١ / ٩٣. (*)

[٢٧٠]

(جدكم): بفتح الجيم: أي حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعونه.
(طفق): بكسر الفاء وفتحها: أي جعل. (انجاز): بالحاء المهملة
والزاي: مال. (جوف الليل): وسطه. (اشترت شأنه): أي شككت
فيه. (يأثر ذلك): أي يحدث به. (يهصره) (١): يميله. (يؤم): بفتح
المثناة التحتية بعدها همزة مضمومة: أي يقصد. (الغرز): بغين
معجمة مفتوحة فراء ساكنة فزاي: أي ركاب الابل.

(١) اللسان ٦ / ٤٦٧٠. (*)

[٢٧١]

الباب السادس في قدومه صلى الله عليه وسلم باطن المدينة وما
آلت إليه وفرح أهل المدينة برسول الله صلى الله عليه وسلم روى
الامام أحمد والشيخان عن أبي بكر، وسعيد بن منصور عن عبد الله
بن الزبير رضي الله عنهما والبيهقي عن موسى بن عقبة، وابن
إسحاق عن عويم بن ساعدة، ويحيى بن الحسن عن عمارة بن
خزيمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يدخل المدينة
أرسل إلى بني النجار، وكانوا أخواله لأن أم عبد المطلب منهم كما
تقدم في باب النسب. فجاءوا متقلدين السيوف، فقالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولاصحابه: (اركبوا آمنين مطاعين). وكان اليوم
يوم الجمعة فلما ارتفع النهار دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بإراجلته وحشد المسلمون ولبسوا السلاح، وركب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ناقته القصواء والناس معه عن يمينه وعن شماله
وخلفه منهم المشي والراكب فاجتمعت بنو عمرو بن عوف فقالوا: يا
رسول الله أخرجت ملالا لنا أم تريد دارا خيرا من دارنا؟ قال: (إني
أمرت بقرية تأكل القرى فخلوها - أي ناقته - فإنها مأمورة)، فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قباء يريد المدينة فتلقيه الناس
فخرجوا في الطرق وعلى الأباغر وصار الخدم والصبيان يقولون: (الله
أكبر، جاءنا رسول الله جاء محمد) قال أنس فيما رواه البيهقي: (إني
لا سعى مع الغلمان إذ قالوا: محمد جاء فنطلق فلا نرى شيئا،
حتى أقبل وصاحبه أبو بكر فكمننا في بعض جدر المدينة وبعنا رجلا
من أهل البادية ليؤذن بهما الانصار فاستقبلهما زهاء خمسمائة من
الانصار، حتى انتهوا إليهما فقالت الانصار: انطلقا آمنين مطاعين.
فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه بين أظهرهم، فخرج
أهل المدينة حتى أن العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن: أيهم هو؟
أيهم هو؟ فما رأينا منظرًا شبيها به يومئذ. روى الامام أحمد وأبو داود
عن أنس رضي الله عنه أنه قال: (لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسلم المدينة لعبت الحيشة بحرابها فرحا بقدومه). وروى
البيهقي ورزين عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن:
طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع وحب الشكر علينا * ما دعا الله
داع (١) زاد رزين: أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

(١) انظر البداية والنهاية ٣ / ١٩٧. (*)

[٢٧٢]

وروى البخاري عن البراء رضي الله عنه أنه قال: (ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم). وروى ابن ماجة عن أنس رضي الله عنه أنه قال: (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء). وروى ابن أبي خيثمة رضي الله عنه قال: (شهدت يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم أر يوماً أحسن منه ولا أضواً). فلم يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الانصار إلا قالوا: (هلم يا رسول الله إلى العز والمنعة والثروة). فيقول لهم خيراً ويدعوا أو يقول: (إنها مأمورة خلوا سبيلها)، فمر ببني سالم فقام إليه عتيان - بكسر العين المهملة - ابن مالك، ونوفل بن عيد الله بن مالك بن العجلان، وهو أخذ بزمام راحلته، فقال: (يا رسول الله انزل فينا فإن فينا العدد والعشيرة والحلقة، ونحن أصحاب الفضاء والحداثق والدرك، يا رسول الله قد كان الرجل من العرب يدخل هذه البحرة خائفاً فليجأ إلينا فنقول له: (قوّل حيث شئت). فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ويقول: (خلوا سبيلها فإنها مأمورة) (١)، فقام إليه عبادة بن الصامت، وعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان، فجعلوا يقولان: (يا رسول الله انزل فينا)، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: (بارك الله عليكم إنها مأمورة). فلما أتى مسجد بني سالم وهو المسجد الذي في الوادي، وادي رانوباء، أدركته الجمعة هناك فصلاها فيه وكانت أول جمعة صلاها في المدينة، وقيل إنه كان يصلي الجمعة بمسجد قباء، وعند ابن سعد أنه صلى معه الجمعة مائة نفس، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمين الطريق (حتى جاء بنو الحبلى)، فأراد أن ينزل على عيد الله بن أبي (بن سلول)، وهو يومئذ سيد الخزرج في أنفسها فقال: اذهب إلي الذين دعوك فانزل عليهم. فقال سعد بن عبادة: (لا تجد يا رسول الله في نفسك من قوله، فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه عليها، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك ولكن هذا داري، ذكره موسى بن عقبة ورزين. قال السيد: (الذي في الصحيح ذكر سعد بن عبادة لذلك في قصة عيادته صلى الله عليه وسلم له من مرض بعد سكناه بالمدينة). قلت: ويحتمل أن سعداً قال ذلك مرتين، والله أعلم. فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني ساعدة فقال له سعد بن عبادة، والمندر بن عمرو، وأبو دجانة: (هلم يا رسول الله إلى العز والثروة والقوة والجلد)، وسعد يقول: (يا رسول الله ليس من قومي رجل أكثر عذقا ولا فم بئر مني مع الثروة والجلد والعدد فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا ثابت خل سبيلها فإنها مأمورة). فمضى واعترضه سعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة، وبشير بن سعد، فقالوا: (يا رسول الله لا تجاوزنا فإننا أهل عدد وثروة وحلقة)، قال: (بارك الله

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١ / ١ / ١٦٠. (*)

[٢٧٣]

فيكم، خلوا سبيلها فإنها مأمورة)، واعترضه زياد بن لبيد، وفروة بن عمرو، من بني بياضة، فقالوا: (يا رسول الله هلم إلي المواساة والعز والثروة والعدد والقوة، نحن أهل الدرك يا رسول الله)، فقال رسول الله: (خلوا سبيلها فإنها مأمورة). وفي حديث البراء فقال: (إني أنزل على أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك). ثم مر ببني عدي بن النجار وهم أخواله فقام أبو سليط وصرمة بن أبي أنس في قومهما فقالوا: (يا رسول الله نحن أخوالك هلم إلى العدد والمنعة والقوة مع القرابة، لا تجاوزنا إلى غيرنا يا رسول الله، ليس أحد من قومنا أولى بك منا لقرابتنا بك). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلوا سبيلها فإنها مأمورة). فسار حتى إذا أتت دار بني عدي بن النجار قامت إليه

وجوههم، ثم مضى حتى انتهى إلى باب المسجد، فبركت راحلته على باب مسجده صلى الله عليه وسلم وذكر الاقشهرى في روضته عن ابن نافع صاحب مالك في أثناء كلام نقله عن مالك أن ناقته صلى الله عليه وسلم لما أتت موضع مسجده بركت وهو عليها وأخذ الذي كان يأخذه عند الوحي). ثم وثبت فسارت غير بعيد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضح لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة، فبركت فيه ثم تلحلت وأرزمت، ووضعت جرانها، وجعل جبار بن صخر ينخسها رجاء أن تقوم فتنزل في دار بني سلمة فلم تفعل. فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال: (هنا المنزل إن شاء الله) (وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) (المؤمنون ٢٩) وجاء أبو أيوب فكلموه في النزول عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أي بيوت أهلنا أقرب)؟ فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله، هذه دارى وهذا بابى وقد حططنا رحلك فيها. قال: (فانطلق فهبئ لنا مقبلا) (١)، فذهب فهبأ لهما مقبلا. وروى الطبراني عن عبد الله بن الزبير أنه كان هناك عريش يرشونه ويعمرونه ويبتردون فيه حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فأوى إلى الظل فنزل فيه فأناه أبو أيوب الانصارى فقال: يا رسول الله منزلي أقرب المنازل إليه فانقل رحلك. قال: (نعم)، فذهب برحله إلى المنزل، فأناه آخر فقال: يا رسول الله انزل علي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المرء مع رحله حيث كان)، فمضت مثلا فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزل أبي أيوب وقر قراره واطمأنت داره ونزل معه زيد بن حارثة (٢). وذكر ابن سعد أن أسعد بن زرارة أخذ بزمام الناقة فكانت عنده. وعند عائذ وسعيد بن منصور أن ناقته استناخت به أولا فجاهه ناس فقالوا: المنزل يا رسول الله، فقال: (دعوها)، فانبعثت حتى استناخت عند موضع المنبر من المسجد ثم تلحلت فنزل عنها فأناه أبو أيوب

(١) أخرجه البخاري ٥ / ٨٠ / والبيهقي في الدلائل ٢ / ٢٤٩ وأبو نعيم في الدلائل (١١٤). (٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١ / ١ / ١٦٠. (*)

[٢٧٤]

فقال: منزلي أقرب المنازل فأذن لي أن أنقل رحلك. قال: (نعم)، فنقل رحله وأناخ الناقة في منزله. وروى الحاكم وأبو سعيد النيسابوري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل على أبي أيوب خرج جوار من بني النجار يضرين بالدفوف ويقولن: نحن جوار من بني النجار * يا حيدا محمد من جار (١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتحببني)؟ قلن: نعم يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وأنا والله أحبكن)، قالها ثلاثا. وذكر ابن إسحاق في المبدأ وابن هشام في التيجان أن بيت أبي أيوب الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمة المدينة بناه تبع الاول واسمه تيان - بضم المثناة الفوقية وتخفيف الموحدة - أسعد، وكان معه أربعمئة حبر، فتعاقدوا على ألا يخرجوا منها. فسألهم تبع عن سر ذلك، فقالوا: إنا نجد في كتبنا أن نبيا اسمه محمد هذه دار هجرته، فنحن نقيم لعلنا نلقاه. فأراد تبع الإقامة معهم، ثم بنى لكل واحد من أولئك دارا واشترى له جارية وزوجها منه وأعطاه مالا جزيلا وكتب كتابا فيه إسلامه ومنه: شهدت على أحمد أنه * رسول من الله باري النسم فلو مد عمري إلى عمره * لكنك وزير له وابن عم (وجاهدت بالسيف أعداءه * وفرجت عن صدره كل هم) وختمه بالذهب ودفعه إلى كبيرهم وسأله أن يدفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم إن أدركه وإلا فمن أدركه من ولده أو ولد ولده، وبنى للنبي صلى الله عليه وسلم دارا ينزلها إذا قدم المدينة، فتداول الدار الملاك إلى أن صارت لأبي أيوب، وهو من ولد ذلك العالم، وأهل المدينة الذين نصره كلهم من أولاد أولئك العلماء. ويقال إن الكتاب

الذي فيه الشعر كان عبد أبي أيوب حتى دفعه إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو غريب. فما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا في بيته. وروى الترمذي وصححه، ويحيى بن الحسن العلوي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: (لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه فجئت لانيظر إليه، فلما تبين وجهه علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته يتكلم به أن قال: (أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام تدخلون الجنة بسلام (٢). وروى ابن إسحاق ومسلم عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: (لما نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في السفلى وأنا وأم أيوب في العلو: فقلت له: يا نبي الله، بأبي أنت

(١) انظر البداية والنهاية ٣ / ٢٠٠. (٢) أخرجه أحمد في المسند ٥ / ٤٥١ والدارمي ١ / ٢٤٠ والترمذي ٤ / ٦٥٢ (٢٤٨٥) وابن ماجه ١ / ٤٢٣ (١٢٢٤). (*)

[٢٧٥]

وأمي، إنني لاكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فاطهر أنت فكن في العلو، ونزل نحن فنكون في السفلى، فقال: (إن أرفق بنا ويمن يغشانا أن نكون في سفلى البيت). قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفلى وكنا فوقه في المسكن، فلقد انكسر حسب لنا فيه ماء، فقممت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء (تخوفا أن يقطر علي رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء فيؤذيه. وذكر أن أبا أيوب لم يزل يتضرع إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم في العلو وأبو أيوب في السفلى. قال أبو أيوب: وكنا نضع له العشاء ثم نبعث به إليه، فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلا أو ثوما، فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم أر ليده فيه أثرا. قال: فحجته فرعا فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي رددت عشاءك، ولم أر فيه موضع يدك وكنت إذا رددته علينا تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك نبتغي بذلك البركة. قال: (إنني وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجي، فأما أنتم فكلوه). قال: فأكلناه ولم نضع له تلك الشجرة بعد. وفي كتاب أخبار المدينة ليحيى بن الحسن، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: (لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي أبي أيوب لم يدخل منزل رسول الله هدية وأول هدية دخلت بها عليه قصعة مثرودة خبز بر وسمنا ولبنا، فأضعها بين يديه، فقلت: (يا رسول الله أرسلت بهذه القصعة أمي)، فقال: (بارك الله فيها)، ودعا أصحابه فأكلوا فلم أرم الباب حتى جاءته قصعة سعد بن عبادة، علي رأس غلام مغطاة فأقف علي باب أبي أيوب فأكشف غطاءها لانيظر فرأيت ثريدا عليه عراق (١)، فدخل بها علي رسول الله صلى الله عليه وسلم). قال زيد: (فلقد كنا في بني مالك بن النجار ما من ليلة إلا علي باب رسول الله صلى الله عليه وسلم منا الثلاثة والأربعة يحملون الطعام ويتناوبون بينهم حتى تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت أبي أيوب وكان مقامه فيه سبعة أشهر وما كانت تخطئه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة كل ليلة). وفيه أنه قيل لام أيوب: (أي الطعام كان أحب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكم عرفتم ذلك لمقامه عندكم؟ فقالت: ما رأيته أمر بطعام فصنع له بعينه، ولا رأيته أتني بطعام فعابه. وقد أخبرني أبو أيوب أنه تعشى عنده ليلة من قصعة أرسل بها سعد بن عبادة طفيشل. قال أبو أيوب. فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهل تلك القدر ما لم أره ينهل غيرها، فكنا نعملها له، وكنا نعمل له الهريس وكانت تعجبه. وكان يحضر عشاء خمسة إلى ستة عشر كما يكون الطعام في الكثرة والقلة).

(١) العرق: بالسكون: العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم، وجمعه: عراق، وهو جمع نادر، يقال: عرقت العظم، واعترقته، وعرقتة إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك. انظر النهاية ٣ / ٢٣٠. (*)

[٢٧٦]

قال ابن إسحاق: (وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم فقدا عليه بغاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجته وحمل زيد بن حارثة امرأته أم أيمن مع ابنها أسامة بن زيد، وخرج عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر فيهم عائشة وأختها أسماء زوج الزبير وأم رومان (أم عائشة) فلما قدموا المدينة أنزلوا في بيت حارثة بن النعمان. وذكر زرين أن أبا بكر أرسل عبد الله بن أريقط مع زيد لياتيه بأهله. قال ابن إسحاق: (وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس. ولما اطمأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره، وأظهر الله بها دينه، وسره بما جمع إليه من المهاجرين والانصار من أهل ولايته، قال أبو قيس صرمة بن أي أنس، أخو بني عدي بن النجار، يذكر ما أكرمهم الله به من الاسلام وما خصهم به من نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم: ثوى في قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقي صديقا مواتيا ويعرض في أهل المواسم نفسه * فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا فلما أتانا أظهر الله دينه * فأصبح مسرورا بطيبة راضيا وألفى صديقا واطمأنت به النوى * وكان لنا عوننا من الله بأديا يقص لنا ما قال نوح لقومه * وما قال موسى إذا أجاب المناديا فأصبح لا يخشى من الناس واحدا * قريبا ولا يخشى من الناس نائيا بذلنا له الاموال من جل مالنا * وأنفسنا عند الوغى والتأسيا ونعلم أن الله لا شئ غيره * ونعلم أن الله أفضل هاديا نعادي الذي عادى من الناس كلهم * جميعا وإن كان الحبيب المصافيا أقول إذا أدعوك في كل بيعة * تباركت قد أكثرت لاسمك داعيا أقول إذا جاوزت أرضا مخوفة * حنانيك لا تظهر علي الاعاديا فطأ معرضا إن الحتوف كثيرة * وإنك لا تبقى لنفسك باقيا فوالله ما يدري الفتى كيف يتقي * إذا هو لم يجعل له الله وإقيا ولا تحفل النخل المعيمة رها * إذا أصبحت ربا وأصبح ثاوبا (١) تنبيه: في بيان غريب ما سبق (حشد) المسلمون بالدار المهملة: اجتمعوا.

(١) انظر البداية والنهاية ٣ / ٢٠٤. (*)

[٢٧٧]

(متقلدين) السيوف: جعلوا سيورها في أعناقهم إلى جنبهم الايسر، عادة العرب الان لا كفعل الاتراك وغيرهم يجعلها في اوساطهم. (ملالا): سامة. (الدار): هنا القبيلة وكل قبيلة اجتمعت في محلة سميت تلك المحلة دارا، وسمي ساكنوها بها مجازا، أي أهل الدار. (تأكل القرى): يأتي بيانه في بيان أسماء المدينة. (كمنا) (١): بفتح الكاف وكسر الميم بعدها نون مشددة، أي استترنا. (زهاء): بضم الزاي وبالمد: أي قدر. (العواتق): جمع عاتق وهي الشابة أول ما تدرك، وقيل: هي التي لم تبن من والدتها ولم تزوج وقد أدركت وشبت. (الولائد): جمع وليدة وهي الاثنى، والوليد الطفل جمعه ولدان. (الثنيات): جمع ثنية وثنية الوداع بفتح الواو. قال المجد اللغوي: (هي ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة، وقيل:

من يريد الشام واختلف في تسميتها بذلك فليل لانها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة، وقيل لان النبي صلى الله عليه وسلم ودع بعض ما خلفه بالمدينة في آخره خرجاته، وقيل: في بعض سراياه المبعوثه عنه، وقيل: الوداع اسم واد بمكة، والصحيح أنه اسم جاهلي قديم سمي به لتوديع المسافرين، هكذا قال أهل السير والتاريخ وأصحاب المسالك إنها من جهة مكة، وأهل المدينة (اليوم) يظنونها من جهة الشام، وكانهم اعتمدوا قول ابن قيم الجوزية في هدية (فإنه قال): (من جهة الشام ثبات الوداع ولا يطؤها القادم من مكة البتة). ووجه الجمع أن كلتا الثنيتين تسمى بثنية الوداع). انتهى كلام المجد. قلت: وقال ياقوت (٢) في المشترك: (ثنية الوداع مشهورة قرب المدينة وسميت بذلك لان الناس كانوا يدعون المسافرين إلى مكة عندها). فاقضى كلامه أن يطؤها قاصد مكة، وتبعه على ذلك في التقريب وسبقهما إليه القاضي، وأيد السيد كلام صاحب الهدى فقال: الروايات متظاهرة على أن هذه الثنية هي المعروفة بذلك، اليوم: شامي المدينة بين مسجد الراية الذي على ذباب ومشهد النفس الزكية، يمر فيها المار بين صدين مرتفعين قرب سلع،

(١) كمن كمونا: اختفى، وكمن له يكمن كمونا وكمن: استخفى اللسان ٥ / ٣٩٣٣.
(٢) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين: مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب. أصله من الروم. أسر من بلاده صغيراً. من كتبه (معجم البلدان) و (إرشاد الأريب) ويعرف بمعجم الأدياء. توفي سنة ٦٢٦ هـ. الأعلام ٨ / ١٣١ (*).

[٢٧٨]

ومن تأمل كلام ابن شبة في المنازل وغيرها لم يرتب في ذلك، ويوضحه ما رواه ابن إسحاق في غزوة الغابة قلت: وسيأتي سياقه فيها. ثم قال السيد: (وكونها شامي المدينة لا يمنع كون هذه الأبيات أنشئت عند الهجرة لانه صلى الله عليه وسلم ركب ناقته وأرعى لها زمامها وقال: (دعوها فإنها مأمورة)، ومر بدور الانصار كما سبق حتى مر ببني ساعدة، ودارهم شامي المدينة قرب ثنية الوداع، فلم يدخل باطن المدينة إلا من تلك الناحية حتى أتى منزله بها. وقد عرج النبي صلى الله عليه وسلم في رجوعه من بدر إلى ثنية الوداع، كما ذكره ابن عقبة: (أنه صلى الله عليه وسلم سلك حين خرج إلى بدر حتى ثقب بني دينار، ورجع حين رجع من ثنية الوداع) قلت: فتحصل من كلامه أن ثنية الوداع ليست من جهة مكة وإنما هي شامي المدينة، خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى جهتها في دخوله باطن المدينة، ولا حجة لمن قال إنها من جهة مكة إلا ما سبق من قول الولائد: (طلع البدر علينا من ثنيات الوداع)، وقد علمت ما فيه. وروى البخاري عن السائب بن يزيد قال: (أذكر أنني خرجت مع الصبيان لتلقى النبي صلى الله عليه وسلم إلى ثنية الوداع مقدمه من تبوك). قال الحافظ في فتح الباري: (أنكر الداودي هذا، وتبعه ابن القيم وقال: ثنية الوداع من جهة مكة لا من جهة تبوك بل هي في مقابلها كالمشرق من المغرب إلا أن يكون هناك ثنية أخرى في تلك الجهة). قال ابن حجر: (ولا يمنع كونها من جهة مكة أن يكون الخروج إلى الشام من جهتها. وهذا أوضح كما في دخول مكة من ثنية والخروج منها من أخرى، وينتهي كلهن إلى طريق واحدة). قلت: وقد راجعت الهدى في غزوة تبوك فرأيت ذكر أن ثنية الوداع شامي المدينة كما نقله عنه صاحب القاموس والسيد لا كما نقله عنه الحافظ ولم يذكر في الهدى في الكلام على الهجرة شيئاً من ذلك. (أضواً): أنور. (المنعة): بفتح النون يقال: فلان في منعة أي في عز من قومه فلا يقدر عليه من يريده. (الثروة): بفتح الثاء المثناة: كثرة المال. (البحيرة): يأتي الكلام عليها في باب

أسماء المدينة. (قول): بقاف مفتوحة فواو ساكنة فقفاف مكسورة: أي سر حيث شئت فإنك آمن. (رانوناء): (وهو واد في المدينة صلى فيه النبي الجمعة). (على فترة من الرسل): أي على انقطاع بعثهم ودروس أعلام دينهم.

[٢٧٩]

(ولو بشق تمر): بكسر الشين المعجمة: أي نصف تمر، يريد: لا يستقلون (١) من الصدقة شيئا. (مزاحم): بضم الميم فزاي وكسر الحاء المهملة: أظم كان بين ظهرانني بني الحبلى. (بنو الحبلى): الحبلى لقب سالم بن غنم بن عوف لقب به لعظم بطنه ومن ولده بنو الحبلى بطن من الأنصار. (محتبيا): أي جمع ظهره وسابقه بثوب أو غيره، وقد يحتبي بيده والاسم الجبوة بالكسر. (شرق لذلك): بشين معجمة مفتوحة فراء فقفاف، أي ضاق صدره كمن غص. (تجلجت) بجيمين: تحركت. (الاقشهرى): هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الاقشهرى عمل كتابا سماه الروضة فيه أسماء من دفن بالبيقاع. (أرزمت): براء فزاي: صوتت. (الجران) (٢): بكسر الجيم: مقدم عنق البعير من مذبحة إلى منحره، فإذا برك البعير ومد عنقه على الأرض قيل ألقى جرانه بالأرض. (انجفل الناس): أسرعوا. (الجب): بضم الحاء المهملة: الخابية ويقال لها الزير. (تيممت): قصدت. (القطيفة): دثار له خمل. طفيشل: بفتح الطاء المهملة وفتح الفاء وسكون المثناة التحتية وفتح الشين المعجمة وباللام: نوع من المرق. ثوى: أقام. (البضع): بالكسر ويفتح: من الثلاث إلى التسع.

(١) قال ابن الأثير: تقلل الشئ، واستقله، وتقاله: إذا رآه قليلا. انظر النهاية ٤ / ١٠٣. (٢) الجران: باطن العنق، وقيل: مقدم العنق من مذبح البعير إلى منحره وقيل: الجران هي جلدة تضطرب على باطن العنق من ثغرة النحر إلى منتهى العنق في الرأس قال الشاعر: فقد سراتها والبرك منها * فخرت لليدين وللجران اللسان ١ / ٦٠٨. (*)

[٢٨٠]

(الحجة) (١): بالكسر هنا: السنة. (مواتيا): موافقا. (ألقى): وجد. (النوى): بلفظ نوى التمر: البعد. (باديا): ظاهرا. (ناتيا): بعيدا. (من جل مالنا): معظمه. (الوعى): بفتح الواو والغين المعجمة: الحرب. (التأسي): التعاون. (البيعة): المسجد. (حنانيك) (٢): أي تحننا بعد تحنن والتحنن الرأفة والرحمة. (قطاً معرضاً): بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر الراء والضاد المعجمة: أي متسعا. (الحتوف) جمع حتف وهو الموت، والحتوف هنا أسباب الموت وأنواعه. (ولا تحفل): بحاء مهملة ففاء: أي لا تبالي، يقال حفلت بكذا: باليت به. (النخل) بالخاء المعجمة: اسم جنس جمعى واحده نخلة. (المعيمة) (٣) بضم الميم وكسر العين المهملة: أي العاطشة من العيمة بفتح العين المهملة وهو العطش، وأكثر ما يقال في اللبن. (ربها): صاحبها. (ريا): أي مرتوية من الماء. (ثاويا) (٤): بالمثلثة وأخره مثناة تحتية، ويروى (ثاويا) بالمثلثة الفوقية من التوى وهو الهلاك.

(١) والجمع حجج مثل سورة وسور ص ١٢١. (٢) انظر اللسان ٢ / ١٠٢٠. (٣) انظر اللسان ٤ / ٣١٩٥. (٤) توى ثواء، وتويا: أقام واستقر. انظر المعجم الوسيط ١ / ١٠٣. (*)

جماع أبواب بعض فضائل المدينة الشريفة الباب الاول في بدء شأنها عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مكة بلد عظمه الله، وعظم حرمة، خلق مكة وحفها بالملائكة قبل أن يخلق شيئا من الارض بألف عام، ووصلها بالمدينة، ووصل المدينة ببيت المقدس، ثم خلق الارض كلها بعد ألف عام خلقا واحدا). وعن علي رضي الله عنه. قال: (كانت الارض ماء فبعث الله ريحا فمسحت الارض مسحا فظهرت على الارض زبدة فقسمها أربع قطع، خلق من قطعة مكة والثانية المدينة والثالثة بيت المقدس والرابعة الكوفة). رواهما الحافظ أبو بكر بن أحمد بن محمد الواسطي الخطيب في كتابه فضائل بيت المقدس بسند لا بأس به خلافا لقول السيد إنهما واهيان، فإنني لم أجد في سندهما من تكلم فيه سوى ابن لهيعة وهو صدوق اختلط بأخرة والترمذي يحسن له. وروى الطبراني عن ذي مخبر، وهو بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الموحدة وقيل بدلها ميم، وهو ابن أخي النجاشي رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله عز وجل اطلع إلى أهل المدينة وهي بطحاء قبل أن تعمر، ليس فيها مدرة ولا وبرة، فقال: (يا أهل يثرب إنني مشترط عليكم ثلاثا، وسائق إليكم من كل الثمرات: لا تعصي ولا تعلي ولا تكبري، فإن فعلت شيئا من ذلك تركتك كالجزور لا يمنع من أكله) (١). وقيل: أول من عمر بها الدور والاطام، وزرع وغرس، العماليق بنو عملاق بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وأخذوا ما بين البحرين وعمان والحجاز إلى الشام ومصر، ومنهم الجبابرة والفراعنة. وقال أبو المنذر الشرقي بن القطامي: سمعت حديث تأسيس المدينة من سليمان بن عبد الله بن حنظلة الغسيل، وسمعت أيضا بعض ذلك من رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عبد الله بن عمار بن ياسر، فجمعت حديثهما لكثرة اتفاقه وقلة اختلافه، قالوا: (بلغنا أنه لما حج موسى صلوات الله عليه حج معه أناس من بني إسرائيل، فلما كان في انصرافهم أتوا عن

(١) ذكر الهيثمي في المجمع ٣ / ٣٠٢ وعزاه للطبراني في الكبير وقال: وفيه سعيد بن سنان والشامي وهو ضعيف وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٤٩٠١). (*)

المدينة فرأوا موضعها صفة بلد نبي يجدون وصفه في التوراة بأنه خاتم النبيين، فاشتورت طائفة منهم على أن يتخلفوا به، فنزلوا في موضع سوق بني قينقاع، ثم تألفت إليهم أناس من العرب فرجعوا إلى دينهم، فكانوا أول من سكن موضع المدينة. ويذكر أن قوما من العمالقة سكنوه قبلهم. وروى أبو نعيم وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بلغني أن بني إسرائيل لما أصابهم ما أصابهم من ظهور بختنصر عليهم وفرقتهم وذلتهم تفرقوا، وكانوا يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم منعوتا في كتابهم، وأنه يظهر في بعض هذه القرى العربية في قرية ذات نخل، ولما خرجوا من أرض الشام كانوا يعبرون كل قرية من تلك القرى العربية بين الشام واليمن يجدون نعتها نعت يثرب فينزل بها طائفة منهم يرجون أن يلقوا محمدا فيتبعونه حتي نزل طائفة من بني هارون ممن حمل التوراة إلى يثرب، فمات أولئك الاباء وهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحثون أبناءهم على اتباعه، فأدركه من أدركه من أبنائهم، فكفروا به وهم يعرفونه لحسداهم الانصار حيث سبقوهم إليه. وروى الزبير بن بكار عن عثمان بن عبد الرحمن التيمي وغيره من أهل المدينة قالوا: (كان بالمدينة في سالف الزمان قوم يقال لهم: صعل وفالج، فغزاهم داود النبي عليه الصلاة والسلام وأخذ منهم مائة ألف عذراء، قالوا: وسلط الله عليهم الدود في أعناقهم فهلكوا. ولم تزل اليهود ظاهرين

على المدينة حتى كان سيل العرم. قال المفسرون: كانت أرض سبأ المعنية بقوله تعالى: (بلدة طيبة ورب غفور) (سبأ ١٥) أخصب بلاد الله لم تكن سبخة وقيل: لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب. ولا حية، ويمر الغريب بواديهم وفي ثيابه القمل فيموت، وتخرج المرأة وعلى رأسها مكنلها فتعمل بمغزلها وتسير بين ذلك الشجر فيمتلئ مما يتساقط من الثمر، وكان طول بلدهم أكثر من شهرين للراكب المجد وكذلك عرضها، وأهلها في غاية الكثرة مع اجتماع الكلمة والقوة. وكانوا كما قص الله تعالى من خبرهم بقوله: (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة) (سبأ ١٨) أي يرى بعضها من بعض لتقاربها فكانوا آمنين في بلادهم، تخرج المرأة لا تتزود شيئاً تبيت في قرية وتقبل في أخرى حتى تأتي الشام. فيطروا النعمة (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) (سبأ: ١٩)، أي بمفاوز بينهم وبين الشام يركبون فيها الرواحل، فعجل الله لهم الاجابة كما قال تعالى (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) (سبأ ١٩). (وكانوا يقتتلون على ماء واديهم فأمرت بلقيس بواديهم فسد بالعرم وهو المسناة بلغة حمير، فسدت ما بين الجبلين بالصخر والقار، وجعلت له أبواباً ثلاثة بعضها فوق بعض، وبنيت من

[٢٨٢]

دونه بركة ضخمة، وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدة أنها يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء، وإذا استغنوا سدوها، فإذا جاء ماء المطر اجتمع إليه ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد، فأمرت بالبواب الأعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة، فكانوا يستقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث فلا ينفد الماء حتى يرجع الماء من السنة المقبلة، فكان السيل يأتيهم من مسيرة عشرة أيام حتى يستقر في واديهم فيجتمع الماء من تلك السيول والجبال في ذلك الوادي. وكان السد فرسخاً في فرسخ بناه لقمان الأكبر العادي وقيل سبأ بن يشجب، ومات قبل إكماله فأكماله ملوك حمير. (وكان أولاد حمير بن سبأ وأولاد كهلان بن سبأ سادة اليمن في ذلك الزمان وكان كبيرهم عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء، وكانت زوجة عمرو يقال لها طريفة، من حمير وكانت كاهنة، فولدت له ثلاثة عشر ولداً: ثعلبة أبو الأوس والخزرج، وحارثة والد خزاعة، وجفنة والدغسان - وقيل فيهم غير ذلك - وولدت له وداعة وأباً حارثة والحارث وعوفا وكعبا ومالكا وعمرانا هؤلاء أعقبوا كلهم والثلاثة الباقون لم يعقبوا. وكان لعمرو مزيقياء من القصور والاموال ما لم يكن لاحد فرأى أخوه عمران وكان كاهناً أن قومه سيمزقون وتخرّب بلادهم فذكره لعمرو. ثم أن طريفة الكاهنة سحجت له بما يدل على ذلك فقال: وما علامته؟ قالت: إذا رأيت جرذا يكثر في السد الحفر، يقلب منه بيديه الصخر (فاعلم أن قد وقع الأمر). (فلما غضب الله تعالى عليهم وأذن في هلاكهم دخل عمرو بن عامر فرأى جرذا تنقل أولادها من بطن الوادي إلى أعلى الجبل فقال: ما نقلت هذه أولادها من ههنا إلا وقد حضر أهل هذه البلاد عذاب فخرقت ذلك العرم فنقبت نقبا، فسأل الماء من ذلك النقب إلى جنبه فأمر بذلك النقب فسد، فأصبح وقد انفجر بأعظم مما كان، فأمر به أيضا فسد، ثم انفجر بأعظم مما كان فلم يترك فرجة بين حجرين إلا أمر بربط هرة عندها فما زاد الأمر إلا شدة، وكان الجرذ يقلب بيديه ورجليه الصخرة ما يقلبها خمسون رجلاً. فلما رأى ذلك دعا ابن أخيه فقال: إذا جلست العشيّة في نادي قومي فائتني فقل: علام تجلس على مالي؟ فإنني سأقول لك: ليس لك عندي مال ولا ترك أبوك شيئاً وإنك كاذب. فإن كذبتك فكذبني وارد علي مثل ما قلت لك، فإذا فعلت ذلك فإنني سأشتمك إذا أنت شتمتني وإن أنا لطمتك فالطمني. قال: ما كنت لاستقبلك بذلك يا عم. قال: بلى فافعل فإنني أريد بذلك صلاحك وصلاح أهل بيتك. فقال الفتى: نعم، حيث عرف رأي عمرو. فجاء، فقال ما أمره به حتى لطمه فتناول الفتى عمه فطمه. فقال

الشيخ: (يا معسر بني فلان أأطم فيكم؟ لا سكنت في بلد لطمني فيه فلان أبدا، من بيتاع مني؟) فلما عرف القوم منه الجد أعطوه، فنظر إلى أفضلهم عطية فأوجب له البيع،

[٢٨٤]

فدعا بالمال، فنقده. وتحمل هو وبنوه من ليلته، وفي رواية: أن الثمن لما صار في يده قال: أي قوم إن العذاب قد أظلمكم، وزوال أمركم قد دنا فمن أراد منكم منزلا جديدا وجملا شديدا وسفرا بعيدا فليلق بعمان، ومن أراد منكم الخمر والخمير والديباج والحريز، والامر والتأشير فليلق ببصرى وسدير ومن أراد منكم الراسخات في الوحل المطاعم في المحل، المقيمات في الضحل فليلق بيثرب ذات النخل، فخرج أهل عمان إلى عمان، وخرجت غسان إلى بصرى، وخرجت الأوس والخزرج وبنو كعب بن عمرو إلى يثرب، فلما كانوا ببطن مر قال بنو كعب: هذا مكان صالح لا نبغي به بدلا، فلذلك سموا خزاعة لانهم انزعوا عن أصحابهم، وأقبلت الأوس والخزرج حتى نزلوا بيثرب). (ولما أراد الله ما أراد من تفريق من بقى وخراب بلادهم أقبلت فارة حمراء إلى هرة من تلك الهرة فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة، فدخلت الفارة في الفرجة التي كانت عندها فتغلغلت بالسد فحفرت فيه حتى وهنته للسيل وهم لا يدرون، فلما جاء السيل وجد خلاء فدخل فيه حتى قلع السد وفاض من الماء على الأموال فاحتملها، فلم يبق منها إلا ما ذكر الله تعالى). (ولما قدمت الأوس والخزرج المدينة تفرقوا في عالياتها وسافلتها ومنهم من نزل مع بني إسرائيل في قراهم ومنهم من نزل وحده لا مع بني إسرائيل ولا مع العرب الذين تألفوا إلى بني إسرائيل، وكانت الثروة في بني إسرائيل، ولهم قرى عمرو بها الاطام. فمكثت الأوس والخزرج ما شاء الله، ثم سألو اليهود في أن يعقدوا بينهم جوارا وحلفا يأمن به بعضهم من بعض، ويمتنعون به ممن سواهم، فتحالفوا وتعاقدوا واشتركوا وتعاملوا فلم يزالوا على ذلك زمنا طويلا، وأمرت الأوس والخزرج، وصار لهم مال وعدد، فخافت قريظة والنضير أن يغلبوهم على دورهم وأموالهم، فتنمروا لهم حتى قطعوا الحلف الذي كان بينهم فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم خائفين أن يجلبهم يهود، حتى نجم منهم مالك بن العجلان، أخو بني سالم بن عوف بن الخزرج وسوده الحيان الأوس والخزرج). (وكان ملك اليهود الفطيون شرط ألا تهدى عروس إلى زوجها حتى تدخل عليه، فلما سكن الأوس والخزرج المدينة أراد أن يسير فيهم بتلك السيرة. فتزوجت أخت مالك بن العجلان رجلا من بني سالم، فأرسل الفطيون رسولا في ذلك، وكان مالك غائبا، فخرجت أخته في طلبه، فمرت به في قوم، فنادته، فقال: لقد جئت بسية، تاديني ولا تستحي. فقالت: إن الذي يراد بي أكبر، فأخبرته. فقال لها: أكفيك ذلك. فقالت: وكيف؟ فقال: أتزيي بزى النساء وأدخل معك عليه بالسيف، فأقتله. ففعل. ثم خرج حتى قدم الشام على أبي جيلة،

[٢٨٥]

وكان نزلها حين نزلوا هم بالمدينة فجيش جيشا عظيما وأقبل كأنه يريد اليمن، واختفى معهم مالك بن العجلان، فجاء فنزل بذي حرض، وأرسل إلى أهل المدينة من الأوس والخزرج فأتوا إليه فوصلهم ثم أرسل إلى بني إسرائيل وقال: من أراد الحياء من الملك فليخرج إليه مخافة أن يتحصنوا في الحصون فلا يقدر عليهم فخرج إليه أشرافهم، فأمر لهم بطعام حتى اجتمعوا فقتلهم فصار الأوس والخزرج أعز أهل المدينة). تنبيه: في بيان غريب ما سبق (حفها): أحدف بها. (الزبدة) (١): بفتحيتين: الرغوة. (البطحاء): الأرض المتسعة. (مدره): جمعها

مدر، مثل قصبة وقصب قال الازهري: المدر قطع الطين. (المكتل)
(٢): بكسر الميم وسكون القاف وفتح المثناة الفوقية: الزنبيل.
(صعل): بصاد فعين مهملتين فلام. (فالج): بالجيم. (المسناة): حائط
يبنى في وجه الماء ويسمى السد. (العرم): جمع عرمة. (السكر):
يفتح السين المهملة وسكون الكاف: أي السد الذي يحبس الماء،
قال ابن الاعرابي: السيل الذي لا يطاق وقيل العرم الوادي وأصله من
العرامة وهي الشدة والقوة. (الضجل) (٣): بالضاد المعجمة والحاء
المهملة الساكنة: القليل من الماء وقيل الماء القريب: (الفطيون):
(يكسر الفاء وإسكان الطاء المهملة ثم مثناة تحتية مفتوحة وواو
ساكنة فنون. والفطيون هو الذي تملك بيثرب).

(١) انظر المفردات في غريب القرآن ٢١١. (٢) انظر اللسان ٥ / ٣٨٢٢. (٣) انظر
اللسان ٤ / ٢٥٥٩. (*)

[٢٨٦]

الباب الثاني في أسماء المدينة مرتبة على حروف المعجم الاول
فالاول مستقصاة لان كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى، فما
ذكره، الزركشي في الاعلام، وصاحب القاموس في غيره، والسيد
في تاريخه بلغ بها خمسة وتسعين اسما وهي: - (أثرب): بالفتح
وإسكان المثناة وكسر الراء فموحدة، لغة في يثرب، اسم من سكنها
أولا، سميت به أرض المدينة كلها عند أبي عبيدة أو هي فقط عند
ابن عباس أو ناحية منها. وعلى الثالث بإطلاقه على المدينة مع ذلك
صحيح ثابت إما وضعا لها أو من إطلاق اسم البعض على الكل أو
المشتهر من باب عكسه، وورد النهي عن تسميتها بذلك كما
سيأتي. - (أرض الله): لقوله تعالى: (ألم تكن أرض الله واسعة
فتهاجروا فيها) (النساء ٩٧) قال جماعة: المراد المدينة، وفي هذه
الاضافة من مزيد التعظيم ما لا يخفى. (أرض الهجرة): لحديث فيه
(المدينة قبة الاسلام). (أكالة البلدان): لتسلطها على جميع الامصار
وارتفاعها على سائر بلدان الاقطار وافتتاحها منها على أيدي أهلها
فغنموها وأكلوها. (أكالة القرى): لحديث (أمرت بقرية تأكل القرى)
(١). (الايمان): لقوله تعالى في الانصار. (والذين تبوأوا الدار والايمان
من قبلهم) (الحشر ٩) قال عثمان بن عبد الرحمن وعبد الله بن
جعفر: (سمى الله تعالى المدينة الدار والايمان)، رواه محمد بن
الحسن المخزومي عنهما. وابن شبة عن الثائي. وقال البيضاوي:
(سمى الله المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره). وعن أنس بن
مالك (أن ملك الايمان قال: (أنا أسكن المدينة)، فقال (ملك) الحياء:
(وأنا معك)، رواه الدينوري في كتابه المجالسة. - (البارة): بتشديد
الراء. - (البرة): بالتشديد أيضا لكثرة برها لاهلها خصوصا ولجميع
العالم عموما، لانها منبع الفيض والبركات. - (البحرة): بالفتح وسكون
المهملة. - (البحيرة): تصغير ما قبله.

(١) أخرجه البخاري (١٨٧١) ومسلم في كتاب الحج (٤٨٨) وأحمد في المسند ٢ /
٢٢٧ ومالك في الموطأ (٨٨٧). (*)

[٢٨٧]

- (البحيرة): بالفتح والكسر: نقل الزركشي الثلاثة في الاعلام عن
منتخب كراع، ونقل غيره الاولين عن معجم ياقوت، والاستبحار
السعة لانها بمتسع من الارض ولقول سعد بن عبادة: ولقد اصطلح

أهل هذه البحيرة - بالتصغير - على أن يعصوه بالعصاة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك، ويقال (البحر) أيضا بغير تاء، ساكن الحاء وأصله القرى وكل قرية بحرة. - (البلاط): بفتح الموحدة، نقل عن (كتاب: ليس) لابن خالويه وهو لغة الحجارة المفروشة (التي تفرش على الأرض، والأرض المفروش بها، والمستوية الملساء فكأنها) سميت به لكثرة فيها أو لاشتغالها على موضع تعرف به. - (البلد): قال تعالى: (لا أقسم بهذا البلد) (البلد ١): قيل: المدينة وقيل: مكة ورجحه القاضي، لكن السورة مكية والبلد لغة صدر القرى. قال الواسطي فيما نقله عن القاضي: (أي يحلف لك ربك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وبركتك ميتا)، يعني المدينة. - (بلد رسول الله) صلى الله عليه وسلم: روى البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الشياطين قد يئست، أن تعبد بيلدي)، هذا يعني المدينة وجزيرة العرب، (ولكن في التحريش بينهم) (١). - (بيت رسول الله) صلى الله عليه وسلم: قال تعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق): أي من المدينة لاختصاصها به اختصاص البيت بساكنه، أو المراد: بيته بها. - (تندد): بمثناة فوقية فنون وإهمال الدالين، كجعفر. - (تندر): براء بدل الدال الأخيرة مما قبله كما سيأتي في (يندر) بالتحنية. - (الجابرة): ذكر في حديث للمدينة عشرة أسماء، سميت بها لأنها تجبر الكسير وتغني الفقير وتجبر على الأذعان لمطالعة بركاتها وشهود آياتها ولأنها جبرت البلاد على الإسلام. - (جبار) كحزام رواه ابن شبة بدل الجابرة في حديثه المذكور. - (الجبارة): نقل عن التوراة. - (جزيرة العرب): لقول بعضهم إنها المرادة من الحديث: (أخرجوا المشركين من

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٣ / ٢٠٢ وعزاه للبزار وقال: فيه السكن بن هارون الباهلي ولم أجد من ترجمه. (*)

[٢٨٨]

جزيرة العرب)، وفي حديث ابن عباس: (خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة فالتفت إليها وقال: (إن الله برأ هذه الجزيرة من الشرك)، رواه أبو يعلى والبزار والطبراني. - (الجنة الحصينة): بضم الجيم وهي الوقاية، أخذنا من قوله صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد: (أنا في جنة حصينة) (١) - يعني المدينة - ((دعوهم يدخلون نقاتلهم)). - (الحبيبة): لحيه صلى الله عليه وسلم لها ودعائه لها. - (الحرم): بالفتح (بمعنى الحرام لتحريمها، وفي الحديث: (المدينة حرم) (٢)، وفي رواية أنها: (حرم آمن). - (حرم رسول الله): صلى الله عليه وسلم لانه الذي حرمها، وفي الحديث: (من أخاف أهل حرمي أخافه الله)، وفي حديث آخر: حرم إبراهيم مكة وحرمي المدينة)، رواه الطبراني. - (حسنة): بلفظ مقابل السيئة، وقال تعالى: (لنبؤنهم في الدنيا حسنة) (النحل ٤١) أي مائة حسنة وهي المدينة، وقيل: هو اسمها لاشتغالها على الحسن الحسي والمعنوي، نقله الامام فخر الدين الرازي. - (الخيرة): بالتشديد. - (الخيرة) بالتخفيف تقول: امرأة خيرة وخيرة بمعنى كثيرة الخير، وإذا أردت التفضيل قلت: فلان خير الناس، وفي الحديث: (والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون). - (الدار): لقوله تعالى: (والذين تبوأوا الدار والايمان) على ما سبق في الايمان سميت به لامنها والاستقرار بها وجمعها البناء والعرضة. - (دار الابرار). - (دار المختار): لأنها دار المصطفى المختار والمهاجرين والانصار، ولأنها تنفي شرارها، ومن أقام بها منهم فليست في الحقيقة له بدار، وربما نقل منها بعد الاقبار. (دار الايمان): روى الطبراني بسند لا بأس به عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المدينة قبة الاسلام ودار الايمان وأرض الهجرة ومبوء الحلال

والحرام)، وروى الشيخان عن أبي هريرة، والبخاري عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الأيمان ليأرز إلى المدينة كما تآرز الحية إلى جحرها)، تآرز بفتح أوله وسكون الهمزة وكسر الراء - وقد تضم

(١) ذكره السيوطي في الدر ٢ / ٩٤ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير. (٢) أخرجه البخاري ٣ / ٤٩ (١٨٦٧). (*)

[٢٨٩]

بعدها زاي، أي أنها كما تخرج في طلب ما تعيش به فإذا راعها شئ رجعت إلى جحرها كذلك الأيمان انتشر في المدينة، فكل مؤمن، له من نفسه شائق إلى المدينة لمحبه في النبي صلى الله عليه وسلم. - (دار السنة). - (دار السلامة). - (دار الفتح): ففي الصحيح قول عبد الرحمن بن عوف لعمر رضي الله عنهما: (حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة) - وفي رواية الكشميهني أحد رواة البخاري - (والسلامة، وقد فتحت منها مكة وسائر الامصار وإليها هجرة المختار ومنها انتشرت السنة في الاقطار. - (الدرع الحصينة): لحديث أحمد برجال الصحيح: (رأيت كاني في درع حصينة، فأولت الدرع الحصينة المدينة). - (ذات الحجر): بضم الحاء المهملة وفتح الجيم لاشتمالها عليها. - (ذات الحرار): بكسر الحاء وراءين مهملات، جمع حرة بفتح الحاء وهي الحجارة السود لكثرتها بها. - (ذات النخل): لوصفها بذلك / ولما قبله في خبر خنافر مع رثيه، وفي سجع عمران بن عامر: فليلحق بيثرب ذات النخل، وفي الحديث: (أريت دار هجرتي ذات نخل وحره). - (السليقة) (١): ذكره أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الافشهرى في أسمائها المنقولة عن التوراة، وهو محتمل، والسليقة بفتح اللام وكسرها إذا السلق بالتحريك القاع الصفص والصلاق البليغ، وربما قيل للمرأة السليطة سليقة بالكسر، وسلقت البيض سلقا أغليته بالنار. فسميت المدينة به لاتساعها وتباعد جبالها أو لتسلطها على البلاد فتحا أو للاوائها وشدة حرها وما كان بها من الحمى. - (الشافية): لحديث، (ترابها شفاء من كل داء)، ولما صح في غبارها. وذكر ابن مسدي: الاستشفاء من الحمى بكتابة أسمائها وتعليقها على المحموم، وسيأتي أنها تنفي الذنوب فتشفي من دائها.

(١) الشليق: الواسع من الطرق والقاع المطمئن من الارض المستوي لا نبات فيه والجمع أسلاق وسلفان. انظر المعجم الوسيط ١ / ٤٤٧. (*)

[٢٩٠]

- (طابة): كشامة، روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله تعالى سمى المدينة طابة) (١). - (طبية): بسكون المثناة التحتية كهية وعيبة. - (طبية): بتشديد المثناة التحتية. - (طائب): ككاتب، وهذه الاربعة مع اسمها المطيية أخوات لفظا ومعنى، مختلفات صيغة ومبنى. وفي الحديث: (للمدينة عشرة أسماء هي المدينة وطبية وطابة). وعن وهب بن منبه: (إن اسمها في كتاب الله - يعني التوراة - طبية وطابة). ونقل عن التوراة أيضا تسميتها بالطبية وكذلك المطيية. وتسميتها بهذه الاسماء إما من الطيب بتشديد المثناة وهو الطاهر لطهارتها من أدناس الشرك، أو لحلول الطيب بها صلى الله عليه وسلم، أو لكونها

كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها. قال الاشيبلي: (لتربة المدينة نفحة ليس طيبها كما عهد من الطيب بل هو أعجب من الاعاجيب). قال بعض أهل العلم: (وفي طيب ترابها وهوائها دليل شاهد على صحة هذه التسمية، لان من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها). - (طبابا): ذكره ياقوت وهو بكسر المهملة يعني القطعة المستطيلة من الارض أو يفتح المعجمة طبابا من طب، وظيفب إذا حم لما كان بها من الحمى. (ا لعاصمة): لعصمتها للمهاجرين من المشركين ولانها الدرع الحصينة، أو هي بمعنى المعصومة فلا يدخلها الدجال ولا الطاعون ومن أرادها بسوء أذابه الله. - (العدراء): بالمهملة فالمعجمة، نقل عن التوراة لصعوبتها وامتناعها على الاعداء حتى تسلمها مالكةا الحقيقي سيد الانام صلى الله عليه وسلم. - (العراء): بإهمال أوله وثانيه، قال أئمة اللغة: العراء الجارية العدراء كأنها شبهت بالناقاة العراء التي لا سنام لها أو صغر سنامها كصغر نهد العدراء فيجوز أن تكون تسمية المدينة بذلك لعدم ارتفاع أبنيتها في السماء. - (العروض): بعين مهملة فراء فواو فصاد معجمة كصبور وقيل: هو اسم لها ولما حولها لانخفاض مواضع منها ومسائل أودية فيها، أو لانها من نجد على خط مستقيم طولاً، والمدينة معترضة عنها ناحية. - (الغراء): بالغين المعجمة تأنيث الاغر ذي الغرة والبياض في مقدم الوجه والغرة أيضا خيار كل شئ وغرة الانسان وجهه والاجر الابيض من كل شئ، والذي أخذت اللحية جميع

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج (٤٩١) وأحمد في المسند ٥ / ٩٤ وابن أبي شيبه في المصنف ١٣ / ١٧٩. (*)

[٢٩١]

وجهه إلا القليل، والرجل الكريم، واليوم الشديد الحر. والغراء نبت طيب الرائحة، والسيدة الكبيرة. فسميت المدينة بذلك لانها سادت على القرى، وطاب ريحها في الورى، وأكرم أهلها وكثر غرسها وابيض نورها وسطع ضياؤها. - (غلبة): محركة بمعنى الغلب لظهورها على البلاد، وكانت في الجاهلية تدعى (غلبة): نزلت يهود بها على العماليق فغلبتهم عليها، ونزلت الاوس والخزرج على يهود فغلبوهم عليها، ونزل المهاجرون على الاوس والخزرج فغلبوهم عليها، ونزل الاعاجم على المهاجرين فغلبوهم عليها. - (الفاضحة): بالفاء وضاد معجمة وجاء مهملة، نقل عن كراع: إذ لا يضر بها أحد عقيدة فاسدة أو يبطن أمرا إلا ظهر عليه وافتضح به، وهو معنى كونها تنفي خبثها. - (القاصمة): بقاف وضاد مهملة. نقل عن التوراة لقصمها كل جبار عنها وكسر كل متمرد أتاها، ومن أرادها بسوء أذابه الله. - (قبة الاسلام): لحديث (المدينة قبة الاسلام). - (قرية الانصار): وتقدم الكلام على الانصار. - (قرية رسول الله) صلى الله عليه وسلم، لحديث الطبراني رجال ثقات: (ثم يسير - يعني الدجال - حتى يأتي المدينة ولا يؤذن له فيها فيقول: هذه قرية ذاك الرجل)، يعني النبي صلى الله عليه وسلم. - (قلب الايمان): أورده ابن الجوزي في حديث: (المدينة قبة الاسلام). - (المؤمنة): لتصدقها بالله تعالى حقيقة لخلقها قابلية ذلك فيها كما في تسبيح الحصى، أو مجازا لاتصاف أهلها بالايمان وانتشاره منها واشتمالها على أوصاف المؤمن أو لادخالها أهلها في الامن من الاعداء والطاعون والدجال. وقد روي في حديث: (والذي نفسي بيده إن تربتها لمؤمنة)، وروي في آخر: (إنها لمكتوبة في التوراة مؤمنة). - (المباركة): لان الله تعالى بارك فيها بدعائه صلى الله عليه وسلم وحلوله بها. - (مبوا الحلال والحرام): رواه الطبراني في حديث: (المدينة قبة الاسلام) (١)، والتبوء التمكّن والاستقرار، سميت به لانها محل تمكّن هذين

الحكمين واستقرارهما. - (مبين الحلال والحرام): رواه ابن الجوزي وغيره بدل الذي قبله في الحديث المتقدم لأنها محل بيانها.

(١) ذكره الهيثمي في الجمع ٣ / ٢٠١ وعزاه للطبراني في الاوسط وقال: فيه عيسى بن مينا قالون وحديثه حسن وبقية رجاله ثقات وذكره المتقي الهندي في الكنز (٢). (٣٤٨). (*)

[٢٩٢]

- (المجبورة): ذكر في الحديث: (للمدينة عشرة أسماء)، ونقل عن الكتب المتقدمة، سميت به لجبرها بخلاصة الوجود حيا ومينا لحنه على سكنها، بعد نقل حماها وتكرر دعائه لها. - (المحبة): بضم الميم وبالهاء المهملة وتشديد الموحدة، نقل عن الكتب المتقدمة. - (المحبة): بزيادة موحدة على ما قبله. - (المحوبة): نقل عن الكتب المتقدمة أيضا، وهذه ثلاثة مع ما تقدم من اسمها الحبيبة من مادة واحدة، وحبه صلى الله عليه وسلم لها ودعاؤه به معلوم، وحبه تابع لحب ربه. - (المحبورة): من الحبر وهو السرور أو من الحبرة بمعنى النعمة أو المبالغة فيما وصف بجميل، والمحبار من الأرض السريعة النبات الكثيرة الخيرات. - (المحرمة): لتحريمها. - (المحروسة): لحديث: (المدينة مشتبكة بالملائكة على كل نقب منها ملك يحرسها)، رواه الجندي. - (المحفوظة): لأنها حفت بالبركات وملائكة السموات، وفي خبر: (تأتي مكة والمدينة محفوظتان بالملائكة) (١). - (المحفوظة): لحفظها من الطاعون والدجال وغيرهما، وفي خبر: (القرى المحفوظة أربع)، وذكر المدينة منها. - (المختارة): لأن الله تعالى اختارها للمختار من خلقه في حياته ومماته. - (مدخل صدق): قال الله تعالى: (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) (الاسراء: ٨٠) فمدخل صدق المدينة كما تقدم. - (المدينة): لتكرره في القرآن ونقل عن التوراة، والمدينة من مدن بالمكان أقام به، أو من دان إذا أطاع، إذ يطاع السلطان بالمدينة لسكنها بها، وهي أبيات كثيرة تجاوز حد القرى ولم تبلغ حد الامصار، وقيل: يقال لكل مصر، وتطلق على أماكن كثيرة، ومع ذلك فهو علم للمدينة النبوية، بحيث إذا أطلق لا يتبادر الفهم إلى غيرها، ولا يستعمل فيها إلا المعرفة، أما

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٢ / ٢١٢ بلفظ (المدينة ومكة محفوظتان بالملائكة وعزاه لاحمد وقال: رجاله ثقات. والحديث أخرجه أحمد ٢ / ٤٨٢ والبخاري في التاريخ ٦ / ١٨٠). (*)

[٢٩٣]

النكرة فاسم لكل مدينة، ونسبوا لكل مديني، وللمدينة النبوية مدني للفرق. - (مدينة رسول الله): صلى الله عليه وسلم، لقوله في حديث الطبراني: (من أحدث في مدينتي هذه حدثا أو أوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا) (١)، فأضافها إليه لسكنها بها، وله ولخلفائه دانت الامم. - (المرحومة): نقل عن التوراة، سميت به لأنها دار المبعوث رحمة للعالمين وبها تنزل الرحمات. - (المرزوقة): لأن الله تعالى رزقها أفضل الخلق فسكنها أو المرزوق أهلها، ففي الحديث: (لا يخرج أحد منها إلا أبدلها الله خيرا منه). - (مسجد الاقصى): نقله ابن الملقن في الاشارات عن صاحب المطالع. - (المسكينة): نقل عن التوراة،

وذكر في حديث: (للمدينة عشرة أسماء)، وروى الزبير بن بكار عن كعب الاحبار قال: (نجد في كتاب الله تعالى الذي أنزل على موسى أن الله قال للمدينة: (يا طيبة يا طابة يا مسكينة لا تقبلي الكنوز أرفع أجابرك على أجابير القرى)، والأجابير السطوح، والمسكنة الخضوع، والخشوع خلقه الله فيها، أو هي مسكن الخاشعين والخاضعين. - (المسلمة): كالمؤمنة لخلق الله تعالى فيها الانقياد والانقطاع له أو لانقياد أهلها وفتح بلادهم بالقرآن. - (مضجع رسول الله): صلى الله عليه وسلم كما في الحديث: (المدينة مهاجري ومضجعي في الارض). - (المطبية): بضم أوله وفتح ثانيه تقدم في طيبة. - (المقدسة): لتنزهها عن الشرك وكونها تنفي الذنوب. - (المقر): بالقاف كالممر من القرار، نقله السيد من بعض كتب اللغة، وفي دعائه صلى الله عليه وسلم لها قوله: (اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا). - (المكتان): قال سعد بن أبي السرح في حصار عثمان رضي الله عنه: (وأنصارنا بالمكتين قليل)، وقال نصر بن حجاج بعد نفيه من المدينة: فأصبحت منغيا على غير ريبة * وقد كان لي بالمكتين مقام

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٣ / ٣١٠ عن أبي أمامة بن ثعلبة وقال: له في الصحيح حديث في اليمين غير هذا رواه الطبراني في الاوسط. (*)

[٢٩٤]

قال السيد: (والظاهر أن المراد المدينة لان قصة عثمان ونصر بن حجاج كانتا بها وأطلق ذلك عليها لانتقال أهل مكة أو غالبهم إليها وانضمامهم إلى أهلها). أو أنه من قبيل التغليب والمراد مكة والمدينة. - (المكينة): لتمكنها في المكانة والمنزلة عند الله تعالى. - (مهاجر رسول الله): صلى الله عليه وسلم لقوله (المدينة مهاجري). - (الموفية): بتشديد الفاء وتخفيفها لتوفيتها الوافدين حسا ومعنى وأهلها الموفون بما عاهدوا الله عليه. - (الناحية): بالجيم لنجاتها من العتاة والطاعون والدجال أو لاسراعها في الخيرات فحازت أشرف المخلوقات ولارتفاع شأنها. - (نبلاء): نقل من كراع، قال السيد: وأظنه بفتح النون وسكون الموحدة مأخوذ من النبل بالضم والسكون وهو الفضل والنجابة. - (النحر): بفتح النون وسكون الحاء المهملة، سميت به إما لشدة حرها كما يقال نحر الظهيرة وإما لاطلاق النحر على الاصل وهما أساس بلاد الاسلام. - (الهدراء): ذكره ابن النجار بدل العذراء نقلا عن التوراة، روي بالذال المعجمة وذلك لشدة حرها، يقال: يوم هادر شديد الحر، أو لكثرة مياهها وأصوات سوانبها، ويقال هذر في كلامه إذا أكثر، ويحتمل أن يكون بالمهملة من هدر الحمام إذا صوت، والماء ا نصب وإنهمر والعشب طال، وأرض هادرة: كثيرة النبات. - (يثرّب): لغة في أثرب وقد تقدم الكلام عليه فيه، وستأتي أحاديث النهي عن تسميتها بذلك. - (يندد): بدالين مهملتين ذكره كراع وهو إما من الند وهو الطيب المعروف أو الند التل المرتفع أو من الناد وهو الرزق. - (يندر): كحيدر براء بدل الدال الثانية مما قبله، كذا في حديث: (للمدينة عشرة أسماء) في بعض الكتب، وفي بعضها الآخر بمثناة فوقية ودالين تندد، وفي بعضها كذلك بفوقية ودال وراء تندر، وصوب المجد اللغوي (يندد) فقط بالتحية ودالين، وفيه نظر. والحديث رواه ابن زبالة إلا أنه سردها تسعة، ورواه ابن شبة وسردها ثمانية فحذف منه الدار، ثم روي من طريقه أيضا عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب تسميتها بالدار والايمان ثم قال: ((وجاء في الحديث الاول ثمانية أسماء وجاء في هذا الحديث اسمان) فالله أعلم أهما تمام

العشرة أم لا). ورواه ابن زبالة كذلك إلا أنه سرد تسعة فزاد اسم (الدار) وأسقط العاشر، ونقل ابن زبالة أن عبد العزيز بن محمد الدراوردي قال: بلغني أن للمدينة في التوراة أربعين اسماً، انتهى ما ذكره السيد رحمه الله مع زيادات فيه. وروى الزبير بن بكار عن القاسم بن محمد قال: بلغني أن للمدينة أربعين اسماً. وروى أيضاً عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (للمدينة عشرة أسماء هي: المدينة وطيبة وطابة ومسكينة وجابرة ومجبورة ويندد ويثرب والدار). وروى أيضاً عن إبراهيم بن الحسن قال، (للمدينة في التوراة أحد عشر اسماً: المدينة وطيبة وطابة والمسكينة والجابرة والمجبورة والمرحومة والعذراء والمحبوطة والقاصمة).

الباب الثالث في النهي عن تسميتها يثرب روى الامام أحمد ومالك والشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمرت بقبرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبيث الحديد) (١). وروى الامام أحمد وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند جيد عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله: هي طابة من طابة هي طابة) (٢). وروى ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تدعوها يثرب فإنها طيبة) (٣)، يعني المدينة، (ومن قال يثرب فليستغفر الله ثلاث مرات، هي طيبة هي طيبة هي طيبة). وقال الامام عيسى بن دينار (٤) أحد أئمة المالكية: (من سمى المدينة يثرب كتب عليه خطيئة، وبذلك جزم الامام العلامة الشيخ كمال الدميري (٥) في منظومته في كتاب الحج حيث قال: ومن دعاها يثرباً يستغفر * فقله خطيئة لتنظر وسبب الكراهة إما لكون ذلك مأخوذاً من الثرب بالتحريك وهو الفساد، أو من التثريب وهو المؤاخذة بالذنب. وكان صلى الله عليه وسلم يحب الاسم الحسن، ولهذا أسماها طابة وطيبة كما تقدم. وأما تسميتها في القرآن يثرب فذلك حكاية عن قول المنافقين، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (فذهب وهلي إلي اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب)، وقوله في حديث آخر: (لا أراها إلا يثرب)، فذلك قبل النهي عن تسميتها بذلك.

(١) أخرجه البخاري ٣ / ٥٠ (١٨٧١) ومسلم في كتاب الحج (٤٨٨) وأحمد في المسند ٢ / ٢٣٧. (٢) أخرجه أحمد في المسند ٤ / ٢٨٥ وذكره الهيثمي في المجمع ٣ / ٣٠٣ وعزاه لآحمد وابن أبي يعلى وقال: ورجاله ثقات وذكره السيوطي في الدر ٥ / ١٨٨ وعزاه لآحمد وابن أبي حاتم وابن مردويه. (٣) ذكره السيوطي في الدر ٥ / ١٨٨ وعزاه لابن مردويه. (٤) عيسى بن دينار بن واقد الغافقي، أبو عبد الله: فقيه الاندلس في عصره، وأحد علمائها المشهورين. أصله من طليطلة، سكن قرطبة، وقام برحله في طلب الحديث. وعاد، فكانت الفتيا تدور عليه بالاندلس لا يتقدمه أحد. وكان ورعاً عابداً. توفي ٢١٣ هـ الاعلام ٥ / ١٠٢. (٥) محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين: باحث، أديب، من فقهاء الشافعية. من أهل دميرة (بمصر) ولد ونشأ وتوفي سنة ٨٠٨ هـ بالقاهرة. وكانت له في الأزهر حلقة خاصة، وأقام مدة بمكة والمدينة. من كتبه (حياة الحيوان، و (حاوي الحسان من حياة ا لحيوان) و (الديباجة) في شرح كتاب ابن ماجة، في الحديث، و (النجم الوهاج) الاعلام ١١٨ / ٧ (*).

الباب الرابع في محبته صلى الله عليه وسلم لها ودعائه لها ولاهلهما ورفع الوباء عنها بدعائه صلى الله عليه وسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جدر المدينة، وفي لفظ: دوحاتها، وفي لفظ: درحاتها رح رداءه عن منكبيه وقال: (هذه أرواح طيبة)، وأوضع راحلته، وإن كان على دابة حركها من حبه، وفي لفظ: (تباشرا بالمدينة) وقال: (اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا) (١). رواه الشيخان والمحاملي ومحمد بن الحسن المخزومي. وروى الامام أحمد والشيخان وابن إسحاق واللفظ له عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، وكان واديا يجري نجلا - يعني ماء أجنا - فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، وصرف الله ذلك عن نبيه). قالت: (فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر في بيت واحد، فأصابتهم الحمى، فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم، فأذن، فدخلت إليهم أعودهم، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك، فدنوت من أبي بكر فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ فقال: كل امرئ مصيح في أهله * والموت أدنى من شرك نعله (٢) قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول، ثم دنوت من عامر بن فهيرة فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال: لقد وجدت الموت قبل ذوقه * إن الجبان حتفه من فوقه كل امرئ مجاهد بطوقه * كالثور يحمي جلده بروقه (٣) قالت: فقلت: والله ما يدري عامر ما يقول. قالت: وكان بلال إذا أفلح عنه الحمى اضطجع بقاء البيت ثم يرفع عقيرته ويقول: ألا ليت شعري هل أبيت ليلة * بواد وحولي اذخر وجليل وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل بيدون لي شامة وطفيل قالت: (٤) فذكرت ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما سمعته منهم. قلت. إنهم ليهذون وما

(١) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٢٨١٥٧). (٢) انظر البداية والنهاية ٣ / ٢٢١. (٣) انظر البداية والنهاية ٣ / ٢٢٢. (٤) انظر البداية والنهاية ٣ / ٢٢١. (*)

[٢٩٨]

يعقلون من شدة الحمى، فنظر إلى السماء وقال: (اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة) - وفي لفظ للجندي ورزين (وأشد)، بالواو بدلا من (أو) - (وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها، ثم انقل وباءها إلى مهيعة (١) - وهي الجحفة)، وأنه ليتقي شرب الماء من عينها التي يقال لها عين خم. وروى البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه ومحمد بن الحسن المخزومي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت امرأة سوداء تائرة الرأس، خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة، فأولتها أن وباء المدينة نقل إلى مهيعة. وروى الزبير بن بكار عن عروة بن الزبير مرسلًا قال: (أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما، فجاء إنسان قدم من ناحية طريق مكة، فقال له: (هل لقيت أحدا)؟ قال: لا يا رسول الله إلا امرأة سوداء عريانة تائرة الشعر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تلك الحمى ولن تعود بعد اليوم أبدا). وروى أيضا عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أصحابه، وقدم رجل فتزوج امرأة كانت مهاجرة، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال: يا أيها الناس (إنما الاعمال بالنيات) - ثلاثا - (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يطلبها أو امرأة يخطبها فإنما هجرته إلى ما هاجر إليه) (٢)، ثم رفع يديه وقال: (اللهم انقل عنا الوباء) - ثلاثا - فلما أصبح قال: أتيت الليلة بالحمى فإذا عجوز سوداء ملبية في يدي الذي جاء بها فقال: هذه الحمى فما ترى فيها؟ فقلت: (اجعلوها

بخم). وروى البيهقي عن هشام بن عروة قال: كان وباء المدينة معروفا في الجاهلية، وكان إذا كان الوادي وبيئا فأشرف عليه إنسان فقيل له: انهق نهيق الحمار، فإذا فعل ذلك لم يضره، قال الشاعر: لعمرى لئن عشت من خشية الردى * نهيق الحمار إنني لجزوع قال هشام: وكان المولود إذا ولد بالجحفة لم يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى. وقال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهري عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهدوا مرضا، وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم حتى ما كانوا يصلون إلا وهم قعود، قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلون كذلك فقال لهم: (اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم) (٣)، فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماسا للفضل.

(١) أخرجه البخاري ٧ / ٣٠٨ (٣٩٣٦). (٢) أخرجه البخاري ١ / ٩ (١) ومسلم ٣ / ١٥١٥ (١٥٥ - ١٩٠٧). (٣) أخرجه البخاري بنحوه ٢ / ٦٨٠ (١١١٥) وانظر البداية والنهاية ٣ / ٢٢٤ (*).

[٢٩٩]

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة) (١)، رواه الشيخان. وعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن إبراهيم حرم مكة وإنني حرمت المدينة ودعوت لها في مداها وضاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة)، - حديث متفق عليه - وعن عبد الله بن الفضل بن العباس رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أدعوك لاهل المدينة بمثل مكة)، قال عبد الله: إنا لتعرف ذلك، إنا يجزئ المد عندنا والصاع بمثلي ما يجزئ بمكة، رواه البخاري في تاريخه. وروى الزبير بن بكار عن إسماعيل بن النعمان قال: (دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لغنم كانت ترعى بالمدينة فقال: (اللهم اجعل نصف أكراشها مثل ميلها بغيرها من البلاد). وعن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم إن إبراهيم عبدك وخليك دعا لاهل مكة بالبركة وأنا محمد عبدك ورسولك وأنا أدعو لاهل المدينة أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم مثلما باركت لاهل مكة واجعل مع البركة بركتين) (٢)، رواه الترمذي وصححه والطبراني برجال الصحيح. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤوا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا أخذه رسول الله - زاد الطبراني: وضعه على عينيه - قال: (اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليك ونبيك وإنه دعاك لمكة، وإنني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه). قال ثم يدعو أصغر وليد فيعطيه ذلك الثمر (٣). رواه مسلم والترمذي والطبراني. تنبيهات الأول: اقتضى هذا الحديث تكرير الدعاء بتكرير ظهور الثمرة والأتیان بأولها. الثاني: تكرير دعائه صلى الله عليه وسلم بتحببه المدينة، والظاهر أن الاجابة حصلت بالاول والتكرير لطلب المزيد. الثالث: الوباء عموم الامراض، وهو أعم من الطاعون، ولا يعارض قدومهم المدينة - وهي وبيئة - نبيه صلى الله عليه وسلم عن القدوم على الطاعون، لان ذلك كان قبل النهي، أو أن النهي يختص بالطاعون ونحوه من الموت الذريع، لا المرض ولو عم. الرابع: هذه البركة المذكورة في الحديث في أمر الدين والدنيا، لانها النماء والزيادة.

(١) أخرجه البخاري ٢ / ٢٩ (دار الفكر) ومسلم (٩٩٤). ذكره الهيثمي في المجمع ٢ / ٣٠٨ وعزاه للطبراني في الاوسط وقال: ورجاله رجال الصحيح. (٢) أخرجه مسلم ٢ / ١٠٠٠ (٤٧٣ - ١٣٧٣) وأخرجه الترمذي ٥ / ٤٧٣ (٢٤٥٤). (*)

[٢٠٠]

فالبركة حاصلة لها في نفس الكيل، بحيث يكفي المد بها من لا يكفيه بغيرها، وهذا أمر محسوس لمن سكنها. الخامس: تحويل الوباء عن المدينة من أعظم المعجزات إذ لا يقدر عليه جميع الأطباء، قال النووي: وهذا علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم، فإن الجحفة من يومئذ وبيئة ولا يشرب أحد من مائها إلا حم، وقال الخطابي: كان أهل الجحفة إذ ذاك يهودا. السادس: في بيان غريب ما سبق: (الجد): جمع جدار ككتاب وكتب، والجدار الحائط. (الدوحات) (١): بالذال والحاء المهملتين: جمع دوحه مثل تمره وتمرات، والدوحه الشجرة العظيمة. (الدرجات): جمع درجة وهي هنا الطرق. (الأرواح): جمع ربح بمعنى رائحة وهي عرض يدرك بحاسة الشم. (أوضح راحلته) (٢): أوضع بالضاد المعجمة والعين المهملة، أي حثها على السرعة. (القرار): بالقاف: المستقر من الأرض. (بطحان): بضم الموحدة فسكون الطاء المهملة وقيل بفتح أوله وكسر ثانيه: وإد من أودية المدينة. روى ابن شبة واليزار عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا أن بطحان على ترعة من ترع الجنة. (نجلا) (٣): بفتح النون وسكون الجيم أي أن واديهما كان نزا. قال: النجل: الماء حين يسيل، وفسره البخاري ماء آجنا. قال القاضي: (وهو خطأ)، وقال الحافظ: (وليس كما قال فإن عائشة قالت ذلك في مقام التعليل لكون المدينة كانت وبيئة، ولا شك أن النجل إذا فسر بكونه الماء الحاصل من النز، فهو يصد أن يتغير، وإذا تغير كان استعماله مما يحدث الوباء في العادة). (وعك): الوعك بفتح الواو وسكون العين المهملة الحمى.

(١) الدوح: البيت لضخم الكبير من الشجر، والدوحه: الشجرة العظيمة المتشعبة ذات الفروع الممتدة من شجرها الوسيط ١ / ٢٠٢. (٢) أوضع بين القوم: أمسد، وأوضع في الشرا سرعة فيه، وأوضع الراكب الدابة: حملها على السير السريع. الوسيط ٢ / ١٠٣٩. (٣) النجل: الماء السائل، والنجل: الماء استنقع والولد والنز والجمع الكثير من الناس والمحجة الواضحة، ويقال: استنجل الموضوع: أي كثر به النجل وهو الماء يظهر من الأرض. انظر اللسان ٦ / ٤٣٥٦. (*)

[٢٠١]

(كيف تجدك): أي تجد نفسك أو جسديك (مصبح): بميم مضمومة وضاد مهملة فموحدة، وزن محمد، أي مصاب بالموت صباحا، وقيل: المراد يقال صبحك الله بالخير، وقد يفجأه الموت في بقية النهار وهو مقيم بأهله، ويروى بالخاء المعجمة وهو أيضا مكان بمكة. (شراك النعل): بكسر الشين المعجمة وتخفيف الراء: السير الذي يكون في وجه النعل، والمعنى أن الموت أقرب إلى الشخص من شراك نعله برجله. (بطوقه) (١): الطوق هنا الطاقة والعدة. (الروق) بالراء والقاف: القرن. (عقيرته): أي صوته، قال الاصمعي: إن رجلا عفرت رجله فرفعها على الأخرى وجعل يصيح فصار كل من رفع صوته يقال رفع عقيرته وإن لم يرفع رجله، قال ثعلب: وهذا من الأسماء التي استعملت على غير أصلها. (بواد): أي بوادي مكة. (الأذخر) (٢): بكسر الهمزة والخاء المعجمة بينهما ذال معجمة: نبت طيب الرائحة. (جليل): بالجيم واللام: والثمام بضم التاء المثلثة: نبت ضعيف له خوص أو ما يشبهه. (مجنة): بكسر الميم وفتحها: سوق بأسفل مكة. (يبدون): أي يظهرن. (شامة): بالشين المعجمة (وطفيل) بطاء

مهملة مفتوحة وفاء مكسورة فمثناة تحتية: جيلان. قال البكري: جيلان مشرفان على مجنة على بريد من مكة. (يهذون): بالذال المعجمة: يخلطون ويتكلمون بما لا ينبغي. (مهيعة) (٣): بفتح الميم وسكون الهاء وفتح المثناة التحتية والعين المهملة. (الجحفة): بجيم مضمومة فحاء مهملة ساكنة ففاء مفتوحة: قرية جامعة لان السيول اجتحفتها.

(١) يقال: هو في طوقى أي في وسعي قال الليث: الطوق مصدر من الطاقة وأنشد كل امرئ مجاهد بطوقه والثور يحمي أنفه بروقه اللسان ٤ / ٢٧٢٥. (٢) انظر اللسان ٢ / ١٤٩٠. (٣) انظر الوسيط ٢ / ١٠٠٣. (*)

[٢٠٢]

(ثائرة الرأس): بالمثلثة: منتشرة شعر الرأس. (ملبية) (١): بضم الميم وفتح اللام والموحدة الاولى المشددة وتخفيف الثانية، يقال: لببته بالتشديد إذا جمعت ثيابه عند نحره ثم جررته. (خم): بحاء معجمة مضمومة فميم مشددة: غدير على ثلاثة أميال من الجحفة يسرة عن الطريق. (جهدوا): بالضم مبني للمفعول: أي حصل لهم الجهد وهو بالفتح المشقة فتجسم المسلمون القيام أي تكلفوه. (التماس الفضل): أي طلبه. (الاكراش) (٢): جمع كرش بكسر الكاف يذكر ويؤنث وهو لذي الخف والظلف كالمعدة للانسان.

(١) انظر اللسان ٥ / ٣٩٨٢. (٢) انظر المصباح المنير ٥٣٠، ٥٣١. (*)

[٢٠٢]

الباب الخامس في عصمتها من الدجال والطاعون ببركته صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (على أنقاب المدينة ملائكة يحرسونها، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال) (١) رواه الشيخان. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس من نقب من أنقابها إلا عليه ملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق) (٢)، حديث متفق عليه. وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان) (٣)، رواه البخاري. وعن تميم الداري رضي الله عنه في حديثه الطويل في رؤية الدجال في اليقظة أن الدجال قال: يوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الارض، فلا أدع قرية إلا هبطتها. في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، هما محرمتان علي، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا، يصدني عنها، وأن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته في المنبر: (هذه طيبة، هذه طيبة) (٤)، رواه مسلم. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المدينة) يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله تعالى)، قوله: إن شاء الله تعالى للتبرك وللجزم به في بقية الاحاديث. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: (يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل أنقاب المدينة، فينزل بعض السباح التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو

من خير الناس فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه، فيقول الدجال: أرايتم إن قتلتم هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول: والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم، فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه (٥)، رواه البخاري. تنبيهات الاول: صح في أحاديث كثيرة أن الطاعون شهادة. قيل: وإذا كان كذلك فكيف قرن

(١) أخرجه البخاري ٣ / ٥٣ (١٨٨٠ - ٧١٣٣) ومسلم في كتاب الحج (٤٨٥). (٢) أخرجه البخاري ٣ / ٢٨ في كتاب الفتن (١٢٣). (٣) أخرجه البخاري ٣ / ٥٣ (١٨٧٩). (٤) تقدم. (٥) أخرجه البخاري ١٣ / ١٠٩ (٧١٣٣). (*)

[٢٠٤]

بالدجال، وكيف مدحت المدينة الشريفة بأنه لا يدخلها؟ والجواب أنه كونه شهادة ورحمة ليس المراد بوصف ذلك ذاته، وإنما المراد أن ذلك يترتب عليه وينشأ عنه، وأنه سببه، فإذا تقرر ذلك واستحضر ما ورد في الأحاديث من أن طعن الجن (٢) ظهر به مدح المدينة بأنه لا يدخلها إشارة إلى أن كفار الجن وشياطينهم ممنوعون من دخول المدينة الشريفة، ومن اتفق دخوله إليها منهم لا يتمكن من أحاد أهلها بالطعن حماية من الله تعالى لهم منهم. فإن قيل: طعن الجن لا يختص بوقوعه من كفارهم في مؤمني الأنس، بل يقع من مؤمني الجن في كفار الأنس، فإذا سلم منع الجن الكفار من المدينة لم يمنع من آمن منهم من دخولها فالجواب: إن دخول كفار الأنس المدينة غير مباح، فإنه إذا لم يسكن المدينة إلا من أظهر الإسلام، جرت عليه أحكام المسلمين، وصار من لم يكن خالص الإسلام تبعاً للخالص، فحصل الأمن من دخول الجنة إليهم، فلذلك لا يدخلها الطاعون أصلاً. قال الحافظ في بدل الطاعون في أخبار المدينة: وهذا الجواب أحسن من جواب القرطبي في المفهم حيث قال: (المعنى لا يدخلها من الطاعون مثل الذي في غيرها كطاعون عمواس (١) والجارف). وهو جواب صالح على تقدير التنزل أن لو وقع شئ من ذلك بها. وقال غيره: سبب الرحمة لم ينحصر في الطاعون وقد قال صلى الله عليه وسلم: (غير أن عافيتك أوسع لي)، فإن ذلك من خصائص المدينة الشريفة، ولوازم دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لها بالصحة. وأجاب المنبجي بأجوبة منها أنها صغيرة، فلو وقع بها الطاعون أفنى أهلها، ومنها أنه عوضهم عن الطاعون بالحمى لأن الطاعون يأتي بعد مدة والحمى تتكرر في كل مدة فتعادلاً. قال الحافظ: (ويظهر لي جواب أخص من هذه الأجوبة بعد استحضار حديث أبي عسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أتاني جبريل بالحمى والطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام)، الحديث، وهو أن لاحكمة في ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة كان في قلة من أصحابه عدداً ومدداً من زاد وغيره، وكانت المدينة وبيئة كما سبق، فناسب الحال الدعاء بتصحیح المدينة لتصح أجساد المقيمين لها ليقووا على جهاد الكفار، وخير النبي صلى الله عليه وسلم في أمرين، يحصل لمن أصاب كلا منهما عظيم الثواب، وهما الحمى والطاعون، فاختار الحمى بالمدينة لأن أمرها أخف من أمر الطاعون لسرعة الموت به غالباً. فلما أذن له في القتال كانت قضية استمرار الحمى ضعف الأجساد التي تحتاج إلى القوة في الجهاد، فدعا حينئذ بنقل الحمى إلى الجحفة فأجيب دعاؤه، وصارت المدينة من أصح بلاد الله، فإذا شاء الله موت أحد منهم، حصل له التي كانت من الطاعون بالقتل في

(١) عمواس رواه الزمخشري بكسر أوله، وكسر ثانيه. وغيره بفتح أوله وثانيه وسين مهملة آخره: كورة من فلسطين قرب بيت المقدس وكانت عمواس قصبها قديما، وهي ضيعة جلييلة على ستة أميال من بيت المقدس منها كان ابتداء الطاعون المنسوب إليها في زمن عمر، قيل مات فيه خمسة وعشرون ألفا. من مراد الاطلاع ٢ / ٩٦٢، ٩٦٣. (*)

[٢٠٥]

سبيل الله الذي هو أعلى درجة، ومن فاته ذلك منهم مات بالحمى التي هي حظ المؤمن من النار، كل يوم منها يكفر سنة. واستمر ذلك بالمدينة بعده صلى الله عليه وسلم تحقيقا لإجابة دعائه صلى الله عليه وسلم. نعم شاركتها في ذلك مكة المشرفة فلم يدخلها الطاعون فيما مضى من الزمان كما برويه ابن قتيبة في المعارف، ونقله جماعة من العلماء عنه وأقروه إلى زمان الإمام النووي رحمه الله. ذكر ذلك في كتاب الأذكار وغيره، لكن قد قيل أنه دخلها بعد ذلك في الطاعون العام الذي وقع في سنة تسع وسبعين وسبعمئة، صرح بذلك غير واحد من أهل ذلك الزمان. الثاني: منع الطاعون عن المدينة معجزة عظيمة لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا أن يدفعوا الطاعون عن بلد من البلاد بل عن قرية من القرى وقد امتنع الطاعون، عن المدينة بدعائه صلى الله عليه وسلم هذه المدة الطويلة. الثالث: ظاهر الأحاديث أن الدجال يدخل جميع البلاد، وبذلك قال الجمهور، وشذ ابن حزم فقال: " المراد أن يدخله بغتة هو وحنوده. وكأنه استبعد إمكان دخول الدجال جميع البلاد لقصر مدته، وغفل عما ثبت في صحيح مسلم أن بعض أيامه يكون قدر السنة. الرابع: في بيان غريب ما سبق: " الأنقاب ": بالقاف جمع نقب بفتح النون والقاف بعدها موحدة، والنقاب بالكسر جمع نقب بالسكون وهما بمعنى والمراد الطريق في الجبل وغيره. " السبخة ": بفتح السين المهملة والباء الموحدة والخاء المعجمة: موضع بالمدينة بين موضع الخندق وبين جبل سلع. " ترجف المدينة ": أي يحصل بها زلزلة بعد أخرى ثم ثالثة حتى يخرج منها من ليس مخلصا في إيمانه، ويبقى بها الدين الخالص فلا يسلط عليها الدجال، ولا يعارض هذا ما في حديث أبي بكر: " لا يدخل المدينة رعب الدجال " لأن المراد بالرعب ما يحدث من الفزع من ذكره، والخوف من عتوة، لا الرجفة التي تقع بالزلزلة لإخراج من ليس بمخلص. " صلنا ": أي مجردا من غمده. " المخصرة ": بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الصاد المهملة، وهي العصا أو نحوها، يأخذها الرجل بيده. " يوشك ": أي يقرب.

[٢٠٦]

الباب السادس في الحث على الإقامة والموت بها والصبر على لاوائها ونفيها الخبث والذنوب واتخاذ الاصول بها والنهي عن هدم بنيانها عن الصميتة - بصاد مهملة فميم مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة فهاء تانيث - الليثية رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من استطاع منكم ألا يموت إلا بالمدينة فليمت بها، فإن من يمت بها يشفع أو يشهد له) (١). رواه ابن حبان والبيهقي. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنني أشفع لمن يموت بها) (٢). رواه الامام أحمد والترمذي وصححه ابن حبان. وعن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يفتح اليمن فيخرج قوم من المدينة بأهلهم ومن أطاعهم يبسون، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ويفتح العراق، فيخرج قوم بأهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) (٣). رواه الشيخان.

وروى الامام أحمد والبخاري برجال الصحيح عن جابر بن عبد الله، ومسلم عن أبي هريرة، والطبراني برجال ثقات عن أبي أيوب وزيد بن ثابت، والطبراني برجال ثقات عن أبي أسيد الساعدي (٤) رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سيأتي على الناس زمان يفتح فيه فتحات الارض فيخرج إليها دجال - وفي لفظ: فيخرج الناس إلى الارياف يلتمسون الرخاء، فيجدون رخاء، وفي لفظ: مطعما وملبسا ومركبا، فيقال لهم: هلم إلينا فإنكم بأرض حجاز جدوبة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وفي لفظ: فيكتبون إلى أهلهم هلموا إلينا، فإنكم بأرض حجاز جدوبة، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وفي لفظ: فمiron على إخوان لهم حجاجا أو عمارا، فيقولون: ما يقيمكم في لواء العيش وشدة الجوع؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فذاهب وقاعد، حتى قالها مرارا والمدينة يخر لهم، لا يثبت فيها أحد فيثبت للأوائها وشدتها حتى يموت إلا كنت له يوم القيامة شهيدا أو شفيعا، والذي نفسي بيده لا يخرج أحد رغبة

(١) أخرجه الترمذي (٣٩١٧) وابن حبان (١٠٣١) وابن حجر في المطالب (١٢٤٧). (٢) ذكره العراقي في تخريجه على الإحياء ١ / ٢٤٤ وعزاه للترمذي وابن ماجه حديث ابن عمر وقال الترمذي: حسن صحيح. (٣) أخرجه البخاري ٤ / ١٠٧ (١٨٧٥) ومسلم ٢ / ١٠٠٩ (٤٩٧ - ١٣٨٨). (٤) مالك بن ربيعة بن البدن، بفتح الموحدة والمهملة بعدها نون، أبو أسيد الساعدي، مشهور بكنية، شهد بدرًا، وغيرها، ومات سنة ثلاثين، وقيل: بعد ذلك، حتى قال المدائني: مات سنة ستين، قال: هو آخر من مات من البدرين. التقريب ٢ / ٢٢٥. (*)

[٢٠٧]

عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه، ألا إن المدينة كالكبر تخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكبر خبث الحديد " (١). وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يصبر على لواء المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعا يوم القيامة "، رواه مسلم (٢). وعن عمر رضي الله عنه أنه قال: " اللهم ارزقني قتالا في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك "، رواه البخاري (٣). عن يحيى بن سعيد مرسلًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما على الأرض بقعة أحب إلي أن يكون قبري بها منها "، ثلاث مرات، يعني المدينة، رواه الإمام مالك في الموطأ. وعن أبي سعيد مولى المهري - بالراء - أنه جاء إلى أبي سعيد الخدري ليالي الحرة فاستشاره في الجلاء عن المدينة وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله، وأخبره ألا صبر له على جهد المدينة ولأوائها. فقال له: ويحك لا أمرك بذلك، الزم المدينة فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يصبر أحد على لأوائها فيموت إلا مت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة إذا كان مسلما " (٤). وفي حديث أخرجه مسلم: " لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح لي الماء " (٥). وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من صبر على لأوائها وشدتها كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة " (٦). رواه مسلم. وعن أبي هريرة بنحوه، رواه الترمذي. وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من كان له بالمدينة أصل فليتمسك به، ومن لم يكن له بها أصل فليجعل له بها أصلا، فليأتين على الناس زمان يكون الذي ليس بها أصل كالخارج منها المجتاز إلى غيرها " (٧)، وفي رواية: " فليجعل له بها أصلا ولو قصرة "، رواه الطبراني وابن شبة بسند لا بأس به. وروى ابن شبة عن الزهري مرسلًا: " لا تتخذوا الأموال بمكة واتخذوها بدار هجرتكم، فإن المرء مع ماله ". وعن أبي هريرة رضي الله

(١) أخرجه مسلم ٢ / ١٠٠٥ (٤٨٧ - ١٣٨١). (٢) أخرجه مسلم ٢ / ١٠٠٤ (٤٨١) - (١٣٧٧). (٣) أخرجه البخاري ٣ / ٥٧ (١٨٩٠). (٤) انظر تخريجه بأسانيد مختلفة في صحيح مسلم ٢ / ١٠٠٤ كتاب الحج باب الترغيب في سكن المدينة. (٥) أخرجه مسلم ٢ / ٩٩٢ (٤٦٠ - ١٣٦٣). (٦) تقدم انظر مسلم الموضوع السابق. (٧) ذكره البيهقي في المجمع ٣ / ٣٠٤ وعزاه للطبراني في الكبير وقال: ورحاله ذكرهم ابن أبي حاتم ولم يذكر فيهم. (*)

[٢٠٨]

عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمرت بقربة تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكبر خبث الحديد ". وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن أعرابيا بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصاب الأعرابي وعك فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أقلني بيعتي. فأبى. ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي. فأبى. فخرج الأعرابي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنما المدينة كالكبر تنفي خبثها وينصع طيبها " (١) رواه الشيخان. وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنه طيبة - يعني المدينة - وإنها تنفي الخبث كما ينفي الكبر خبث الفضة " (٢)، رواه مسلم. والمراد هنا الإقالة من الإسلام وقيل من الهجرة (كانه كان قد بايع على هجرته الإقامة). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أطام المدينة أن تهدم. وروى البزار بسند حسن عن عمر رضي الله عنه قال: غلا السعر بالمدينة فاشتد الجهد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اصبروا وأبشروا فإني قد باركت على صاعكم ومدكم، وكلوا ولا تتفرقوا فإن طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الخمسة والستة، وإن البركة في الجماعة، فمن صبر على لأوائها وشدتها كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة، ومن خرج رغبة عنها أبدل الله به من هو خير منه فيها، ومن أرادها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء " (٣). وروى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إنها أي المدينة طيبة تنفي الذنوب كما ينفي الكبر خبث الفضة " (٤). تنبيهات الأول: قال القاضي رحمه الله " سئلت قديما عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم: " كنت شهيدا أو شفيعا " ولم خص ساكن المدينة بالشفاعة هنا مع عموم شفاعته وادخاره إياها لأمته ؟ وأجيب بأن " أو " ليست هنا للشك، خلافا لمن ذهب إليه، إذ قد رواه جابر، وأبو هريرة، وأبو سعيد، وسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وصفية بنت أبي عبيد، وأسماء بنت عميس رضي الله عنهم بهذا اللفظ، ويبعد اتفاق الكل واتفاق رواياتهم على الشك، ووقوعه بصيغة واحدة، بل الظاهر أنه صلى الله عليه وسلم قال كذلك هكذا، فكما أن يكون هو أعلم بهذه الجملة هكذا، وإما أن تكون " أو " للتقسيم، ويكون النبي صلى الله عليه وسلم شفيعا لبعض أهل المدينة وشهيدا لبعضهم الآخر، إما شهيدا

(١) أخرجه البخاري ٩ / ٩٨ ومسلم في كتاب الحج (٤٨٩) والترمذي (٣٩٢٠) والنسائي ٧ / ١٥١. (٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج (٤٩٠). (٣) ذكره الهيثمي في المجمع ٣ / ٣٠٨ وعزاه للبزار، وقال: ورحاله رجال الصحيح وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٨١٣٣). (٤) أخرجه البخاري ٦ / ٩٣ (٤٥٨٩). (*)

[٢٠٩]

للطائعين وشفيعا للعاصين، أو شهيدا لمن مات في حياته، شفيعا لمن مات بعده، أو غير ذلك مما الله أعلم به، وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة لكافة المذنبين، وعلى الشهادة لكافة الأمة، وقد قال

صلى الله عليه وسلم في شهداء أحد: " أنا شهيد على هؤلاء "، فيكون في تخصيصهم زيادة منزلة، وقد تكون " أو " بمعنى الواو، فيكون لأهل المدينة شهيدا وشفيعا بالشفاعة العامة. وإن جعلنا " أو " للشك كما ذهب إليه بعضهم، فإن كان اللفظة الصحيحة فلا إشكال، إذ هي زائدة على الشفاعة المدخرة، وإن كانت الصحيحة شفيعا فاختصاص أهل المدينة بهذا مع ما جاء في عمومها وإدخاره لجميع الأمة أن هذه شفاعة أخرى غير العامة التي هي لإخراج أمتة من النار إخراج بعضهم منها بشفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، وتكون هذه الشفاعة لأهل المدينة زيادة في الدرجات أو تخفيف الحساب بما شاء الله من إكرامهم يوم القيامة بأنواع من الكرامة. الثاني: قوله صلى الله " تنفي الناس "، وفي لفظ " الرجال "، قال القاضي: " كان هذا يختص بزمانه لأنه لم يكن يصير على الهجرة والمقام معه بها إلا من ثبت إيمانه ". وقال النووي: " ليس هذا بظاهر لأن عند مسلم لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد، وهذا والله أعلم زمن الدجال ". قال الحافظ: " ويحتمل أن يكون المراد كلا من الزمانين، وكان الأمر في حياته صلى الله عليه وسلم السبب المذكور، ويؤيده قصة الأعرابي الذي استقاله فإنه صلى الله عليه وسلم ذكر هذا الحديث معللا به خروج الأعرابي وسؤاله الإقالة من البيعة، ثم يكون ذلك أيضا آخر الزمان، عندما ينزل الدجال فترجف الأرض بأهلها فلا يبقى منافق ولا كافر إلا خرج إليه ". وقال السيد (٢): " وقد أبعد الله عنها أرباب الخبث الكامل وهم الكفار، وأما غيرهم فقد يكون إبعاده إن مات بها بنقل الملائكة له كما أشار إليه الأفشهري أو المراد إبعاد أهل الخبث الكامل فقط وهم أهل الشقاء والكفر لا أهل السعادة والإسلام لأن القسم الأول ليس قابلا للشفاعة ولا للمغفرة، أو المراد، فيما عدا قصة الأعرابي والدجال أنها تخلص النفوس من شرها وظلمات ذوبها، بما فيها من اللأوا والمنشقات ومضاعفة المتوبات وتوالي الرحمت، وقد قال تعالى: (إن الحسنات يذهبن السيئات) (هود ١١٤)، ويحتمل أن يكون بمعنى أنه لا يخفى حال من انطوى فيها على خبث بل تظهر طوبته كما هو مشاهد بها، ولم أر إلى الآن من نص على هذا الاحتمال وهو في حفطي قديما ويؤيده ما في غزوة أحد في الصحيح من أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى أحد رجع ناس من أصحابه أي وهم المنافقون فقال صلى الله عليه وسلم: " المدينة كالكير " (الحديث)، والذي ظهر لي من مجموع الأحاديث واستقراء أحوال هذه البلدة الشريفة أنها تنفي خبثها بالمعاني الأربعة ".

[٢١٠]

وقوله صلى الله عليه وسلم: " لو كانوا يعلمون " أي بفضلها من الصلاة في المسجد النبوي أو ثواب الإقامة فيها وغير ذلك. ويحتمل أن " لو " بمعنى " ليث " ولا يحتاج إلى تقدير، وعلى الوجهين ففيه تجهيل لمن فارقتها وأثر غيرها. قالوا: والمراد به الخارجون من المدينة رغبة عنها كارهين لها. وأما من خرج لحاجة أو تجارة أو جهاد أو نحو ذلك فليس بداخل في معنى الحديث. قال الطيب: " الذي يقتضيه هذا المقام أن ينزل أولئك الذين " لا يعلمون " منزلة اللازم لتنتفي عنهم المعرفة بالكلية، ولو ذهبوا مع ذلك التمني لكان أبلغ لأن التمني طلب ما لا يمكن حصوله، أي ليتهم كانوا من أهل العلم تغليظا وتشديدا ". قال البيضاوي: " المعنى أنه يفتح اليمن، فيعجب قوما بلادها، وعيش أهلها، فيحملهم ذلك على المهاجرة إليها بأنفسهم وأهلهم حتى يخرجوا من المدينة، والحال أن الإقامة في المدينة خير لهم لأنها حرم النبي صلى الله عليه وسلم وجواره ومهبط الوحي ومنزل البركات لو كانوا يعلمون ما في الإقامة بها من الفوائد الأخروية التي يستحقرونها ما يجدونه من الحظوظ الفانية العاجلة بسبب الإقامة في غيرها ". وقواه الطيبي لتذكير قومه ووصفهم بكونهم يبسون، ثم توكيده بقوله: لو كانوا يعلمون، لأنه

يشعر بأنهم ممن ركن إلى الحظوظ البهيمية والحطام الفاني، وأعرض عن الإقامة في جوار النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك كرر قوماً " ووصفهم في كل مرتبة بقوله يبسون بسبب اتخاذهم لتلك الهيئة القبيحة. الثالث: في بيان غريب ما سبق: " يبسون " (١): بمثابة تحتية فموحدة مضمومة وتكسر، قال أبو عبيدة: معناه يسوقون دوابهم واليس سوق الإبل يقول بس بس عند السوق وإرادة السرعة. " الأرياف " جمع ريف بكسر الراء، موضع الخصب - بكسر الخاء المعجمة - والسعة في المعظم. " اللأواء " بالفتح والمد: الشدة وضيق المعيشة. " تنفي الخبث " أي بإظهاره وإخراجه. " الكير: بكسر الكاف وسكون التحتية وهو المعروف بين الناس أن الزق الذي ينفخ فيه، لكن أكثر أهل اللغة على أن المراد بالكير كانون الحداد والصائغ، وقيل: الكير هو الزق والكانون هو الكور.

(١) انظر اللسان ١ / ٣٨١. (*)

[٣١١]

" خبث الحديد " بضم الخاء المعجمة والموحدة فمثلثة: وسخه الذي تخرجه النار، والمراد هنا: لا يترك فيها من في قلبه دغل وغش ونفاق يميزه عن القلوب الصادقة ويخرجه منها كما يميز الحداد ردي الحديد من جيدة، وينسب التمييز للكبير لكونه السبب الأكيد في اشتعال النار التي يقع التمييز بها. " تنصع " بمثابة فونة ساكنة فصاد فعين مهملتين: من النصوص وهو الخلوص، والمعنى أنها إذا نفت الخبث تميز الطيب، واستقر بها طيبها. رواه الأكثر بالنصب على المفعولية أي تنصع طيبها وذكر بعض رواة الصحيح ينصع طيبها على الفاعلية. " الأظام " بالمد جمع أطم بضمين وهي الحصون التي تبنى بالحجارة، وقيل: هو كل بيت مربع مسطح.

[٣١٢]

الباب السابع في وعيد من أحدث بها حدثاً أو أوى محدثاً أو أرداها وأهلها بسوء أو أخافهم والوصية بهم روى الطبراني برجال الصحيح عن أبي أمامة، وعن علي رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من أحدث في مدينتي هذه حدثاً أو أوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ". وعن السائب بن خلاد أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله عز وجل، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً " (١)، رواه الإمام أحمد. وعن أبي سعيد رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أرداها - يعني المدينة - بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء " (٢)، رواه الإمام أحمد والشيخان. وعن معقل بن يسار (٣) رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المدينة مهاجرة وفيها مضجعي ومنها مبعثي، حقيق على أمتي حفظ جيرانني ما اجتنبوا الكبائر، ومن حفظهم كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة، ومن لم يحفظهم سقي من طينة الخبال "، قيل لمعقل: وما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار (٤)، رواه أبو عمرو بن السماك، وابن الجوزي في " مثير الغرام الساكن ". وروي الجندي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أيما جبار أراد المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء " (٥). وروى البزار بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" اللهم اكفهم من دهمهم ببأس - يعني المدينة - ولا يريدها أحد بسوء إلا أذابه الله كما يذوب الملح في الماء " (٦). وروى محمد بن الحسن المخزومي عن سعيد بن المسيب مرسلًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " اللهم من أرادني وأهل بلدي بسوء فاعجل بهلاكه ". وروى الإمام أحمد برجال الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من أخاف أهل المدينة أخافه الله " (٧)، رواه ابن حبان. وعن عبادة بن الصامت

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤ / ٥٥. (٢) أخرجه أحمد في المسند ١ / ١٨٤ / ٢ / ٣٢١. والبخاري ٤ / ١١٢ (١٨٧٧) ومسلم ٢ / ٩٩٣ (٤٦٠ - ١٣٦٣). (٣) معقل بن يسار المزني أبي علي بايع تحت الشجرة. له أربعة وثلاثون حديثًا، اتفقا على حديث وانفرد (خ) بآخر، و (م) بحديثين. وعنه عمران بن حصين، مات في خلافة معاوية. الخلاصة ٣ / ٤٥. (٤) ذكره الهيثمي في المجمع ٢ / ٣١٢ وعزاه للطبراني في الكبير وقال: وفيه عبد السلام بن أبي الحبوب وهو متروك. (٥) أخرجه الحميدي في المسند (١١٦٧). (٦) ذكره الهيثمي في المجمع ٢ / ٣١٠ وعزاه للبخاري بإسناد حسن وقال: وفي الصحيح طرف من آخره. (٧) أخرجه أحمد في المسند ٢ / ٣٩٣ والطبراني في الكبير ٧ / ١٦٩ وابن حبان (١٠٣٩) والبخاري في التاريخ ١ / ١١٧ وأبو نعيم في الحية ١ / ٣٧٢ (*).

[٢١٢]

رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله من صرفا ولا عدلا (١)، ورواه الطبراني بإسناد حسن. وفي المدارك للقاضي قال محمد بن مسلمة: سمعت مالكا يقول: دخلت على المهدي فقال: أوصني، فقلت: أوصيك بتقوى الله وحده والعطف على أهل بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيرانه، فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " المدينة مهاجري ومنها مبعثي وبها قبري وأهلها جيرانني، وحقيق على أمتي حفظ جيرانني، فمن حفظهم في كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة، ومن لم يحفظ وصيتي في جيرانني سقاه الله من طينة الخبال ". وقال مصعب: " لما قدم المهدي المدينة استقبله مالك وغيره من أشرفها على أميال، فلما بصر بمالك انحرف المهدي إليه فعانقه وسلم عليه وسأيره فالتفتت إليه مالك فقال: يا أمير المؤمنين إنك تدخل الآن المدينة، فتمر بقوم عن يمينك ويسارك، وهم أولاد المهاجرين والأنصار، فسلم عليهم، فإن ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة، ولا خير من المدينة قال: ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله؟ فقال: لأنه لا يعرف قبر نبي اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد صلى الله عليه وسلم، ومن كان قبر محمد صلى الله عليه وسلم عندهم فينبغي أن يعرف فضلهم على غيرهم. ففعل المهدي ما أمره به، وفيه إشارة إلى التفضيل بمجاورة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما زال جبريل يوصي بالجار حتى ظننت أنه سسورثه "، ولم يخص جارا دون جار. ومن تأمل هذا الفضل لم يرتب في تفضيل سكنى المدينة على مكة، مع التسليم بمزيد المضاعفة لمكة، (إذ جهة الفضل غير منحصرة في ذلك) فتلك لها مزيد العدد، وهذه تضاعف البركة والمدد وتلك جوار بيت الله، ولهذا جوار حبيب الله وأكرم الخلق على الله. تنبيهات الأول: قوله صلى الله عليه وسلم: " لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه ". قال القاضي: اختلفوا فيه فقيل: هو مختص بمدة حياته صلى الله عليه وسلم، وقال آخرون: هو عام أبدا، وهذا أصح. وقال المحب الطبري: إنه الأظهر لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر: " سيأتي على الناس زمان يفتح فيه فتحات الأرض فيخرج الناس إلى الأرياف يلتمسون الرخاء " ... إلى آخر ما تقدم. الثاني: قوله صلى الله عليه

وسلم في حديث: " ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار... " إلى آخر الحديث، قال القاضي عياض: قوله: " في النار " يدفع إشكال الأحاديث التي

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٣ / ٢٠٩ وعزاه للطبراني في الأوسط والكبير وقال: ورجاله رجال الصحيح. (*)

[٢١٤]

لم تذكر فيها هذه الزيادة، ويبين أن هذا حكمه في الآخرة، وقال: قد يكون المراد به أن من أرادها في حياته صلى الله عليه وسلم، كفي السملمون شره واضمحل كيده كما يضمحل الرصاص في النار، قال: " ويحتمل أن يكون المراد من كادها اغتيالاً وطلباً لغرتها فلا يتم له أمر بخلاف من أتى ذلك جهاراً " . قال: " وقد يكون في اللفظ تقديم وتأخير أي أذابه الله كذوب الرصاص في النار ويكون ذلك لم أرادها في الدنيا فلا يمهلها الله ولا يمكن له سلطاناً، بل يهلكه عن قرب، كما انقضى شأن من حاربها أيام بني أمية مثل مسلم بن عقبة فأهلك في منصرفه عنها، ثم هلك يزيد بن معاوية الذي أرسله على أثر ذلك وغيرهما ممن صنع صنيعهما. الثالث: في بيان غريب ما سبق: " الحدث " بالتحريك: الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعروف في السنة. " المحدث " بكسر الدال اسم فاعل: أي من نصر جانيا وأواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يقتص منه، ويفتحها الأمر المبتدع نفسه، ويكون معنى الإيواء الرضا، فإنه إذا رضي به وأقر فاعله من غير إنكار فقد آواه. والمراد بلعنة الملائكة والناس المبالغة في الإبعاد من رحمة الله تعالى، والمراد باللعن هنا العذاب الذي يستحقه على ذنبه في أول الأمر، وليس هو كلعن الكافر. " الصرف والعدل " : بفتح أولهما: اختلف في تفسيرهما فيعد الجمهور الصرف الفريضة، والعدل النافلة. وعن الأصمعي الصرف: التوبة، والعدل: الغدية، وقيل غير ذلك. " انماع " (١): ذاب وسال.

(١) انظر اللسان ٦ / ٤٣٠٩. (*)

[٢١٥]

الباب الثامن في تفضيلها على البلاد لحلوله صلى الله عليه وسلم فيها نقل أبو الوليد الباجي والقاضي عياض وغيرهما الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة حتى على الكعبة كما قاله أبو اليمن بن عساكر في تحفته، وجزم بذلك أبو محمد عبد الله بن أبي عمر البسكري (١) - بموحدة مسكورة وقيل بفتحها وسين مهملة ساكنة فكاف مفتوحة وكسرهما فراء، - رحمه الله. جزم الجميع بأن خير الأرض ما * قد حاط ذات المصطفى وحوأها ونعم لقد صدقوا بساكنها علت * كالنفس حين زكت زكا مأواها بل نقل القاضي تاج الدين السبكي (٢) عن ابن عقيل (٣) الحنبلي أنها أفضل من العرش، وجزم بذلك أبو عبد الله محمد بن رزين البحيري الشافعي أحد السادة العلماء الأولياء فقال في قصيدته في الوفاة النبوية: ولا شك أن القبر أشرف موضع * من الأرض والسبع السموات طرة وأشرف من عرض المليك وليس في * مقالي خلاف عند أهل الحقيقة وصرح التاج الفاكهي بتفضيلها على السموات، قال: بل الظاهر المتعين تفضيل جميع الأرض على السماء لحلوله صلى الله عليه وسلم بها، وحكاها الشيخ تاج الدين إمام الفاضلية عن الأكثرين

(١) البسكري: بكسر الباء المنقوطة بوحدة وسكون السين المهملة وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى بسكرة، وهي بلدة من بلاد المغرب، وقدم علينا فقيه فاضل سنة اثنتين وأربعين وخمسائة من هذه البلدة مرو عندنا وتوفي في هذه السنة وكان يذكر نسبه البسكري. الأنساب ١ / ٣٥٤. (٢) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام، العلامة قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي الحسن، الأنصاري، الخزرجي، السبكي، مولده بالقاهرة سنة سبع - بتقديم السين، وعشرين وسبعائة، وقيل: سنة ثمان، وقرأ على الحافظ المزني، ولازم الذهبي وتخرج به، وطلب بنفسه، ودأب، قال الحافظ شهاب الدين بن حجي: أخبرني أن الشيخ شمس الدين بن النقيب أجازه بالإفتاء والتدريس، ولما مات ابن النقيب كان عمر القاضي تاج الدين ثمانين سنة، وافتى، ودرس وحدث ووقف، وأشغل وناج، عن أبيه بعد وفاة أخيه القاضي الحسين، ثم استقل بالقضاء بسؤال والده في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين، ثم عزل مدة لطيفة، ثم أعيد، ثم عزل بأخيه بهاء الدين، ومن تصانيفه " شرح مختصر ابن الحاجب " " رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب ". توفي شهيدا بالطاعون في ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وسبعائة، انظر الطبقات لابن قاضي شهبة ٣ / ١٠٥، ١٠٦، والبدية والنهاية ١٤ / ٣١٦، والدرر الكامنة ٢ / ٤٢٥ والنجوم الزاهرة ١١ / ١٠٨، والبدع الطالع ١ / ٤١٠ وشذرات الذهب ٦ / ٢٢١، والأعلام ٤ / ٣٣٥. (٣) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الطفري، أبو الوفاء، ويعرف بابن عقيل: عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته، كان قوي الحجة، اشتغل بمذهب المعتزلة في حديثه. وكان يعظم الحلاج، فأراد الحنابلة قتله، فاستجار بباب المراتب عدة سنين، ثم أظهر التوبة حتى تمكن من الظهور، له تصانيف أعظمها " كتاب الفنون " قال الذهبي في تاريخه: كتاب الفنون لم يصنف في الدنيا أكبر منه. وله " الواضح في الأصول " و " الفرق " و " الفصول " في فقه الحنابلة. عشرة مجلدات، الأعلام ٤ / ٣١٣. (*)

[٢١٦]

لخلق الأنبياء منها ودفنهم بها. وقال النووي: " المختار الذي عليه الجمهور أن السموات أفضل من الأرض، أي ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة. وأجمعوا بعد على تفضيل مكة والمدينة علي سائر البلاد، واختلفوا فيهما، فذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض الصحابة وأكثر المدنيين، كما قال القاضي إلى تفضيل المدينة، وهو مذهب الإمام مالك، وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد، والخلاف في غير الكعبة الشريفة فهي أفضل من بقية المدينة اتفاقا. وإيراد حجج الفريقين مما بطول به الكتاب. ويدل لما ذكر من أن النفس تخلق من تربة الدفن ما رواه الحاكم وصححه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبر، فقال: " قبر من هذا " ؟ فقالوا: قبر فلان الحبشي يا رسول الله. فقال: " لا إله إلا الله سبق من أرضه وسماؤه إلى التربة التي منها خلق ". وتقدم في أول باب من هذا الكتاب أثر كعب: " أن النبي صلى الله عليه وسلم خلق من القبضة التي أخذت من قبره الشريف ". وروى (يزيد الجبري قال: سمعت ابن سيرين يقول: " لو حلفت لحلفت صادقا بارا غير شك ولا مستثن أن الله تعالى ما خلق نبيه صلى الله عليه وسلم ولا أبا بكر ولا عمر إلا من طينة واحدة، ثم ردهم إلى تلك الطينة ". وروى الإمام أحمد والترمذي وحسنه، والطبراني والحاكم عن مطر بن عكاس - بضم العين المهملة وتخفيف الكاف وكسر الميم فسین مهملة - والترمذي وصححه عن أبي عزة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة " (١). قال الحكيم الترمذي: " إنما صار أجله هناك لأنه خلق من تلك البقعة وقد قال الله تعالى: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) (طه ٥٥) قال: فإنما يعاد المرء من حيث بدأ منه ". وروى ابن الجوزي في الوفا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم وسلم وسلم اختلفوا في دفنه " فقال علي رضي الله عنه: " إنه ليس في الأرض بقعة أكرم على الله من بقعة قبض فيها نفس نبيه صلى الله عليه وسلم ". وروى أبو يعلى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يقبض النبي إلا في أحب الأمكنة إليه " (٢). قال السيد: " وأحبها إليه أحبها إلى ربه

لأن حبه تابع لحب ربه. وما كان أحب إلى الله ورسوله كيف لا يكون أفضل؟ قال: ولهذا سلكت هذا المسلك في تفضيل المدينة فقد صح

(١) أخرجه الترمذي (٢١٤٦) وذكره العجلوني في كشف الخفا ١ / ٩٧ وزاد نسبته لعبد الله بن الإمام أحمد. (٢) انظر البداية والنهاية ٥ / ٢٦٦. (*)

[٢١٧]

قوله صلى الله عليه وسلم: " اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، أي " بل أشد " أو " وأشد "، كما روى به. وأجيب دعوته حتى كان يحرك ذابته إذا رآها من حبها ". تنبيه: قال سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام: " معنى التفضيل بين مكة والمدينة أن ثواب العمل في إحداهما أكثر من ثواب العمل في الأخرى، فيشكل قول القاضي: " أجمعت الأمة على أن موضع القبر الشريف أفضل "، إذ لا يمكن لأحد أن يعبد الله فيه. وأجاب غيره بأن التفضيل في ذلك للمجاورة ولذا حرم على المحدث مس جلد المصحف لا لكثرة الثواب وإلا فلا يكون جلد المصحف بل ولا المصحف أفضل من غيره لتعذر العمل فيه. وقال شيخ الإسلام تقي الدين السبكي: قد يكون التفضيل بكثرة الثواب وقد يكون لأمر آخر، وإن لم يكن عملاً، فإن القبر الشريف ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول عن إدراكه وليس ذلك لمكان غيره فكيف لا يكون أفضل الأماكن؟ وليس محل عمل لنا فهذا معنى غير تضعيف الأعمال فيه، وأيضاً فباعتبار ما قيل: إن كل أحد يدفن في الموضع الذي خلق منه، (وأيضاً فقد تكون الأعمال مضاعفة فيها باعتبار أن النبي صلى الله عليه وسلم حي وأن أعماله مضاعفة) أكثر من كل أحد فلا يختص التضعيف بأعمالنا نحن. قال السيد: " (وهذا من النفاسة بمكان علي أني أقول) الرحمت والبركات النازلة بذلك المحل يعم فيضها الأمة وهي غير متناهية لدوام ترقياته صلى الله عليه وسلم (وما تناله الأمة بسبب نبينا هو الغاية في الفضل ولذا كانت خير أمة بسبب كون نبينا خير الأنبياء، فكيف لا يكون القبر الشريف أفضل البقاع مع كونه) منبع فيض الخيرات، (ألا ترى أن الكعبة على رأي من) منع الصلاة فيها ليست محل عملنا أفيقول عاقل بتفضيل المسجد حولها عليها، لأنه محل العمل مع أن الكعبة هي السبب في إنالة تلك الخيرات؟... وسيأتي أن المجئ المذكور في قوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك) (النساء ٦٤) الآية، حاصل بالمجئ إلى قبره الشريف، وعنده تجاب الدعوات أيضاً، فكيف لا تكون أفضل وهو السبب في هذه الخيرات؟ وأيضاً فهو روضة من رياض الجنة بل أفضل رياضها، وفي الحديث: " لقاب قوس أحدكم (في الجنة) خير من الدنيا وما فيها ".

[٢١٨]

الباب التاسع في تحريمها عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إني حرمت المدينة ما بين لابتيها لا يقطع عضاها ولا يقتل صيدها " (١)، رواه مسلم. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إني حرمت ما بين لابتي المدينة، وفي رواية: ما بين مازميا، ألا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح ولا يخبط فيها شجر إلا لعلف " (٢) وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة: " لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمن أشادها ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال

ولا يصلح أن يقطع منها شجر إلا أن يعلف رجل بعيره " (٣) رواه الإمام أحمد وأبو داود. وعن علي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المدينة حرام ما بين غير إلى ثور " (٤)، رواه الخمسة. وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع له أحد فقال: " هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإنني أحرم ما بين لابتيها " (٥) يعني المدينة. رواه الشيخان. تنبيهات الأول: قوله صلى الله عليه وسلم: " إنني حرمت المدينة "، حجة في أنها حرم، وبه قال الجمهور، ونقله عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من عشرة من الصحابة خلافا لمن قال بخلاف ذلك. وذكر دليل وروده مما يطول به الباب. الثاني: في بيان غريب ما سبق: " لابتي المدينة " (٦) تثنية لاية وهي الحرة: أرض ذات حجارة سود، وللمدينة لابتان شرقية وغربية وهي بينهما، ويقال: لاية ولوية ونوية بالنون ثلاث لغات، وجمع اللابة في القلة لابات وفي الكثرة لاب ولوب.

(١) أخرجه مسلم ٢ / ١٠٠١ (٤٧٥ - ١٣٧٤) وقد تقدم. (٢) انظر مسلم الموضع السابق. (٣) أخرجه أبو داود (٢٠٣٥) وأحمد في المسند ١ / ٢٥٣ وعبد الرزاق في المصنف (٩١٩٣). (٤) أخرجه البخاري ٤ / ٩٧ (١٨٧٠) والترمذي (٢١٢٧) وأبو داود (٢٠٣٤) والبيهقي في السنن ٥ / ١٩٦. (٥) أخرجه البخاري ٥ / ٣٢٩، (٤٠٨٣) ومسلم ٢ / ١٠١١ (٥٠٤، ١٣٩٣). (٦) اللابة واللوية: الحرة، والجمع لاب ولوب، ولابات، وهو الحرار، فأما سيبويه فجعل اللوب جمع لاية، كقارة وقور وقد فسر ابن منظور اللابية في الحديث بأنها حرتان تكتفانها قال الأصمعي: هي الأرض التي قد ألبستها حجارة سود، وجمعها لابات ما بين الثلاث إلى العشر فإذا كثر فهي اللاب واللوب اللسان ٥ / ٤٠٩٢.*

[٣١٩]

" العضاء ": بالقصر وكسر العين المهملة وتخفيف الضاد المعجمة: كل شجر فيه شوك، واحدها عضاءه وعضيهه. " الأزمان ": بهمة بعد الميم وبكسر الزاي تثنية مأزم: الطريق بين جبلين، أي حرم ما بين جبلي المدينة. " يهراق ": يصب. " يخطب ": يضرب. " العلف " بسكون اللام مصدر علفت وأما العلف بالفتح فهو اسم للحشيش والتين ونحوهما. " يختلى ": يجز ويقطع. " الخلا ": بالقصر: الرطب من الحشيش الواحدة خلاة. " لا ينفرد ": بمثناة تحتية فنون ففاء: أي لا يزجر ويمنع من الرعي. " أشاد ": بشين معجمة ودال مهملة: أي أشاعها والإشادة رفع الصوت والمراد به تعريف اللقطة: وإنشادها. " غير " (١): بفتح العين المهملة وسكون المثناة التحتية وبالراء: الحمار، ويقال غير جبل يسمى باسمه، ويمين الاول بالوارد والثاني بالصادر. " ثور ": بالمثلثة: مرادف فحل البقر، جبل صغير خلف أحد، قال المطري بعد أن رد على من أنكروا كون ثور بالمدينة وقال إنه خلف أحد من شماليه، مدور صغير يعرفه أهل المدينة خلف عن سلف. وقال القطب الحلبي: " حكى لنا شيخنا الامام أبو محمد عبد السلام بن مزروع البصري أنه خرج رسولا إلى العراق فلما رجع إلى المدينة كان معه دليل أي من عرب المدينة، فكان يذكر له الأماكن والجبال "، قال: " فلما وصلنا إلى أحد إذا بقريه جبل صغير، فسألته عنه فقال: هذا يسمى ثورا، فعلمت صحة الرواية ". وقال المحب الطبري: " أخبرني الثقة العالم أبو محمد عبد السلام البصري أن حذاء أحد، عن يساره، جانحا إلى ورائه جبلا صغيرا يقال له ثور، وأخبرني أنه تكرر عنه سؤاله لطوائف من الأعراب العارفين بتلك الأرض وما فيها من الجبال، فكل أخبر أن ذلك الجبل اسمه ثور، وتواردوا على ذلك "، " فعلمنا أن ذكر ثور في الحديث صحيح وأن عدم علم أكابر العلماء به (هو) لعدم شهرته وعدم بحثهم عنه "، قال: " وهذه فائدة جلية ".

[٣٢٠]

الباب العاشر في ذكر بعض خصائصها وهي تزيد على المائة فقد امتازت بتحريمها على لسان أشرف الأنبياء بدعوته صلى الله عليه وسلم. وكون المتعرض لصيدها وشجرها يسلب كقتيل الكفار، وهو أبلغ في الزجر مما في مكة، وعلى القول بعدمه هو أدل على عظيم حرمتها حيث لم يشرع له جزاء، ويجوز نقل ترابها للتداوي، واشتمالها على أشرف البقاع وهو محل القبر الشريف، ودفن أفضل الخلق بها وأفضل هذه الأمة وكذا أكثر الصحابة والسلف الذين هم خير القرون، وخلقهم من تربتها، وبعث أشرف هذه الأمة يوم القيامة منها على ما نقله (عياض) في المدارك عن الإمام مالك، قال: " وهو لا يقول من عند نفسه ". وكونها محفوفة بالشهداء كما قاله الإمام مالك أيضا، وبها أفضل الشهداء الذين بذلوا أنفسهم في ذات الله بين يدي نبيهم صلى الله عليه وسلم فكان شهيدا عليهم، واختيار الله تعالى إياها لأفضل خلقه وأحبهم إليه، واختيار أهلها للنصرة والإبواء، وافتتاحها بالقرآن وسائر البلاد بالسيف والسنان، وافتتاح سائر بلاد الإسلام منها، وجعلها مظهر الدين، ووجوب الهجرة إليها قبل فتح مكة والسكنى بها لنصرته صلى الله عليه وسلم ومواساته بالأنفس على ما قاله القاضي عياض أنه متفق عليه، قال: " ومن هاجر قبل الفتح فالجمهور على منعه من الإقامة (بمكة) بعد الفتح، وخص له ثلاثة أيام بعد قضاء نسكه، والحث على سكنى المدينة وعلى اتخاذ الأصل بها وعلى الموت بها، والوعد على ذلك بالشفاعة أو الشهادة أو هما، واستحباب الدعاء بالموت بها، وتحريضه صلى الله عليه وسلم على الموت بها وشفاعته أو شهادته لمن صبر علي لأوائها وشدتها، وطلبه لزيادة البركة بها على مكة ودعاؤه بحبها وأن يجعل الله لديها قرارا ورزقا حسنا، وطرح الرداء عن منكبيه إذا قاربها، وتسميته لها طيبة " وغيرها مما سبق. " وطيب ريحها، وللعطر بها رائحة لا توجد في غيرها " قاله باقوت. وطيب العيش بها وكثرة أسمائها، وكتابتها في التوراة مؤمنة وتسميتها فيها بالمحبوبة والمرحومة وإضافتها إلى الله تعالى في قوله تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) (النساء ٩٧)، وإلى النبي بلفظ البيت في قوله تعالى: (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) (الأنفال ٥) وإقسام الله تعالى في قوله تعالى: (لا أقسم بهذا البلد) (البلد ١) والبداءة بها في قوله تعالى: (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) (الإسراء ٨٠)، مع أن المخرج مقدم على المدخل، ودعاؤه صلى الله عليه وسلم لها خصوصا بالبركة، ولثمارها وميكلها وأسواقها وأهلها. ولقوله إنها تنفي الذنوب وتنفي خيبتها، وأنه لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها خيرا منه ومن أرادها وأهلها بسوء أذابه الله، الحديث، فرتب الوعيد فيها على الإرادة، كما قال

[٣٢١]

تعالى في حرم مكة: (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب إليم) (الحج: ٢٥) والوعيد الشديد لمن أحدث فيها حدثا أو أوى محدثا، والحدث يشمل الصغيرة في بها كبيرة، أي يعظم جزاؤها لدلائنها على جراءة مرتكبها بحرم سيد المرسلين وحضرته الشريفة. والوعيد الشديد لمن ظلم أهلها أو أخافهم، ووعيد من لم يكرم أهلها وأن إكرامهم وتعظيمهم حق على الأمة، وأنه صلى الله عليه وسلم شفيق أو شهيد لمن حفظهم فيه، وقوله: " من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي ". واختصاصها بملك الإيمان والحياة، ويكون الإيمان يبرز إليها، واشتباكها بالملائكة وحراستهم لها، وإنها دار

الإسلام أبداً لحديث: " إن الشياطين قد أيست أن تعبد ببلدي هذا " (١)، وأنها " آخر قرى الإسلام خرايا "، رواه الترمذي، وحسنه، وأبني بسطه في المعجزات إن شاء الله تعالى، وعصمتها، من الدجال وخروج الرجل الذي هو خير الناس أو من خير الناس منها للدجال ليكذبه، ونقل وبائها وحماها والاستسقاء بترابها وبتمرها كما سيأتي في الخصائص. وقوله في حديث للطبراني: " وحق على كل مسلم أن يأتيها "، وسماعة صلى الله عليه وسلم لمن صلى عليه بها عند قبره الشريف، ووجوب شفاعته لمن زاره بها، وغير ذلك مما سيأتي في باب فضل زيارته. وكونها أول مسجد اتخذها لعامة المسلمين في هذه الأمة، وتأسيس مسجدها علي يده صلى الله عليه وسلم، وعمل فيه بنفسه، ومعه خير الأمة، وأن الله سبحانه وتعالى أنزل في شأنه (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) (التوبة ١٠٨) وكونه آخر مساجد الأنبياء، والمساجد التي تشد إليها الرحال، وكونه أحق المساجد أن يزار وما يذخر لزاره من الثواب المضاعف كما سيأتي وأن من صلى فيه أربعين صلاة كتب له براءة من النار وبراءة من العذاب، وأنه برئ من النفاق، وأن من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة فيه كان بمنزلة حجة، وما ثبت من أن إتيان مسجد قباء والصلاة فيه تعدل عمرة وغير ذلك مما ثبت في فضلها. وأن بين بيته وقبره روضة من رياض الجنة، مع ذهاب بعضهم إلى أن ذلك يعم مسجده صلى الله عليه وسلم، وأنه المسجد الذي لا يعرف بقعة في الأرض من الجنة غيره، وأنه على حوضه صلى الله عليه وسلم وما جاء في أن " ما بين منبره الشريف والمصلى روضة من رياض الجنة " (٢) وسيأتي ما يقتضي أن المراد مصلى العيد وهو جانب كبير من هذه البلدة. وقوله في أحد (هد جبل) يحينا ونحبنا، وأنه على ترعة من ترع الجنة. وفي وادي

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٣ / ٢٠٢ وعزاه للبخاري وقال: فيه السكن بن هارون الباهلي ولم أجد من ترجمه. (٢) أخرجه مسلم ٢ / ١٠١٠ (٥٠٠)، (١٣٩٠). (*)

[٢٢٢]

بطحان أنه على ترعة من ترع الجنة. ووصفه لواديهما العقيق بالوادي المبارك، وأنه يحينا ونحبه. وقوله في ثمارها: " أن العجوة من الجنة "، وسيأتي في بئر عرس أنه صلى الله عليه وسلم رأى أنه أصبح على بئر من آبار الجنة فأصبح عليها. ورؤيا الأنبياء حق. واختصاص مسجدها بمزيد الأدب، ويكتب لمن صلى بمسجدها صلاة براءة من النار وبراءة من العذاب وأنه برئ من النفاق، رواه الإمام أحمد والطبراني برجال ثقات. وخفض الصوب في تأكيد التعلم والتعليم به. والحديث: أنه " لا يسمع النداء في مسجدي، ثم يخرج منه إلا لحاجة ثم لا يرجع إليه إلا منافق " (١) واختصاصه عند بعضهم بمنع أكل الثوم من دخوله لاختصاصه بملائكة الوحي والوعيد الشديد لمن حلف يمينا فاجرة عند منبرها ومضاعفة سائر الأعمال بها مكا صرح به الإمام الغزالي. وأن صلاة الجمعة بها كصيام ألف شهر في غيرها، كما رواه البيهقي عن جابر بن عبد الله، والطبراني في الكبير عن بلال بن الحارث، وابن الجوزي عن ابن عمر رضي الله عنهما. وكون أهلها أول من يشفع لهم النبي صلى الله عليه وسلم واختصاصهم بمزيد الشفاعة والاكرام. وجاء بعث الميت من الأميين، وأنه يبعث من بقيها سبعون ألفا على صورة القمر يدخلون الجنة بغير حساب، وتوكل الملائكة بمقبرة بقيعها كلما امتلأت أخذوا بأطرافها فكفنتوها بالجنة وبعثه صلى الله عليه وسلم منها وبعث أهلها من قبورهم قبل سائر الناس واستحياب الدعاء بها في الأماكن التي دعا بها صلى الله عليه وسلم وسيأتي بيانها إن شاء الله تعالى ويقال إنه يستجاب بها عند الأسطوانة المخلقة، وعند المنبر وفي زاوية دار عقيل بالقيع وبمسجد الفتح. (اختصاصها) بكثرة المساجد والمشاهد بها،

واستخبات من عاب تربتها، وأفتى الإمام مالك أنه من قال: تربتها رديئة أن يضرب ثلاثون درة، وأمر بحبسه وكان له قدر، وقال: ما أحوجه إلى ضرب عنقه، تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة. واستحباب الدخول لها من طريق والرجوع من أخرى، والاعتسال لدخولها، واختصاص أهلها بأبعد المواقيت، وذهب بعض السلف إلى تفضيل البداءة بها قبل مكة، وأن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يبدأون بالمدينة إذا حجوا ويقولون، نبداً من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن علقمة، والأسود، وعمرو بن ميمون أنهم بدأوا بالمدينة وعن العبدى من المالكية أن المشي لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الكعبة. وسيأتي أن من نذر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لزمه الوفاء قولاً واحداً. وفي وجوب الوفاء في زيارة قبر غيره وجهان (قاله ابن كج

(١) ذكره المنذري والترهيب ١ / ١٨٩. (*)

[٢٢٢]

وأقره عليه الرافعي والنووي وغيرهما) والاكْتفاء بزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن نذر إتيان مسجد المدينة كما قال الشيخ أبو علي تفريراً على القول بلزوم إتيانه كما قاله الشافعي والبيهقي، على أنه لا بد من (ضم) قرية إلى الإتيان كما هو الأصح (تفريراً على اللزوم وعلله الشيخ أبو علي بأن زيارته صلى الله عليه وسلم من أعظم القربات، وتوقف في ذلك الإمام من جهة أنها لا تتعلق بالمسجد وتعظيمه، قال: وقياسه أنه لو تصدق في المسجد أو صام يوماً كفاه، وفيه نظر، على أن الصحيح ما نص عليه في المختصر من عدم لزوم الإتيان. وجاء في سوقها أن الحاجب إليه كالمجاهد في سبيل الله، وأن المحتكر كالملحد في كتاب الله تعالى. واختصت بظهورنا الحجاز المنذر بها من أرضها ومن انطفائها عند حرمها كما سيأتي في المعجزات، لما تضمنه حديث الحاكم وغيره. (وفي حديث النسائي والبخاري والحاكم واللفظ له: " يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة ". وكان سفيان بن عيينة يقول: نرى هذا العالم مالك بن أنس. وقيل غير ذلك. وما نقل عن مالك من أن إجماع أهلها يقدم على خبر الواحد، لسكنائهم مهبط الوحي ومعرفتهم بالناسخ والمنسوخ. واختصاص أهلها في قيام رمضان بست وثلاثين ركعة على المشهور عند الشافعية. قال الإمام الشافعي: رأيت أهل المدينة يقومون بتسعة وثلاثين ركعة منها ثلاث للوتر، ونقل الروياني وغيره عن الشافعي أن سببه إرادة أهل المدينة مساواة أهل مكة فيما كانوا يأتون به من الطواف وركعتين بين الترويحات فجعلوا مكان كل أسبوع (١) ترويحة. قال الإمام الشافعي: " لا يجوز لغير أهل المدينة أن يباروا أهل مكة ولا ينافسوهم لأن الله فضلهم على سائر العباد ". وشاركها مكة في تحريم قطع الرطب من شجرها وحشيشها وصيدها وإصطيادها وتغييره، وحمل السلاح للقتال بها، ولا تجل لقطتها إلا لمن أشاد بها، ونقل ترابها ونحوه منها أو إليها، ونبش الكافر إذا دفن بها. وأن كلا من مسجد الرسول والمسجد الحرام يقوم مقام المسجد الأقصى لمن نذر الصلاة أو الاعتكاف فيه، ولو نذرهما بمسجد المدينة لم يجزه الأقصى وأجزاه المسجد الحرام بناء على زيادة المضاعفة، وإذا نذر المشي إلى بيت المقدس يخير بين المشي إليه أو إلى أحدهما، والذي رجحوه ما اقتضاه كلام البغوي من عدم لزوم المشي في غير المسجد الحرام. وإذا نذر تطيب مسجد المدينة والأقصى ففيه تردد لإمام الحرمين، واقتضى كلام الغزالي اختصاصه بالمسجدين لأننا إن نظرنا إلى التعظيم أحقناهما بالكعبة أو إلى امتياز الكعبة

[٢٢٤]

بالفضل فلا. قال السيد: فينبغي الجزم في نذر تطيب القبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام. ورحم الله الإمام مالك أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي المالكي الأعمى حيث قال: هنا وكم يا أهل طيبة قد خفى * فبالقرب من خير الورى خرتم السبقا فلا يتحرك ساكن ثوى بربوعها * إلى سواها وإن جار الزمان ولو شفا فكم ملك رام الوصول لمثل ما * وصلت فم يقدر ولو ملك الخلقا فيشراكم نلتم عناية ربكم * فها أنتم في بحر عنايته غرقى ترون رسول الله في كل ساعة * ومن يره فهو السعيد به حقا متى جئتم لا يغلق الباب دونكم * وباب ذوي الإحسان لا يقبل الغلقا فيسمع شكواكم ويكشف ضرركم * ولا يمنع الإحسان ضرا ولا رقا بطيبة مثواكم وأكرم مرسل * يلاحظكم فالدهر يحري لكم وفقا وكم نعمة لله فيها عليكم * فشكرا ونعم الله بالشكر تستقي أمنتم من الدجال فيها فحولها * ملائكة يحمون من دونها الطرقا كذاك من الطاعون أنتم بمأمن * فوجه التلاي لا يزال لكم طلقا فلا تنظروا إلا لوجه حبيكم * وإن حادت الدنيا ومرت فلا فرقا حياة وموتا تحت رحماه أنتم * وحشرا فستر الجاه فوقكم ملقي فيا راحلا عنها لنديا تريدها * أتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى ؟ أتخرج عن حوز النبي وحرزه * إلى غيره تشفيه غيرك قد حقا لئن سرت من فيض المكارم عنده * فأكرم من خير البرية ما تلقى هو الرزاق مقسوم فليس بزائد * ولو سرت حتى كدت تخترق الأفقا فكم قاعد قد وسع الله رزقه * ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا فعش في حمى خير الأنام ومت به * إذا كنت في الدارين تطلب أن ترقى إذا قمت فيما بين قبر ومنبر * بطيبة فاعرف أن خير لك الأرقى لقد أسعد الرحمن حار محمد * ومن حال في ترحاله فهو الأشقى ومن أعظم ما نظم في ذلك وأعجبه قصيدة الإمام الولي العارف بالله أبي محمد عبد الله بن أبي عمر البسكري. قال العلامة بدر الدين فرحون أحد أصحاب ناظمها: إن بعض الصالحين رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، قال البدر: " وأشك هل كان البيخ أو غيره ؟ وأنشد هذه القصيدة، فلما بلغ آخرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رضيناها رضيناها ". وخمسها الإمام أبو عبد الله التونسي رحمه الله. وقد رأيت إيراد ذلك هنا:

[٢٢٥]

أعلام طيبة لا تهم بسواها * فحبيت رب العالمين ثواها وأعمر فؤادك دائما بهواها * دار الحبيب أحق أن تهواها * وتحن من طرب إلى ذكراها لا تحل خذ ترايبها من قبلة * وبكل عام قم إليه برحلة لا تقنعن من المزار بمره * وعلى الجفون متى هممت بزورة * يابن الكرام عليك أن تغشاها إقطع زمانك إن سعدت ببلدة * حوت الرسول فتلك أطيب تربة جاوره تأمن أن تصاب بشدة * فلأنت أنت إذا حلت بطيبة * وظللت ترتع في ظلال رباها هي جنتي مما أخاف وجنتي * ويجابه من فيها تخلص مهجتي وإذا نظرت لها فذلك بغيتي * معنى الجمال منى الخواطر والتي * سلبت عقول العاشقين حلاها تلك المنازل لا نعيم كثرها * تلك المياه لنا الشفاء بشربها يا طيب نفحتها * وحسن مهبتها * لا تحسب المشك الذكي كثرها هيهات أين المسك من رباها لم لا تطيب ثنا ونكرم منبتا * والمصطفى حيا حوته وميتا فنسيمها يحكي العبير إذا أتى * طابت فإن تبع التطيب يا فتى *

فأدم على الساعات لثم تراها لو لم تكن أركى البلاد وأطهرها * ما
اختارها لرسوله لما سرى فبطيها أيقن وخل من افتري * وابشر
ففي الخبر الصحيح مقررا * أن الإله بطابة سماها دار الحبيب لنا فلذ
برحبيها * فالنفس مولعة بدرا حبيها الله شرفها به لنصيها *
واختصها بالطيبين لطبيها * واختارها ودعا إلى سكنها مدت بها
رحمى الإله ظللها * من أجل من منع النفوس ضلالها جل في البلاد
فلن تصيب مثالها * لا كالمدينة منزل وكفى لها * شرفا حلول محمد
بغناها

[٢٣٦]

من لي بأن ألقى الحبيب وأطفرا * وأشم من مئواه مسكا أذفرا وأرى
التي شغفت بها مهج الورى * خصت بهجرة خير من وطئ الثرى *
وأجلهم قدرا فكيف تراها ؟ كلفي بها طبع بغير تكلف * صفت القلوب
لها لأحل من اصطفى وجلال تلك الأرض ما هو بالخفي * كل البلاد
إذا ذكرت كأحرف * في اسم المدينة لا خلا معناها هي للقلوب
الصافيات حبية * ولأهلها والنازلين رحبية فافت جميع الأرض فهي
غريبة * حاشا مسمى القدس فهي قريبة * منها ومكة إنها إياها
فاجعل مزارك للثلاث وظيفه * وأمن بمكة والمدينة خيفة فكلاهما
تدع القلوب نظيفة * لا فرق إلا أن ثم لطيفة * مهما بدت يجلو الظلام
سناها فافهم وأرجو أن تفيق وتفهما * أمر الذي هو قد سما فوق
السما إن الفضيلة حيث أصبح منهما * جزم الجميع بأن خير الأرض
ما * قد حاط ذا المصطفى وحوها فمن العجائب مهجتي عنها سلت
* وهي التي بضريح أحمد فضلت مثل العقود بقدر جوهرها غلت *
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت * كالنفس حين زكت زكا ماوأها إنني
أقول فلا تكن ذا غيبة * فف عند حجرته بموقف هيبه فاسأل فإنك لن
ترى ذا خيبة * وبهذه ظهرت مزية طيبة * فغدت وكل الفضل في
معناها منها بدا للخلق واضح سنة * فعلى البلاد لها عظيمة منة
ولها خصائص فضلها ذو مكنة * حتى لقد خصت بروضة جنة * الله
شرفها بها وحبها هي غير خافية لقلب مبصر * فاعسل من الأهواء
قلبك وانظر وابسط هناك الخد منك وعفر * ما بين قبر للنبي ومنبر *
حيا الإله رسوله وسقاها

[٢٣٧]

محروسة من كل رجز طارق * ودخول دجال وطعن لاحق فالمرء فيها
ذو فؤاد واثق * هذي محاسنها فهل من عاشق * كلف شحيح باخل
بنواها ربي آدمني في حماية صونها * ومنتى هممت بغيبة عن عينها
فاجعل مماتي قبل ساعة كونها * إنني لأرهب من توقع بينها * فيظل
قلبي موجعا أواها يا خير مسئول وأكر من دعي * لا تقص عنها
رحلتي وتودعي فمن الخسار فراق ذلك الموضوع * ولقلما أبصرت حال
مودع * إلا رثت نفسي له وشجهاها لا تجعلوا عنها الرحيل صناعة *
إنني أرى ذلك الرحيل إضاعة وإذا أقمتكم كان ذلك طاعة * فلكم أراكم
قافلين جماعة * في إثر أخرى طالبين ثواها فيم الترحل في المدينة
صونكم * وبجاه خير الخلق يحصل عونكم فالخير مكنكم هناك
وكونكم * فسيما لقد أذكى فؤادي بينكم * جزعا وفجر مفلتي مياها
ضيعتم والله كل جميلة * عودوا فما خيراتها بقليلة مالي إذا لم يقبلوا
من حيلة * إن كان يزعجكم طلاب فضيلة * فالخير أجمعه لدي
مئواها أو كان يدعوكم إلى أن ترحلوا * جاه بنال فجاه أحمد أكمل أو
بالكم ظما فهذا المنهل * أو خفتم ضرا بها فتأملوا * بركات بلغتها فما
أزكاها فإذا امرؤ لم يرتحل من شدة * فيها وعاش بها بأيسر بلغة
فاقتع هناك ولو بأذني لقمة * أف لمن يبغي الكثير لشهوة * لزفاهة
لم يدر ما عقباها لا ترحلن لشهوة وتلذذ * وانظر إلى ذاك الحمى

وتلذذ وبما يقيم النفس فاقنع واغتد * فالعيش ما يكفي وليس هو
الذي * يطغي النفوس ولا خسيس مناه

[٢٢٨]

لله من لم يكثر بمجاعة * فيها وعاش بها ملازم طاعة ورأى المقام
بها سنين كساعة * يا رب أسأل منك فضل قناعة * بيسيرها
وتحصن بحماها هي نعمة فأفرض علي نعيمها * وتول زائرها وأرض
مقيمها وأنا السعيد إذا رزقت قدومها * ورضاك عني دائما ولزومها *
حتى توافي مهجتي أخراها سهلت يا ربي علي وصولها * وحثت
نفسي أن تنال دخولها والنفس تسأل يا كريم قبولها * فأنا الذي
أعطيت نفسي سؤلها * وقبلت دعوتها فيا بشرها إن كنت ذا صدق
وصاحب همة * فأخدم حماة فليس ضائع خدمة وأقم فإنك لا تزال
بنعمة * بجوار أوفى العالمين بذمة * وأعز من بالقرب منه بياهي مع
كل ركب أم طيبة فانفذ * وبملاء كف إن تيسر فاعتد وبكل عام في
زيارته خذ * من جاء بالآيات والنور الذي * داوى القلوب من العمى
فشفاها وله من الإسراء أشرف رتبة * وهو الشفيغ لنا الكريم المنية
وهو المكرم باختصاص الرؤية * أولى الأنام بخطة الشرف التي *
تدعى الوسيلة خير من يعطاها * كل المكارم هن طي بروده * ولقد
أضاء الكون عند وروده والبحر يقصر عن مواهب جوده * إنسان عين
الكون سر وجوده * ياسين إكسير الحياة طأها كانت حمام الغار بعض
حماته * والذئب في البيداء بعض دعائه ماذا أعدد من جلالته ذاته *
حسبي فليست أفي بعض صفاته * ولو أن لي عدد الحصى أفواها
حكم الشفاعة في يديه وأمرها * وغزاة نادته أذهب ضرها والروح
حين أتته شرف قدرها * كثرت محاسنه فأعجز حصرها * فغدت وما
نلقى لها أشباها

[٢٢٩]

الله أرسله بكل هداية * وحباه في الدارين كل عناية فلقد حوى في
المجد أبعد غاية * إنني اهتديت من الكتاب بأية * فعلمت أن علاه
ليس يضاها فشهدت أن الله خص محمدا * فغدا بأملك السماء
مؤيدا وعلى لسان الأنبياء ممجدا * ورأيت فضل العالمين محمدا *
وفضائل المختار لا تتناهى أمداحه تبقى على مر الزمن * كمن أية
فيها له مدح حسن أعيت مدائحه الحسان ذوى اللسن * كيف
السبيل إلى تقصي مدح من * قال الإله له وحسبك جاها ما ضل
صاحبكم فخص وكرما * ويقول ما كذب الفؤاد لقد سما وكفاه ما قد
قاله رب السما * إن الذين يباعدونك إنما * فيما يقول يباعدون الله
شهدت جميع الأنبياء بفضله * فلأجل ختمهم أتوا من قبله وله لواء
الحمد خص بحمله * هذا الفخا فهل سمعت بمثله * وإها لنشأته *
الكريمة وإها يا أمه الهادي ومن كمثلكم * فجلال أحمد شاهد
بكمالكم هو ستركم هو ذخركم لمآلكم * صلوا عليه وسلموا فبذلكم
* تهدي النفوس لرشدتها وغناها ما في عباد الله مثل محمد *
فمقامه المحمود يعرف في غد ولحوضه المورود أكرم مورد * صلى
عليه الله غير مقيد * وعليه من بركاته أنماها إن الصلاة عليه نتجينا
غدا * فإذا همو ذكروا لديك محمدا غط بالصلاة عليه أكباد العدا *
وعلى الأكابر آله سرج الهدى * أكرم بعترته ومن والاه أعز بآل
محمد فليدبرهم * يعطى المنى فالجود ملك يديهم وإليه صرف ثنائنا
وإليهم * وكذا السلام عليه ثم عليهم وعلى عصابته التي ركاها

[٢٣٠]

كانوا إذا التمس السماح سبحانه * ولقد أتو عند الجوائح بابه ملكوا من المجد الأثيل لبابه * أعني الكرام أولي النهى أصحابه * فئة التقى ومن اهتدى بهداها مدحي لأحمد لا حمى كملاده * فإن ارتضاه وحاد لي بنفاده فلنعم ما أنا عائد بمعاذه * والحمد لله الكريم وهذه * نجزت وطني أنه يرضاها زاد خمسه الشياخ أبو عبد الله محمد، عفا الله تعالى عنه بمنه ولطفه وكرمه أمين: منحت قصيد البسكري قيولا * وسئلت في تخميسها لتطولا فأردت في باب الثواب دخولا * وأطلت في نسج الكلام ذيولا * قيل الرياض نمت فزاد شذاها غفر الإله له ولي ولمن قرا * وأعد في دار النعيم لنا القرى وحباه أجر المخلصين لنا القرى * فعلى قصيدته سنا صدق يرى * وكفته رؤيا في المنام رآها قال الرسول له رضيت فيالها * بشرى بنيتها الجميلة نالها فإن ارتضيت بأن أنال مثالها * فهي السعادة قد منحت نوالها * وهناك تظفر مهجتي بمنها يا رب بالمختار يسر أمرنا * واغفر خطايانا وأذهب ضرنا واجزل عطايانا وأجمل سترنا * واجعل بطيبة في حماه مقرنا * وأجب سؤال نفوسنا ودعاها يا رب صل على النبي محمد * والآل والصحب الكرام المحتد القائمين الراكعين السجد * بحماة دينك باللسان وباليد * والمال حيا للرسول وجاها تنبيه: سيأتي في المعجزات وفي الخصائص أشياء تتعلق بالمدينة الشريفة الكريمة إن شاء الله تعالى.

[٣٣١]

جماع أبواب بعض حوادث من السنة الأولى والثانية من الهجرة الباب الأول في صلاته صلى الله عليه وسلم الجمعة بيني سالم بن عوف وهي أول جمعة صلاها وأول خطبة في الإسلام كما جزم به (أبو سلمة بن عبد الرحمن) في العيون (نقلا عن) ابن إسحاق، والبيهقي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: " كان أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أنه قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: " (أما بعد): أيها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن والله (ليصعقن) أحكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه، وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فيبلغك وأتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك ؟ فلينتظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق من تمره فليفعل، ومن لم يجد فيكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنه عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام (عليكم) وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته ". ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فقال: " إن الحمد لله أحمدته وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، قد أفلح من زينته الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره علي ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا من أحبه الله، أحبوا الله من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله وذكره، ولا تقس عنه قلوبكم، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى قد سماه الله خيرته من الأعمال ومصطفاه من العباد والصالح من الحديث، ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حق تقاته وأصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابوا بروح الله بينكم، إن الله يغضب أن ينكث عهده. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ". وروى ابن جرير عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أنه بلغه عن خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عوف: " الحمد لله أحمدته وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له،

وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق، والنور والموعظة، على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، (وانقطاع من الزمان)، وذنو من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشده، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا. أوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله عز وجل، فاحذروا ما حذرکم الله من نفسه ولا أفضل من ذلك ذكرا، وإن تقوى الله من عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح (الذي) بينه وبين الله تعالى من (أمره في) السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره (وذخرا فيما بعد الموت، حين يفتقر المرء إلى ما قدم. وما كان مما سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا (ويحذرکم الله نفسه والله رءوف بالعباد) (آل عمران: ٣٠) هو الذي صدق قوله، وأنجز وعده، لا خلف لذلك، فإنه يقول عز وجل (ما يبد القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) (ق ٢٩) فاتقوا الله في عاجل أمرکم وأجله في السر والعلانية فإنه (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) (الطلاق ٥) ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما. وإن تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وإن تقوى الله تبيض الوجوه، وترضي الرب، وترفع الدرجة. فخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله، فقد علمکم كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليکم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباکم وسماکم المسلمین (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) (الأنفال ٤٢) ولا حول ولا قوة إلا بالله، فأكثرُوا ذكر الله تعالى واعلموا لما بعد الموت، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه. الله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " (١). تنبيهات الأول: قال في الروض قوله صلى الله عليه وسلم: " أحبوا الله من كل قلوبكم " يريد أن تستغرق محبة الله تعالى جميع أجزاء القلب، فيكون ذكره وعمله خارجا من قلبه خالصا لله. وتقدم الكلام على محبته لعبده، ومحبة العبد لربه في اسمه صلى الله عليه وسلم: " حبيب الله ". وقوله صلى الله عليه وسلم: " ولا تملوا كلام الله وذكره. فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى " قال السهيلي: الهاء في قوله: (فإنه) لا يجوز أن تكون عائدة على كلام الله تعالى، ولكنها

(١) أخرجه ابن جرير في التاريخ ٢ / ٢٥٥. (*)

ضمير الأمر والحديث، فكأنه قال: إن الحديث من كل ما يخلق الله يختار، فالأعمال إذا كلها من خلق الله، قد اختار منها ما شاء قال سبحانه: (وربك يخلق ما يشاء ويختار). وقوله: " قد سماه الله خيرته من الأعمال "، يعني الذكر وتلاوة القرآن (لقوله سبحانه: " ويختار " فقد اختاره من الأعمال). وقوله: " والمصطفى من عباده "؛ أي سمى المصطفى من عباده بقوله تعالى: (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) (الحج ٧٥) ويجوز أن يكون معناه المصطفى من عباده أي العمل الذي اصطفاه منهم واختاره من أعمالهم، فلا تكون " من " على هذا للتبويض، إنما تكون لابتداء الغاية، لأنه عمل استخرجه منهم لتوفيقيه إياهم، والتأويل الأول أقرب مأخذا. والله أعلم

بما أراد رسوله ". وقوله في أول الخطبة: " إن الحمد لله أحمده " ، هكذا برفع الدال (من قوله: الحمد لله) (٤) وجدته مقيدا مصححا عليه، وإعرابه ليس على الحكاية، ولكن على إضمار الأمر، كأنه قال: " إن الأمر الذي أذكره "، حذف الهاء العائدة على الأمر كي لا يقدم شيئا في اللفظ من الأسماء على قوله: " الحمد لله ". وليس تقديم " أن " في اللفظ من باب تقديم الأسماء لأنها حرف مؤكد لما بعده مع ما في اللفظ من التحري للفظ القرآن والتيمن به والله أعلم. الثاني: اختلف في تسمية اليوم بذلك، مع أنه كان اتفاقا يسمى في الجاهلية: " العروبة " - بفتح المهملة وضم الراء وبالموحدة - قلت: قال أبو جعفر النحاس في كتابه: " صناعة الكتابة ": لا يعرفه أهل اللغة إلا بالألف واللام إلا شاذًا، ومعناه اليوم المبين المعظم من أعرب إذا بين. فقيل: سمي بذلك لأن الخلائق جمعت فيه، ذكره أبو حذيفة البخاري في المبتدا عن ابن عباس، وإسناده ضعيف، وقيل: لأن خلق آدم جمع فيه. وروى الإمام أحمد والنسائي وابن خزيمة وابن أبي حاتم عن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أتدري ما يوم الجمعة ؟ " قلت: الله ورسوله أعلم، قالها ثلاث مرات. قال في الثالثة: " هو اليوم الذي جمع فيه أبوكم آدم ". الحديث، وله شاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه، رواه ابن أبي حاتم بإسناد قوى، والإمام أحمد مرفوعا بإسناد ضعيف، قال الحافظ: " وهذا أصح. ويليهِ ما رواه عبد الرزاق عن ابن سيرين بسند صحيح إليه، في قصة تجميع الأنصار، مع أسعد بن زرارة. وكانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة، صلى بهم فيه وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا إليه ". وقيل: " سمي بذلك لاجتماع الناس للصلاة فيه ". وبهذا جزم ابن حزم فقال: إنه اسم إسلامي لم يكن في الجاهلية وإنما كان يسمى العروبة. وفيه نظر، فقد قال أهل اللغة: إن العروبة اسم قديم كان للجاهلية، وقالوا: الجمعة هو يوم العروبة. والظاهر أنهم غيروا الأيام السبعة بعد أن كانت: أول وأهون وجبار ودبار ومؤنس وعروبة وشيار.

[٢٢٤]

وقال الجوهري: وكانت العرب تسمي يوم الاثنين " أهون " في أسمائهم القديمة. فهذا يعثر بأن لها أسماء وهي هذه المتعارفة إلى آخرها الآن. وقيل: إن أول من سمى العروبة " الجمعة " كعب بن لؤي، فيحتاج من قال إنهم غيرها إلى الجمعة، فأبقوها على تسمية العروبة إلى نقل خاص. الثالث: تقدم أن صلاة الجمعة صلتها الصحابة بالمدينة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، فقيل ذلك بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم لما رواه الدارقطني عن ابن عباس، قال: أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجمعة قبل أن يهاجر، ولم يستطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بمكة ولا (بيدي) لهم، فكتب إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه: " أما بعد فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم، فاجمعوا نساءكم وأبناءكم، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة فتقربوا إلى الله تعالى بركعتين ". قال: فأول من جمع مصعب بن عمير حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فجمع عند الزوال من الظهر، وأظهر ذلك. وفي سنده أحمد بن حمد بن غالب الباهلي، وهو متهم بالوضع. قال في الزهر: " والمعروف في هذا المتن الإرسال، رويناه في كتاب الأوائل لأبي عروبة الحراني " قال: " حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ابن وهب حدثنا ابن جريح عن سليمان بن موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى مصعب به ". وقيل باجتهاد الصحابة، روى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال: جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل أن تنزل الجمعة، فقالت الأنصار: إن لليهود يوما يجمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى مثل ذلك فلهموا فلنجعل يوما تجمع فيه فنذكر الله ونصلي ونشكر. فجعلوه يوم

العروبة، واجتمعوا إلى أسعد بن زرارة، فصلى بهم يومئذ وأُنزل الله تعالى بعد ذلك: (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) (الجمعة ٩) قال الحافظ: وهذا وإن كان مرسلاً فله شاهد بإسناد حسن، رواه أبو داود وابن ماجه، وصححه ابن خزيمة وغير واحد من حديث كعب بن مالك قال: " كان أول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أسعد بن زرارة "، الحديث وقد تقدم، فمرسل ابن سيرين يدل على أن أولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة باجتهاد، ولا يمنع ذلك أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم علمه بالوحي وهو بمكة، فلم يتمكن من إقامتها كما في حديث ابن عباس والمرسل بعده، ولذلك جمع بهم أول ما قدم المدينة كما حكاه ابن إسحاق وغيره، وعلى هذا فقد حصلت الهداية للجمعة بخبر نبي البيان والتوفيق. وقيل: الحكمة في اختيارهم الجمعة وقوع خلق آدم فيه، والإنسان إنما خلق للعبادة، فناسب أن يشغل بالعبادة فيه، وكان الله تعالى أكمل فيه الموجودات وأوجد فيه الإنسان الذي ينتفع بها، فناسب أن يشكر الله على ذلك بالعبادة فيه، ولهذا تنمة تأتي في الخصائص إن شاء الله تعالى.

[٢٢٥]

الباب الثاني في بناء مسجده الأعظم وبعض ما وقع في ذلك من الآيات تقدم أن ناقته صلى الله عليه وسلم بركت عند باب مسجده، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هذا المنزل إن شاء الله "، ثم أخذ في النزول: فقال: (رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) (المؤمنون ٢٩). وكان مريداً ليتيمين هما: سهل وسهيل، قال يحيى بن الحسن، والبلاذري وغيرهما: " ابنا رافع بن أبي عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وبذلك صرح ابن حزم، وأبو عمرو ورجحه، وكانا في حجر أسعد بن زرارة كما في صحيح البخاري عند أكثر رواه. وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى بني النجار بسبب موضع المسجد، فقال: " يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا " (١)، فقالوا: " والله لا نطلب ثمنه إلا من الله " وفي رواية: فدعا بالغلامين وساموهم بالمرید ليتخذه مسجداً. فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله. فأبى أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجداً. وكان أسعد بنى المرید مسجداً قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم. وروى يحيى بن الحسن بن عن النوار بنت مالك أم زيد بن ثابت أنها رأت أسعد بن زرارة قل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم، يصلي بالناس الصلوات الخمس، ويجمع بهم في مسجده بناه في مرید سهل وسهيل، ابني رافع بن أبي عمرو بن عائذ قالت: " كأنني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم صلى بهم في ذلك المسجد، وبناه فهو مسجده "، وذكر البلاذري نحوه. وروى الشيخان والبيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: كان المسجد جداراً ليس له سقف، وقبلته إلى القدس، فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالنخل بالعرقد أن يقطع، وكان فيه قبور جاهلية، فأمر بها فنبشت وأمر بالعظام أن تغيب، وكان في المرید ماء فسيره حتى ذهب، وكان فيه خرب فأمر بها فسويت، فصفوا النخل قبلة له، أي جعلت سواري له في جهة القبلة فسقف عليها وجعلوا عضادته حجارة. وروى ابن عائذ أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه وهو عريش اثني عشر يوماً ثم سقف، وروى محمد بن الحسن المخزومي، ويحيى بن الحسن عن شهر بن حوشب قال: " لما أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يبني المسجد قال: " ابنوا لي عريشاً كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والأمر أعجل من ذلك ". قيل: وما ظله موسى؟ قال: " كان إذا قام أصاب رأسه

[٢٣٦]

اسقف. وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصحابة في بناء المسجد، بنفسه الكريمة، كما في الصحيح أنه طفق ينقل معهم اللبن ترغيباً لهم في العمل " ويقول: اللهم إن الأجر أجر الآخرة * فارعم الأنصار والمهاجرة (١) ويذكر أن هذا البيت لعبد الله بن رواحة، وعن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: اللهم لا خير إلا خير الآخرة فارحمن المهاجرين والأنصار. وكان لا يقيم الشعر. وروى محمد بن الحسن المخزومي عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: " بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده فقرب اللبن وما يحتاجون إليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رداءه، فلما رأى ذلك المهاجرون الأولون والأنصار ألقوا أرويتهم وأكسيتهم وجعلوا يرتجزون ويعملون ويقولون: لئن قعدنا والنبي يعمل * ذاك إذا للعمل المضلل (٢) وروى البيهقي عن الحسن قال: لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد أعانه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره. وكان عثمان بن مطعون رجلاً منتطعاً وكان يحمل اللبنة فيجافي بها ثوبه، فإذا وضعها نفص كفه ونظر إلى ثوبه، فإن أصابه شئ من التراب نفصه، فنظر إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأنشد يقول: لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائماً وقاعدا * ومن يرى عن الغبار حائدا فسمعها عمار بن ياسر، فجعل يرتجز بها وهو لا يدري من يعني بها. فمر بعثمان فقال: يابن سمية، ما أعرفني بمن تعرض، ومعه جريدة، فقال: لتكفن أو لأعترضن بها وجهك. فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فغضب ثم قال: " إن عمار بن ياسر جلدة ما بين عيني وأنفي فإذا بلغ ذلك من المرء فقد أبلغ ". ووضع يده بين عينيه. فكف الناس عن عمار، ثم قالوا لعمار: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد غضب فيك، ونخاف أن ينزل فينا قرآن. فقال: أنا أرضيه كما غضب. فقال: يا رسول الله ما لي ولأصحابك؟ قال: " مالك ولهم " ؟ قال: يريدون فتلي، يحملون لبنة لبنة ويحملون علي لبنتين لبنتين. فأخذ بيده وطاف به في المسجد، وجعل يمسح وفرته بيديه من التراب ويقول: " يابن سمية، ليسوا بالذين يقتلونك، تقتلك الفئة الباغية، تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار "، ويقول عمار: أعوذ بالله من الفتن.

(١) انظر البداية والنهاية ٣ / ٢١٥. (٢) انظر البداية والنهاية ٣ / ٢١٦. (*)

[٢٣٧]

وروى عبد الرزاق بسند على شرط الشيخين عن أم سلمة، والبخاري والبيهقي (١) عن أبي سعد الخدري رضي الله عنه قال: " لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بينون المسجد، جعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل كل رجل منهم لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين: لبنة عنه ولبنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره وقال: " يابن سمية للناس أجر ولك أجران، وآخر زادك شربة من لبن، وتقتلك الفئة الباغية، تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار "، وعمار يقول: " أعوذ بالله من الفتن ". وروى أبو يعلى برجال الصحيح إلا أن التابعي لم يسمع عن عائشة رضي الله عنها قالت: " لما أسس رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه،

وجاء أبو بكر بحجر فوضعه، وجاء عمر بحجر فوضعه، وجاء عثمان بحجر فوضعه، قالت: فسئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك فقال: " هذا أمر الخلافة من بعدي " (٢). وروى البيهقي بسند قوى جيد عن سفينة (٣) رضي الله عنه نحوه، وفيه قال: " هؤلاء ولاية الأمر من بعدي ". وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنهم كانوا يحملون اللبن إلى بناء المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " فاستقبلت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو عارض لبنة على بطنه فظننت أنها شقت عليه، فقلت: " يا رسول الله ناولنيها ". فقال: " خذ غيرها، لا عيش إلا عيش الآخرة ". وهذا كان في بنائه المرة الثانية، لأن أبا هريرة لم يسلم في الأولى، وروى يحيى بن الحسن عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن أبيه، قال: " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه حجر، فلقيه أسيد بن حضير، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيتني. فقال: " اذهب فاحتمل غيره فإنك لست بأفقر إلى الله مني " (٤). وروى الإمام أحمد ويحيى بن الحسن عن طلق بن علي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو ينبي المسجد، والمسلمون يعملون فيه معه، وكنت صاحب علاج وخط طين، فأخذت المسحاة أخلط الطين والنبى - صلى الله عليه وسلم - ينظر إلي ويقول: " إن هذا الحنفي لصاحب طين ". وكان يقول: " قربوا اليمامي من الطين فإنه أحسنكم له مسكا وأشدكم منكبا " (٥).

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢ / ٢٦٩. (٢) أخرجه أبو نعيم في المسند ٨ / ٣٩٥ (٤٨٨٤) وذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١٧٦ وعزاه لأبي يعلى وقال: ورجاله رجال الصحيح، غير التابعي فإنه لم يسم، وذكره ابن حجر في المطالب (٣٨٤١). (٣) سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قيل: كان اسمه مهران وقيل: طهمان وقيل: مروان وقيل: نجران وقيل: رومان وقيل: ذكوان وقيل: كيسان وقيل: سليمان وقيل غير ذلك الإصابة ٣ / ١٠٩. (٤) أخرجه أحمد في المسند ٢ / ٣٨١. (٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٥ / ٤٠٢. (*)

[٣٢٨]

وروى يحيى بن الحسن من طريق عبد العزيز بن عمر، عن يزيد بن السائب، عن خارجة بن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: " بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسجده سبعين في ستين ذراعا أو يزيد، ولبن لبنة من بقيق الخبيبة وجعله جدارا وجعل سواريه خشبا شقة شقة، وجعل وسطه رحبة، وبنى بيتين لزوجتيه ". وروى يحيى أيضا عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كنا بناء مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالسميط لبنة على لبنة، ثم بالسعيد لبنة ونصف أخرى، ثم كثر الناس فقالوا: " يا رسول الله لو زيد فيه " ففعل، فبنى بالذکر والأنثى وهي لبنتان مختلفتان، وكانوا رفعوا أساسه قريبا من ثلاثة أذرع بالحجارة، وجعلوا طوله مما يلي القبلة إلى مؤخرة مائة ذراع، وكذا في العرض، وكان مربعا. وفي رواية جعفر: ولم يسطح فشكوا الحر، فجعلوا خشبه وسواريه جذوعا وظلوه بالجريد ثم بالخصف، فلما وكف عليهم طينوه بالطين، وجعلوا وسطه رحبة، وكان جداره قبل أن يسقف قامة وشيئا. وروى يحيى عن (أسامة بن) زيد بن حارثة عن أبيه رضي الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جعل قبلته إلى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب في مؤخرة: باب أبي بكر وهو في جهة القبلة اليوم، وباب عاتكة الذي يدعى باب عاتكة ويقال له باب الرحمة، والباب الذي كان يدخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باب آل عثمان اليوم، وهذان البابان لم يغيرا بعد أن صرفت القبلة، ولما صرفت القبلة سد النبي صلى الله عليه وسلم الباب الذي كان خلفه، وفتح هذا الباب، وحذاه هذا الباب أي ومحاذيه هذا الباب الذي سد. وروى ان زباله عن جعفر بن محمد أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى

مسجده مرتين: بناه حين قدم أقل من مائة في مائة، فلما فتح الله عليه خيبر بناه وزاد عليه مثله في الدور. وروى الزبير بن بكار عن أنس رضي الله عنه أنه قال: بنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسجده أول ما بناه بالجريد، وإنما بناه باللبن بعد الهجرة بأربع سنين. وروى الطبراني عن أبي المليح أنه قال: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لصاحب البقعة التي زيدت في مسجد المدينة، وكان صاحبها من الأنصار، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " لك بها بيت في الجنة ". قال: ف جاء عثمان، فقال له: لك بها عشرة آلاف درهم، فاشتراها منه، ثم جاء عثمان إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله اشتر مني البقعة التي اشتريتها من الأنصاري، فاشتراها منه ببيت في الجنة. فقال عثمان: إنني اشتريتها بعشرة آلاف درهم، فوضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لبنه: ثم دعا أبا بكر فوضع لبنه، ثم دعا عمر فوضع لبنه، ثم دعا

[٢٣٩]

عثمان فوضع لبنه، ثم قال لنا: " ضعوا "، فوضعوا (١). وروى الإمام أحمد والترمذي وحسنه في حديث قصة إشراف عثمان يوم الدار، عن ثمامة بن حزن القشيري، والإمام أحمد والدارقطني عن الأحنف بن قيس، أن عثمان رضي الله عنه، أشرف على الناس فقال: " أهنا علي " ؟ قالوا: نعم. قال: " أهنا طلحة " ؟ قالوا: نعم. قال: " أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أنعلمون أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " من يتاع بقعة بني فلان فليزيدها في المسجد بخير منها في الجنة ؟ " وفي رواية: " غفر الله له ". فاشترتها من صلب مالي بعشرين ألفا فاتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلت: قد ابتعتها. فقال: " اجعلها في مسجدنا ولك أجرها ". قالوا: اللهم نعم " (٢). وروى الزبير بن بكار عن نافع بن جبير، وداود بن قيس، وابن شهاب وإسماعيل بن عبد الله الأزدني عن رجل من الأنصار، والطبراني بسند رجاله ثقات، عن الشموس بنت النعمان رضي الله عنها، ويحيى بن الحسن عن الخليل بن عبد الله الأسدي عن رجل من الأنصار، عن ابن عجلان والغرافي - بالغين المعجمة والفاء في ذيله - عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن ابن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقام رهطاً على زوايا المسجد ليعدل القبلة، فاتاه جبريل، فقال: يا رسول الله ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة "، ثم قال بيده هكذا فانمط كل جبل بينه وبينها فوضع تربيع المسجد، وهو ينظر إلى الكعبة لا يحول دون نظره شيئاً. فلما فرغ قال جبريل بيده فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها وصارت قبلته إلى الميزاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما وضعت قبلة مسجدي هذا حتى رفعت لي الكعبة فوضعتها أمامها " (٣). وقال الإمام مالك رحمه الله كما في العتبة: " سمعت أن جبريل هو الذي أقام لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبلة مسجد المدينة ". وروى البخاري وأبو داود عن نافع، وأبو داود عن طريق ابن عطية، كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت سواريه على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من جذوع النخل وأعلاه مظلل بجريد النخل، ثم أنها نخرت في خلافة أبي بكر فبناه بجذوع النخل وبجريد النخل، ولم يزد فيه، وزاد فيه عمر، وبناه على بنائه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً، ثم أنها نخرت في خلافة عثمان، فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عماده من حجارة

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١ / ١٦٣ وذكره الهيثمي في المجمع ٩ / ٧٦. (٢)
أخرجه النسائي ٦ / ٢٣٤. (٣) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٢٤٨٢٤). (*)

[٢٤٠]

منقوشة وسقفه بالساج. زاد في العيون: ونقل إليه الحصاء من العقيق. وأول من اتخذ فيه المقصورة مروان بن الحكم بناها بحجارة منقوشة (وجعل لها كوى)، ثم لم يحدث فيه شيئا إلى أن ولي الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد أبيه، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة يأمره بهدم المسجد وبنائه، وبعث إليه بمال وفسيفساء ورخام وثمانين صنعا من الروم والقط من أهل الشام ومصر، فبناه وزاد فيه، وولى القيام بأمره والنفقة عليه صالح بن كيسان وذلك في سنة سبع وثمانين ويقال: من سنة ثمان وثمانين. ولم يحدث فيه أحد من الخلفاء شيئا حتى استخلف المهدي. قال محمد بن عمر: بعث المهدي عبد الملك بن شبيب الغساني ورجلا من ولد عمر بن عبد العزيز إلى المدينة لبناء مسجدها والزيادة فيه، وعليها يومئذ جعفر بن سليمان بن علي، فمكتا في عمله سنة، وزاد في مؤخرة مائة ذراع فصار طوله ثلاثمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع. وقال علي بن محمد المدائني: " ولي المهدي جعفر بن سليمان مكة والمدينة واليمامة فزاد في مكة ومسجد المدينة، وتم بناء مسجد المدينة في سنة اثنتين وستين مائة. وكان المهدي أتى إلى المدينة في سنة ستين ومائة قبل الحج فأمر بقلع المقصورة وتسويتها مع المسجد، ويقال إن المأمون عمره أيضا زاد فيه. والله أعلم. ثم لم يزد فيه شيئا أحمد من الخلفاء بعد المأمون، ولم يعمرها إلا مواضع يسيرة، إلى أن حصل الحريق (في المسجد النبوي) في أول شهر رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة أول الليل لدخول أبي بكر بن أوحى الفرائش الحاصل الذي في الزاوية الغربية لاستخراج قناديل لمناثر المسجد. وترك الضوء الذي كان في يده على فقص من أقفاص القناديل وفيه مشاق فاشتعلت النار فيه وأعجزه إطفائها وعلقت بسط وغيرها مما في الحاصل وتزايد الالتهاب حتى اتصلت بالسقف بسرعة (ثم دبت في السقوف) أخذه قبلة فأعجلت الناس عن إطفائها بعد أن نزل أمير المدينة واجتمع معه غالب أهلها، فلم يقدرها على قطعها، وما كان إلا أقل من القليل حتى استولى الحريق على جميع سقف المسجد الشريف وما احتوى من المنبر النبوي والأبواب والخزائن والمقاصير والصدائق ولم تبق خشبة واحدة، وكذا الكتب، وكسوة الحجرة الشريفة. قال القطب القسطلاني: وكان عليها حينئذ إحدى عشرة ستارة، وأزالت النار تلك الزخارف التي لا ترضي، وشوهد من هذه النار صفة القهر والعظمة الإلهية مستولية على الشريف والمشروف. وكان هذا الحريق عقب ظهور نار الحجاز المنذر بها من أرض المدينة، وحماية أهلها منها لما التجأوا إلى مسجدها، فانطفت عند وصولها لحرمتها. قلت: وسيأتي بيان ذلك في المعجزات إن شاء الله تعالى.

[٢٤١]

وربما خطر ببال العوام أن حبسها عنهم ببركة الجوار موجب لحبسها عنهم في الآخرة، مع اقتراف الأوزار، فاقترضى الحال البيان بلسان الحال الذي هو أفصح من لسان المقال. والنار مطهرة لأدناس الذنوب وقد كان (ذلك) لاستيلاء الروافض حينئذ (على المسجد النبوي والمدينة) وكان القاضي والخطيب منهم، وأسأوا الأدب كما بسط ذلك ابن حبير في رحلته، ولذ وجد عقب الحريق على جدران المسجد: لم يحترق حرم النبي صلى لريبة * يخشى عليه وما به

من عار لكنها أيدي الروافض لامست * تلك الرسوم فظهرت بالنار ووجد أيضا: قل للروافض بالمدينة ما بكم * لقيادكم للذم كل سفيه ما أصبح الحرم الشريف محرقا * إلا لسبكم الصحابة فيه ولم يسلم من الحريق سوى القبة التي أحدثها الناصر لدين الله لحفظ ذخائر الحرم، قال المؤرخون: وبقيت سوارى المسجد قائمة كأنها جذوع النخل إذا هبت الرياح تتمايل، وذاب الرصاص من بعض الأساطين فسقطت ووقع السقف الذي كان على أعلى الحجرة الشريفة على سقف بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوقها جميعا في الحجرة الشريفة وعلى القبور المقدسة. وفي صبيحة الجمعة عزلوا موضعا للصلاة وكتبوا بذلك للخليفة المستعصم بالله (أبي أحمد عبد الله) بن المستنصر بالله (في شهر رمضان)، فوصلت الآلات صحية الصانع مع ركب العراق في الموسم وابتدئ بالعمارة أول سنة خمس وخمسين وستمائة، وقصدوا إزالة ما وقع من السقوف على القبور الشريفة، فلم يجسروا على ذلك. واتفق رأي (صاحب المدينة يومئذ وهو) الأمير منيف بن شيبه (بن هاشم بن قاسم بن مهنئ الحسيني) مع رأي أكابر الحرم الشريف أن يطالع الإمام المستعصم بالله بذلك فيفعل ما يصل إليه أمره. فأرسلوا بذلك فلم يصل جوابه لاشتغاله وأهل دولته بإزعاج التتار لهم واستيلائهم على أعمال بغداد في تلك السنة. فتركوا الردم على حاله ولم ينزل أحد هناك. زاد المجد اللغوي: ولم يجسر أحد على التعرض لهذه العظيمة التي دون مرامها تزل الأقدم ولا يتأنى من كل أحد بادئ بدئه الدخول فيه والإقدام. ووصلت الآلات من صاحب اليمن (يومئذ وهو الملك) المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور عمر بن رسول الله. ثم عزل صاحب مصر، وتولى مكانه مملوك أبيه المظفر سيف الدين قطز المعزي واسمه الحقيقي محمود بن ممدود، وأمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه، وأبوه ابن عمه، أسر عند غلبة التتار، فبيع بدمشق، ثم انتقل بالبيع إلى مصر،

[٢٤٢]

وتملك في ثامن عشر ذي القعدة من سنة سبع (وخمسين وستمائة). وفي شهر رمضان من سنة ثمان أعز الله تعالى الإسلام على يده بوقعه عين جالوت. ثم قتل بعد الموقعة بهشر وهو داخل إلى القاهرة. وكان العجل بالمسجد الشريف في تلك السنة من باب السلام إلى باب الرحمة (المعروف قديما بباب عاتكة) ومن باب جبريل إلى باب النساء، وتولى مصر آخر تلك السنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى البندقدارى، فحصل منه اهتمام بأمر المسجد فجهز الأخشاب والحديد والرصاص، ومن الصانع ثلاثة وخمسين صنعا، وما يمونهم، وأنفق عليهم قبل سفرهم وأسل معهم الأمير جمال الدين محسن الصالحى وغيره، ثم صار يمدهم بما يحتاجون إليه من الآلات والنفقات. فعمل في أيامه باقى سقف المسجد كما كان قبل الحريق سقفا فوق سقف إلا السقف الشمالي فإنه جعل سقفا واحدا. ولم يزل المسجد على ذلك حتى جدد السقف الشرقي والسقف الغربي اللذان عن يمين صحن المسجد وشماله وذلك في سنتي خمس وست وسبعمائة في أوائل دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى، فجعل سقفا واحدا شبه السقف الشمالي (أي سقف الدكاك). ثم في سنة تسع وعشرين وسبعمائة أمر الملك الناصر محمد المذكور بزيادة رواقين (في المسقف القبلى) متصلين بمؤخرة فاتسع مسقفة بهما وعم نفعهما. ثم حصل في هذين الرواقين خلل فجدهما الملك الأشرف برسباي سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة من مال جوالي قبرص. وجدد الأشرف أيضا شيئا من السقف الشامى (مما يلي المنارة السنجارية). ثم حصل خلل في سقف الروضة الشريفة وغيرها من سقف المسجد في دولة الظاهر جقمق، فجدد ذلك في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، ثم جدد السلطان الملك الأشرف قايتباي كثيرا

من سقف المسجد، ثم احترق المسجد النبوي ثانياً في الثلث الأخير من ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان، سنة ست وثمانين وثمانمائة، وذلك أن رئيس المؤذنين وصدر المدرسين شمس الدين محمد بن الخطيب قام يهلهل حينئذ بالمنارة الشرقية اليمانية المعروفة بالرئيسية، وصعد المؤذنون بقية المنائر وقد تراكم الغيم وحصل رعد قاصف، فسقط صاعقة أصاب بعضها هلال المنارة المذكورة فسقط شرقي المسجد لهب كالنار وانشق رأس المنذنة، وتوفي الرئيس لحيته صغفاً. وأصاب ما نزل من الصاعقة سقف المسجد الأعلى بين المنارة الرئيسية وقبة الحجر النبوية فنقبه ثقباً كالترس ففعلت النار فيه وفي السقف الأشفل، ففتحت أبواب المسجد ونودي بأن الحريق في المسجد. فاجتمع أمير المدينة قسطل بن زهير الجمازي وأهلها بالمسجد الشريف، وصعد أهل

[٢٤٢]

النجدة منهم بالمياه لإطفاء النار وقد التهبت في الشقيفين، وأخذت في جهة الشمال والغرب، فعجزوا عن إطفائها وكادت أن تدركهم فهربوا، وسقط بعضهم فهلك، ونجا بعضهم مع من حالت النار بينه وبين الأبواب إلى صحن المسجد. وجملة من مات بسبب ذلك بضع عشرة نفساً. وعظمت النار جداً حتى صارت كبحر لحي من نار، ولها زفير وشهيق، وألسن تصعد في الجو، وصارت ترمي بشرر كالقصر ويسقط بالبيوت المجاورة ومع ذلك فلا تؤثر فيها وحمل بعض خزائن الكتب والربعات والمصاحف غير ما بادروا بإخراجه وذلك كله في نحو عشرة أدراج فأصابها الشرر فأحرقها، وأخبر أمير المدينة قسطل الجمازي أن شخصاً من العرب الصادقين رأى في المنام قبل ذلك أن السماء فيها جراد منتشر ثم أعقبته نار عظيمة، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم - النار وقال: " أمسكها عن أمتي ". قال السيد: وأخبرني جماعة أنهم شاهدوا أشكال طيور ببعض تحوم حول النار كالذي يكفها عن بيوت الجيران، مع هرب كثير منهم لما رأوا تساقط الشرر، وخرج بعضهم من باب المدينة لعظم ما شاهدوه من الهول ووطنوا أنهم قد أحيط بهم، ثم خمدت النار ثاني يوم وأرسلوا للسلطان قايتباي يعلمونه بذلك فاهتم بذلك رحمه الله تعالى الذي أهله لهذا الأمر وعمر المسجد الشريف والحجرة الشريفة العمارة المحكمة الموجودة في زماننا. تنبيهات الأول: اختلف في اسم أبي اليتيمين اللذين كان المسجد لهما فقال (موسى بن عقبة: هما ابنا رافع بن عمرو بن أبي عمرو)، وقال الزهري وابن إسحاق هما ابنا عمرو. قال في العيون: إنه الأشهر. وحاول السهيلي التوفيق بين القولين فقال: " هما ابنا رافع بن عمرو "، فعلى هذا نسباً إلى جدهما. قال الحافظ: " والأرجح هو قول الزهري وابن إسحاق ". الثاني: ذكر ابن إسحاق أنهما كانا في حجر معاذ بن عفراء، وقال أبو ذر الهروي أحد رواة الصحيح: أسعد بن زرة ياثبات الألف في أسعد. قال الحافظ والسيد: " وهو الوجه ". وقال ابن زبالة ويحيى إنهما كانا في حجر أبي أيوب وقد يجمع باشتراك من ذكر في كونهما في حجورهم، وانتقال ذلك بعد أسعد بن زرة إلى من ذكر واحداً بعد واحد، سيما وقد روى محمد بن الحسن المخزومي عن ابن أبي فديك قال: " سمعت بعض أهل العلم يقولون إن أسعد توفي قبل أن يني رسول الله المسجد، فباعه رسول الله من سهل وسهيل ". الثالث: في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرسل إلى ملا بني النجار بسبب موضع المسجد: فقال: " يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا "، فقالوا: " والله لا نطلب ثمنه إلا من الله ". وفي رواية: " فدعا بالغلامين فساوهمما بالمربد يتخذة مسجداً ". ووقع في رواية ابن

[٢٤٤]

عبيبة: " فكلّم عمهما، أي الذي كانا في حجره، أن يتاعه منهما "، فقال: " ما تصنع به " ؟ فلم يجد بدا من أن يصدقهما، فأخبرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراده، فقالا: " نحن نعطيه "، فأعطياه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبناه. أخرج الجندي. وذكر ابن زبالة، ويحيى، أن أبا أيوب قال: يا رسول الله أنا أرضيهما، وذكر ابن عقيبة أن أسعد عوضهما عنه نخلا، قال: وقيل: ابتاعه منهما رسول الله صلى الله عليه وسلم. وطريق الجمع بين ذلك كما أشار إليه الحافظ أنهم لما قالوا: " لا نطلب ثمنه إلا من الله " سأل عمن يختص بملكه منهم، فعينوا الغلامين، فابتاعه منهما أو من وليهما إن كانا غير بالغين، وحينئذ فيحتمل أن الذين قالوا: " لا نطلب ثمنه إلا من الله تحملوا عنه للغلامين بالثمن، فقد نقل ابن عقيبة أن أسعد بن زرارة عوض الغلامين عنه نخلا له في بيضة. وتقدم أن أبا أيوب قال: أنا أرضيهما، فأرضاهما، وكذلك معاذ بن عفراء، فيكون بعد الشراء. ويحتمل أن كلا من أسعد، وأبي أيوب وابن عفراء أرضى اليتيمين بشئ فنسب ذلك لكل منهم. وقد روى أن اليتيمين امتنعا من قبول عوض، فيحتمل ذلك على بدء الأمر، ولكن قال الواقدي: إنه صلى الله عليه وسلم اشتراه من بني عفراء بعشرة دنانير ذهباً دفعها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فلعله رغب في الخير، فدفع العشرة مع أولئك، أو أنه صلى الله عليه وسلم أخذ أولاً بعض المرید في بنائه الأول سنة قدمه، ثم أخذ بعضاً آخر لما سبق أنه بناه مرتين وزاد فيه فكان الثمن من مال أبي بكر في إحداهما ومن الآخرين في الأخرى. الرابع: ذكر السيد أن قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمار: " تقتلك الفئة الباغية ". كان في البناء الثاني، لأن البيهقي روى في الدلائل عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لأبيه عمرو: " قد قتلنا هذا الرجل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما قال ". قال: " أي رجل " ؟ قال: " عمار بن ياسر، أما تذكر يوم بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد، وكنا نحمل لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين لبنتين " ؟ فمر علي رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقال " تحمل لبنتين لبنتين وأنت ترحض ؟ أما إنك ستقتلك الفئة الباغية، وأنت من أهل الجنة ". فدخل عمرو بن العاص علي معاوية: فقال: " قتلنا هذا الرجل، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال " فقال معاوية: " اسكت فوالله ما تزال تدحض (١) في بولك، ونحن قتلناه ؟ إنما قتله علي وأصحابه جاؤوا به حتى ألقوه بيننا. قال السهوي: " وهو يقتضي أن هذا القول لعمار كان في البناء الثاني للمسجد، لأن إسلام عمرو بن العاص كان في السنة الخامسة للهجرة. "

(١) تدحض: أي تزلق. ويرى بالصاد: أي تبحث فيها برحلك، انظر النهاية ٢ / ١٠٥. (*)

[٢٤٥]

الخامس: في بيان غريب ما سبق: " المرید " (١) - بكسر الميم -: الموضع الذي يجعل فيه التمر. " الملاء " - بفتح الميم واللام - أشرف الناس ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم. " النجار " : بالنون والجيم. " ثامنوني " : أي بايعوني وقاولوني. " الحائط " هنا: البستان: وتقدم أنه كان مریدا فلعله كان أولاً حائطا ثم خرب فصار مریدا، ويؤيده قوله: ليتخذ مسجدا. " النوار " : بفتح النون وتشديد الواو بعد الألف راء. " عايد " : بالمثلثة التحتية والذال المعجمة. " الجدار " ككتاب: الحائط. " الغرقد " (٢) بالغين المعجمة والراء والقاف والذال المهملة: ضرب من شجر العضاة، واحده غرقدة. " خرب " بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء وبالموحدة (جمع خربة وهي الموضع الخراب)، وفي لفظ بالحاء المهملة وسكون الراء والمثلثة: (حرت). " العريش " : السقف وما يستظل به، وهو المراد هنا. " ثمامات " (٣):

جمع ثمام بضم المثلثة: نبت ضعيف له خوص أو شبيهه بالخوص، وربما حشي به أو سد به خصاص (٤) البيوت الواحدة ثمامة. " العضادتان ": تثنية عضادة - بكسر العين المهملة والضاد المعجمة وبعد الألف دال مهملة -: جانب الباب. " طفق ": جعل. " الحمال ": بكسر الحاء المهملة من الحمل، والذي يحمل من خبير: التمر. أي أن هذا

(١) انظر اللسان ٣ / ١٥٥٦. (٢) انظر اللسان ٥ / ٣٢٤٦. (٣) انظر الوسيط ١ / ١٠١. (٤) الخص: بيت يعمل من الخشب والقصب، وجمعه خصاص، وأخصاص، سمي به لما فيه من الخصاص وهي الفرج والأنقاب. انظر النهاية ٢ / ٣٧. (*)

[٢٤٦]

في الآخرة أفضل من ذاك وأحمد عاقبة، كأنه جمع حمل أو حمل ويجوز أن يكون مصدر حمل أو حامل. " خبير ": يأتي الكلام عليها في غزوتها. " أرديتهم ": جمع رداء. " منتطعا " (١) - بميم مضمومة فمثناه فوقية فنون مفتوحتين فطاء مهملة مكسورة فعين مهملة: من تنطع إذا تعمق وتغالى وتأنق. " الوفرة ": بواو مفتوحة ففاء فراء: الشعر المجتمع على الرأس، أو ما مال على الأذنين منه أو ما جاوز شحمة الأذنين ثم الجمرة ثم اللمة. " ويح ": كلمة ترحم وتوجع: يقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها، وقد يقال: بمعنى المدح والتعجب، وهي منصوبة على المصدر. " الحبجة " (٢): بخاءين مهملتين بعد كل موحدة وهي في الأصل جري الماء قليلا قليلا كالحبج والحبجة الضعف وسوق الإبل ومن النار اتقادها والبطيخ الشامي الذي يسميه أهل العراق الرقي والفرس تسميه الهندي. " بالسميط ": أي على لبنة واحدة، والسميط من النعل: الطاق الواحد لا رقعة فيها. " السواري ": جمع سارية وهي الاسطوانة. " السعد ": ثلث اللبنة والسعيد كزبير ربعها. " وكف ": سال ماؤه. " الخصف ": بخاء معجمة فصاد مهملة مفتوحتين: المنسوج من الخوص. " الشموس " - بفتح الشين المعجمة وضم الميم وبالواو والسين: (بنت النعمان بن عامر بن مجمع) من الأنصار. " الرحبة " - بالراء والحاء المهملة والموحدة المفتوحات، قال في الصحاح: رحبة المسجد بالتحريك ساحتها والجمع رحب ورحبات ورحاب. " الزوايا " جمع زاوية: الناحية.

(١) التنطع في الكلام: التعمق فيه مأخوذ منه وفي الحديث " هلك المنتطعون " وتنطع في الكلام وتنطس إذا تأنق فيه وتعمق وتنطح في شهواته: تأنق. اللسان ٦ / ٤٤٦١. (٢) الحبجة: الضعف، والحجاب: الصغير الجسم المتداخل العظام. اللسان ٢ / ٧٤٧. (*)

[٢٤٧]

" انماط " (١): بالنون والميم والطاء المهملة بعد الألف: أي تنحى. " نخرت " (٢) - بالنون المفتوحة والحاء المعجمة المسكورة والراء: يبست وتفتتت. " المنقوشة " - بميم مفتوحة فنون ففاف فواو فشين معجمة: الملونة بلونين أو ألوان. " الساج " - بسين مهملة وجميم مخففة: نوع من الشجر. " القصة " - بفتح القاف وتشديد الصاد المهملة المفتوحة فتاء تأنيث: (الحجارة من الجص). " الفسيفساء " (٣) قال في النور: بضم الفاء الأولى وفتح السين المهملة فتحية ساكنة ففاء مكسورة ثم سين مهملة أخرى ممدودة، هكذا سمع الناس ينطقون به وكذا رأيت محررا بخط كمال

الدين بن العديم في تاريخه في غير موضع، وكذا رأيت مضبوطاً بالقلم في مطالع ابن فرود، وهو فصوص صغار من ألوان الزجاج تلتق بالحائط وتطلّى بماء الذهب، وهي كثيرة بجامع دمشق وبيت المقدس (وهي غاية) في الحسن والبهجة.

(١) من ماط ميطا: من باب تباعد ويتعدى بالهمزة والحرف فيقال إماطه غيره إماطة ومنه: إماطة الأذي عن الطريق وهي التنحية لأنها إبعاد. المصباح المنير ص ٥٨٧. (٢) انظر المفردات للراغب ٤٨٦. (٣) انظر اللسان ٥ / ٣٤١٣. (*)

[٢٤٨]

الباب الثالث في بنائه صلى الله عليه وسلم حجر نسائه رضي الله عنهن قال في الروض: " كانت بيوته صلى الله عليه وسلم تسعة: بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها من جريد، وبعضها من حجارة مرضومة بعضها فوق بعض، وسقفها من جريد أيضاً ". قال الحافظ الذهبي في " بلبل الروض ": " لم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم بني له تسعة أبيات حتى بنى المسجد ولا أحسبه فعل ذلك، إنما كان يريد بيتاً واحداً لسودة أم المؤمنين رضي الله عنها، ولم يحتج إلى بيت آخر حتى بنى لعائشة رضي الله عنه في شوال سنة اثنتين، وكان صلى الله عليه وسلم بناها في أوقاف مختلفة ". انتهى. وتقدم في الباب الثاني أنه صلى الله عليه وسلم بني لزوجيه: سودة وعائشة رضي الله عنهما، على نعت بناء المسجد، لأن عائشة كانت زوجة حينئذ، وإن تأخر الدخول بها، ثم بنى بقية الحجر عند الحاجة إليها. قال محمد بن عمر الأسلمي: " كانت لحارثة بن النعمان رضي الله عنه منازل قرب المسجد وحوله، وكلما أحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلاً نزل له حارثة عن منزل، أي محل حجرة حتى صارت منازل كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه ". قال محمد بن عمر: " حدثنا عبد الله بن يزيد الهذلي قال: رأيت بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حين هدمها عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد بن عبد الملك، كانت بيوتاً من اللبن، ولها حجر من جريد مطرورة بالطين، عدت تسعة أبيات بحجرها، وهي ما بين بيت عائشة إلى الباب الذي يلي باب النبي صلى الله عليه وسلم إلى منزل أسماء بنت حسن اليوم، قال: ورأيت بيت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وحجرتها من اللبن، فسألت ابن ابنها فقال: لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل بنت أم سلمة حجرتها بلبن. فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلي اللبن ودخل عليها أول نسائه فقال: " ما هذا البناء ؟ فقالت: " أردت يا رسول الله أن أكف أبصار الناس ". فقال: يا أم سلمة إن شر ما ذهب فيه مال المسلم البنين " (١). قال محمد بن عمر: فحدثت بهذا الحديث معاذ بن محمد الأنصاري فقال: " سمعت عطاء الخراساني في مجلس فيه عمران بن أبي أنس يقول وهو فيما بين القبر الشريف والمنبر المنيف: أدركت حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (من جريد على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ، يأمرنا بهدم حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم)، فما رأيت يوماً كان أكثر باكياً من ذلك اليوم. قال عطاء: " فسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ:

(١) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٤١٥٢١). (*)

[٢٤٩]

" والله لو ددت أنهم تركوها على حالها، ينشأ ناشئ من أهل المدينة ويقدم القادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، فيكون ذلك مما يزهّد الناس في التفاخر والتكاثر " قال معاذ: " فلما فرغ عطاء الخراساني من حديثه قال عمران بن أبي أنس: كان فيها أربعة أبيات بلبن، لها حجر من جريد، وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر لها، على أبوابها مسوح الشعر، ذرعت الساتر فوجدته ثلاثة أذرع في ذراع وعظم الذراع أو أدنى من العظم. فأما ما ذكر من البكاء يومئذ فلقد رأيتني في المسجد وفيه نفر من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وأبو أمامة بن سهل بن حنيف، وخارجة بن زيد بن ثابت (١)، وإنهم لي يكون حتى أخضلوا لحاهم من الدمع، وقال يومئذ أبو أمامة: " ليتها تركت فلم تهدم حتى يفصل الناس عن البناء ويروا ما رضي الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، ومفاتيح خزائن الدنيا بيده " وروى ابن سعد، والبخاري في الأدب، وابن أبي الدنيا، والبيهقي في الشعب عن الحسن البصري قال: " كنت وأنا مراهق أدخل بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عثمان فأتناول سقفها بيدي " وروى البخاري في الأدب، وابن أبي الدنيا، والبيهقي عن داود بن قيس قال: " رأيت الحجر من جريد النخل تغشى من خارج بمسوح من الشعر، وأظن عرض البيت من باب الحجرة إلى باب البيت نحو من ست أو سبع أذرع، وأحرز البيت من الداخل عشر أذرع، وأظن سمكه بين الثمان والسيح ". وروى محمد بن الحسن المخزومي عن محمد بن هلال قال: " أدركت بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كانت من جريد مستورة بمسوح الشعر، مستطيرة في القبلة وفي المشرق وفي الشام، ليس في غربي المسجد منها شيء، وكان باب عائشة يواجه الشام وكان بمصرع واحد من عرعر أو ساج ". وروى ابن منده عن بشر بن صحر العيدي قال: " كنت أدخل بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فأناك سقفها ". وروى ابن سعد عن عمرو بن دينار، وعبيد الله بن أبي مرثد قال: " لم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم على بيته من حائط، فكان أول من بنى عليه جدارا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ". قال عبيد الله: " كان جداره قصيرا ثم بناه عبد الله بن الزبير ". تبينان الأول: روى البخاري في تاريخه وفي الأدب عن أنس رضي الله عنه، والبيهقي في المدخل عن المغيرة بن شعبه قال: " كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرعون بابه بالأطافير تأدبا

(١) خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري أبو زيد أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ثقة. عن أبيه وأسامة بن زيد وأم العلاء. وعنه الزهري وأبو الزناد. قال ابن المديني: مات سنة مائة، وقيل: قبلها بسنة. قاله الفلاس، ولما بلغ عمر بن عبد العزيز موته ثلث مائة والله في الإسلام. الخلاصة ١ / ٢٧٣ (*).

[٢٥٠]

وإجلالا، وقيل إن بابه لم يكن له حلق يطرق بها. قال السهيلي: الأول أولى. الثاني: في غريب ما سبق: " الرضم " (١) - بفتح الراء والضاد المعجمة وتسكن -: حجارة مجتمعة بعضها فوق بعض، الواحدة رزمة. " بنى " بفلانة: دخل عليها وقال ابن السكيت زفت إليه، وأصله أن الرجل إذا تزوج بنى للعروس بيتا وجهزه بما يحتاج إليه، أو بني له تكريما ثم كثر حتى كفي به عن الجماع. " الحجر ": غرف البيوت. المسوح: جمع مسح وهو البلاس. " مستطيرة " في القبلة: أي منتشرة. " المصراع " من الباب: الشطر، وهما مصراعان. " العرعر " يفتح العينين وبالرأين المهملتين - قال في الصحاح شجر السرو. " الساج " بالسين المهملة والجيم: ضرب من الخشب، عظيم من الشجر، يجلب من الهند، وجمعها ساجات. قال الزمخشري: الساج خشب أسود رزين يجلب من الهند ولا تكاد

الأرض تلبيه، والجمع سيجان مثل نار ونيران. " مطرورة " (٢) بالطين - بالطاء المهملة المشالة -: أي مطينة به. " دومة الجندل " دومة - بضم الدال المهملة، والجندل بالجيم والنون والدال المهملة (حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيئ على سبع مراحل من دمشق). " الأفق " بضمين: الناحية. " ينشأ ": يحدث ويتجدد. " أخضل " لحيته، يخاء فضاء معجمتين: بلها. " مراهق ": مقارب الاحتلام. " أنال ": أدرك وأبلغ. " المغشى ": المغطى المستور.

(١) انظر اللسان ٣ / ١٦٦٣. (٢) انظر اللسان ٤ / ٣٦٥٤. (*)

[٣٥١]

الباب الرابع في بدء الأذان وبعض ما وقع فيه من الآيات روى الشيخان والترمذي والنسائي عن ابن عمر، وابن إسحاق، وإسحاق بن راهويه، وأبو داود بسند صحيح صححه النووي عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه، عن أبيه، وأبو داود بسند صحيح عن ابن عمر عن أنس بن مالك عن عمومة له من الأنصار رضي الله عنهم، وإسحاق بن راهويه عن الشعبي مرسلًا بسند حسن، وعبد الرزاق وأبو داود عن عبيد ابن عمير أحد كبار التابعين، وابن أبي شيبة، وأبو داود، وابن خزيمة، وأبو الشيخ، والدارقطني، والبيهقي، والطحاوي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: " حدثنا أصحابنا - ولفظ ابن أبي شيبة وابن خزيمة والطحاوي والبيهقي: حدثنا، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين قدم المدينة إنما كان يجمع للصلاة حين موافقتها بغير دعوة، فلما كثر الناس اهتم النبي صلى الله عليه وسلم كيف يجمع الناس للصلاة ؟ فاستشار الناس، فقيل له: انصب راية عند حضور الصلاة إذا رآها أعلم بعضهم بعضا، وذكره له القنع (١) يعني شبور (٢) اليهود، وفي لفظ: البوق، وفي لفظ: القرن الذي يدعون به لصلاتهم، فلم يعجبه ذلك وقال: " هو من أمر اليهود "، فذكر له الناقد فقال: " هو من أمر النصارى "، فقالوا: لو رفعنا نارا، فقال: " ذلك للمجوس " (٣). وفي حديث عمر عند الشيخين وغيرها: فقال عمر: " أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة " ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا بلال قم فناد بالصلاة ". فانصرف عبد الله بن زيد، وهو مهتم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرى الأذان في منامه. قال: طاف بي وأنا نائم رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا في يده فقلت له: يا عبد الله أتبيع هذا الناقدوس ؟ قال: وما تصنع به ؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك ؟ قلت: بلى. فقال:

(١) قال ابن الأثير في النهاية في حديث الأذان " أنه اهتم للصلاة " كيف يجمع لها الناس، فذكر له القنع فلم يعجبه ذلك " فسر في الحديث أنه الشبور، وهو البوق هذه اللفظة قد اختلف في ضبطها، فرويت بالباء والياء، والنون، وأشهرها وأكثرها النون، قال الخطابي: سألت عنه غير واحد من أهل اللغة فلم يثبتوه لي على شيء واحد، فإن كانت الرواية بالنون صحيحة فلا أراه سمي إلا لإقناع الصوت به، وهو رفعة. يقال: أفتح الرجل صوته ورأسه إذا رفعه. ومن يريد أن ينفخ في البوق يرفع رأسه وصوته... قال الزمخشري: " أو لأن أطرافه أفتحت إلى داخله: أي عطف " وقال الخطابي: وأما " القنع " بالياء المفتوحة فلا أحسبه سمي به إلا لأنه يقنع فم صاحبه: أي يستتره، أو من قبعت الجواقق والجراب: إذا ثبت أطرافه إلى داخل. قال الهروي: وحكاه بعض أهل العلم عن أبي عمر الزاهد: " الفتح " بالياء قال: وهو البوق فعرضته على الأزهرى فقال: هذا باطل، وقال الخطابي: سمعت أبا عمر الزاهد يقوله بالياء المثناة، ولم أسمع من غيره. ويجوز أن يكون من: فتح في الأرض فتوحا إذا ذهب، فيسمى به لذهاب الصوت منه، قال الخطابي: وقد روى " القنع " ببناء بنقطين من فوق، وهو دود يكون في الخشب الواحدة: فتعة. قال: مداد هذا الحرف على هبتم، وكان كثير اللحن والتعريف، على جلاله محلة في الحديث، النهاية ٤ / ١١٥ - ١١٦. (٢) الشبور: هو البوق، وقال ابن الأثير: اللفظة عبديانية. انظر النهاية ٢ / ٤٤٠. (٣) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٣١٥٣). (*)

تقول: " الله أكبر، الله أكبر - وفي لفظ الشعبي: إيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فمره أن يقول: - الله أكبر، الله أكبر - أشهد ألا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله " - وفي رواية إسحاق بن راهوية: فقام على جذم حائط (١)، وفي رواية: فقام على المسجد فأذن - قال: ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال: تقول إذا أقيمت الصلاة: الله أكبر، الله أكبر، أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله ". وفي رواية: " فأذن ثم قعد قعدة، ثم قام فقال مثلها إلا أنه يقول: قد قامت الصلاة، فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما رأيت، ولولا أن يقول الناس، لقلت إنني كنت بقطانا غير نائم ". وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه عند ابن ماجه أن عبد الله بن زيد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا. وفي حديثه أيضا عند ابن سعد " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يجعل شيئا يجمع به الناس للصلاة فذكر عنده البوق وأهله فكرهه، وذكر الناقوس، وأهله فكرهه، حتى أرى رجل من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد الأذنان، وأرى عمر بن الخطاب تلك الليلة فأما عمر رضي الله عنه فقال: إذا أصبحت أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما الأنصاري فطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فأخبره. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى " (٢). وفي رواية: " لقد أراك الله خيرا، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت ". وفي رواية " فمر بلالا فليؤذن فإنه أمدى منك صوتا " فقامت مع بلال فجعلت ألقبه عليه ويؤذن به. فسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فخرج يجر رداءه وهو يقول: " والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل الذي رأى ". وفي حديث أبي عمير بن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رآه فكتمه عشرين يوما. وفي حديث عبيد بن عمير: " فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأى في المنام: " لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا "، فذهب عمر ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالذي رأى، وقد جاء الوحي فما راع عمر إلا بلال يؤذن. قال عبد الله بن زيد: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: " ما منعك أن تخبرني " ؟ فقال: سيقني عبد الله بن زيد فاستحييت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فله الحمد فذلك ثبت " (٣). قال الزهري، ونافع بن جبير، وابن المسيب: وبقي

(١) جذم حائط: أي بقية حائط أو قطعة من حائط. انظر النهاية ١ / ٢٥٢. (٢) أخرجه أبو داود (٤٩٩) وأحمد في المسند ٤ / ٣٤ والبيهقي في السنن ١ / ٢٩٩ وابن حبان (٢٨٧) والدارمي ١ / ٣٦٩ وابن ماجه (٧٠٦). (٣) أخرجه أبو داود (٤٩٨) وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٣١٤٥). (*)

ينادي في الناس: " الصلاة جامعة ". للأمر يحدث فيحضره له يخبرون به وإن كان في غير وقت صلاة. وروى ابن ماجه عن شيخه أبي عبيد محمد بن عبيد، بن ميمون المدني قال: أخبرني أبو بكر الحكمي أن عبد الله بن زيد قال في ذلك شعرا أحمد الله ذا الجلال والإكرام * كرام حمدا على الأذان كثيرا إذ أتاني به البشير من الله * - ه فأكرم به لدي بشيرا في ليال والى بهن ثلاث * كلما جاء زادني توقيرا قال الحافظ ابن كثير: " وهذا الشعر غريب، وهو يقتضي أنه

رأى ذلك ثلاث ليال حتى أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت: سنده مقطوع وأبو بكر الحكمي مجهول. وروى البيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان رجل من اليهود تاحرا إذا سمع المنادي ينادي بالأذان قال: "أحرق الله الكاذب". فبينما هو كذلك إذ دخلت جارية بشعلة من نار فطارت شرارة منها في البيت فأحرقته. وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن السدي قال: "كان رجل من النصارى إذا سمع المنادي ينادي: أشهد أن محمدا رسول الله قال: أحرق الله الكاذب، فدخلت خادمة ذات ليلة من الليالي بنار وهو نائم وأهله نيام فأحرقت البيت واحتراق هو وأهله". وروى مسلم عن سهيل بن أبي صالح قال: أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعني غلام لنا (أو صاحب لنا) فناداه مناد من حائط باسمه، فأشرف (الذي معي) على الحائط، فلم ير شيئا، فذكرت ذلك لأبي، فقال: "لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك ولكن إذا سمعت صوتا فناد بالصلاة فإنني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الشيطان إذا نودي بالصلاة ولي له حصص" (١). وروى البيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "أذا تغولت لأحدكم الغيلان فليؤذن فإن ذلك لا يضره". وروى البيهقي عن الحسن أن عمر بعث رجلا إلى سعد بن أبي وقاص، فلما كان ببعض الطريق عرضت له الغول، فأخبر سعدا فقال: "أنا كنا نؤمر إذا تغولت لنا الغول أن ننادي بالأذان". فلما رجع إلى عمر عرض له أن يسير معه، فنادى بالأذان، فذهب عنه، فإذا سكت عرض له، فإذا أذن ذهب عنه. تنبيهات الأول: الأذان لغة: الإعلام: قال الله تعالى: (وأذان من الله ورسوله) (التوبة: ٣)

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة (١٦) وأحمد في المسند ٢ / ٤٨٣ والبيهقي في الدلائل ٧ / ١٠٣ والحاكم ٤ / ١١٩ وابن خزيمة (٣٩٣). (*)

[٢٥٤]

واشتقاقه من الأذن بفتحين وهو الاستماع، وشرعا: الإعلام بوقت الصلاة المفروضة بألفاظ مخصوصة. الثاني: في بعض أسرار الأذان وبدائعه، قال القاضي: "الأذان كلمة جامعة لعقيدة الإيمان مشتملة على نوعيه من العقلية والسمعية، فأوله إثبات الذات، وما يستحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها، وذلك بقوله: "الله أكبر"، وهذه اللفظة مع اختصارها دالة على ما ذكرناه، ثم صرح بإثبات الوجدانية ونفي ضدها من الشركة المستحيلة في حقه سبحانه وتعالى، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد المقدمة على كل وظائف الدين ثم صرح بإثبات النوبة والشهادة بالرسالة لنبية صلى الله عليه وسلم، وهي قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانية، وموضوعها بعد التوحيد لانها من باب الأفعال الجائزة الوقوع، وتلك المقدمات من باب الواجبات، وبعد هذه القواعد كملت العقائد فيما يجب ويستحيل ويجوز في حقه سبحانه وتعالى. ثم دعاهم إلى ما دعاهم الله إليه من العبادات، فدعاهم إلى الصلاة، وعقبها بعد إثبات النوبة لأن معرفة وجوبها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لا من جهة العقل. ثم دعا إلى الفلاح، وهو الفوز والبقاء في النعيم المقيم، وفيه إشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء، وهي آخر تراجم عقائد الإسلام. ثم كرر ذلك بإقامة الصلاة للإعلام بالشروع فيها، وهو متضمن لتأكيد الإيمان، وتكرار ذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان، وليدخل المصلي فيها على بينة من أمره وبصيرة بإيمانه، ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظمه حق من يعبده وجزيل ثوابه". انتهى كلام القاضي. قال النووي: "وهو من النفائس الجليلة" وبالله التوفيق. قلت: قد ألف الإمام الحافظ برهان الدين البقاعي (١) رحمه الله جزءا لطيفا في أسرار الأذان سماه "الإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان". وأنا مورد هنا ما ذكره في الأذن ليستفاد فإنه نفيس جدا. قال رحمه

الله بعد أن أورد أحاديث بعض الأذنان والتشهد: " مقصوده - أي الأذنان - الإعلام بأوقات الصلاة تنبيهها على أن الدين قد ظهر، وانتشر علم لوائه في الخافقين واشتهر، وسار في الآفاق على الرؤوس فيهر، وأذل الجبابرة وقهر وأعلم أنه لما كان الدين المحمدي دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينا غيره، قد علا كل دين، فظهره كل مخالف

(١) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق، له " عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران "، و " عنوان العنوان " مختصر عنوان الزمان، و " أسواق الأشواق " اختصر به مصارع العشاق، و " الباحة في علمي الحساب والمساحة " و " أخبار الجلال في فتح البلاد " و " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور " و " بذل النصح والشفقة للتعريف بصحة ورقة " وله ديوان شعر سماه " إشعار الواعي بأشعار البقاعي ". توفي ٨٨٥ هـ. الأعلام ١ / ٥٦. (*)

[٢٥٥]

وخفت راياته بعد أن كانت ملوية، وبعثاة أهل الأباطيل مطوية. وقد كان الشرك منذ أزمان في غاية الظهور، والباطل هو المعمول به والمشهور، فناسب أن يصرح بأذانه، ويشدى به على غاية إعلانه، ولما كانوا يشركون به سبحانه، ويتعبدونه بسواه، كان نسب الأمور البدائة بالتنبيه على تفرد به بالكبرياء، وتوحده بالعلاء، فقال بادئا بالاسم الأعظم، الدال على الذات، المستجمع لجميع الكمالات: " الله " أي الملك الذي لا كف ء له ولا سمي، ولا ضد ولا نظير، وأتى بالخبر نكرة ليبدل على إسناده إليه على الإطلاق، وأنه لا خفاء في انفراده بذلك، فقال: " أكبر " ولم يذكر متعلقا، ذهابا بالتعميم إلى أعلى الغايات وأنهى النهايات ولما كان قد طال ما قرر الشرك في الأذهان، وصال به أهل الطغيان، اقتضى الحال تأكيد ذلك، ولأجل هذا ثنى التكبير في الإقامة مع أنها فرادى. " ولما كان المراد من جميع كلمات الأذنان مجرد الإعلام بالوقت وبهذه المقاصد المراد بها نسخ ما عداه، قال مؤكدا من غير عطف لشيء من الجمل: " الله أكبر ". ولما كان الحال من جميع الأكوان شديد الاقتضاء، لم يذكر التأكيد لتطاول أزمان الشرك قال ملذذا لأسماع الموجودات، ومرويا لعطاش أكباد الكائنات: " الله أكبر "، ولما تم تقرير ذلك في الأذهان، وعلم علما تاما أن التوحيد قد علا، وفهر جميع الأديان، ارتقب كل سامع ما يقال بعده، فقال مبتدئا دورا جديدا من هذا الإعلام لمزيد التقرير عند جميع الأنام: " الله أكبر ". " فلما علم أن ذلك إلى غير نهاية، ولا حد تقف عنده كل غاية، قال مترجما لما أنتجه، ملقنا لكل سامع ما وجب عليه من الجواب، مسيرا بذلك بعض الأسرار، إعلاما بما كان من حال هذا الدين في أول الأمر، برهانا على حسن هذا التأكيد: " أشهد " أي أعلم علما قطعيا أنني في مريد بصري كالناظر إلي محسوس هو في غاية الجلاء: " ألا إله إلا الله ". ولما كان المقام كما مضى شديد الاقتضاء للتأكيد قال ثانيا: " أشهد ألا إله إلا الله ". فلما أخذ المقام حظه من التأكيد، ولم يحتج إلى مزيد، فتلقى ذلك بالقبول العبيد، فثبتت رسالة الذي أتى بهذا الدين، وجاهد به الجاحدين، حتى فهرهم وحده صاعرين أجمعين، قال على طريق النتائج المسلمة: " أشهد أن محمدا " - ذاكرة أشهر أسمائه وأطيبها وأظهرها - " رسول الله "، مخصصا وصف الرسالة الذي هو بين الحق والخلق، لأن المقام داع إليه، ومقصود عليه، ثم أتبع ذلك ما اقتضاه الحال من تأكيده في تعظيمه وتمجيده فقال: " أشهد أن محمدا رسول الله ". فلما أخذ المقام حظه من التأكيد للإعلام، بما كان فيه للإسلام من الشدائد والآلام، أتبعه ما اقتضاه الحال، من رفع الصوت بهذا المقال مشيرا مع ذلك إلى أن باطن الدين وظاهره سواء. ليس فيه حقيقة تخالف شريعة، وخاصة أن المنتشرع به يجب

عليه أن يكون مثل الشرع، ظاهره وباطنه سواء، لا نفاق فيه بوجه أصلا، فقال: " أشهد ألا إله إلا الله ". فلما استقر في الأذهان سر هذا الإعلان، أتبعه ما اقتضى الحال من الشهادة للآتي بهذا الدين من صدق المقال، في دعوى الإرسال، فقال: " أشهد أن محمدا رسول الله ". ولما ثبت ذلك، وانجلت دياجير تلك الأمور الحوالم، فتيسر السلوك لكل سالك، في أشرف المسالك، قال ذاكرا لما أثمرته الرسالة من الخلاص من أشراك الضلالة، والرد على طرقها الميالة، وأوديتها المغتالة: " حي على " - أي هلموا أقبلوا جهارا غير خائفين من أحد - إلى " الصلاة "، بادئا بما هو نهاية الدين، الجامع لشملة، المميز لأهله. " ولما كان الناظر لذلك الحال، يستدعي عجبا من الوصول إلى هذا المآل، قال مؤكدا: " حي على الصلاة ". فلما تقرر ذلك كان كأنه قيل: هل من عمل غيرها؟ فقال: " حي على الفلاح "، فكان ذلك، مع أنه دعاء إلى كل عمل يوجب الفوز والظفر بكل مراد مؤكدا للدعاء إلى الصلاة على أبلغ وجه. " ولا شك أنه أحسن مما ورد في بعض الآثار الموقوفة في الموطأ، رواية محمد بن الحسن، وجاء مع عبد الرزاق عن ابن عمر رضي الله عنهما، وصرح الحفاظ بأنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: " حي على خير العمل "، لأنه مع كونه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد صار شعار الروافض لا يشمل جميع الأعمال الصالحة، وكان الوارد في الصحيح أبلغ من وجهين: من جهة أنه شامل لكل خير، ومن جهة التعبير عندك باللازم الذي هو الغاية المترتبة على العمل تحببها فيه، وتشويقا إليه، مع أنه كان يقوله بعد: " حي على الفلاح ". ولما كان تناول الصولة بالإذلال والقهر، موجبا لاستبعاد الإقبال على كل عمل من أعمال الشرع على سبيل القهر، أكد هذا الكلام الداعي إلى كل خير لهذا وللإشارة إلى أنه لحسنه جدير " بالتأكيد، وأهل لأن يعرف بمقدار لجلالة آثاره، فقال: " حي على الفلاح "، وفيه إشارة إلى أن الأمر خطير، والطريق صعب، فلا بد من التأهب له بأعظم الزاد، لتحصل الراحة في المآل والمعاد. " ولما كان المدعو قد يكون نائما، وكان النوم قد يكون خيرا، إما بأن يكون القصد به راحة البدن للتقوي على الطاعة، أو أن يكون للتخلي عن المعصية، وكان أكثر ما يكون ذلك في آخر الليل، كان التثويب خاصا بأذن الصبح، فقال فيه: " الصلاة " - التي هي أعظم الفلاح، ومن أعظم مقاصد هذا الأذان الإعلام بوقتها والدعاء إليها - " خير من النوم ". ولما كان من يغلبه

النوم محتاجا إلى الإزعاج، أكد ذلك بالتكرير، فقال: " الصلاة خير من النوم ". ولما كان للصبح أذانان كان التثويب ربما كان في الأول، فكان دعاء إلى قيام الليل الذي شرع له ذلك الأذان، كما بين سره في بعض الروايات في قوله: " ليرجع قائمكم وبنية نائمكم ". وربما كان في الثاني، فكان دعاء إلى فرض الصبح، وهو بالأول أنسب، لأن الفرض له حاث بحث عليه، وداع ملح يدعو إليه، وهو الوجوب الذي من أخل به عوقب، ومن جاوز حده ليم وعذب. " ولما تم الدين بجملته، وكمل أصلا وفرعا، قوله ونية وعملا، برمته، علل الدعاء إليه مرغبا مرهبا، بقوله، مذكرا بما بدأ الأمر به، لاستحضار عظمتها التي أظهر بها الدين، وأذل بها المعتدين، بعد أن كانوا على ثقة من أنه لا غالب لهم، " الله أكبر "، ثم أكد بمسيس الحاجة إلى ذلك في الترغيب والترهيب، فقال: " الله أكبر ". فلما تم الأمر، وجلا التشويق والزجر، لم تدع حاجة إلى تربييع التكبير هنا كما كان في الأول، فختم بما بدأ به من التوحيد إعلاما بأنه لا يقبل شئ من الدين إلا به مقارنا

له من ابتدائه إلى انتهائه، فقال: " لا إله إلا الله ". " ولما كان قد وصل إلى حد لا مزيد عليه، لم يحتج إلى تأكيد، حتى ولا بلفظ الشهادة إعلاماً بأنه ليس وراء هذا إلا السيف لو توقف عنه، أو ما عاند فيه. ولما كان من أجل ما يراد بالأذان - كما مضى - الإعلام بظهور الإسلام علي جميع الأديان، وأنه قد أورك عوده، وزكا وجوده، وثبت عموده، وعز أنصاره وجنوده، جاء على سبيل التأكيد، والتقرير والتأكيد، من غير عاطف ولا لافيت عن هذا المراد ولا صارف تنبيها على أن كل جملة منه ركن برأسه، متسقل بذلك بنفسه، معرب عما هو المراد من الإظهار بالتعداد. " هذا ما شرحه الله تعالى لعباده من الأذان في حال النوم واليقظة، في الليل والنهار، على وفاء لا مزيد عليه، كما صرح به في قوله - صلى الله عليه وسلم -: " اللهم رب هذه الدعوة التامة، فمن زاد حرفاً فما فقد أساء وتعدى وظلم ". ومن الواضح البين أن المعنى في إجابة السامع لألفاظه بها الإيدان باعتقاده، والإذعان لمراده، وأنه تخصيص الجواب في الدعاء إلى الصلاة والفلاح، بالحوقة، والمراد بها سؤال المعونة على تلك الأفعال الكرام بالتبرؤ من القدرة على شئ بغير تقدير الله، ردا للأمر إلى أهله، وأخذاً له من معدنه وأصله، والإقامة فرادى، لأنه لما ثبت بالأذان أمر الوجدانية والرسالة، وعلم المدعو ما نسب إليه، صار الأمر غنيا عن التأكيد، فلم يحتج إلى غير الإعلام بالقيام إلى ما قد دعي إليه، وأعلم بوقته، وأكد التكبير بما ذكر في الأذان نوع تأكيد لما تقدم من مزيد الاهتمام والإقامة لإسراع من عنده بعض عقلة أو توان ". انتهى الثالث: اختلف في السنة التي فيها شرع (الأذان). قال الحافظ: " والراجح أنه كان في السنة الأولى، وقيل: بل في الثانية ". الرابع قول ابن عمر: فقال عمر: " أو لا تبعثون رجلاً منكم ينادي بالصلاة ". فقال

[٢٥٨]

رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا بلال قم فناد بالصلاة ". قال النووي: هذا الدعاء دعاء إلى الصلاة غير الأذان وكان قد شرع قبل الأذان. قال الحافظ: والظاهر أن إشارة عمر بإرسال رجل ينادي بالصلاة كان عقب المشاورة فيما يفعلونه، وأن رؤيا عبد الله بن زيد كانت بعد ذلك. وكان اللفظ الذي ينادي به بلال هو " الصلاة جامعة "، كما رواه ابن سعد، وسعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب مرسلًا. وقد وقع للفاضل أبي بكر العربي هنا كلام غير محرر طعن فيه في صحة حديث ابن عمر الثابت في الصحيح " وقد بسط الحافظ الكلام على رده. الخامس: روى الطبراني أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه رأى الأذان، وسنده واه، ووقع في الوسيط للغزالي أنه رآه بضعة عشر رجلاً. وعبارة الجيلي في شرح التنبية: أربعة عشر رجلاً وأنكره ابن الصلاح (١) (فقال: لم أجد هذا بعد إمعان البحث) ثم النووي (في تنقيحه فقال: هذا ليس بثابت ولا معروف وإنما الثابت خروج عمر يجر رداءه)، ونقل مغلطاي عن بعض كتب الفقهاء أنه رآه سبعة عشر رجلاً من الأنصار، قال الحافظ: " الحق أنه لا يثبت شئ من ذلك إلا لعبد الله بن زيد، وقصة عمر جاءت في بعض الطرق ". وروى الحافظ ابن أبي أسامة عن كثير بن مرة (٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أول من أذن بالصلاة جبريل في السماء فسمعه عمر وبلال، فسبق عمر بلالا، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم، ثم جاء بلال، فقال: " سبقك بها عمر " (٣). وسنده / واه جدا، في سننه سعيد بن سنان (٤)، قال الذهبي في المغني: " متروك متهم ". السادس: وردت أحاديث تدل على أن الأذان شرع بمكة قبل الهجرة، منها للطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: " لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى إليه:

(١) عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر، الإمام العلامة مفتي الإسلام، تقي الدين، أبو عمرو بن الإمام البار صلاح الدين أبي القاسم، النصرى - نسبة إلى جده أبي نصر - الكردي - الشهرزوري الأصل، الموصلي المريا، الدمشقي الدار والوفاة. ولد سنة سبع وسبعين وخمسماية بشهرزور، وتفق على والده، قال ابن خلكان: كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، وقال ابن الحاجب: إمام ورع، وافر العقل، حسن السمات، متبحر في الأصول والفروع، ويحكى عنه أنه قال: ما فعلت صغيرة في عمري. ومن تصانيفه: مشكل الوسيط في مجلد كبير وكتاب الفتاوى كثير الفائدة، وعلوم الحديث، وكتاب أدب المفتي والمستفتي، توفي بدمشق في حصار الخوارزمية في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وستمائة. الطبقات لابن قاضي شهبة ٢ / ١١٣، ١١٤، ١١٥، وطبقات الشافعية للسبكي ٥ / ١٣٧، ووفيات الأعيان ٢ / ٤٠٨ والطبقات لابن هداية الله ص ٨٤ والبداية والنهاية ١٣ / ١٦٨. (٢) كثير بن مرة الحضرمي أبو القاسم الرهاوي ثم الحمصي تابعي. عن عمر ومعاذ وعنه خالد بن معدان ويزيد بن أبي حبيب. وثقه العجلي. قال أبو مسهر: مات في خلافة عبد الملك. (٣) انظر فتح الباري ٢ / ٧٨. (٤) سعيد بن سنان البرجي الشيباني أبو سنان الكوفي الأصغر نزيل قزوين. عن طاووس والضحاك. وعنه الثوري. وثقه ابن معين وأبو حاتم. قيل: مات قبل الستين ومائة، الخلاصة ١ / ٣١٨. (*)

[٢٥٩]

بالأذان، فنزل به، فعلمه بلالا، وفي سنده، طلحة بن زيد الرقي هالك. قال الحافظ أبو الفرج بن رجب: هذا حديث موضوع بهذا الإسناد بغير شك، قلت: وبغيره أيضا. ولابن شاهين عن علي بن أبي طالب: "علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأذان ليلة أسري به وفرضت عليه الصلاة"، وفي سنده حصين بن مخارق، وهو وضاع. وللدارقطني في الأفراد، وعن أنس رضي الله عنه "أن جبريل أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالأذان حين فرضت الصلاة"، وسنده ضعيف. ولابن مردويه من حديث عائشة رضي الله عنها، مرفوعا: "لما أسري بي أذن جبريل، فظننت الملائكة أنه يصلي بهم، فقدمني فصليت"، وفي سنده من لا يعرف. وقال الذهبي في مختصر الإمام، أصل الإمام لابن دقيق العيد (١): "هذا حديث منكر بل موضوع". وللبيزار وغيره من حديث قال: "لما أراد الله عز وجل أن يعلم رسوله الأذان أتاه جبريل بداية يقال لها البراق فركبها (حتى أتى الحجاب الذي يلي الرحمن، فبينما هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب، فقال: جبريل من هذا؟ قال: والذي بعثك بالحق إنني لأقرب الخلق مكانا وأن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتني هذه فقال الملك: الله أكبر، الله أكبر، فقيل من وراء الحجاب: صدق عبيد، أنا أكبر، أنا أكبر، فذكر بقية الأذان، وفي آخره: "ثم أخذ الملك بيده فأمر أهل السماء..". وفي إسناده زياد بن المنذر (٢) وهو متروك أيضا. وقال ابن معين (٣): "عدو الله كذاب. وقال الذهبي: "هذا من وضعه". وقال ابن كثير: "هذا الحديث الذي زعم السهيلي أنه صحيح هو منكر، تفرد به زياد بن المنذر الذي تنسب إليه الفرقة الجارودية من الرافضة وهو

(١) محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري، الشيخ الإمام، شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح بن الشيخ القدوة العالم مجد الدين المنفلوطي المصري ابن دقيق العيد. ولد في شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة، وكان والده مالكي المذهب ثم تفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام، فحقق المذهبين وقال ابن كثير في طبقاته: أحد علماء وقته، بل أجلمهم، وأكثرهم علما ودينا، وورعا وتقشقا، ومدامعة على العلم في ليله ونهاره، مع كبر السن والشغل بالحكم، وله التصانيف المشهورة والعلوم المذكورة، برع في علوم كثيرة لا سيما في علم الحديث، فاق فيه على أقرانه وبرز على أهل زمانه، رحلت إليه الطلبة من الآفاق ووقع على عمله وورعه وزهده الاتفاق، ومن تصانيفه الإمام في الحديث، وتوفي ولم يببضه، وكتاب الإمام - بهزمة مكسورة بعدها ميم - شرح الإمام، الكتاب الكبير العظيم الشأن. توفي في صفر سنة اثنتين وسبعمائة، ودقيق العيد لقبه لجدته وهب. الطبقات لابن قاضي شهبة ٢ / ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، والطبقات للإسنوي ص ٣٣٦، والطبقات للسبكي ٦ / ٢، ووفيات الوفيات ٢ / ٢٤٤. (٢) زياد بن المنذر الهمداني. وقيل: الثقفى، ويقال: النهدي، أبو الجارود الكوفي الأعمى. عن أبي بردة، والحسن، وعنه مروان بن معاوية، ومحمد بن سنان العوفي، وعدة. قال ابن معين: كذاب. وقال النسائي وغيره: متروك، وقال ابن حبان: كان رافضيا يضع الحديث في الفضائل والمثالب. وقال الدارقطني: إنما هو منكر بن زياد. متروك. وقال غيره: إليه ينسب الجارودية ويقولون: إن عليا أفضل الصحابة

وتبرؤوا من أبي بكر وعمر، وزعموا أن الإمامة مقصورة على ولد فاطمة. وبعضهم يرى الرجعة ويبیح المنعة. ميزان الاعتدال ٢ / ٩٣. (٣) يحيى بن معين بن عون الغطفاني أبو زكريا البغدادي الحافظ الإمام العلم. قال أحمد: كل حديث لا يعرفه يحيى فليس بحديث. قال ابن أبي خيثمة: مات بالمدينة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وحمل على أعواد النبي صلى الله عليه وسلم ونودي بين يديه هذا الذي يذب الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. الخلاصة ٣ / ١٦١. (*)

[٣٦٠]

من المتهمين، ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم سمعه ليلة الإسراء لأمر به بعد الهجرة ". ولابن شاهين من طريق زياد المذكور، قال: لابن الحنفية: كنا نتحدث أن الأذان كان رؤيا، فقال: هذا والله الباطل، لكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما عرج به بعث إليه ملك علمه الأذان ". قال (الحافظ ابن حجر): " هذا باطل ويمكن على تقدير صحته أن يحمل على تعدد الإسراء، فيكون ذلك وقع بالمدينة، وأما قول القرطبي لا يلزم من كونه سمعه ليلة الإسراء أن يكون مشروعا في حقه، ففيه نظر لقوله في أوله: " لما أراد الله أن يعلم رسوله الأذان "، وكذا قول المحب الطبري، يحمل الأذان ليلة الإسراء على المعنى اللغوي وهو الإعلام، (وهذا) فيه نظر أيضا لتصريحه بكيفية المشروعة فيه ". ولابن شاهين من طريق زياد أيضا عن الباقر عن أبيه عن أبي رافع عن علي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -: " يا علي إن الله علمني الصلاة والأذان، أتاني جبريل بالبراق "، وزياد (راوي) كذاب. ولأبي الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " نزل الأذان على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع فرض الصلاة "، وفي سنده عبد العزيز بن مروان (١)، وهو تالف. قال الحافظ: " والحق أنه لا يصح شئ من هذه الأحاديث، وقد جزم ابن المنذر " أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يصلح بغير أذان، منذ فرضت الصلاة بمكة إلى أن هاجر إلى المدينة وإلى أن وقع التشاور في ذلك على ما جاء في حديث عبد الله بن عمر ثم في حديث عبد الله بن زيد " - انتهى كلام ابن المنذر. وقد حاول السهيلي الجمع بينهما فتكلف وتعسف والأخذ بما صح أولى، فقال بانبا على صحته الحكم في مجئ الأذان على لسان الصحابي في المنام فقضه فوافق ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - سمعه فقال: " إنها لرؤيا حق "، وعلم حينئذ أن مراد الله بما أريه في السماء أن يكون سنة في الأرض، وقوى ذلك عنده موافقته رؤيا عمر للأنصاري لأن السكينة تنطق على لسان عمر " .. انتهى. ويؤخذ منه عدم الاكتفاء برؤيا عبد الله بن زيد حتى أضيف إليه عمر للتقوية التي ذكرها. ولكن قد يقال: فلم اقتصر على عمر؟ فيمكن أن يجاب ليصير في معنى الشهادة. وقد جاء في رواية ضعيفة سبقت ما ظاهره أن بلالا أيضا رأى، لكنها مؤولة، فإن لفظها " سبقك بها عمر "، يحمل المراد بالسبق على مباشرة التأذين برؤيا عبد الله بن زيد. السابع: قال السهيلي: " اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الأذان على لسان غير النبي

(١) عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الأصبع: أمير مصر. ولد في المدينة، وولي مصر لأبيه استقلالا، سنة ٦٥ هـ، فسكن حلوان، وأعجبتة، فبنى فيها الدور والمساجد. وعرس بها كرما ونخيلا. وتوفي فيها. وهو والد الخليفة عمر بن عبد العزيز، توفي سنة ٨٥ هـ. الأعلام ٤ / ٢٨. (*)

[٣٦١]

- صلى الله عليه وسلم - من المؤمنين لما فيه من التنويه من الله تعالى بعبده والرفع لذكره، فلأن يكون ذلك على لسان غيره أنه به

وأقبح لشأنه، وهذا معنى بين، فإن الله تعالى يقول: (ورفعنا لك ذكرك) (سورة الشرح، الآية: ٤)، فمن رفع ذكره أن أشار به على لسان غيره". انتهى كلام السهيلي - وهذا حسن بديع. الثامن: من أغرب ما وقع في بدء الأذان ما رواه أبو الشيخ من طريق عبد العزيز بن مروان - وهو تالف - عن عبد الله بن الزبير قال: "أخذ الأذان من أذان إبراهيم عليه السلام (وأذن في الناس بالحج) (سورة الحج، الآية: ٢٧) الأيد، قال: " فأذن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وما رواه أبو نعيم بسند فيه مجاهيل عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: " أن جبريل نادى بالأذان لأدم عليه السلام حين أهبط من الجنة ". التاسع: ذكر بعضهم مناسبة اختصاص بلال بالأذان دون غيره، كونه لما عذب ليرجع عن الإسلام كان يقول: أحد أحد، فجوزي بولاية الأذان المشتمل على التوحيد من ابتدائه إلى انتهائه. العاشر: استشكل إثبات حكم الأذان برؤيا عبد الله بن زيد، ورؤيا غير الأنبياء لا يبنيني عليها حكم شرعي. وأجيب باحتمال مقارنة الوحي لذلك بأنه - صلى الله عليه وسلم - أمر بمقتضاها لينظر أيقر على ذلك أمر لا. ولا سيما لما رأى نظمها يبعد دخول الوسواس فيه، ويؤيد الأول حديث عبيد بن عمير، أحد كبار التابعين: " أن عمر لما رأى الأذان جاء ليخبر النبي - صلى الله عليه وسلم -: فوجد الوحي قد ورد بذلك فما راعه إلا أذان بلال. " فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " سيقك بذلك الوحي " (١). وهذا أصح كما حكاه الداودي عن ابن إسحاق " أن جبريل أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - بالأذان قبل أن يخبره عبد الله بن زيد بثمانية أيام ". الحادي عشر: قيل إن الحكمة في تثنية الأذان وإفراد الإقامة أن الأذان إعلام للغائبين متكرر ليكون أوصل إليهم، بخلاف الإقامة فإنها للحاضرين، ومن ثم استحب أن يكون الأذان في مكان عال بخلاف الإقامة، وأن يكون الصوت في الأذان أرفع منه في الإقامة. الثاني عشر: في بيان غريب ما سبق: " بدء " الأذان، بفتح الموحدة وسكون الدال (المهملة) وبالهمزة، أي ابتداءه. " الحين ": الزمان قل أو كثر.

(١) أخرجه أبو داود في المراسيل (٨١) حديث (٢٠) وذكره السيوطي في الجامع الكبير من حديث الشعبي مرسلًا وعزاه للضياء في المختارة. (*)

[٣٦٢]

" يتحنون " الصلاة: أي يطلبون حينها. " المواقيت " جمع ميقات: وهو الوقت المضروب للعفل. " الدعوة ": بالفتح: الأذان. " الفنع " (١): بضم القاف وسكون النون هو البوق - بضم الموحدة - شئ مجوف ينفخ فيه. " الشبور " (٢): بشين معجمة مفتوحة فموحدة مضمومة مشددة وهو البوق. " الناقوس ": آلة من النحاس يضرب فيصوت. " حي " على الصلاة: أقبوا. " الفلاح ": أي الفوز، أي هلموا إلى طريق النجاة والفوز. " أندي (٣) " صوتا منك، أي أمد وأبعد وأرفع غاية، وقيل: أحسن وأعذب. " ألقه " عليه: أي علمه إياه. فما " راع " عمر: أي ما شعر عمر أي ما أعلمه. " لدي ": بفتح اللام وتشديد التحتية: أي عندي، وإلي بذلك تابع. " التوفير ": التعظيم. " الحصاص " (٤) بحاء مضمومة فصادين مهملتين: الضراط، وقيل شدة العدو، ويفعل ذلك الشيطان لئلا يسمع الأذان فيضطر إلى الشهادة يوم القيامة. " الغيلان ": واحدها غول، والغيلان جنس من الجن كانت العرب تزعم أنها تتراءى للناس في الفلاة فتتمثل في صور شتى فتقولهم أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه صلى الله عليه وسلم بقوله: " لا غول (ولا صفر) " (وقيل قوله: لا غول)، ليس نفيًا (لعين الغول) ووجوده وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة واغتياله، فيكون المعنى بقوله: لا غول أنها لا تستطيع أن تضل أحدا. ومنه الحديث: " إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان "، أي ادفعوا شرها بذكر الله، وهذا يدل على أنه لم يرد بنفيها عدمها.

(١) وهو بالكسر: الطبق من عشب النخل يوضع فيه الطعام وقال ابن الأثير: يقال له: القع والقعن بالكسر والضم اللسان ٥ / ٣٧٥٦. (٢) انظر اللسان ٤ / ٢١٨٤، ٢١٨٥. (٣) المصباح المنير ص ٥٩٩. (٤) انظر اللسان ٢ / ٨٩٨. (*)

[٣٦٣]

الباب الخامس في مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين أصحابه رضي الله عنهم قال أبو عمر، وأقره في العيون، والفتح، ونقله في كتاب الصيام عن أصحاب المغازي: " كانت المؤاخاة مرتين: الأولى: بين المهاجرين بعضهم بعضا قبل الهجرة على الحق والمواساة فأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبي بكر وعمر، وبين حمزة وزيد بن حارثة. وروى أبو يعلى برجال الصحيح عن عبد الرحمن بن صالح الأسدي وهو ثقة عن زيد بن حارثة أنه قال: " إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخي بيني وبين حمزة بن عبد المطلب، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف، وبين الزبير بن العوام وابن مسعود، وبين عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف وبلال، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وبين عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة وبين سعد بن أبي زيد (بن عمرو بن نفيل) وطلحة بن عبيد الله، وبين علي بن أبي طالب ونفسه صلى الله عليه وسلم. وروى الحاكم والخلعي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: " أخي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه، فأخى بين أبي بكر وعمر، وفلانا، حتى بقي علي رضي الله عنه تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله أخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: " أما ترضى أن أكون أخاك " ؟ قال: بلى يا رسول الله رضيت. قال: " فأنت أخي في الدنيا والآخرة ". الثانية: قال أنس بن مالك رضي الله عنه: " حالف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين المهاجرين والأنصار في دارنا " رواه الإمام أحمد والشيخان وأبو داود. وروى الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسي، والبخاري، وأبو داود (السجستاني) وأبو الشيخ، والطبراني عن ابن عباس مختصرا، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق عنه مطولا، وابن سعد والحاكم وصححه عن الزبير بن العوام، وابن سعد عن الزهري، وإبراهيم التيمي، وضمرة بن سعيد، قالوا: لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة أخى بين المهاجرين والأنصار، أخى بينهم على الحق والمواساة، ويتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام. قال ابن عباس رضي الله عنهما: " فأخى بينهم على الحق والمواساة، ويتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام. قال ابن عباس رضي الله عنهما: " فأخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة، وبين أبي بكر الصديق وخارجة بن زيد بن الحارث، وبين عمر بن الخطاب وعثمان بن مالك، وبين الزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش - ويقال: بينه وبين عبد الله بن مسعود، وبين طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، وقال لسائر أصحابه: " تواخوا وهذا أخي " - يعني علي بن أبي طالب.

[٣٦٤]

قام المسلمون على ذلك حتى نزلت سورة الأنفال، وكان مما شد الله عقد نبيه قوله تعالى: (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير " والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا

تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير " " والذين آمنوا وهاجروا
 وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا
 لهم مغفرة ورزق كريم " (الأنفال ٧٢: ٧٤). فأحكم الله بهذه الآيات
 العقد الذي عقد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه من
 المهاجرين والأنصار - يتوارث الذين آخوا دون من كان مقيما بمكة من
 ذوي الأرحام والقربان. فمكث الناس على ذلك العقد ما شاء الله.
 فلما كان بعد بدر أنزل الله تعالى الآية الأخرى فنسخت ما كان قبلها،
 فقال تعالى: (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك
 منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل
 شئ عليم) (الأنفال ٧٥) وانقطعت المؤخاة في الميراث ورجع كل
 إنسان إلى نسبه وورثه ذوو رحمه. وروى الخرائطي عن أنس بن
 مالك رضي الله عنه قال: " قال المهاجرون " يا رسول الله ما رأينا مثل
 قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا من كثير،
 لقد كفونا المؤونة، وأشركونا في المهنة حتى لقد خشينا أن يذهبوا
 بالأجر كله ". قال: " لا ما أئنتم عليهم وعوتم (الله) لهم " (١). وروى
 مسلم والنسائي والخرائطي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "
 لقد رأيتنا وما الرجل المسلم بأحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم
 ". قال الزهري، وإبراهيم التيمي، وحمزة بن سعيد، كما رواه ابن
 سعد عنهم: " كانوا تسعين رجلا: خمسة وأربعون رجلا من
 المهاجرين وخمسة وأربعون من الأنصار ". ويقال: " كانوا مائة:
 خمسون من المهاجرين وخمسون من الأنصار ". قال ابن إسحاق،
 وسنيد بن داود، وأبو عمر، وأبو الفرج: " أخى رسول الله - صلى الله
 عليه وسلم - بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين نفسه -
 صلى الله عليه وسلم - "، قال أبو عمر: " وقال له: " أنت أخي في
 الدنيا والآخرة ". وروى أبو بكر الشافعي عن أبي أمامة رضي الله عنه
 قال: " لما أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس أخى
 بينه وبين علي، وبين حمزة بن عبد المطلب وأسيد - بضم الهمزة
 وفتح السين - ابن

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣ / ٢٠٠ وابن أبي شيبة ٩ / ٦٨ وانظر البداية والنهاية
 ٣ / ٢٢٨. (*)

[٣٦٥]

حضير - بضم الحاء المهملة وفتح الصاد المعجمة - وبين جعفر بن
 أبي طالب وهو بأرض الحبشة ومعاذ بن جبل ". واستشكل ذلك
 ويأتي جوابه في ثالث التنبيهات إن شاء الله، " وبين أبي بكر وخارجه
 - بالخاء والجيم المعجمة - ابن زيد، وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن
 مالك - بعين مهملة مكسورة ففوقية ساكنة فموحدة وقد تضم العين
 - وبين عثمان بن عفان وأويس بن ثابت بن المنذر أخي حسان بن
 ثابت، وبين طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك "، وذكر أبو الفرج بدل
 كعب بن مالك، أبي بن كعب، وقيل أبي بن كعب وسعيد بن زيد،
 وبين الزبير بن العوام وسلمة بن وقش - بفتح الواو وسكون القاف
 وبالشين المعجمة - كما ذكروا في حديث الزبير السابق أنه وإخى
 بين سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وبين سعيد بن زيد وأبي
 بن كعب، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ". وروى
 البخاري في أوائل كتاب البيوع بسند وعلقه في باب: كيف أخى
 برسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، والإمام أحمد
 والشيخان عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وإخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فعرض سعد
 على عبد الرحمن أن ينافسه أهله وماله. قال سعد: أنا أكثر أهل
 المدينة مالا فأقسم لك نصف مالي وانظر أي زوجتي هويت، نزلت
 لك عنها، فإذا حلت تزوجتها. فقال عبد الرحمن: بارك الله عز وجل لك
 في أهلك ومالك دلوني على السوق، فاشترى وباع (١)، وسيأتي

الحديث في المعجزات إن شاء الله تعالى وواخي بين أبي عبيدة بن الجراح وأبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري النجاري، فهذا أصح مما ذكره ابن إسحاق وأبو عمر إلا أن يكون أخي بين أبي عبيدة وسعد بن معاذ. وذكر سنيد أنه واخي بين سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة بن خالد بن عدي الأوسي وبين سعد بن زيد وأبي بن كعب، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب، وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان، وقيل: بين عمار وثابت بن قيس بن الشماس لأن حذيفة إنما أسلم زمان أحد، وبين أبي حذيفة بن عتية بن ربيعة وعباد - بموحدة وذال مهملة - ابن بشر - بكسر الموحدة وبالشين المعجمة - ابن وقش، وبين أبي ذر الغفاري والمنذر بن عمر المعنق ليموت. وأنكر ذلك محمد بن عمر الأسلمي لأن أبا ذر إنما قدم المدينة بعد بدر وأحد، وعنده طليب - بالتصغير - ابن عمير والمنذر بن عمرو، وسيأتي الجواب عن ذلك في ثالث التنبيهات إن شاء الله تعالى - وواخي بين عبد الله بن مسعود وسهل بن حنيف، وبين سلمان الفارسي وأبي الدرداء عويمر بن ثعلبة كما في صحيح البخاري عن أبي حذيفة (وهب بن عبد الله)

(١) أخرجه البخاري ٤ / ٣٣٧ (٣٠٤٩). (*)

[٣٦٦]

رضي الله عنه، وأنكر ذلك محمد بن عمر لأن سلمان إنما أسلم بعد وقعة أحد، وأول مشاهدته الخندق، ويأتي الجواب عن ذلك. (وواخي) بين بلال (بن رباح مولى أبي بكر) وأبي رويحة - بضم الراء وفتح الواو وبعدها تحنية ساكنة فحاء مهملة - واسمه عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي، وبين حاطب بن أبي بلتعة - بموحدة فلام ساكنة ففوقية فعين مهملة - وعويمر - بلفظ تصغير عام - ابن ساعدة، وبين عبد الله بن جحش وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح - بفتح الهمزة وسكون القاف فلام فحاء مهملة، وبين عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف وعمير بن الحمام - بضم الحاء المهملة، وبين الطفيل بن الحارث أخي عبيدة، وسفيان بن نسر - بفتح النون وسكون المهملة - كما ضبطه الأمير، وقيل بالتصغير - ابن زيد بن الحارث الخزرجي، وبين الحصين بن الحارث أخي عبيدة وعبد الله بن جبير - بلفظ تصغير جبر - " (ابن النعمان الأوسي)، وبين عثمان بن مطعون - بالطاء المعجمة المشالة - (ابن حبيب بن وهب القرشي الجمحي) والعباس بن (عبادة بن) نضلة - بالنون والصاد المعجمة، وذكر سنيد بدل العباس أبا الهيثم بن التيهان - بفتح الفوقية وكسر التحتية المشددة، وبين عتبة بن غزوان - بعين مفتوحة فزاي ساكنة معجمتين - ومعاذ بن ماعص - بعين فصاد مهملتين ويقال فيه ناعص - (ابن قيس بن خلدة بن عامر بن زريق)، وبين صفوان (بن وهب بن ربيعة القرشي الفهري وهو المعروف) بابن ببيضاء ورافع بن المعلى - بلفظ اسم المفعول من العلو بالعين المهملة - (ابن لوذان بن حارثة)، وبين المقداد بن عمرو وعبد الله بن رواحة، وبين ذي الشمالين (بن عبد عمرو بن نضلة بن غبشان) ويزيد بن الحارث وبين أبي سلمة بن عبد الأسد - بالمهملة - وسعد بن خيثمة - بخاء معجمة فتحية فثاء مثلثة، وبين عامر بن أبي وقاص وخبيب - بخاء معجمة مضمومة فموحدة مفتوحة - ابن عدي، وبين عبد الله بن مطعون وقطبة - بلفظ تأنيث قطب - ابن عامر، وبين شماس، بشين معجمة مفتوحة فميم مشددة فألف فسين مهملة - ابن عثمان وحنظلة بن أبي عامر (١) وبين الأرقم بن أبي الأرقم وطلحة بن زيد الأنصاري، وبين زيد بن الخطاب ومعن بن عدي، وبين عمرو بن سراقه وسعد بن زيد الأشهلي، وبين عاقل

(١) حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس بن حارثة الأنصاري الأوسي المعروف بغسيل الملائكة. وكان أبوه في الجاهلية يعرف بالراهب واسمه عمرو ويقال: عبد عمرو وكان يذكر البعث ودين الحنيفة فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم عاوده وحسده وخرج عن المدينة وشهد مع قريش وقعة أحد ثم رجع مع قريش إلى مكة ثم خرج إلى الروم فمات بها سنة تسع، ويقال: سنة عشر، وأعطى هرقل ميراثه لكنانة بن عبد ياليل الثقفي وأسلم ابنه حنظلة فحسن إسلامه واستشهد بأحد لا يختلف أصحاب المغازي في ذلك. الإصابة ٢ / ٤٤، ٤٥. (*)

[٣٦٧]

- بعين مهملة وبعد الألف قاف - ابن البكير - بموحدة تصغير بكر - ومبشر بن عبد المنذر، وبين عبد الله بن مخزومة وفروة بن عمرو البياضي، وبين خنيس - بخاء معجمة مضمومة ونون مفتوحة فتحية ساكنة فسين مهملة - ابن جذافة، والمنذر بن محمد بن عقبة بن أحيجة - بمهملتين - تصغير أحة، وبين أبي سبرة - بسين مهملة مفتوحة فموحدة ساكنة - ابن أبي رهم - وهو بضم الراء وسكون الهاء، وعبادة بن الخشخاش، بخاء بين الأولى مفتوحة وشينين الأولى ساكنة معجمات، كما ذكره الأمير، وبين مسطح، بميم مكسورة فسين مهملة فطاء مفتوحة وحاء مهملتين - ابن أثانة - بالضم ومثلثتين مخففة - وزيد بن المزين - ضبطه الدارقطني والأمير بضم الميم وفتح الزاي وآخره نون مصغر، وشدد أبو عمر بخطه التحتية - والله أعلم، وبين أبي مرثد - بفتح الميم وسكون الراء فثاء مثلثة - الغنوي - بالغين المعجمة المفتوحة والنون - وعبادة بن الصامت، وبين عكاشة بعين مهملة مضمومة فكاف تشديدها أفصح من تخفيفها - ابن محصن - بكسر الميم - والمجذر - بضم الميم وفتح الجيم وتشديد الذال المعجمة المفتوحة ثم راء - ابن زياد - بكسر الذال المعجمة وتخفيف التحتية في آخره دال مهملة، وقيل إنه بفتح أوله وتشديد ثانيه - وبين عامر بن فهيرة - بالتصغير - والحارث بن الصمة - بكسر الصاد المهملة وتشديد الميم -، وبين مهجع - بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الجيم - مولى عمر -، وسراقة بن عمرو بن عطية. تنبيهات الأول: قال في الروض: "أخي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حين نزلوا المدينة لتذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) (الأنفال ٧٥) أعني في الميراث، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة يعني في التواد وشمول الدعوة". الثاني: اختلف في ابتدائها فقيل بعد الهجرة بخمسة أشهر، وقيل بتسعة، وقيل وهو بيني المسجد، وقيل قبل بنائه، وقيل بسنة، وقيل بثلاثة أشهر وقيل أشهر وقيل بدر، وتقدم عن أنس بن مالك أن ذلك كان في داره، وذكر أبو سعد النيسابوري في الشرف أن ذلك كان في المسجد. فالله أعلم. الثالث: أنكر الواقدي مؤاخاة سلمان لأبي الدرداء لأن سلمان إنما أسلم بعد وقعة أحد وأول مشاهدته الخندق. وأجاب الحافظ بأن التاريخ المذكور (هو) للأخوة الثانية وهو ابتداء الأخوة، واستمر صلى الله عليه وسلم يجددها بحسب من يدخل في الإسلام ويحضر إلى المدينة،

[٣٦٨]

وليس باللازم أن تكون المؤاخاة وقعت وقعة واحدة حتى يرد هذا التعقيب. وبما أجاب به الحافظ يجاب به عن مؤاخاة أبي ذر والمنذر بن عمرو، وعن مؤاخاة حذيفة وعمار، وعن مؤاخاة جعفر ومعاذ بن جبل، ويقال بأن معاذ أرصد لمؤاخاة جعفر حتى يقدم. الرابع: نقل

محمد بن عمر، عن الزهري أنه أنكر كل مؤاخاة وقعت بعد بدر، ويقول: قطعت بدر الموارث، قال الحافظ رحمه الله تعالى: وهذا لا يدفع المؤاخاة من أصلها، وإنما يدفع المؤاخاة المخصوصة التي كانت عقدت بينهم ليتوارثوا بها. الخامس: أنكر الحافظ أبو العباس بن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين وخصوصا مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه. قال: لأن المؤاخاة شرعت لإرفاق بعضهم بعضا ولتتألف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاته لأحد ولا لمؤاخاة مهاجري لمهاجري. قال الحافظ: " وهذا رد للنص بالقياس وإغفال عن حكمة المؤاخاة لأن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض المال والعشيرة والقوة، فواخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى ويستعين الأعلى بالأدنى، وبهذا تظهر حكمة مؤاخاة صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه، لأنه هو الذي كان يقوم بعلي من عهد الصبا قبل البيعة واستمر، وكذلك مؤاخاة حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة لأن زيدا مولاهم، فقد ثبتت إختوما وهما من المهاجرين، وفي الصحيح في عمرة القضاء أن زيدا قال: " إن ابنة حمزة ابنة أخي ". وأخرج الحاكم وابن عبد البر بسند حسن عن أبي الشعثاء (١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخى النبي صلى الله عليه وسلم بين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود، وهما من المهاجرين، وأخرجه الضياء المقدسي في المختارة، وابن تيمية يصرح بأن أحاديث المختارة أصح وأقوى من أحاديث المستدرک، قلت: يأتي الكلام مبسوطة على أخوة النبي صلى الله عليه وسلم في ترجمة علي رضي الله عنه عند ذكر تراجم العشرة إن شاء الله تعالى. السادس: روى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن حبان عن شعبة بن التوام - بفتح الفوقية والهمزة - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا حلف في الإسلام " (٢)، زاد شعبة بن التوام: " ولكن تمسكوا بحلف الجاهلية ". انتهى. " وأبما - وفي لفظ: كل - حلف كان في

(١) جابر بن زيد الأزدي أبو الشعثاء الجوفي بفتح الجيم البصري الفقيه، أحد الأئمة، عن ابن عباس فأكثر ومعاوية وابن عمر. وعنه فتادة وعمرو بن دينار وأيوب وخلق. قال ابن عباس: هو من العلماء. قال أحمد: مات سنة ثلاث وتسعين. وقال ابن سعد: سنة ثلاث ومائة. الخلاصة ١ / ١٥٦. (٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ٤ / ١٩٦١. (٢٠٦ - ٢٥٢٠) وأبو داود (٢٩٢٥) وأحمد في المسند ١ / ١٩٠ والبيهقي في السنن ٦ / ٢٦٢ وعبد الرزاق (١٠٤٢٧) والطبراني ١١ / ٢٨٢ والحاكم ٢ / ٢٢٠ والدارمي ٢ / ٢٤٢ (*).

[٣٦٩]

الجاهلية لم يزد الإسلام إلا حدة وشدّة، وما يسرنني أن لي حمرة النعم وأني نقضت الحلف الذي كان في دار الندوة ". وروى البخاري في الكفالة وفي الاعتصام، ومسلم في الفضائل، وأبو داود في الفرائض عن عاصم بن سليمان الأحول قال: " قلت لأنس بن مالك: أبلغك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا حلف في الإسلام ؟ قال: قد حالف النبي صلى الله عليه وسلم بين قريش والأنصار في داري " (١). قال الطبراني: ما استدل به أنس على إثبات الحلف لا ينافي الأحاديث السابقة في نفيه، فإن الإخاء المذكور كان في أول الهجرة، وكانوا يتوارثون به، ثم نسخ من ذلك الميراث، وبقي ما لم يبطله القرآن وهو التعاون على الحق والنصر والأخذ على يد الظالم، كما قال ابن عباس: " إلا النصر والنصيحة "، ويوصي به فقد ذهب الميراث. وقال الخطابي: قال ابن عيينة: حالف بينهم: أي أخى بينهم، يريد أن معنى الحلف في الجاهلية معنى الحلف في الإسلام جار على أحكام الدين وحدوده، وحلف الجاهلية جار على ما كانوا يتواضعونه بينهم، فيبطل منه ما خالف حاكم الإسلام وبقي ما عدا ذلك على حاله. والحلف - بكسر الحاء المهملة وسكون اللام بعدها فاء قال في النهاية: أصله المعاقدة والمعاهدة على التعاضد

والتساعد والاتفاق، فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات، فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام بقوله صلى الله عليه وسلم: " لا حلف في الإسلام ". وما كان منه في الجاهلية على نصر المظلوم وصلة الأرحام كحلف المطيبين وما جرى مجراه فذلك الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: " وأبما حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة "، يريد من المعاقدة على الخير ونصرة الحق (وبذلك يجتمع الحديثان وهذا هو الحلف الذي يقتضيه الإسلام والممنوع منه ما خالف حكم الإسلام) والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) أخرجه البخري ١٠ / ٥١٧ (٦٠٨٣) ومسلم في الموضوع السابق (٢٥٢٨ - ٢٥٠).
(*)

[٢٧٠]

الباب السادس في قصة تحويل القبلة روى ابن إسحاق وابن سعد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والستة، وأبو داود في ناسخه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والدارقطني، والبيهقي عن البراء بن عازب، وابن إسحاق، وابن أبي شيبة، وأبو داود والنحاس في ناسخهما، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأبو داود في ناسخه عن أبي العالية مرسلًا، ويحيى بن الحسن العلوي في أخبار المدينة عن رافع بن خديج رضي الله عنه، والإمام مالك، وعبد بن حميد والشيخان، وأبو داود في ناسخه، والنسائي، ويحيى بن الحسن، عن عثمان بن محمد بن الأحنس، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة، والزيبر بن بكار عن عثمان بن عبد الرحمن، وابن سعد عن محمد بن عبد الله بن جحش، وابن جرير عن مجاهد، يزيد بعضهم على بعض: " أن أول ما نسخ من القرآن القبلة، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس، والكعبة بين يديه ". وقال ابن جريح، كما عند ابن جرير: " صلى النبي صلى الله عليه وسلم أول من صلى إلى الكعبة ثم صرف إلى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر ". ولما هاجرا إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله سبحانه وتعالى أن يستقبل صخرة بيت المقدس، فعرض اليهود بذلك، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، لأن اليهود قالوا: " خالفنا محمد ويتبع قبلتنا ". وقال صلى الله عليه وسلم لجبريل: " وددت أن الله عز وجل صرفني عن قبلة يهود إلى غيرها "، فقال جبريل عليه السلام: " إنما أنا عبد ملك لا أملك لك شيئًا إلا ما أمرت به، فأدع الله تعالى ". فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله تعالى ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله تعالى، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرًا أم بشر بن البراء بن معرور، في بني سلمة - بكسر اللام - فصنعت له طعامًا، وحانت صلاة الظهر، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه في مسجد هناك الظهر، فلما صلى ركعتين نزل جبريل فأشار إليه أن صل إلى البيت، وصلى جبريل إلى البيت فاستدار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة، واستقبل الميزاب. فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء، فهي القبلة التي قال الله تعالى (فلنولينك قبلة ترضاها) (البقرة ١٤٤) فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين. وكان الظهر يومئذ أربعًا: اثنتان إلى بيت المقدس واثنتان إلى الكعبة، فخرج عباد بن بشر رضي الله عنه، وكان صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمر على قوم من الأنصار ببني حارثة - بالحاء المهملة والطاء المثناة - وهم راكعون في صلاة العصر، فقال: " أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البيت ". فاستداروا.

قال رافع بن خديج: " وأتانا آت ونحن نصلّي في بني عبد الأشهل فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يوجه إلى الكعبة، فأدارنا إمامنا إلى الكعبة ودرنا معه ". قال ابن عمر: " وبينما الناس بقاء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت - قال ابن طاهر المقدسي: هو عباد بن بشر أيضا - فقال: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة ". وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكفا فلما ولي وجهه قبل البيت أنكروا ذلك. وقال المنافقون: " خر محمد إلى أرضه ". وقال المشركون: " أراد محمد أن يجعلنا قبلة له ووسيلة، وعرف أن ديننا أهدى من دينه، ويوشك أن يكون على ديننا ". وقال اليهود للمؤمنين: ما صرفكم عن قبلة موسى ويعقوب وقبلة الأنبياء؟ والله إن أنتم إلا قوم تفتنون. وقال المؤمنون: لقد ذهب منا قوم ماتوا وما ندري أكننا نحن وهم على قبلة أو لا. وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن قيس، وكردم بن عمرو، وكعب بن الأشرف، ورافع بن أبي رافع، والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف، والربيع وكنانة ابنا الربيع بن أبي الحقيق - بلفظ تصغير حق - فقالوا: " يا محمد ما ولاك عن قبلك التي كانت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ أرجع إلى قبلك التي كنت عليها تتبعك ونصدقك ". وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه، فأنزل الله عز وجل: " سيفول السفهاء من الناس) - الجاهل واليهود والمشركون والمنافقون (ما ولاهم) - أي صرفهم - (عن قبلتهم) - التي كانوا على استقبالها في الصلاة وهي بيت المقدس، والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب - (التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب) - أي الجهات كلها، فيأمر بالتوجه إلى أية جهة شاء لا اعتراض عليه - (يهدى من بشاء) - هدايته - (إلى صراط مستقيم) (البقرة ١٤٢) - دين الإسلام أي ومنهم أنتم، دل على هذا (وكذلك) أي كما هديناكم إليه (جعلناكم) يا أمه محمد (أمة وسطا) خيارا عدولا (لتكونوا شهداء على الناس) يوم القيامة أن رسلم بلغتهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أنه بلغكم (وما جعلنا) صيرنا (القبلة التي كنت عليها) أولا وهي جهة بيت المقدس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إليها نالفا لليهود فصلى إليها ستة أو سبعة عشر شهرا ثم حول (إلا لنعلم) علم ظهور (من يتبع الرسول) فيصدق (ممن ينقلب على عقبيه) أي يرجع إلى الكفر شكيا في الدين ووطنا أن النبي صلى في حيرة من أمره، وقد ارتد لذلك جماعة (وإن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أو وأنها (كانت) التولية إليها - (لكبيرة) شاقة على الناس (إلا

على الذين هدى الله) منهم (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي صلاتكم إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليها لأن سبب نزولها السؤال عن مات قبل التحويل (إن الله بالناس) المؤمنين (لرؤوف رحيم) (البقرة ١٤٢) في عدم إضاعة أعمالهم، والرأفة شدة الرحمة وقدم الأبلغ للفاصلة. (قد) للتحقيق (نرى) تقلب وجهك في السماء) أي تصرف وجهك في جهة السماء تطلعا إلى الوحي، وتشوقا للأمر باستقبال الكعبة وكان يود ذلك لأنها قبلة إبراهيم ولأنه أدعى إلى الإسلام العرب (فلنولينك) نحولنك (قبلة ترضاها) تحبها (فول) وجهك شطر المسجد الحرام) استقبال في الصلاة ناحية المسجد الحرام أي الكعبة (وحيث ما كنتم) خطابا للأمة (فولوا) وجوهكم في الصلاة

(شطره) (وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه (أي التولي إلى الكعبة
(الحق) الثابت (من ربهم) لما في كتبهم من نعت النبي صلى الله
عليه وسلم من أنه يتحول إليها (وما الله بغافل عما يعملون) (البقرة
١٤٤) " قرئت " بالتاء أي أيها المؤمنون من امتثال أمره، وبالياء أي
اليهود من إنكار القبلة. (ولئن) لام قسم (أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل
آية " على صدقك في أمر القبلة (ما تبعوا) أي لم يتبعوا (قبلتك)
عنادا (وما أنت بتابع قبلتهم) قطع لطمعه في إسلامهم وطمعهم في
عوده إليها (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) أي اليهود قبلة النصارى
وبالعكس (ولئن اتبعت أهواءهم) التي يدعونك إليها (من بعد ما جاءك
من العلم) الوحي (انك إذا لمن الظالمين) (البقرة: ١٤٥) أي إن
اتبعتهم فرضا. تنبيهات الأول: تصوير ما ذكر من تحويل الرجال مكان
النساء وتحويل النساء مكان الرجال أن الإمام يتحول من مكانه في
مقدم المسجد إلى مؤخره، لأن من استقبال الكعبة بالمدينة فقد
استدبر بيت المقدس، وهو لو دار كما هو مكانه لم يكن خلفه مكان
يسع الصفوف، فلما تحول الإمام تحولت الرجال حتى صاروا خلفه،
وتحولت النساء حتى صرن خلف الرجال، وهذا يستدعي عملا كثيرا
في الصلاة. ويحتمل أن ذلك وقع قبل تحريم العمل الكثير، كما كان
قبل تحريم الكلام، ويحتمل أن يكون اغتفر العمل المذكور لأجل
المصلحة المذكورة أو لم يتوال الخطأ عند التحويل بل وقعت متفرقة.
الثاني: اختلف في تاريخ تحويل القبلة، فقال البراء بن عازب كما عند
البخاري: كان على رأس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا. وقال ابن
عباس كما عند ابن اسحاق، وأبي داود في ناسخه سبعة عشر
شهرا. وكذا قال عمرو بن عوف كما عند البزار والطبراني. وقال ابن
عباس

[٢٧٢]

أيضا كما عند ابن أبي شيبة وأبي داود في ناسخه، والطبراني
والزهري كما عند البيهقي، وسعيد بن المسيب كما عند الإمام مالك
وأبي داود فيه، وابن جرير وقتاد كما عند عبد بن حميد، وابن المنذر "
على رأس ستة عشر شهرا ". وقال أنس بن مالك كما عند البزار،
وابن جرير تسعة عشر شهرا. قال الحافظ: " فطريق الجمع بين رواية
سنة عشر وسبعة عشر شهرا، ورواية الشك في ذلك: أن من جزم
بسنة عشر لفق من شهر القدوم ومن شهر التحويل شهرا وألغى
الأيام الزائدة، ومن جزم بسبعة عشر عددهما معا، ومن شك تردد
في ذلك، وذلك أن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف وكان
التحويل بعد الزوال في نصف شهر رجب من السنة الثانية على
الصحيح، وبه جزم الجمهور، ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن
عباس، وقول ابن حبان: سبعة عشر شهرا وثلاثة أيام مبني على أن
القدوم كان في ثاني ربيع الأول، وأسانيد رواية ثلاثة عشر وثمانية
عشر وتسعة عشر شهرا، وعشرة أشهر، ورواية شهرين، ورواية
سنتين في أسانيد ضعيفة، والاعتماد على الثلاثة الأول. الثالث:
اختلف في أي شهر كان تحويل القبلة. فقال محمد بن حبيب: في
نصف شعبان، وهو الذي ذكره النووي في الروضة وأقره، مع كونه
رجح في شرحه على صحيح مسلم رواية ستة عشر شهرا لكونها
مجزوما بها عند مسلم، ولا يستقيم أن يكون ذلك في شعبان إلا
بالغاء شهري القدوم والتحويل. وجزم موسي بن عقبة بأن التحويل
كان في جمادى الآخرة. الرابع: اختلف في أي الصلاة كان التحويل،
ففي الصحيح عن البراء بن عازب أن أول صلاة صلاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم هي صلاة العصر، والأكثر على أنها صلاة
الظهر. قال الحافظ: والتحقيق أن أول صلاة صلاها في بني سلمة -
بكسر اللام - الظهر، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر، وأما
الصحيح فهو لأهل قباء. الخامس: اختلف في صلاة النبي صلى الله
عليه وسلم إلى بيت المقدس وهو بمكة، فروى ابن ماجه عن طريق
أبي بكر بن عياش عن البراء أنه قال: " صلينا مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهرا، وصرفت القبلة إلى الكعبة بعد دخول المدينة بشهرين ". وظاهره أنه كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس محضا. وحكى الزهري خلافا في أنه جعل الكعبة خلف ظهره أو أنه جعلها بينه وبين بيت المقدس، وعلى الأول فكان يجعل الميزاب خلفه، وعلى الثاني كان يصلي بين الركنين اليمانيين. وزعم ناس أنه لم يزل يستقبل الكعبة بمكة، فلما قدم المدينة استقبل بيت المقدس، ثم نسخ. قال الحافظ: " وهذا ضعيف ويلزم منه دعوى النسخ مرتين، والأول أصح لأنه يجمع بين القولين. وقد صححه الحاكم وغيره. وحمل أبو عمر هذا

[٢٧٤]

القول على الثاني ويؤيده في حمله على ظاهره إمامة جبريل، ففي بعض طرقه أن ذلك كان عند البيت. وروى ابن جرير وغيره بسند جيد قوي عن ابن عباس قال: " لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس " إلى آخره، وظاهره أن استقبال بيت المقدس إنما وقع بعد الهجرة إلى المدينة، لكن روى الإمام أحمد من وجه آخر عن ابن عباس قال: " كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه " (١). ورواه ابن سعد أيضا وسنده جيد قوي والجمع بينهما ممكن بأن يكون أمرا لما هاجر أن يستمر على الصلاة إلى بيت المقدس. وقوله في حديث ابن عباس الأول: " أمره الله " يرد قول من قال: " إنه صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس باجتهاد "، كما رواه ابن جرير عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف. وعن أبي العالية أنه صلى إلى بيت المقدس يتألف بذلك أهل الكتاب، وهذا لا ينبغي إلا بتوقيف. السادس: الذين ماتوا قبل فرض الصلاة وقبل تحويل القبلة من المسلمين عشر أنفس: بمكة من فريش ١ عبد الله بن شهاب ٢ والمطلب بن أزهري، الزهريان، ٣ والسكران بن عمرو العامري. وأرض الحبشة منهم: ٤ خطاب بن الحارث الجمحي - خطاب بالحاء المهملة - ٥ وعمرو بن أمية الأسدي، ٦ وعبد الله بن الحارث السهمي. ٧ - وعروة بن عبد العزى، ٨ وعدي بن نضلة - بالنون والضاد المعجمة - العدويان - ومن الأنصار بالمدينة: ٩ البراء بن معرور - بمهملات، ١٠ وأسعد بن زرارة. فهؤلاء العشرة متفق عليهم، ومات في المدة أيضا إياس بن معاذ الأشهلي لكنه مختلف في إسلامه. السابع: وقع في رواية زهير بن معاوية في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في صحيح البخاري وغيره: أنه مات على القبلة - أي قبلة بيت المقدس من قبل أن تحول (قبل البيت) - رجال قتلوا (فلم ندر ما نقول فيهم). قال الحافظ: " ذكر القتل لم أراه إلا في رواية الزهري وباقي الروايات إنما فيها ذكر الموت فقط، ولم أجد في شئ من الأخبار أن أحدا من المسلمين قتل قبل تحويل القبلة، لكن لا يلزم من عدم الذكر عدم الوقوع، فإن كانت هذه اللفظة محفوظة فتحمل على أن بعض المسلمين ممن لم يشتهر قتل في تلك المدة في غير الجهاد ولم يضبط لقلعة الاعتناء بالتاريخ إذ ذاك ". قال: " ثم وجدت في التاريخ ذكر رجل

(١) أخرجه أحمد في المسند ١ / ٣٢٥ وذكره الهيثمي في المجمع ٢ / ١٥ وزاد نسبه لطبراني في الكبير والبخاري وقال: رجاله رجال الصحيح. (*)

[٢٧٥]

اختلف في إسلامه وهو سويد بن الصامت " (١) فذكر ما تقدم في بدء إسلام الأنصار. ثم قال الحافظ: " فيحتمل أن يكون هو المراد " قال: وذكر لي بعض الفضلاء أنه يجوز أن يراد من قتل بمكة من المستضعفين كأبوي عمار فقلت: يحتاج إلى ثبوت أن قتلها بعد الإسراء. الثامن: في بيان غريب ما سبق: " حجج " ، بكسر الحاء المهملة وفتح الجيم الأولى وكسر الثانية (أي سنين). " قبل " البيت - بكسر القاف وفتح الموحدة -: أي جهته. " معرور " (٢) بعين مهملة. " حانت " الصلاة: دنا وقتها.

(١) سويد بن الصامت بن خالد بن عقبة الأوسى. ذكره ابن شاهين وقال: شك في إسلامه وقال أبو عمر: أنا أشك فيه كما فيه غيري. الإصابة ٢ / ١٨٩. (٢) انظر اللسان ٤ / ٢٨٧٦. (*)

[٢٧٦]

جماع أبواب بعض أمور دارت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود والمنافقين ونزول صدر من سورة البقرة وغيره من القرآن في ذلك الباب الأول في أخذ الله سبحانه وتعالى العهد عليهم في كتبهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، إذا جاءهم، واعترف جماعة منهم بنبوته، ثم كفر كثير منهم بغيا وعنادا فذكر أحاديث كثيرة في أول الكتاب وأذكر ما لم أذكر هناك. قال الله سبحانه وتعالى (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون) (البقرة ٤٠) روى ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن المنذر عن ابن مسعود رضي الله عنه في الآية، قال الله تعالى للأخبار من يهود: (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) أي من بلائي عندكم وعند آبائكم لما كان نجاهم به من فرعون وقومه: (وأوفوا بعهدي) الذي أخذت في أعناقكم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم إذا جاءكم (أوف بعهدكم) يقول: أرض عنكم وأدخلكم الجنة. وروى ابن جرير عن أبي العالية في الآية قال: يقول: يا معشر أهل الكتاب، آمنوا بما أنزلت على محمد مصدقا لما معكم لأنهم يجدونه عندهم مكتوبا في التوراة والإنجيل، ولا تكونوا أول كافر به، وبمحمد صلى الله عليه وسلم. وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " ولا تلبسوا الحق بالباطل) (البقرة ٤٢) أي لا تخلطوا الصدق بالكذب (وتكنتموا الحق وأنتم تعلمون) (البقرة ٤٢) أي لا تكنتموا الحق وأنتم قد علمتم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله. وروى عبد بن حميد عن قتادة قال: " لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام وأنتم تعلمون أن دين الله لإسلام، وأن اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله تعالى: (وتكنتموا الحق وأنتم تعلمون) أنه رسول الله (يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) (الأعراف ١٥٧) وروى ابن جرير عن السدي في قوله " وتكنتموا الحق " قال: هو محمد صلى الله عليه وسلم. وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وصف الله محمدا في التوراة، أكحل العين، ربعة جعد الشعر، حسن الوجه فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده أخبار يهود، فغيروا صفته في كتابهم وقالوا: لا نجد نعته عندنا، وقالوا: نجد النبي صلى الله عليه وسلم الأمي طويلا أزرق سبط الشعر، وقالوا للسفلة: " ليس هذا نعت النبي الذي يحرم كذا

[٢٧٧]

وكذا " كما كتبوه، وغيروا نعت هذا كما وصف، فلبسوا بذلك على الناس، وإنما فعلوا ذلك لأن الأحبار كانت لهم مأكلة يطعمهم إياها السفلة لقيامهم على التوراة، فخافوا أن يؤمن السفلة فتقطع تلك المأكلة. وروى البيهقي عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة رضي الله عنهم قالوا: " كانت العرب تمر باليهود فيؤذونهم، وكانوا يحدون محمدا صلى الله عليه وسلم في التوراة فيسألون الله تعالى أن يبعثه فيقاتلون معه العرب، فلما جاءهم كفروا به حين لم يكن من بني إسرائيل ". وروى ابن إسحاق وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأبو نعيم عنه من طرق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبو نعيم عن قتادة: أن يهود أهل المدينة قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب من أسد وغطفان وجهينة وعذرة يستفتحون يدعون الله على الذين كفروا ويقولون: " اللهم إنا نستنصر بحق محمد النبي الأمي إلا نصرتنا عليهم "، فينصرون. وكانوا يقولون: " اللهم ابعث النبي الأمي الذي نجده في التوراة الذي وعدتنا أنك باعته في آخر الزمان ". فلما جاءهم ما عرفوا، كفروا به حسدا للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء أخو بني سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبرونا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفة. وروى ابن جرير، وابن المنذر عن ابن جريح عن بعض من أسلم من أهل الكتاب، قال: " والله لنحن أعرف برسول الله منا بأبنائنا من أجل الصفة والنعت الذي نجده في كتابنا، أما أبناؤنا فلا ندرى ما أحدث النساء " وروى ابن إسحاق، والبيهقي، وأبو نعيم عن أم المؤمنين صفية بنت حبي رضي الله عنها أنها قالت: " لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أبي ياسر أحب إليهما مني، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه. فلما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قباء قرية بني عمرو بن عوف غدا إليه أبي، حبي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين، فوالله ما جاءنا إلا مع مغيب الشمس، فجاءنا بأمر أبي كبشة (كالين كسلانين) ساقطين يمشيان الهويني فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إلي واحد منهما، فسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حبي بن أخطب: أهو هو ؟ قال: نعم. قال: أتعرفه بنعته وصفته ؟ قال: نعم والله. قال: فما في نفسك منه ؟ قال: عدواته والله ما بقيت ". وذكر ابن عقبة عن الزهري قال: " إن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة ذهب إليه فسمع منه وحادثه ثم رجع إلى قومه فقال: يا قوم اطيعوني فإن الله تعالى قد جاءكم بالذي تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه. فانطلق أخوه حبي بن أخطب، وهو يومئذ سيد

[٢٧٨]

يهود، وهما من بني النضير، فجلس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسمع منه، ثم رجع إلى قومه، وكان فيهم مطاعا. فقال أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدوا. فقال له أخوة أبو ياسر: يا ابن أم أخطب في هذا الأمر وأعصني فيما شئت بعد لأهلك. فقال: والله لا أطيعك. فاستحوذ عليه الشيطان، وتبعه قومه على رأيه ". وروى عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، أنه قد جاء جرمقاني (١) إلى أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - فقال: أين صاحبكم هذا الذي يزعم أنه نبي، لئن سألته لأعلمني نبي هو أو غير نبي. ثم قال الجرمقاني: " هذا والله الذي جاء به موسى "، الجرمقاني يجيم مفتوحة فراء ساكنة فميم مفتوحة ففأف فنون، منسوب إلى الجرامقة. قال في الصحاح: قوم بالموصل أصلهم من العجم، وقال غيره: وجرامقة الشام أنباطها. وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن حبرا من أحبار اليهود دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوافقه يقرأ

سورة يوسف فقال: " يا محمد من علمكها " ؟ قال: " الله عز وجل علمنيها "، فعجب الحبر لما سمع منه. فرجع إلى اليهود فقال: " إن محمدا ليقرأ القرآن، كما أنزل في التوراة "، فانطلق جماعة منهم حتى دخلوا عليه فعرفوه بالصفة، ونظروا إلى خاتم النبوة بين كتفيه، فجعلوا يستمعون إلى قراءته لسورة يوسف، فتعجبوا من ه وأسلموا عند ذلك (٢). وذكر محمد بن عمر الأسلمي أن النعمان السيئي وكان من أحبار يهود اليمن فلما سمعوا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - قدم عليه فسأله عن أشياء، ثم قال له: " إن أبي كان يهتم على سفر ويقول: " لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب، فإذا سمعت به فافتحه ". قال النعمان: " فلما سمعت به فتحت السفر فإذا فيه صفتك كما أراك الساعة، وإذا فيه ما تجل وما تحرم، وإذا فيه أنك آخر الأنبياء، وأمتك آخر الأمم، واسمك أحمد، وأمتك قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم صدورهم، لا يحضرون قتالا إلا وجبريل معهم، ويتحنن الله تعالى عليهم كتحنن الطير على أفرأخه، ثم قال لا يحضرون قتالا إلا وجبريل معهم، ويتحنن الله تعالى عليهم كتحنن الطير على أفرأخه، ثم قال لي: إذا سمعت به فاخرج إليه وصدقه ". وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجب أن يسمع أصحابه حديثه. فاتاه يوما فقال: " يا نعمان حدثنا "، فابتدأ الحديث من أوله، فرأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيتسم، ثم قال: " أشهد أني رسول الله ". ويقال إن النعمان هذا هو الذي قتله الأسود العنسي الكذاب وقطعه عضوا عضوا، والنعمان يقول: " أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، وأنت كذاب مفتر على الله عز وجل ". قم حرقه بالنار، والآثار في هذا كثيرة لا تحصى.

(١) ذكره هذه الكلمة بضم الجيم والميم وهو على خلاف ضبط المصنف. انظر اللسان ١ / ٦٠٧. (٢) ذكره السيوطي في الدر ٤ / ٢ وعزاه للبيهقي في الدلائل. (*)

[٢٧٩]

الباب الثاني في إسلام عبد الله بن سلام بن الحارث أبي يوسف وهو من ذرية سيدنا يوسف الصديق عليه السلام حليف القواقل من الخزرج، الإسرائيلي ثم الأنصاري رضي الله عنه. كان اسمه الحصين فغيره النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان عالم أهل الكتاب، وكان إسلامه في اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أبي أيوب أول ما قدم، كما في رواية عبد العزيز بن صهيب عند البيهقي، وروى ابن إسحاق عن رجل من آل عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: " لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نزل بقاء في بني عمرو بن عوف، فأقبل رجل حتى أخبر بقدمه. " الحديث. وفيه: " فخرجت رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأسلمت ورجعت إلى أهل بيتي، قال الحافظ عماد الدين بن كثير: " فلعله رآه أول ما رآه بقاء واجتمع به بعد ما صار إلى دار بني النجار والله أعلم ". وروي البخاري والبيهقي عن أنس، وابن إسحاق عن رجل من آل عبد الله بن سلام، والإمام أحمد، ويعقوب بن سفيان عن عبد الله بن سلام، والبيهقي عن موسى بن عقبة وعن ابن شهاب، قال: لما سمعت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعرفت صفته واسمه وهيبته وزمانه الذي كنا نتوكف له (١)، فكنت مسرا بذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة فلما قدم نزل بقاء في بني عمرو بن عوف، فأقبل رجل حتى أخبر بقدمه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة. فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كبرت. فقالت عمتي حين سمعت تكبيرتي: " لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت ". قلت لها: " أي عمه وهو، الله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه، بعث بما بعث به ". فقالت له: " يا ابن أخي، أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس

الساعة ؟ " (٢) قلت لها: " نعم ". قالت: " فذاك إذا ". قال: " فخرجت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته يقول: " افشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام " (٣). وعند البيهقي عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام بقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - فأتى

(١) توكف الخير: إذا انتظر. انظر النهاية ٥ / ٢٢١. (٢) بعثت في نفس الساعة: أي بعثت وقد حان قيامها وقرب، إلا أن الله أخرها قليلا، فبعثتني في ذلك النفس، فأطلق النفس على القرب. انظر النهاية ٥ / ٩٤. (٣) أخرجه الترمذي ٤ / ٢٨٦ (١٨٥٤) وقال: حسن صحيح غريب. (*)

[٢٨٠]

النبي فقال: " إنني سألك عن خلال لا يعملهن إلا نبي: ما أول أشرط الساعة، وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟ وما هذا السواد الذي في القمر ؟ قال: " أخبرني بهن جبريل أنفا. قال: " جبريل " ؟ قال: " نعم ". قال " عدو اليهود من الملائكة ". " ثم قرأ: (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) (البقرة ٩٧) قال: " أما أول أشرط الساعة: فنار تخرج على الناس من المشرق (تسوقهم) إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة كبد حوت، وأما الولد: فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد، وأما السواد الذي في القمر: فإنهما كانا شمسين. قال الله تعالى: (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل) (الإسراء ١٢) فالسواد الذي رأيت هو المحو ". فقال: " أشهد ألا إله إلا الله وأنت رسول الله ". ثم رجع إلي أهل بيته فأمرهم فأسلموا وكنتم إسلامه. ثم خرج إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: " يا رسول الله، إن اليهود قد علمت أنني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، وأنهم قوم بهت، وأنهم إن يعلموا بإسلامي قيل أن تسألهم عني بهتوني، وقالوا في ما ليس في، فأحب أن تدخلني بعض بيوتك ". فأدخله رسول الله بعض بيوته، وأرسل إلى اليهود فدخلوا عليه فقال: " يا معشر يهود يا ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنني رسول الله قد جئتكم بالحق فأسلموا ". فقالوا: ما نعلمه. فقال: " أي رجل فيكم الحصين بن سلام ؟ قالوا: " خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا ". فقال: أرايتم إن أسلم ". قالوا: " أعاذة الله من ذلك ". فقال: " يا ابن سلام أخرج إليهم ". فخرج عبد الله فقال: " أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله، يا معشر يهود اتقوا الله وأقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله حقا، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة: اسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله وأؤمن به وأصدق وأعرفه. قالوا: " كذبت أنت شرنا وابن شرنا "، وانتقصوه. قال: " هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله، ألم أخبرك أنهم قوم بهت، أهل غدر وكذب وفجور ؟ " قال: " وأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث وحسن إسلامها ". بيان غريب ما سبق: " نفس الساعة " يفتح النون والفاء، أي بعثت وقد حان وقت قيامها وقرب، إلا أن الله أخرها قليلا، فبعثتني في ذلك النفس، فأطلق النفس على القرب، وقيل معناه: أنه جعل للساعة

[٢٨١]

نفسا كنفس الإنسان أراد: إني بعثت في وقت قريب منها أحس في
بنفسها كما يحس بنفس الإنسان إذا قرب (المراء) منه. يعني بعثت
في وقت بانبت أشراتها فيه وظهرت علاماتها. " نزع " (١) إلى أبيه
في الشبه: أي ذهب. " بهت " : (٢) جمع بهوت من بناء المبالغة في
البهت مثل صبور وصبر، ثم سكن تخفيفا، والبهت (٣) الكذب
(والافتراء).

(١) انظر اللسان ٦ / ٤٣٩، (٢) انظر اللسان ١ / ٣٦٨، (٣) قال في القاموس: البهت:
الباطل الذي يتحير من بطلانه. انظر الترتيب ١ / ٣٣٠. (*)

[٢٨٢]

الباب الثالث في موادعتهم صلى الله عليه وسلم اليهود، وكتبه بينه
وبينهم كتابا بذلك، ونصّبهم العداوة له ولأصحابه حسدا وعدوانا،
ونقضهم للعهد قال ابن إسحاق: " وكتب رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - كتابا بين المهاجرين والأنصار وداع فيه يهود وعاهدهم
وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط عليهم وشرط لهم ". أي لما
امتنعوا من اتباعه وذلك قبل الإذن بالقتال وأخذ الجزية ممن أبى
الإسلام، وذكر ابن إسحاق نسخة الكتاب وهو نحو ورقتين بغير
إسناد، ورواه أبو عبيد في كتاب الأموال (١) بسند جيد عن الزهري،
ولعلي أذكره في أبواب مكاتباته - صلى الله عليه وسلم -.

(١) قال أبو عبيد في الأموال: حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير وعبد الله بن صالح
قالا: حدثنا الليث بن سعد قال: حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب أنه قال: بلغني
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب بهذا الكتاب: " هذا الكتاب من محمد النبي
رسول الله بين المؤمنين والمسلمين قريش وأهل يثرب ومن تبعهم. فلحق بهم، فحل
معهم وجاهد معهم. أنهم أمة واحدة دون الناس. والمهاجرون من قريش - قال ابن
بكير: ربعتهم. قال أبو عبيد: والمحفوظ عندنا رباعتم - يتعاقلون بينهم معاقلمهم الأولى
وقال عبد الله بن صالح: ربعتهم، وهو يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين
والمسلمين، وبنو عوف على رباعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة منهم
تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الحرث بن الخزرج على رباعتهم
يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين
المؤمنين وبنو جشم على رباعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي
عانيها بالمعروف والقسط بنى المؤمنين وبنو النجار على رباعتهم يتعاقلون معاقلمهم
الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والمؤمنين وبنو عمرو بن
عوف على رباعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها
بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو النبيت على رباعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى،
وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الأوس على
رباعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط
بين المؤمنين، وأن المؤمنين لا يتركون مفرا منهم أن يعينوه بالمعروف في فداء أو
عقل، وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى وأبتغى منهم دسيعة ظلم أو
اتم، أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعه. ولو كان ولد أحدهم، لا
يقتل مؤمن مؤمنا في كافر. ولا ينصر كافرا على مؤمن، والمؤمنون بعضهم موالى بعض
دون الناس: وأنه من تبعنا من اليهود فإن له المعروف والأسوة غير مظلومين، ولا
متناصر عليهم، وأن سلم المؤمنين واحد، ولا يسلم مؤمن دون مؤمن في قتال سبيل
الله، إلا على سواء وعدل بينهم وأن كل غازية غزت يعقب بعضهم بعضا، وأن المؤمنين
المتقين على أحسن هذا وأقومه. وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا يعينها على
مؤمن، وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا فإنه قود، إلا أن يرضي ولي المقتول بالعقل. وأن
المؤمنين عليها كافة، وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة أو آمن بالله واليوم
الآخر أن ينصرنا محدثا أو يؤويه، فمن نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وعضبه إلى يوم
القيامة، لا يقبل منه صرف ولا عدل وأنكم ما اختلفتم فيه من شئ فإن حكمه إلى الله
تبارك وتعالى وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما
داموا محاربين. وأن يهود بني عوف ومواليهم وأنفسهم أمة من المؤمنين، لليهود
دينهم، وللمؤمنين دينهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يرتغ إلا نفسه وأهل بيته، وأن
ليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف، وأن لليهود بني الحرث مثل ما لليهود بني
عوف، وأن لليهود بني جشم مثل ما لليهود بني عوف، وأن لليهود بني ساعدة مثل ما
ليهود بني عوف، وأن لليهود الأوس مثل ما لليهود بني عوف، إلا من ظلم فإنه لا يوتغ إلا
نفسه وأهل بيته، وأنه لا يخرج أحد منهم إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم، وأن

بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصيحة والنصر للمظلوم، وأن المدينة جوفها حرم لأهل هذه الصحيفة، وأنه ما كان = (*)

[٢٨٢]

وروى ابن عائد عن عروة بن الزبير: أن أول من أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من اليهود أبو ياسر بن أخطب أخو حيي بن أخطب، فسمع منه، فلما رجع قال لقومه: " أطيعوني فإن هذا هو النبي الذي كنا ننتظره " فعصاه أخوه، وكان مطاعا فيهم، فاستحوذ عليهم الشيطان فأطاعوه. وروى أبو سعيد النيسابوري في الشرف عن سعيد بن جبير قال: " جاء ميمون بن يامين، وكان رأس يهود، إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: " يا رسول الله ابعث إليهم واجعلني حكما بينهم فإنهم يرجعون لي " فأدخله داخلا، ثم أرسل إليهم، فأتوه، فخاطبوه، فقال: " اختاروا رجلا يكون حكما بيني وبينكم ". قالوا: " قد رضينا ميمون بن يامين ". فلما خرج إليهم قال: " أشهد أنه رسول الله ". فأبوا أن يصدقوه. وروى الإمام أحمد والشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " لو آمن بي عشرة من أحبار يهود لآمن بي كل يهودي على وجه الأرض " (١). وروى ابن أبي حاتم وأبو سعيد النيسابوري وزاد في آخره قال: " وقال كعب: اثني عشر "، وتصديق ذلك في (سورة المائدة): (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) (المائدة ١٢) قال الحافظ: فعلى هذا فالمراد عشرة مختصة، وإلا فقد آمن به صلى الله عليه وسلم أكثر من عشرة وقيل

= بين أهل هذه الصحيفة من حدث يخيف فساده فان أمره إلى الله وإلى محمد النبي، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب وأنهم إذا دعوا اليهود إلى صلح حليف لهم فإنهم يصلحونه، وإن دعونا إلى مثل ذلك فإنه لم على المؤمنين، إلا من حارب الدين، وعلى كل أناس حصتهم من النفقة. وأن يهود الأوس ومواليهم وأنفسهم مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة، وأن بني الشطيبة بطن من جفنة، وأن البر دون الأثم فلا يكسب كاسب إلا على نفسه وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره. لا يحول الكتاب دون ظالم ولا أثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن، إلا من ظلم وأثم، ولما أولاهم بهذه الصحيفة البر المحسن. قال أبو عبيد: قوله " بنو فلان على رباعتهم " الرباعة هي المعافل، وقد يقال: فلان رباعة قومه، إذا كان المتقلد لأموالهم. والوافد على الأمراء فيما ينوبهم. وقوله: " أن المؤمنين لا يتركون مفرحا في فداء " المفرح: المثقل بالدين، يقول: فعليهم أن يعينوه، إن كان أسيرا فك من إيساره، وإن كان جنى جنابة خطأ عقلوا عنه وقوله: " ولا يجير مشرك مالا لقريش " يعني اليهود الذين كان وادعهم، يقول: فليس من موادعتهم أن يجيروا أموال أعدائهم، ولا يعينوهم عليه. وقوله: " ومن اعتبط مؤمنا قتلا فهو فود " الاعتباط: أن يقتله برياً محرم الدم. وأصل الاعتباط في الإبل: أن تنحر بلا داء يكون بها، وقوله: " إلا أن يرضي أولياء المقتول بالعقل " فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيار في القود أو الدية إلى أولياء القتل، وهذا مثل حديثه الآخر: " ومن قتل له قتيل فهو بأحد النظرين إن شاء قتل وإن شاء أخذ الدية " وهذا يرد قول من يقول ليس للولي في العمد أن يأخذ الدية إلا بطيب نفس من العاقل ومصالحة منه له عليها، وقوله: " ولا يحل لمؤمن أن ينصر محدثا أو يؤويه " المحدث: كل من أتى حدا من حدود الله عز وجل، فليس لأحد منعه من إقامة الحد عليه، وهذا شبيه بقوله الآخر: " من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره " وقوله: " لا يقبل منه صرف ولا عدل ". حدثنا هشيم عن رجل قد سماه عن مكحول قال: " الصرف التوبة والعدل: الغدية ". قال أبو عبيد: وهذا أحب إلى من قول من يقول الفريضة والتطوع لقول الله تبارك وتعالى. (ولا يؤخذ منها عدل) فكل شئ فدي به شئ فهو عدله وقوله " وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين " فهذه النفقة في الحرب خاصة، شرط عليهم المعاونة له على عدوه. ونرى أنه إنما كان يسهم لليهود إذا غزوا مع المسلمين بهذا الشرط الذي شرطه عليهم من النفقة. ولولا هذا لم يكن لهم في غنائم المسلمين سهم. الأموال ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧. (١) أخرجه أحمد في المسند ٢ / ٢٤٦ وابن عدي في الكامل ٦ / ٢٢٦ وذكره المتقي الهندي في الكنز (١٣٤٧). (*)

[٢٨٤]

المعنى: " لو آمن في الزمان الماضي كالزمن الذي قبل قدوم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة أو حال قدومه ". قال الحافظ: " والذي يظهر أنهم وهم الذين كانوا حينئذ رؤساء في يهود، ومن عداهم كان تبعاً لهم، فلم يسلم منهم إلا القليل كعبد الله بن سلام، وكان من المشهورين بالرياسة في يهود بني قينقاع عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم. ومن بني النضير: أبو ياسر - بتحيتة وسين فراء مهملتين - ابن أخطب - بخاء معجمة فطاء مهملة فموحدة - وأخوه حبي بن أخطب، وكعب بن الأشرف وأبو رافع سلام بن الربيع بن أبي الحقيق - بقافين مصغر. ومن بني قينقاع: سعد بن حنيف، وفنحاص - بفاء مكسورة فنون ساكنة فحاء مهملة فألف فصاد مهملة - ورفاعة بن زيد (ابن التابوت). ومن بني قريظة: الزبير - بفتح الزاي - ابن باطى بن وهب، وكعب بن أسد وهو صاحب عقد بني قريظة الذي نقض عام الأحزاب وشمويل بن زيد، فهؤلاء لم يثبت أحد منهم، وكان كل منهم رئيساً في اليهود، لو أسلم لتبعه جماعة، فيحتمل أن يكونوا المراد. وروى أبو نعيم في الدلائل من وجه آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: " لو آمن بي الزبير بن باطى وذووه من رؤساء لأسلموا كلهم " (١). وأغرب السهيلي فقال: لم يسلم من أحيار اليهود إلا اثنان عبد الله بن سلام. وعبد الله بن صوري، قال الحافظ: كذا قال، ولم أر لعبد الله بن صوري إسلاماً من طريق صحيحة، وإنما نسيه السهيلي في موضع آخر لتفسير النقاش. قال ابن إسحاق: " ونصبت بعد ذلك أحيار يهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم - العداوة بغيا وحسداً وضغنا لما خص الله تعالى به العرب من اصطفاء رسوله منهم. وكانت أحيار يهود، هم الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعنتون ويأتونه بالليس ليلبسوا الحق بالباطل، وكان القرآن ينزل فيهم وفيما يسألون عنه، إلا قليلاً من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها ". وذكر ابن إسحاق وغيره أسماء اليهود، ولا حاجة بي هنا إلى ذكرهم، بل من جاء ذكره في كتابي تكلمت عليه، وكانوا ثلاث قبائل: قينقاع - بفتح القاف وتثنية النون وبالعين المهملة، ويجوز صرفه على إرادة الحي وترك صرفه على إرادة القبيلة أو الطائفة - وهم الوسط من يهود المدينة. وإذا قلت: بنو قينقاع فالوجه الصرف، وقريظة - بقاف مضمومة فطاء معجمة مشالة. وهو أخو النضير والوسط من يهود المدينة، والنضير - بضاد معجمة ساقطة وزن كريم. وحاربتة الثلاثة، ونقضوا العهد الذي بينه وبينهم، فمن على بني قينقاع، وأجلى بني النضير، وقتل بني قريظة، وسبى ذريتهم، ونزلت سورة الحشر في بني النضير، وسورة الأحزاب في بني قريظة، وسيأتي بيان ذلك مفصلاً في المغازي إن شاء الله تعالى.

(١) انظر فتح الباري ٧ / ٢٧٥. (*)

[٢٨٥]

الباب الرابع في سؤال اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح روى الإمام أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: " كنت أمشي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حرث المدينة - وفي لفظ: حرث الأنصار وفي لفظ: في نخل - وهو متوكئ على عسيب - وفي لفظ: ومعه جريدة، إذ مر اليهود - وفي لفظ: إذ مر بنفر من اليهود - فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يسمعكم ما تكروهون - وفي لفظ: لا يستقبلكم بشئ تكروهونه - فقال بعضهم لبعض: لنسألنه، فقام إليه رجل - وفي لفظ: فقاموا إليه فقالوا: " يا محمد " - وفي لفظ: " يا أبا القاسم ما الروح ؟ - وفي لفظ: " فأخبرنا عن الروح، كيف تعذب الروح الذي في

الجسد ؟ وإنما الروح من الله عز وجل " فسكت - وفي لفظ: فما زال متكئا على العسيب، فعلمت أنه يوحى إليه، فتأخرت فلما نزل الوحي قال: " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا (١). (الإسراء: ٨٥) وفي رواية عند ابن جرير بسند رجاله ثقات عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه: فقالوا: " هكذا نجده في كتابنا ". فقال بعضهم لبعض: " وقد قلنا لكم: لا تسألوه ". تنبيهات الأول: دل حديث ابن مسعود على أن نزول هذه الآية كان بالمدينة وروى الإمام أحمد والترمذي وصححه، والنسائي وابن حبان عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود: اعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل. فقالوا: سلوه عن الروح. فنزلت: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا). قالوا: " أوتيتم علما كثيرا. أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا ". فأُنزل الله عز وجل (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) (الكهف ١٠٩) سند رجاله رجال صحيح مسلم، ورواه ابن إسحاق من وجه آخر نحوه، وسبق في باب امتحان المشركين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأشياء لا يعرفها إلا نبي. وروى ابن إسحاق وابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت بمكة: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)، فلما هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة أتاه أخبار يهود فقالوا: يا محمد، بلغنا أنك تقول: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) أفعنيتنا أم عنيت قومك ؟ قال: " لا بل

(١) أخرجه البخاري ٨ / ٢٥٣ (٤٧٢١). (*)

[٢٨٦]

عنيتكم ". فقالوا: " إنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء ". فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " هي في علم الله قليل وقد أتاكم الله ما إن علمتم به انتفعتم "، وأُنزل الله عز وجل: " ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم، ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير) (لقمان ٢٧، ٢٨) ودل حديث ابن مسعود، وأثر عطاء أن الآية نزلت بمكة، وجمع بينهما وبين حديث ابن مسعود رضي الله عنه بتعدد النزول، ويحمل سكوتة في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك أن ساع ذلك، وإلا فما في الصحيح أصح. وقال الشيخ رحمه الله تعالى في الإتيان: " إذا استوى الإسنادان في الصحة فيرجح أحدهما بكون راويه حاضر القصة أو نحو ذلك من وجوه الترجيحات "، ثم ذكر (مثالا له) حديث ابن مسعود وحديث ابن عباس المذكورين. ثم قال: " فهذا - أي حديث ابن عباس - يقتضي أن الآية نزلت بمكة، والحديث الأول خلافه ". وقد رجح أن ما رواه البخاري أصح من غيره، وبأن ابن مسعود كان حاضر القصة. الثاني: قال أبو نعيم: " قيل من علامات نبوة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - في الكتب المنزلة أنه إذا سئل عن الروح فوض العلم بحقيقتها إلى منشئها وبارئها، وأمسك عما خاضت فيه الفلاسفة وأهل المنطق القائلون بالحدس والتخمين، فامتحنه اليهود بالسؤال عنها ليقفوا منه على نعتة المثبت عندهم في كتابهم، فوافق كتابه ما ثبت في كتبهم ". الثالث: قال ابن التين: " اختلف في الروح المسؤول عنها في هذا الخبر على أقول: الأول: روح الإنسان، الثاني: روح الحيوان، الثالث: جبريل. الرابع: عيسى - الخامس: القرآن. السادس: الوحي. السابع: ملك يقوم وحده صفا يوم القيامة. الثامن: ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى (بتلك اللغات كلها) ويخلق الله سبحانه وتعالى من كل تسبيحه ملكا يطير مع

الملائكة، وقيل: ملك رجلاه في الأرض السفلى ورأسه عند قائمة العرش، التاسع: خلق كخلق بني آدم يأكلون ويشربون، لا ينزل ملك من السماء إلا نزل معه ملك منهم. وقيل: هو صنف من الملائكة يأكلون ويشربون ". قال الحافظ: " وهذا إنما يجمع من كلام أهل التفسير في معنى لفظ " الروح " الوارد في القرآن لا خصوص هذه الآية، فمن الذي في القرآن: ١ (نزل به الروح الأمين) (الشعراء ١٩٣)، ٢ (وكذلك أوحينا - إليك روحا من أمرنا) (الشورى ٥٢)، ٣ (يلقي الروح من أمره) (غافر: ١٥)، ٤ (وأيدهم بروح منه) (المجادلة ٢٢)، ٥ (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) (النبا ٣٨)، ٦ (ينزل الملائكة بالروح من أمره) (النحل ٢) ؟ فالأول: جبريل، والثاني: القرآن، والثالث: الوحي، والرابع: القوة، والخامس والسادس: محتمل لجبريل أو غيره، ووقع إطلاق الروح على عيسى.

[٢٨٧]

وري إسحاق بن راهويه بسند صحيح عن ابن عباس قال: " الروح من الله، وخلق من خلق الله، وصور كبنى آدم، لا ينزل ملك إلا ومعه أخذ من الروح "، وقال الخطابي: " حكوا في المراد بالروح في الآية أقوالا، وقال الأكثرون: سألوه عن الروح التي تكون بها الحياة في الجسد. وقال أهل النظر: " سألوه عن مسلك الروح وامتزاجها بالجسد، وهذا هو الذي استأثر الله بعلومه. وقال القرطبي: " الراجح أنهم سألوه عن روح الإنسان، لأن اليهود لا تعترف بأن عيسى روح الله، ولا نجهل أن جبريل ملك وأن الملائكة الروح ". وقال الإمام فخر الدين: " المختار أنهم سألوه عن الروح الذي هو سبب الحياة، وأن الجواب وقع على أحسن الوجوه، وبيانه: أن السؤال عن الروح يحتمل أن يكون عن ماهيتها، وهل هي متحيزة أم لا، وهل هي حالة في متحيز أم لا، وهل هي قديمة أو حادثة، وهل تبقى بعد انفصالها من الجسد أو تفنى، وما حقيقة تعذيبها وتنعيمها وغير ذلك من تعلقاتها " ؟ قال: " وليس في السؤال ما يخص أحد هذه المعاني إلا أن الأظهر أنهم سألوه عن الماهية وهل الروح قديمة أو حادثة ؟ والجواب يدل على أنها شئ موجود مغاير للطبائع والأخلاق وتركيبها، فهي جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث، وهو قوله تعالى: " كن فكان ". قال: هي موجودة محدثة بأمر الله عز وجل، وتكوينه، ولها تأثير في إفاضة الحياة للجسد، ولا يلزم من عدم العلم بكيفيةها المخصوصة نفيها. الرابع: تنطع قوم " فتباينت أقوالهم في الروح، فقيل: هي النفس الداخل الخارج، وقيل الحياة، وقيل: جسم لطيف يحل في جميع البدن، وقيل: هي الدم، وقيل: هي عرض، حتى قيل: إن الأقوال بلغت المائة، ونقل ابن مندة عن بعض المتكلمين أن لكل نبي خمس أرواح، أن لكل مؤمن ثلاثا، ولكل حي واحدة. الخامس: قال القاضي أبو بكر بن العربي: " اختلفوا في الروح والنفس، فقيل متغايران وهو الحق، وقيل: هما شئ واحد، وقد يعبر بالروح عن النفس وبالعكس، كما يعبر عن الروح وعن النفس بالقلب وبالعكس، وقد يعبر عن الروح بالحياة حتى يتعدى ذلك إلى غير العقلاء بل إلى الجبال مجازا. قال تلميذه السهيلي: يعني على مغايرة الروح والنفس قوله تعالى: " فإذا سويته ونفخت فيه من روحي " (الحجر: ٣٩)، وقوله تعالى: (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) (المائدة ١١٦) فإنها يصح جعل أحدهما موضع الآخر، ولولا التباين لساغ ذلك. السادس: قال فخر الدين الرازي: " يحتمل أن يكون المراد بالأمر هنا الفعل كقوله تعالى: " وما أمر فرعون برشيده " (هود ٩٧)

[٢٨٨]

أي فعله فيكون الجواب: الروح من فعل ربي، إن كان السؤال: هل هي قديمة أو حادثة؟ فيكون الجواب: أنها حادثة " .. إلى أن قال: " ولهذا سكت السلف عن البحث في هذه الأشياء والتعمق فيها ". وقال الإسماعيلي: " يحتمل أن يكون جواباً وأن الروح من جملة أمر الله وأن يكون المراد: إختص الله عز وجل بعلمه ولا سؤال لأحد عنه ". وقال السهيلي بعد أن حكى ما المراد في الآية: " وقالت طائفة: الروح الذي سألت عنه اليهود هو الروح الإنسان، ثم اختلف أصحاب هذا القول، فمنهم من قال: لم يجبههم رسول الله صلى الله عليه وسلم على سؤالهم، لأنهم سألوه تعنتاً واستهزاء، فقال الله عز وجل: (قل الروح من أمر ربي)، ولم يأمره أن يبينه لهم، وقالت طائفة: بل أخبرهم وأجابهم بما سألوه، لأنه قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (قل الروح من أمر ربي)، وأمر الرب هو الشرع والكتاب الذي جاء به، فمن دخل في الشرع وتفقه في الكتاب والسنة عرف الروح، فكان معنى الكلام: ادخلوا في الدين تعرفوا ما سألتكم عنه، فإنه من أمر ربي أي من الأمر الذي جئت به مبلغاً عن الرب، وذلك أن الروح لا سبيل إلى معرفتها من جهة الطبيعة ولا من جهة الفلسفة ولا من جهة الرأي والمعرفة، وإنما تعرف من جهة الشرع، فإذا نظرت إلى ما في الكتاب والسنة من ذكرها نحو قوله تعالى: (ثم سواه ونفخ فيه من روحه) (السجدة: ٩) أي من روح الحياة، والحياة من صفات الله سبحانه وتعالى، وإلى ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن " الأرواح جنود مجنودة "، وأنها تتعارف وتتشام في الهواء، وأنها تقبض من الأجساد بعد الموت، وأنها تسأل في القبر فتفهم السؤال وتسمع وترى، وتنعم وتعذب، وتلذذ وتتألم، وهذه كلها من صفات الأجسام، فإنك تعرف أنها أجسام بهذه الدلائل، لكنها ليست كالأجسام في كثافتها وثقلها وإظلامها، إذ الأجسام خلقت من طين وحماً مسنون، فهو أصلها، والأرواح خلقت من ماء كما قال الله سبحانه وتعالى، ويكون النفخ المتقدم المضاف إلى الملك، والملائكة خلقت من النور كما جاء في الصحيح وإن كان قد أضاف النفخ إلى نفسه سبحانه وتعالى وكذلك أضاف قبض الأرواح إلى نفسه فقال: (الله يتوفى الأنفس حين موتها) (الزمر ٤٢)، وأضاف ذلك إلى الملك أيضاً فقال: (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) (السجدة ١١)، والفعل مضاف إلى الملك مجازاً وإلى الرب حقيقة. فالروح إذا جسم ولكنه من جنس الريح، ولذلك سمي روحاً من لفظ الريح، ونفخة الملك في معنى الريح، غير أنه ضم أوله لأنه نوراني، والريح هواء متحرك. وإذا كان الشرع قد عرفنا من معاني الروح وصفاتها هذا القدر، فقد عرف من جهة أمرها كما قال سبحانه وتعالى: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) (الإسراء ٨٥)، وقوله: " من أمر ربي "، أيضاً، ولم يقل من

[٢٨٩]

أمر الله، ولا من أمر ربكم، يدل على خصوص، وعلى ما قدمنا من أنه لا يعلمه إلا من أخذ معناه من قوله الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، بعد الإيمان بالله ورسوله واليقين الصادق والفقهاء في الدين، فإن كان لم يخبر اليهود حين سألوها عنها، فقد أحالهم على موضع العلم بها. السابع: قال ابن القيم: ليس المراد بالأمر هنا الطلب اتفاقاً، وإنما المراد به المأمور، والأمر يطلق على المأمور، كالخلق على المخلوق، ومنه (لما جاء أمر ربك) (هود ١٠١) الآية. الثامن: قال ابن بطال: " معرفة حقيقة الروح مما استأثر الله عز وجل بعلمه بدليل هذا الخبر "، قال: " والحكمة في إبهامه اختبار الخلق ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطروهم إلى رد العلم إليه ". وقال القرطبي: " الحكمة في ذلك إظهار عجز المرء، لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق من باب أولى ". التاسع: ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان لا يفسر الروح أي لا يعين المراد بها في الآية. وممن رأي

الإمساك عن الكلام في الروح أستاذ الطائفة أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى، كما في عوارف المعارف عنه بعد أن نقل كلام الناس في الروح، وكان الأولى الإمساك عن ذلك، والتأدب بأدب النبي صلى الله عليه وسلم. ثم نقل عن الجنيد أنه قال: " الروح شئ استأثر الله عز وجل بعلمه، ولم يطلع عليه أحد من خلقه فلا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود ". وعلى ذلك جرى ابن عطية وجمع من أهل التفسير، وأجاب من خاض في ذلك بأن اليهود سألوها عنها سؤال تعجيز وتغليظ لكونه يطلق على أشياء، فأضمرُوا بأنه بأي شئ أجاب ؟ قالوا: ليس هذا المراد، فرد الل كيدهم وأجابهم جواباً مجملاً مطابقاً لسؤالهم المجمل. وقال في العوارف: " ويجوز أن يكون كلامهم في ذلك بمثابة التأويل لكلام الله تعالى والآيات المنزلة حيث حرم تفسيره وجوز تأويله، إذ لا يسوغ التفسير إلا نقلاً، وأما التأويل فتمتد العقول إليه بالباع الطويل وهو ذكر ما تتحمل الآية (من المعنى من غير القطع بأنه المراد). وإذا كان الأمر كذلك فللقول فيه وجه ومحمل. قال: وظاهر الآية المنع من القول فيها، فختم الآية بقوله: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) أي اجعلوا حكم الروح من الكثير الذي لم تؤتوه فلا تسألوا عنه فإنه من الأسرار. العاشر: نقل ابن منده في كتاب الروح له عن الإمام الحافظ المطلاع على اختلاف الأحكام من عهد الصحابة إلى عهد فقهاء الأمصار محمد بن نصر المروزي أنه نقل الإجماع على أن الروح مخلوقة، وإنما نقل القول بقدمها عن بعض غلاة الرافضة والمتصوفة.

[٢٩٠]

الحادي عشر: اختلف هل تفنى عند فناء العالم قبل البعث أو تستمر باقية ؟ على قولين أرجحهما الثاني عند الجمهور. الثاني عشر: ذكر بعض المفسرين أن الحكمة في سؤال اليهود عن الروح أن عندهم في التوراة أن روح بني آدم لا يعلمها إلا الله عز وجل، فقالوا: نسأله فإن فسرها فهو نبي، وهو معنى قولهم: لا يجرى بشئ تكهونه. الثالث عشر: جنح ابن القيم في كتاب الروح إلى ترجيح أن المراد بالروح المسؤول عنها في الآية ما وقع في قوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً) (النبا: ٣٨) وأما أرواح بني آدم فلم يقع تسميتها في القرآن إلا نفساً. قال الحافظ: " كذا قال ولا دلالة في ذلك لما رجحه، بل الراجح الأول: فقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه القصة أنهم قالوا: أخبرنا عن الروح، وكيف يعذب الروح الذي في الجسد ؟ إلى آخره (ما قالوا وقد) تقدم بتمامه. الرابع عشر: قال بعضهم: ليس في الآية دلالة على أن الله سبحانه وتعالى لم يطلع نبيه على حقيقة الروح، بل يحتمل أن يكون أطلعها، ولم يأمره أن يطلعهم، وقد قال في علم الساعة نحو هذا كما سيأتي مبسوطاً في الخصائص إن شاء الله تعالى. الخامس عشر: وقع في الصحيح في العلم والاعتصام والتوحيد، وكذا عند مسلم: إذ مر بنفر، عند ابن حجر من وجه آخر: إذ مررنا على يهود، ووقع في التفسير: إذ مر اليهود، بالرفع على الفاعلية، ويحتمل هذا الاختلاف على أن الفريقين تلاقوا فيصدق أن كلا مر بالآخر. السادس عشر: في بيان غريب ما سبق: " حرث " : يفتح الحاء مهملة وسكون الراء بعدها مثلثة، ووقع عند البخاري في كتاب العلم حرب (١) بخاء معجمة مفتوحة فراء مسكورة. " يتوكأ " : يعتمد. " عسيب " : بعين فسین مهملتين وأخره موحدة بوزن عظيم وهو جريدة (النخل) التي لا خوص عليها. قال ابن فارس: العسيبان من النخل كالقضبان من غيرها. " يهود " : هذا اللفظ معرفة تدخله الألف واللام تارة وتارة يتجرد، وحذفوا منه ياء النسبة تفرقة بينه وبين مفردة، كما قالوا: زنج وزنجي.

[٢٩١]

الباب الخامس في تحريمهم في مدة مكث هذه الأمة لما سمعوا الحروف المقطعة في أوائل السور قال ابن اسحاق - فيما ذكر لي عن عبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله بن رثاب - " إن أبا ياسر بن أخطب مر برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يتلو فاتحة البقرة (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (البقرة ١، ٢)، فأتى أخاه حيي بن أخطب في رجال من يهود، فقال: تعلموا، والله لقد سمعت محمدا يتلوا فيما أنزل عليه: (الم ذلك الكتاب) فقالوا: أنت سمعته؟ قال: نعم. فمشى حيي بن أخطب في أولئك نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا له: " يا محمد، ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل عليك " (الم ذلك الكتاب)؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بلى ". قالوا: " أجاءك بها جبريل من عند الله؟ قال: " نعم ". قالوا: " لقد بعث الله قبلك أنبياء أنبياء ما نعلمه بين نبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك ". فقام حيي بن أخطب، وأقبل على من معه فقال لهم: " الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة، أفدخلون في دين (نبي) إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة "؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " يا محمد هل مع هذا غيره؟ قال: " نعم " قال: ماذا؟ قال: " المص " (الأعراف ١) قال: هذا أثقل وأطول: الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه إحدى وستون ومائة سنة، هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال: " نعم "، قال وما ذلك؟ قال: (الر) (يوسف: ١) قال: " هذه أثقل وأطول: الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان، فهذه إحدى وثلاثون ومائة سنة فهل مع هذا غيره يا محمد؟ قال: " نعم ". (المر) (الرعد ١). قال: " هذه والله أثقل وأطول: الألف واحدة، واللام ثلاثون والميم أربعون والراء مائتان، فهذه إحدى وسبعون ومائة سنة ". ثم قال: " لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أ قليلا أعطيت أم كثيرا ". ثم قاموا عنه، فقال أبو ياسر لأخيه ولمن معه من الأخبار: ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد: إحدى وسبعون (وإحدى وستون ومائة)، وإحدى وثلاثون ومائتان، وإحدى وسبعون ومائتان، فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون ". فقالوا: لقد تشابه علينا أمره. فيزعمون أن هذه الآيات نزلت فيهم: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) (آل عمران ٧). (وقال ابن إسحاق): " وقد سمع من لا أتهم من أهل العلم يذكر أن هؤلاء الآيات أنزلت في أهل نجران حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسألوه عن عيسى بن مريم. وقد حدثني

[٢٩٢]

محمد بن أبي أمية بن سهل بن حنيف أنه سمع أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن في نفر من يهود ولم يفسد ذلك لي، فالله أعلم أي ذلك كان ". تنبيهات الأول: روى البخاري في تاريخه وابن جرير من طريق ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله فذكر الحديث السابق، فبان سند ابن إسحاق بذلك. ورواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، عن أبي سعيد، ورواه ابن المنذر من وجه آخر عن ابن جرير مفصلا. الثاني: قال السهيلي: " وهذا القول من أخبار يهود، وما تألوه من معاني هذه الحروف محتمل حتى الآن أن يكون من بعض ما دلت عليه هذه الحروف المقطعة، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذبهم فيما قالوا من ذلك ولا صدقهم. وقال في حديث

آخر: " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وبرسوله " (١). وإذا كان في حد الاحتمال وجب أي يفحص عنه في الشريعة، هل يشير إلى كتاب أو سنة؟ فوجدنا في التنزيل (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) (الحج ٤٧) ووجدنا في حديث زمل الخزاعي حين قص على رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا قال فيها: " رأيتك يا رسول الله على منبر له سبع درجات، وإلى جنبك ناقه عجفاء كأنك تبعثها ". ففسر له النبي صلى الله عليه وسلم الناقه بقيام الساعة التي أنذر بها، وقال في المنبر ودرجاته: " الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها ألفا " (٢) والحديث وإن كان ضعيف الإسناد فقد روي موقوفا عن ابن عباس من طرق صحاح أنه قال: " الدنيا سبعة أيام كل يوم منها ألف سنة " (٣)، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم منها، وقد مضت (منه) سنون أو قال مئون: (قال السهيلي): ولكن إذا قلنا: إنه عليه الصلاة والسلام بعث في الألف الأخيرة بعد ما مضت منه سنون، ونظرنا بعد إلى الحروف المقطعة في أوائل السور وجدناها أربعة عشر حرفا يجمعها قولك: " ألم يسطع نص حق كره "، ثم نأخذ العدد على حساب أبي جاد، فنجد حرفا يجمعها قولك: " ألم يسطع نص حق كره ". ثم نأخذ العدد على حساب أبي جاد، فنجد " ق " مائة و " ر " مائتين و " س " ثلاثمائة فهذه ستمائة و " ع " سبعين، و " ص " ستين، فهذه سبعمائة وثلاثون، و " ن " خمسين و " ك " عشرين، فهذه ثمانمائة و " م " أربعين و " ل " ثلاثين، فهذه ثمانمائة وسبعون، و " ي " عشرة و " ط " تسعة و " ا " واحد، فهذه ثمانمائة وتسعون، و " ح " ثمانية و " هـ " خمسة، فهذه تسعمائة وثلاثة. ولم يسم الله عز وجل في أوائل السور إلا هذه

(١) أخرجه البخاري ٢ / ٢٣٧ والبيهقي في السنن ١٠ / ١٦٣. (٢) انظر فتح الباري ١١ / ٢٥١. (٣) أخرجه الفتني في تذكرة الموضوعات (٢٢٤). (*)

[٢٩٢]

الحروف، فليس يبعد أن يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الإشارة إلى هذا العدد من السنن لما قدمناه في حديث الألف السابع الذي بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. غير أن الحساب يحتمل أن يكون من مبعثه أو من وفاته أو من هجرته، وكل قريب بعضه من بعض، فقد جاءت أشراط الساعة ولكن لا ناتيكم إلا بغتة. وقد روى أن المتوكل العباسي سأل جعفر بن عبد الواحد القاضي، وهو عباسي أيضا، عما بقي من الدنيا فحدثه بحديث رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن أحسنت أمتي فيقاؤها يوم من الأيام الآخرة وذلك ألف سنة، وإن أساءت فنصف يوم "، ففي هذا الحديث تميم للحديث المتقدم وبيان له، إذ قد انقضت الخمسمائة والأمة باقية والحمد لله ". هذا آخر كلام السهيلي، وفيه مناقشات من الزهر والفتح مع زيادتها من غيرها. الأولى: قوله: وجدنا في حديث زمل الخزاعي إلخ صوابه: ابن زمل، وسماه بعضهم: عبد الله، وبعضهم: الضحاك، وبعضهم: عبد الرحمن، وصوب الحافظ في الإصابة الأول، وقوله الخزاعي صوابه الجهني كما ذكره في الزهر. الثانية: قوله: وإن كان إسناد هذا الحديث ضعيفا. إلخ، اقتصر على ضعفه، قال (ابن حجر) في الفتح: إسناده ضعيف جدا، وقال في الإصابة: " تفرد برواية (حديثه سليمان بن عطاء القرشي الحراني عن مسلم بن عبد الله الجهني ". انتهى. قلت: وسليمان بن عطاء. قال الذهبي في المغنى: " هالك اتهم بالوضع ". وقال الحافظ في التقريب: " منكر الحديث ". وأورده ابن الجوزي في الأحاديث الواهية، ووصف بعض رجاله بوضع الحديث. وقال ابن الأثير: " ألفاظه مصنوعة ملفقة ". وروى ابن عدي عن أنس مرفوعا: " عمر الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة ". وفي سنده " العلاء بن زيدل "

وهو المتهم به. ورواه ابن عساكر من طريق أبي علي الحسين بن داود البلخي، قال الخطيب: " ليس بثقة، حديثه موضوع ". وقال الحاكم: " روى عن جماعة لا يحتمل سنة السماع منهم، وله عندهم العجائب يستدل بها على حاله ". وفي سنده أيضا أبو هاشم الأيلي. ورواه الحاكم، والترمذي الحكيم في نوادره، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي سنده صالح ابن محمد، عن يعلى بن هلال، عن ليث بن مجاهد. الثالثة: قوله: " فقد روى موقوفا عن ابن عباس من طرق صحاح "، قلت: لم أقف له إلا من طريق واحد غير صحيح، رواه ابن جرير في مقدمة تاريخه، ومنه أخذ السهيلي من طريق يحيى بن يعقوب وهو أبو طالب القاص الأنصاري، قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم، محله الصدق، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطئ.

[٢٩٤]

الرابعة: ما ذكره في عدد الحروف مبني على طريقة المغاربة: السين بثلاثمائة، والصاد بستين، وعند المشاركة: السين ستون والصاد تسعون. فيكون المقدار عندهم ستمائة وثلاثة وتسعون، وقد مضت وزيادة عليها فإنه في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة فالجملة على ذلك من هذه الحثية باطلة. الخامسة: ثبت عن ابن عباس الزجر عن عدد أبي جاد، والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر. قال الحافظ: " وليس ببعيد فإنه لا أصل له في الشريعة ". السادسة: قال القاضي أبو بكر بن العربي شيخ السهيلي في قوله صلى الله عليه وسلم: " بعثت أنا والساعة كهاتين "، وأشار بالسبابة والوسطى. قيل: الوسطى تزيد على السبابة بنصف سبع إصبع، وكذلك الباقي من البعثة إلى قيام الساعة ". قال " وهذا بعيد، ولا يعلم مقدار الدنيا، فكيف يتحصل لنا نصف سبع أمد مجهول ؟ فالصواب الإعراض عن ذلك ". وقال القاضي في الإكمال: " حاول بعضهم في تأويله أن نسبة ما بين الإصبعين كنسبة ما بقي من الدنيا إلى ما مضى، وأن جعلتها سبعة آلاف سنة، واستند إلى أخبار لا تصح، وذكر ما أخرجه أبو داود في تأخر هذه الأمة نصف يوم وفسره بخمسائة سنة، فيؤخذ من ذلك نصف سبع، وهو قريب مما يلي السبابة، والوسطى في الطول ". قال: " وقد ظهر عدم صحة ذلك لوقوع خلافه ومجاوزه هذا المقدار ولو كان ذلك ثابتا لم يقع خلافه ". انتهى. وقد انضاف إلى ذلك منذ عهد القاضي إلى هذا الحين نحو الأربعمائة سنة. وقال ابن العربي أيضا في فوائد رحلته: " ومن الباطل علم الحروف المقطعة في أوائل السور، وقد تحصل لى فيها عشرون قولاً وأزيد، ولا أعرف أحد يحكم عليها بعلم ولا يصل فيها إلى فهم " إلى آخر ما ذكره. وقد ذكرته مع فوائد أخرى في الكلام على هذه الحروف في كتابي. " القول الجامع الوجيز الخادم للقرآن العزيز ". لا توجد مجموعة في غيره. السابعة: قال الحافظ: " وأما عدد الحروف وإنما جاء عن بعض اليهود، وعلى تقدير أن يكون ما ذكر في عدد الحروف فليحمل على جميع الحروف الواردة ولا يحذف المكرر فإنه ما من حرف إلا وله سر يخصه، أو يقتصر على حذف المكرر من أسماء السور ولو تكررت الحروف فيها، فإن السور التي ابتدئت بذلك تسع وعشرون سورة، وعدد حروف الجميع ثمان وستون حرفاً وهي: الم ستة، وحم: سبعة، والر: خمسة، وطسم: اثنتان والمص وكهيعص وطمه وطس ويس ووص وون. فإذا حذف ما كرر من السور وهي خمس من الم وست من حم، وأربع من الر وواحدة من طسم، بقي أربع عشرة سورة عدد حروفها ثمان وثلاثون حرفاً.

[٢٩٥]

فإذا حسبت عددها بالجمل المغربي بلغت ألفين وستمائة وأربعة وعشرين، وأما بالجمل المشرقي فتبلغ ألفا وسبعمائة وأربعة وخمسين. قال الحافظ: " ولم أذكر ليعتمد عليه وإنما ليتبين أن الذي جنح إليه السهيلي لا ينبغي الاعتماد عليه لشدة التخالف فيه ". الثامنة: في جامع معمر عن مجاهد وعكرمة في قوله تعالى: (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) (المعارج ٤) لا يدري كم مضى ولا كم بقي إلا الله عز وجل. التاسعة: ما نقله عن جعفر بن عبد الواحد، فهي شئ موضوع لا أصل، له، ولا يعرف إلا من جهته، وهو مشهور بوضع الحديث عند الأئمة، مع أنه لم يسبق له سند بذلك، والعجب من السهيلي كيف سكت عليه مع علمه بحاله.

[٢٩٦]

الباب السادس في سبب نزول سورة الإخلاص روى أبو الشيخ في العظمة عن أنس بن مالك، وابن أبي حاتم، وابن عدي، والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس والطبراني في السنة عن الضحاك، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة، أن رهطاً من اليهود منهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب، جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: " يا محمد، هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ؟ فضغب النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه، ثم ساورهم غضبا لربه، فجاء جبريل فسكنه وقال: " خفض عليك يا محمد "، وجاءه من الله عز وجل بجواب ما سألوه (عنه) فأنزل الله تعالى (قل هو الله أحد) (الإخلاص ١) (١)، أصل أحد هنا واحد، لأنه بمعنى الواحد، قلبت الواو همزة، وهو دال على جميع صفات الجلال، كما دل الله على جميع صفات الكمال، إذ الواحد الحقيقي، ما يكون منزه الذات عن اتحاد التركيب والتعدد، وما يستلزمه أحدهما كالجسمية والتحيز (الله الصمد): المقصود في الحوائج على الدوام، أو هو الذي قد انتهى في سؤدده، فيصمد الناس إليه في حوائجهم، والخلائق يفترون إلى رحمته، أو هو من لا جوف له، أو هو الكامل في جميع صفاته، أو الذي لا يطعم ولا يخرج منه شئ أو الباقي بعد فناء خلقه، والله تعالى هو الموصوف بهذا على الإطلاق، فإنه مستغن عن غيره مطلقا، وكل ما عداه يحتاج إليه في جميع جهاته، وتعريفه بصمديته بخلاف أحديته. وتكرر الاسم الكريم للإشعار بأنه من لم يتصف به

(١) قال الرازي: في سبب نزولها وفيه وجوه: الأول: أنها نزلت بسبب سؤال المشركين، قال الضحاك: إن المشركين أرسلوا عامر بن الطفيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: شققت عصانا وسبب ألهمتنا، وخالفت دين آبائك، فإن كنت فقيرا أغنيك، وإن كنت مجنوناً داويناك، وإن هويت امرأة زوجناكها، فقال عليه الصلاة والسلام: " لست بفقير، ولا مجنون، ولا هويت امرأة، أنا رسول الله أدعوكم من عبادة الأصنام إلى عبادته "، فأرسلوه ثانية وقالوا: قل له بين لنا جنس معبودك، أمن ذهب أو فضة، فأنزل الله هذه السورة، فقالوا له: ثلثمائة وستون صنما لا تقوم بحوائجنا، فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق ؟ فنزلت: (والصافات) (الصافات: ١) إلى قوله: (إن إلهكم لواحد) (الصافات: ٤) فأرسلوه أخرى، وقالوا بين لنا أفعاله فنزل: (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض) (يونس: ٣). الثاني: أنها نزلت بسبب سؤال اليهود ؟ روى عكرمة عن ابن عباس أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ومعهم كعب بن الأشرف، فقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله ؟ فغضب نبي الله عليه السلام فنزل جبريل فسكنه، وقال: اخفض جناحك يا محمد، فنزل: (قل هو الله أحد) فلما تلاه عليهم قالوا: صف لنا ربك كيف عضده، وكيف ذراعه ؟ فضغب أشد من غضبه الأول، فأناه جبريل بقوله: (وما قدروا الله حق قدره) (الإنعام: ٩١). الثالث أنها نزلت بسبب سؤال النصارى، روى عطاء عن ابن عباس، قال: قدم وفد نجران، فقالوا: صف لنا ربك أمن زبرجد أو ياقوت، أو ذهب، أو فضة ؟ فقال: إن ربي ليس من شئ لأنه خلق الأشياء فنزلت - قل هو الله أحد) قالوا: هو واحد، وأنت واحد، فقال: ليس كمثلته شئ، قالوا: زدنا من الصفة، فقال: (الله الصمد) فقالوا: وما الصمد ؟ فقال: الذي يصد إليه الخلق في الحوائج، فقالوا: زدنا فنزل: (لم يلد) كما ولدت مريم (ولم يولد) كما ولد عيسى (ولم يكن له كفوا أحد) يريد نظيرا من خلقه). تفسير الرازي ٣٢ / ١٦١. (*)

لم يستحق الألوهية، وإخلاء الجملة من العاطف، لأنها كالنتيجة للأولى أو الدليل عليها. (لم يلد): المفعول محذوف أي لم يلد أحداً، والأصل يولد، حذفت الواو لوقوعها بين ياء مفتوحة ولا مكسورة فصار مثل " يعد " . (ولم يولد): النائب عن الفاعل محذوف أي لم يلد أحد، وثبتت الواو في يولد لأنها لم تقع بين ياء مفتوحة وكسرة. ولما كان الرب سبحانه وتعالى واجب الوجود لذاته قديماً، موجوداً قبل وجد الأشياء، وكان كل مولود محدثاً انتفت عنه الولدية، ولما كان لا يشبهه أحد من خلقه ولا يجانسها حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد، انتفت عنه الولدية، ومن هذا قوله تعالى: (أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) (الأنعام ١٠١)، (ولم يكن له كفواً أحد): أي لم يكن له أحد يكافئه أي يماثله من صاحبة وغيره " وله " متعلق بـ " كفواً " وقدم عليه لأنه محط القصد، وآخر " أحد " وهو اسم " يكن " عن خبرها رعاية للفاصلة. ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الإلهية والرد على من ألحد فيها، جاء في الحديث أنها تعدل ثلث القرآن فإن مقاصده محصورة في بيان الأحكام والقصاص، ومن عدلها اعتبر المقصود بالذات (١). قال ابن إسحاق: " فلما تلاها عليهم، قالوا: " فصف لنا يا محمد ربك كيف خلقه، كيف ذرعه، كيف عضده " ؟ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأول، وساورهم غضبا لربه. فاتاه جبريل، فقال له مثل مقالته وجاءه من الله تعالى بجواب ما سأله عنه. (وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) (الزمر ٦٧)، أي ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق عظمتهم حتى أشركوا به وشبهه بخلقه. (والأرض جميعا). جميعا: حال، أي السبع، (قبضته) أي مقبوضة له أي في ملكه وتصرفه يوم القيامة، (والسموات مطويات) أي مجموعات، " بيمينه " أي بقدرته سبحانه وتعالى عما يشركون معه. تنبيه كذا ذكر ابن إسحاق سبب نزول هذه الآية، وروى الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه في سبب نزولها غير ذلك والله أعلم.

(١) قال الرازي: اشتهر في الأحاديث أن قراءة هذه السورة تعدل قراءة ثلث القرآن، ولعل الغرض منه أن المقصود الأشرف من جميع الشرائع والعبادات، معرفة ذات الله ومعرفة صفاته ومعرفة أفعاله، وهذه السورة مشتملة على معرفة الذات، فكانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن، وأما سورة (قل يا أيها الكافرون) (الكافرون: ١) فهي معادلة لربع القرآن، لأن المقصود من القرآن إما الفعل وإما الترك وكل واحد منهما فهو إما في أفعال القلوب وإما في أفعال الجوارح فالأقسام أربعة، وسورة (قل يا أيها الكافرون) لبيان ما ينبغي تركه من أفعال القلوب، فكانت في الحقيقة مشتملة على ربع القرآن، ومن هذا السبب اشتركت السورتان أعني (قل يا أيها الكافرون)، و (قل هو الله أحد) في بعض الأسماء فهما المقشقتان والمبرئتتان، من حيث إن كل واحدة منهما تقييد براءة القلب عما سوى الله تعالى، إلا أن (قل يا أيها الكافرون) يفيد بلفظه البراءة عما سوى الله وملازمة الاشتغال بالله و (وقل هو الله أحد) يفيد بلفظه الاشتغال بالله وملازمة الإعراض عن غير الله أو من حيث إن (قل يا أيها الكافرون) تقييد براءة القلب عن سائر المعبودين سوى الله، و (قل هو الله أحد) تقييد براءة المعبود عن كل ما يليق به. اه تفسير الرازي ٣٢ / ١٩٢. (*)

الباب السابع في إرادة شاس بن قيس إيقاع الفتنة بين الأوس والخزرج لما رأى كلمتهم مجتمعة روى ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن زيد بن أسلم مطولا، والفريابي وابن جرير وغيرهما عن ابن عباس مختصرا، وابن المنذر عن عكرمة، وابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي كذلك واللفظ للأول، قال: كان شاس بن قيس شيخا قد عسا، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، فمر على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون

فيه، فغاضه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية. فلما أن جاء الإسلام اصطلحوا وألف الله بين قلوبهم. فقال: " لقد اجتمع ملأ بني قبيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار ". فأمر فتى شابا من يهود كان معه فقال: " اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بعث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار. ففعل، فأنشدهم بعض ما قاله أحد الحيين في حربهم، فكانهم دخلهم من ذلك (شئ) فقال الحي الآخرون: وقد قال شاعرنا في يوم كذا: كذا وكذا (فقال الآخرون: وقد قال شاعرنا في يوم كذا: كذا وكذا، فتكلم القوم عند ذلك، وتنازعوا وتفاخروا، حتى توثب رجلان من الحيين: أوس بن قبيط (أحد بني حارثة بن الحارث) من الأوس، وجبار بن صخر (أحد بني سلمة) من الخزرج، فتناولوا، ثم قال أحدهما لصاحبه: " إن شئتم رددناها الآن حذعة ". فغضب الفريقان جميعا، وقالوا: " قد فعلنا، موعدكم الظاهرة - والظاهرة الحرة - السلاح السلاح ". فخرجوا إليها. (فانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية). فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال: " يا معشر المسلمين: الله الله، أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بينكم، فترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا " ؟ (١) فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدوهم: عدو الله شاس بن

(١) ذكره السيوطي في الدر ٢ / ٥٧ وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. (*)

[٢٩٩]

قيس، فأنزل الله تعالى: (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون. قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون) (آل عمران ٩٨، ٩٩). وأنزل الله في أوس بن قبيط، وجبار بن صخر، ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا ما أدخل عليهم شأس من أمر الجاهلية: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين. وكيف تكفرون وأنتم تتلى على عليكم آيات الله وفيكم رسوله، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) (آل عمران ١٠٠، ١٠١). نتيه: في بيان غريب ما سبق: " شأس " (١): بشين معجمة فهمة ساكنة فسين مهملة. " عسا " بعين فسين مهملتين: أي كبر وأس. " الضغن " بكسر الصاد المعجمة: الحقد. " قيلة " - بفتح القاف وسكون التحتية: أم الأوس والخزرج. " بعث " بعين مهملة ومثلثة - وتقدم الكلام عليها مبسوطة في أبواب بدء إسلام الأنصار. " جبار " بالجيم وتشديد الموحدة. " جذعة " بفتح الجيم والذال المعجمة: أي أحدثنا الحرب. " الحرة " بفتح الحاء المهملة والراء المشددة: (وهي الأرض ذات الحجارة السود). والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) انظر اللسان ٤ / ٢١٧٦. (*)

الباب الثامن في سبب نزول قوله تعالى: (لقد سمع الله قوله الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) (آل عمران ١٨١) وقوله تعالى: (إذ قوله ما أنزل الله على بشر من شيء) (الأنعام ٩١) روى ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وابن جرير عن السدي، وابن جرير عن عكرمة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل بيت المدراس بعد نزول قوله تعالى: (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) (البقرة ٢٤٥) فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص (بن عازوراء) وكان من علمائهم وأحبارهم. فقال أبو بكر: ويلك يا فنحاص: "إتق الله عز وجل وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونهم مكتوبا عندكم في التوراة". فقال فنحاص لعنه الله: "والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإننا عنه لأغنياء (وما هو عنا بغني) ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا أموالنا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيانه ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا". فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال: "والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك أي عدو الله". فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، انظر ما فعل بي صاحبك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: "ما حملك على ما صنعت؟" فقال أبو بكر: يا رسول الله (إن عدو الله) قال قولا عظيما إنه زعم أن الله عز وجل فقير وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه. فجدد ذلك فنحاص، وقال: ما قلت ذلك. فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص (ردا عليه) وتصديقا لأبي بكر رضي الله عنه: (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) (آل عمران ١٨١) ونزل في أبي بكر الصديق، وما بلغه في ذلك في الغضب: (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) (آل عمران ١٨٦) (١). وروى ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن السدي في قوله تعالى: (إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) (الأنعام ٩١). قال فنحاص اليهودي: ما أنزل الله على محمد من شيء. قال السدي: والمشهور أنها نزلت في مالك بن

(١) ذكره السيوطي في الدر ٢ / ١٠٥ وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. (*)

الضيف. وروى ابن جرير، وابن المنذر عن عكرمة في الآية قال: نزلت في مالك بن الضيف. وروى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، وابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الضيف، ومعه جماعة فخاصم النبي صلى الله عليه وسلم. وفي رواية: فقالوا: يا أبا القاسم، ألا تأتنا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحا. فأنزل الله عز وجل: (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا) (النساء ١٥٣). فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أنشدك الله بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟" وكان حبرا سمينا.. فغضب

وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء. فقال له أصحابه الذين معه: ويحك! ولا على موسى؟ فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء فأنزل الله عز وجل (نقضا لقولهم وردا عليهم): (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الله الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) (الأنعام ٩١).

[٤٠٢]

الباب التاسع سفي سؤالهم عن أشياء لا يعرفها إلا نبي وجوابه لهم وتصديقهم إياه بأنه أصاب وتمردهم عن الأيمان به روى ابن إسحاق والطيالسي والغريابي والإمام أحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، والبيهقي، وأبو نعيم عن غيرهم بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما، والبخاري في تاريخه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طريق آخر عنه مختصرا، قال: " حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنها لا يعلمها إلا نبي. قال: " سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله عز وجل، وما أخذ يعقوب على نبيه لئن حدثتكم شيئا لتبايعني ". قالوا: فذلك لك. قالوا: أربع خلال نسألك عنها: أخبرنا أي طعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء الرجل من ماء المرأة، وكيف الأنثى منه والذكر؟ وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم ومن يليه من الملائكة؟ وأخبرنا ما هذا الرعد؟ فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه: " لئن أخبرتكم لتبايعني ". فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق. قال: فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى: هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا طال سقمه فنذر لئن عافاه الله عز وجل ليحرمن أحب الطعام والشراب، وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها " وفي رواية: كان يسكن البادية فاشتكى عرق النسا، فلم يجد شيئا يداويه إلا لحوم الإبل وألبانها. فقالوا: اللهم نعم اللهم اشهد. قال: " فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن النبي الأمي تنام عينه ولا ينام قلبه؟ قالوا: اللهم نعم اللهم اشهد، قالوا: أنت الآن حدثنا من وليك من الملائكة؟ فعندها نجامعك أو نفارقك قال: " وليي جبريل، ولم يبعث الله عز وجل نبيا قط إلا وهو وليه ". قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك سواه من الملائكة لا تبعناك وصدقناك. قال: " فما يمنعكم أن تصدقوني؟ " قالوا: هذا عدونا من الملائكة. فأنزل الله عز وجل: (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله) (البقرة ٩٧). ونزلت: (فبأوا بغضب على غضب) (١) (البقرة ٩٠). وفي رواية فقالوا: يا أبا القاسم نسألك عن خمسة أشياء. وذكر نحو ما تقدم. وزاد: قالوا: أخبرنا عن هذا الرعد. قال:

(١) أخرجه أحمد في المسند ١ / ٣٧٨. (*)

[٤٠٣]

" ملك من ملائكة الله عز وجل، موكل بالسحاب، بيده - أو قال: في يده - مخراق (١) من نار يزجر به السحاب فيسوقه حيث أمره الله ". قالوا: فما هذا الصوت؟ قال: " صوته ". قالوا: صدقت. ورى الإمام أحمد، والبخاري، والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه أن يهوديا قال: يا محمد مم يخلق الإنسان؟ قال: " يا يهودي، يخلق من كل من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة، أما نطفة الرجل فنطفة غليظة

منها العظم والعصب، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم " (٢). فقال اليهودي: هكذا كان يقول من كان قبلك. وروى الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، والبيهقي، وأبو نعيم عن صفوان بن عسال - بعين فسين مشددة مفتوحتين مهملتين - قال: " قال يهودي لصاحبه اذهب بنا إلى هذا النبي فسأله. فقال له صاحبه: لا تقل نبي فإنه لو سمعك تقول النبي كان له أربعة أعين، فانطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قول الله عز وجل: (ولقد أتينا موسى تسع آيات بينات) (الإسراء ١٠١) فقال: " لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تسرفوا ولا تسحروا ولا تمشوا بيريء إلى ذي سلطان فيقتله ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم يا معشر اليهود خاصة ألا تعدلوا في السبب ". فقبلا يديه ورجليه وقال: " نشهد أنك نبي ". قال: فما يمنعكما أن تسلما " ؟ فقالا: " إن داود دعا الله ألا يزال في ذريته نبي، وأنا نخاف إن أسلمان أن تقتلنا يهود " (٣). وروى مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء خبر من اليهود فقال: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " في ظلمة دون الجسر ". قال: فمن أول الناس إجازة ؟ قال: " فقراء المهاجرين ". فقال: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال: زيادة كبد نون ". قال: " فما غذاؤهم على أثره " ؟ قال: " ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها ". قال: فما شرابهم عليه ؟ قال: " من عين فيها تسمى سلسيلا ". قال: صدقت. قال: وجئت أسأل عن شئ لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان،

(١) انظر النهاية ٢ / ٣٦. (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٨ / ٢٤٤ وعزاه لأحمد والطبراني والبخاري بإسنادين وقال: وفي أحد إسناديه عامر بن مدرك وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات. وفي إسناد الجماعة عطاء بن السائب وقد اختلط (٣) أخرجه أحمد في المسند ٤ / ٢٤٠ والطبراني في الكبير ٧ / ٤٣ والحاكم في المستدرک ٤ / ٢٥١ وأبو نعيم في الحلية ٥ / ٩٨ والبيهقي في الدلائل ٦ / ٣٦٨. (*)

[٤٠٤]

جئت أسأل عن الولد. قال: " ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعوا فعلا مني الرجل مني المرأة فذكر بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل فأثنى بإذن الله عز وجل ". قال اليهودي: صدقت وإنك لنبي. ثم انصرف. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنه سألتني عن هذا الذي سألتني عنه، وما أعلم شيئا منه حتى أنبأني الله عز وجل " (١). وروى ابن أبي شيبة، وأحمد بن منيع، وعبد بن حميد، والنسائي في الكبرى، والطبراني بسند صحيح عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: جاء رجل من اليهود يقال له ثعلبة بن الحارث فقال %: يا أبا القاسم أتزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ وقال اليهودي لأصحابه: إن أقر بها خصمته. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تؤمن بشجر المسك ؟ " قال: نعم. قال: " وتجدها في كتابكم ؟ " قال: نعم. قال: " والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل إلى المطعم والمشرب والجماع ". فقال اليهودي: الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حاجتكم عرق يفيض من جلودهم مثل ريح المسك، فتضمض بطونهم ". وروى سعيد بن منصور وأبو يعلى، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبخاري، والحاكم، والبيهقي، وابن جرير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم يهودي فقال: يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف عليه السلام ساجدة له ما أسماؤها ؟ فلم يجبه بشئ. فنزل عليه جبريل فأخبره (بأسمائها). فبعث إلى اليهودي وقال له: " أنسلم إن أخبرتك بأسمائها ؟ قال: نعم فقال: " (هي): حرتان وطارق والذبال

وذو الكنفات وذو الفرغ ووثاب وعمودان وقابس والضروح والمصيح والغليق والضياء والنور. رآها يوسف عليه السلام في أفق السماء ساجدة له ". فقال اليهود: هذه والله أسماؤها. قال الحكم بن ظهير (٢) أحد رواة: الضياء هو الشمس وهو أبوه، والنور هو المقر وهي أمه. قال الحافظ في حاشية كتبها على مجمع الزوائد: رأيت في نسخة مصححة أنه من ضعفاء العقيلي. بيان غريب ما سبق: " حرثان " بمهملة مفتوحة ثم مثلثة. " الذيال " بمعجمة ثم تحتية ثقيلة.

(١) أخرجه مسلم ١ / ٢٥٢ (٣١٤ - ٣١٥) والبيهقي ١ / ١٦٩ والطبراني في الكبير ٥ / ٨٨ وأبو نعيم ١ / ٢٥١. (٢) الحكم بن ظهير الفزاري الكوفي، وكان أبو إسحاق الفزاري إذا روى عنه قال: الحكم بن أبي ليلى، روى عن عاصم بن بهدلة، والسدي. وعنه جماعة آخرهم عبد بن يعقوب الأسدي، والحسن بن عرفة. قال ابن معين: ليس بثقة. وقال - مرة: ليس بشئ. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال - مرة: تركوه. عاش إلى سنة ثمانين ومائة. ميزان الاعتدال ١ / ٥٧١. (*)

[٤٠٥]

" الكنفات " بنون ففاء وأخره مثناة. " الفرغ " (بفاء وراء ثم غين معجمة). " عمودان " (بلفظ تننية عمود). " قابس " بقاف وموحدة ثم مهمل. " الضروح " بفتح الصاد المعجمة وأخره جيم. " المصيح " بضم الميم ثم فتح المهمل ثم موحدة مثقلة ثم مهمل. " الغليق: (بالفاء واللام والمثناة التحتية فقف) (١).

(١) قال السيوطي في الدر: وأخرج سعيد بن منصور، والبخاري، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والعقيلي في الضعفاء، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي معا، في الدلائل عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: " جاء بستانى اليهودي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف - عليه السلام - ساجدة له، ما أسماؤها، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجبه بشئ، فنزل جبريل - عليه السلام - فأخبره بأسمائها، فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى البستاني اليهودي، فقال: " هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها ؟ قال: نعم، قال: حرثان، والطارق، والذيال، وذو الكفتان، وقابس، ودنان، وهودان، والغليق، والمصيح، والضروح، والغريخ، والضياء، والنور، رآها في أفق السماء ساجدة له، فلما قص يوسف على يعقوب، قال: هذا أمر مشئت يجمعه الله من بعد "، فقال اليهودي: إي والله إنها لأسماؤها الاسرئيليات ص ٣٠٦. (*)

[٤٠٦]

الباب العاشر في رجوعهم إليه صلى الله عليه وسلم في عقوبة الزاني وما ظهر في ذلك من كتمانهم ما أنزل الله عز وجل في التوراة من حكمه وصفة نبيه صلى الله عليه وسلم روى ابن إسحاق وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه، وعبد الرزاق، وأحمد، وعبد بن حميد، وأبو داود، وابن جرير، والبيهقي في الدلائل من وجه آخر عنه، وأحمد، ومسلم، وأبو داود، والنحاس في ناسخه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن البراء بن عازب، والشيخان عن ابن عمر، وابن جرير، والطبراني عن ابن عباس، وعبد بن حميد في مسنده، وأبو داود، وابن ماجه وابن المنذر عن جابر بن عبد الله ٨ رضي الله عنهما: أن أحبار يهود اجتمعوا في بيت المدارس حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد زنى رجل بعد إحصان بامرأة من يهود قد أحصنت. قال جابر: من أهل فدك، كتب أهلها إلى أناس من يهود المدينة " أن سلوا محمدا عن ذلك، فإن أمركم بالجلد فخذوه عنه وإن أمركم

بالرجم فلا تأخذه عنه ". انتهى. قال أبو هريرة: فلما اجتمعوا في بيت المدراس قال: اذهبوا بنا إلى هذا النبي فإنه بعث بتخفيف، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله وقلنا فتيا نبي من أنبيائك. وفي رواية: فقالوا: ولوه الحكم فيهما فإن عمل فيهما بعملكم من التجبية - وهي الجلد بحبل من ليف مطلي بقار ثم تسود وجوههما، ثم يحملان على حمارين وتجعل وجوههما من قبل أديار الحمارين - فأتبعوه وإنما هو ملك سيد قوم، وإن هو حكم فيهما بالرجم فإنه نبي فاحذروه على ما في أيديكم أن يسليكموه. فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في أصحابه، فقالوا: " يا أبا القاسم هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت فأحكم فيها فقد وليناك الحكم فيهما ". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما تجدون في التوراة ؟ " قالوا: تفضحهما ويجدان. وفي رواية قالوا: دعنا من التوراة وقل ما عندك. فأفتاهم بالرجم، فأنكروه. فلم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أتى بيت مدراسهم، فقام على الباب فقال: " يا معشر يهود أخرجوا إلي علماءكم ". فأخرجوا إليه عبد الله بن سوريا وأبا ياسر بن أخطب، ووهب بن يهودا، فقالوا: إن هؤلاء علماءنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أشدكم الله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة

[٤٠٧]

على من زنى بعد إحصان ؟ قالوا: يحمم ويجنب. فقال عبد الله بن سلام: كذبتهم إن فيها آية الرجم. فأتوه بالتوراة فنشروها فوضع (أحدهم) يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال عبد الله بن سلام: ارفع يدك. فرفعها فإذا آية الرجم تلوح. قال: صدق محمد. وفي رواية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أقسم عليهم بالله عز وجل سكت شاب منهم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت أظ به المسألة، فقال: إذ نشدتنا فإننا نجد في التوراة الرجم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " فما أول ما رخصتم أمر الله عز وجل ؟ " قال: زنى رجل ذو قرابة من ملك من ملوكنا فأخر عنه الرجم. ثم زنى رجل في أسرة من الناس فأرادوا رجمه فحال قومه دونه وقالوا: والله لا يرجم صاحبنا حتى تجئ بصاحبك فترجمه، فاصطلحوا على هذه العقوبة بينهم. وفي رواية أن الزنى كثر في أشرافنا، فكننا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا حتى نجعل شيئا ونقيم على الشريف والوضيع. فأجمعنا على التحميم والجلد، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون إنك نبي مرسل ولكنهم يحسدونك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه قديما بالشهوة " (١). فجاؤوا بأربعة شهود فشهدوا بأنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما فرجما عند باب مسجده، وفي رواية: بالبلاط، قال ابن عمر: فرأيت الرجل يحنى عليه المرأة ليقبها الحجارة، وفي لفظ: فكنت فيمن رجمهما فلقد رأيت يقيها الحجارة بنفسه. تنبيه في بيان غريب ما سبق: " بيت المدراس " (٢): بكسر الميم وهو البيت الذي يقرأ فيه أهل الكتاب كتبهم. " التجبية " (٣): بفتح الفوقية وسكون الجيم وكسر الموحدة بعدها تحية ساكنة ثم هاء، فسر الحديث بالجلد والتحميم والمخالفة في الركوب قال ثابت بن قاسم: وقد يكون معناه التعبير والإغلاظ من جبهت الرجل أن قابلته بما يكره، وضبطها بعضهم بمثابة في آخره وقبلها حركة، وأصله البروك وهو يعيد هنا. " سوريا ": بصاد مهملة مضمومة وآخره ياء وألف. " ياسر ": بتحتية وسين مهملة.

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٧) وأبو داود (٤٤٤٦) وابن ماجه (٣٥٥٥، ٣٥٥٨) وأحمد في المسند ٤ / ٢٨٦ والطبراني في الكبير ٦ / ١٥٠. (٢) انظر اللسان ٢ / ١٣٦٠. (٣) انظر اللسان ١ / ٥٤٣. (*)

[٤٠٨]

" أخطب ": بوزن أفعل التفضيل من الخطبة. " أنشدكم بالله ": أذكركم أو سألتكم به مقسما عليكم. " تلوح ": تبدو. " أظ " به: لازمه. " النشدة ": بكسر النون من المناشدة. " الأسرة " (١): القوة. " البلاط " (٢) - يفتح الموحدة: الحجارة المفروشة. وموضع بالمدينة وهو المراد هنا. " يجنى عليها ": يكب ويميل عليها. (*)

(١) انظر اللسان ١ / ٧٨. (٢) انظر اللسان ١ / ٣٤٤. (*)

[٤٠٩]

الباب الحادى عشر في سؤاله لهم أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين في دعاوى ادعواها قال الله عز وجل " قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) (سورة البقرة، الآية: ٩٤) روى ابن جرير عن أبي العالية أنه قال: " قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، وقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه ". فأنزل الله تعالى الآية الأولى فلم يفعلوا. وروى البيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية الأولى لما نزلت قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن كنتم في مقاتلكم صادقين قولوا اللهم أمتنا فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه "، فأبوا أن يفعلوا وكرهوا ما قال لهم، فنزل: (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) (سورة البقرة، آية ٩٥) يعني عملته أيديهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول هذه الآية: " والله لن يتمنوه أبدا ". وروى ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم من طريق آخر عنه، قال: " لو تمنى اليهود الموت لشرق أحدهم بريقه ". وروى الإمام أحمد، والبخاري، والترمذي، والنسائي، وابن مردويه، وأبو نعيم، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لو أن اليهود تمنوا الموت، لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار ".

[٤١٠]

الباب الثاني عشر في سحرهم إياه صلى الله عليه وسلم روى الشيخان والإسماعيلي، وابن مردويه، والبيهقي عن عائشة رضي الله عنهما، والإمام أحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، والنسائي عن زيد بن أرقم، وابن مردويه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وابن سعد، والبيهقي، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن سعد عن عمر بن الحكم مرسلًا، قال عمر بن الحكم: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع جاءت رؤساء يهود (الذي بقوا في المدينة ممن يظهر الإسلام وهو منافق) إلى لبيد بن الأعصم، وكان حليفا في بني زريق وكان ساحرا (قد علمت ذلك يهود أنه أعلمهم بالسحر وبالسموم) فقالوا له: يا أبا الأعصم أنت أسحرنا، وقد سحرنا محمد فلم نضع شيئا وأنت ترى أثره فينا، وخلافه ديننا، ومن قتل منا وأجلى ونحن نجعل لك على ذلك جعلًا على أن تسحره لنا سحرا ينكؤه فجعلوا له

ثلاثة دنانير علي أن يسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقالت عائشة رضي الله عنها في رواية عبد الله بن عمير: سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بني زريق. وفر رواية ابن عيينة: رجل من بني زريق حليف يهود وكان منافقا (١). وفي حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك عند ابن سعد: إنما سحره بنات أعصم أخوات لبيد وكن أسحر من لبيد وأخيث وكان لبيد هو الذي ذهب به فأدخله تحت راعوفة البئر (٢) فلما عقدوا تلك العقد أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة بصره، ودس بنات أعصم إحداهن فدخلت على عائشة رضي الله عنها (فخبرتها عائشة أو سمعت عائشة تذكر ما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصره) ثم خرجت إلى أخواتها (وإلى لبيد) فأخبرتهم بذلك. فقالت إحداهن: " إن يكن نبيا فسيخبر وإن يك غير ذلك فسوف يدلله هذا السحر حتى يذهب عقله ". وفي رواية في الصحيح (عن عائشة رضي الله عنها قالت: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر) حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن (٣). قال سفیان: وهذا شر ما يكون إذا كان كذا. وفي مرسل يحيى بن يعمر عن عبد الرزاق: حتى أنكر بصره، فدخل عليه أصحابه

(١) أخرجه البخاري ١٠ / ٢٢٢ (٥٧٦٣). (٢) راعوفة البئر: هي صخرة تترك في أسفل البئر إذا حفرت تكون نائمة هناك، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها. وقيل: هي حجر يكون علي رأس البئر يقوم المستقي عليه. ويروى بالباء المثلثة. انظر النهاية ٢ / ٢٢٥. (٣) أخرجه البخاري ١٠ / ٢٤٢ (٥٧٦٥). (*)

[٤١١]

يعودونه فخرجوا من عنده وهم يرون أنه لما به (مطبوب). وفي رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي: فكان يذوب وما يدري ما وجعه فاشتكى لذلك أياما. وفي رواية أبي ضمرة عند الإسماعيلي: مكث أربعين ليلة. وفي رواية وهيب عند الإمام أحمد: ستة أشهر، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله عز وجل ثم دعا ثم قال: " يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ " قلت: وما ذاك يا رسول الله ؟ قال: " أتاني رجلان (١) - وفي حديث ابن عباس: جبريل وميكائيل - فقعد أحدهما عند رأسي - قال الدمياطي: هو جبريل - والآخر عند رجلي. ثم قال أحدهما لصاحبه - وفي حديث ابن عباس: فقال ميكائيل: يا جبريل إن صاحبك شاك. قال: أجل. قال: وما وجع الرجل ؟ فقال: مطبوب. قال: ومن طيه ؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي. قال: فيماذا ؟ قال: " في مشط ومشاطة - وفي لفظ: مشط ومشاقة وجف طلع نخلة ذكر ". وفي حديث عائشة من طريق ابن عيينة، " فقال الذين عند رأسي ". قال الحافظ: " وكأنها أصوب ". وفي حديث ابن عباس عند البيهقي قال: وابن هو ؟ قال: في بئر ذي أروان - وفي لفظ: بئر ذروان - وفي حديث ابن عباس عن ابن مردويه: وهو بئر ميمون في كدية (٢) تحت صخرة في الماء. قال: فما دواء ذلك ؟ قال: تنزح البئر ثم تقلب الصخرة فتؤخذ الكدية (٣) تحت صخرة في الماء. قال: فما دواء ذلك ؟ قال: تنزح البئر ثم تقلب الصخرة فتؤخذ الكدية فيها مثال إحدى عشرة عقدة فتحرق فإنه يبرأ بإذن الله تعالى. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا. وفي حديث آخر: ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه إلى البئر ثم تقلب الصخرة فتؤخذ الكدية فيها مثال إحدى عشرة عقدة فتحرق فإنه يبرأ بإذن الله تعالى. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا. وفي حديث آخر: ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها، وعليها نخل، فدخل رجل فاستخرج جف طلعة (ذكر) من تحت الراعوفة، فإذا فيها مشط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبر، فنزل جبريل عليه السلام

بالمعوذتين: سورة الفلق وسورة الناس (وهما إحدى عشرة آية على عدد تلك العقد وأمر أن يتعوذ بهما) فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، وكلما نزع إبرة وجد لها ألما ويجد بعدها راحة. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما أنشط من عقال. قالت عائشة: فلما رجع قال: " لكان ماءه نقاعة الحناء وكان رؤوس نخلها الذي يشرب ماءها قد التوى سعفه كأنه رؤوس الشياطين ". قلت: يا رسول الله: أفلا قال سفيان: أي نتشرت - فقال: " أما والله " - وفي رواية: " أما أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثور - وفي رواية أثير - على الناس منه شراً ". وأمر بها فدفنت. فقيل: يا رسول الله لو قتلتته فقال: " ما وراءه من عذاب أشد ". وفي رواية: فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترف فعفا عنه ولم يقتله.

(١) أخرجه البخاري ٧ / ١٧٧ (دار الفكر) وابن ماجه (٣٦١). (٢) الكدية: قطعة غليظة صلبة لا تعمل فيها الفاس. وأكد الحافر: إذا بلغها. انظر النهاية ٤ / ١٥٦. (*)

[٤١٢]

تنبيهات الأول: السحر يطلق ويراد به الآلة التي يسحر بها، ويطلق بها ويراد به فعل الساحر؛ وتكون الآلة تارة معنى من المعاني فقط كالرقي والنفت في العقد، وتارة تكون بالمحسوسات. وتارة تجمع الأمرين الحسي والمعنوي وهو أبلغ. الثاني: اختلف في السحر، فقيل: هو تخيل فقط ولا حقيقة له، وهو اختيار أبي جعفر الأستراباذي من الشافعية، وأبي بكر الدارمي من الحنفية، وابن حزم الظاهري وطائفة. قال النووي: " والصحيح أن للسحر حقيقة، وبه قطع الجمهور، وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة " انتهى. ولكن محل النزاع: هل يقع بالسحر انقلاب عين أو لا؟ فمن قال إنه تخيل فقط، منع. وقيل إن له حقيقة. واختلفوا هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الأمراض، وينتهي إلى حالة بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه؟ فالذي عليه الجمهور، الأول. وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني. فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فمسلم به، وإن كان بالنظر إلى الواقع فهو محل الخلاف، فإن كثيرا ممن يدعي ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه. وذكروا قوما أنكروا السحر مطلقا وكانهم عنوا القائلين بأنه تخيل وإلا فهذه مكابرة. قال المازري: جمهور العلماء على إثبات السحر وأن له حقيقة، ونفى بعضهم حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة، وهو مردود لورود النقل بإثبات السحر، ولأن العقل لا ينكر أن الله تعالى قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو بمزج بين قوى على ترتيب مخصوص، ونظير ذلك ما يقع من حذاق الأطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفردة فيصير بالتركيب نافعا. وقيل: لا يزيد تأثير السحر على ما ذكر الله تعالى في قوله: (يفرقون به بين المرء وزوجه) (١) سورة البقرة، آية ١٠٢) لكون المقام مقام تهويل، فلو جاز أن يقع به أكثر من ذلك لذكره. قال المازري: " والصحيح من جهة العقل أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك، والآية ليست نصا في منع الزيادة ولو قلنا إنها ظاهرة في ذلك ". ثم ذكر الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة، وقد ذكرته في أبواب المعجزات. الثالث: قال النووي: " عمل السحر حرام وهو من الكبائر بإجماع، وقد عدّه النبي صلى الله عليه وسلم من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفرا، ومنه ما لا يكون كفرا بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو بفعل يقتضي الكفر فهو كفر كالتعبد للشياطين أو الكواكب. وأما تعليمه وتعلمه فحرام، فإن كان فيه ما يقتضي الكفر استتبيح منهم (متعاطيه) ولا يقتل. فإن تاب قبلت توبته، وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر. وعن الإمام مالك: الساحر كافر يقتل ولا يستتاب. بل يتحتم

قتله كالزندق، قال القاضي: " ويقول مالك قال أحمد، وجماعة من الصحابة والتابعين ". انتهى. وإلى ذلك جنح البخاري. الرابع: قال الحافظ: " أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين: إما لتمييز ما فيه من كفر من غيره، وإما لإزالته عمن وقع / فيه. فأما الأول فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد، فإذا سلم الاعتقاد فمعرفة الشئ معرفة مجردة لا تستلزم منعاً، كمن يعرف عبادة أهل الأوثان، لأن كيفية ما يعرفه الساحر إنما هي حكاية قوله وفعله، بخلاف تعاطيه والعمل به، وأما الثاني فإن كان لا يتم كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلاً، وإلا جاز للمعنى المذكور، ولهذا مزيد بسطاً يأتي إن شاء الله في أبواب عصمته صلى الله عليه وسلم. الخامس: لبيد - بفتح اللام وكسر الموحدة بعدها تحتية ساكنة ثم مهملة - ابن الأعصم بوزن أحمر بمهملتين - وصف في رواية بأنه من يهود بني زريق. وفي رواية (أخرى) بأنه رجل من بني زريق حليف يهود، وكان منافقاً. ويجمع بينهما بأن من أطلق أنه يهودي نظر إلى ما في نفس الأمر، ومن أطلق عليه منافقاً نظر إلى ظاهر أمره. قال أبو الفرج: وهذا يدل على أنه أسلم نفاقاً وهو واضح. السادس: في مدة مكثه صلى الله عليه وسلم مسجوراً: وقع في رواية أبي ضمرة عند الإسماعيلي في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم مكث أربعين ليلة. وفي رواية وهيب عن عثام عند الإمام أحمد ستة أشهر. ويمكن الجمع بينهما بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه والأربعين يوماً من استحكامه. قال السهيلي: لم أفق علي شئ من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم فيها من السحر، حتى ظفرت به في جامع معمر (بن راشد) عن الزهري قال: " سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة (يخيل إليه أنه يفعل الفعل ولا يفعله) وقد وجدناه موصولاً بإسناد صحيح فهو المعتمد. السابع: قوله: " فدعا الله عز وجل ثم دعا الله عز وجل ": قال الإمام النووي: " فيه استحباب الدعاء عند حصول الأمور المكروهات وتكريره وحسن الالتجاء إلى الله تعالى في رفع ذلك ". قال الحافظ: " سلك النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القضية مسلكي التفويض وتعاطي الأسباب، ففي أول الأمر فوض وسلم لأمر ربه، واحتسب الأجر في صبره على بلائه. ثم لما تمادى ذلك وخشى من تماديه أن يضعف عن عبادته جنح إلى التداوي ثم إلى الدعاء. وكل من المقامين غاية " في الكمال ". الثامن: وقع في حديث ابن عباس عند ابن سعد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل علياً وعماراً لاستخراج السحر. وفي رواية عائشة في الصحيح: أنه صلى الله عليه وسلم توجه إلى البئر مع جماعة. وعند

ابن سعد عن عمر بن الحكم مرسلًا: " فدعا جبير بن إياس الزرقى فدلّه على موضعه في بئر ذروان تحت أرفوفة البئر فخرج جبير حتى استخرجه. قال ابن سعد: ويقال: إن الذي استخرج السحر بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن محصن الزرقى. ويجمع بأنه أعان جبيرا على ذلك وباشره بنفسه فنسب إليه. التاسع: في بيان غريب ما سبق: " الحديدية ": يأتي الكلام عليها في غزوتها. " الحليف " (١): المعاهد. " بنو زريق " بتقديم الزاي تصغير أزرق. " أشعرت " ؟ أعلمت ؟. " مطبوب ": مسحور. يقال: طب الرجل - بالضم - إذا سحر وكنوا بالطب عن السحر تفاؤلاً بالبرء كما كنوا بالسليم عن اللذيغ وقال القرطبي في المفهم: " إنما قالوا للسحر طب، لأن أصل الطب الحذق بالشئ والتفطن له، فلما كان كل من

عالج المرض والسحر إنما يأتي عن فطنة وحذق، أطلق على كل منهما هذا الاسم. " مشط ": معروف وتقدم الكلام عليه في شرح غريب قصة المعراج. " مشاطة ". ما مشط من الرأس. " مشاقفة " قيل: مشاقفة الكتان. وقيل المشاقفة هي المشاطة بعينها، والقاف تبدل من الطاء لقرب المخرج وهما بمعنى واحد. " حف ": بالجيم والفاء: وهو الغشاء الذي يكون على الطلع. " الطلع " (٢): يطلق على الذكر والأنثى، فلهذا قيده بالذكر، وفي رواية في الصحيح بتنوين طلعة ذكر فهو صفة ألحقت إلي ذكر. " بئر ذروان ": بالذال المعجمة وزن مروان. وفي رواية " ذي أروان " وهي الأصل فسملت الهمزة لكثرة الاستعمال فصارت ذروان. وفي رواية السهيلي: ذي روان بإسقاط همزته (وهو) غلط. " الراعوفة ": كذا لأكثر رواة الصحيح بزيادة ألف خلافا لابن التين حيث زعم أن رعوقة

(١) انظر اللسان ٢ / ٩٦٤. (٢) انظر اللسان ٤ / ٢٦٩١. (*)

[٤١٥]

للأصيلي فقط وهو المشهور في اللغة. وفي لغة أروعوفة. وفي رواية عند أحمد " رعوثة "، بئاء مثلثة بدل الفاء وهي لغة أخرى معروفة. وفيها لغة أخرى " زعوبة " بالزاي والموحدة، وهما بمعنى واحد. والراعوفة (١) حجر يوضع عند رأس البئر لا يستطاع قلعه، يقوم عليه المستقي، وقد يكون في أسفل البئر إذا احتفرت، يجلس عليها الذي ينظف البئر، وهو حجر يوجد صلبا لا يستطاع قلعه. " أفثاني فيما استفتيته فيه ": أجابني فيما دعوته، فأطلق على الدعاء استفتاء لأن الداعي طالب، والمجيب مستفتى، والمعنى: أجابني عما سألته عنه، لأن دعاءه كان الله أطلعه على حقيقة ما هو فيه لما اشتد عليه الأمر. " أنشط من عقال " (٢): بضم الهمزة. وفي رواية إسقاط الألف، أي حل كما قال في النهاية، وكثيرا ما يجيء في الرواية " كأنما نشط من عقال " وليس بصحيح، يقال: نشطت العقدة إذا عقدتها، وأنشطتها إذا حللتها. انتهى. قال في البارع تقول العرب: " كأنما أنشط من عقال "، بضم الهمزة، ويقال في المثل للمريض: يسرع برؤه، والمغشي عليه تسرع إفاقته في أمر شرع فيه عزيمته: " كأنما أنشط من عقال "، ويقال نشط، انتهى. فثبت ما في الرواية لغة، وهو أعرف باللغة من صاحب النهاية. " تنشرت ": ظاهر صحيح الخباري أنه من النشرة، ويحتمل أنه من النشر بمعنى الإخراج فيوافق رواية من رواه بلفظ " أفأخرجته ؟ " وروايته " أفلا " وحذف المفعول للعلم به ويكون المراد بالمخرج ما حواه الجف لا الجف نفسه، ليتأكد الجمع المتقدم ذكره. والنشره ضرب من العلاج يعالج به من يظن أن به سحرا أو مسا. قبل للنشرة ذلك لأنه يكشف بها عنه ما خالطه من الداء. والله أعلم.

(١) انظر اللسان ٢ / ١٦٧٣. (٢) انظر اللسان ٦ / ٤٤٢٨. (*)

[٤١٦]

الباب الثالث عشر في معرفة بعض طغاة المنافقين الذين انضافوا إلى اليهود وبعض أمور دارت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم سرد ابن إسحاق وجماعة أسماء المنافقين، وأنا ذاكر هنا بعض من نزل القرآن الكريم بكشف حاله، وأقدم قبل ذلك معنى

النفاق. النفاق: اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو فعل المنافق الذي يستتر كفره ويظهره إيمانه كما يتستر الرجل بالنفق الذي هو السرب (١)، فقبل هو اشتقاقه من هذا. وقيل من قولهم نافع اليربوع إذا دخل في قاصعائه وخرج من نفاقائه وبالعكس. وذلك أن اليربوع له جرة أربعة: النافقاء والقاصعاء والراهطاء والداماء، فهو يرفق أقصى النافقاء ويكتمها ويظهر غيرها. فإذا قصد من غيرها من الجحر ضرب النافقاء برأسه فانتفق منها أي خرج. وقيل: إنها نافذة بعضها إلى بعض، فمن أيها قصد خرج من الأخرى. فكذلك المنافق يدخل في الإيمان من جهة ويخرج من جهة أخرى فاشتقاقه من فعل اليربوع، وقيل: اشتقاقه من صورة النافقاء لا من فعل اليربوع، وذلك أن النافقاء ظاهره مدخل وباطنه مخرج ومهرب، فكذا المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر، ومحل النفاق القلب. ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بشر كثير ممن أراد الله عز وجل هدايته. وإنضاف إلى اليهود أناس من الأوس والخزرج ممن كان عسا في الجاهلية، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره، واجتماع قومهم عليه، فتظاهروا بالإسلام واتخذوه جنة من القتل ونافقوا في السر، وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وجحودهم الإسلام. وقد ذكر الله أخبارهم في سورة براءة وغيرها. فمن المنافقين: الجلاس - بجيم مضمومة. فلام مخففة فألف فسين مهملة - ابن سويد بن الصامت. قال ابن إسحاق: وكان ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك. وروى ابن إسحاق، وابن أبي حاتم عن كعب بن مالك، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وعبد الرزاق، وابن سعد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن عروة قالوا: لما نزل القرآن فيه ذكر المنافقين قال الجلاس: " والله لئن كان هذا الرجل صادقا (على) إخواننا الذين هم ساداتنا وخيارنا) لنحن شر من الحمير ". فسمعها عمير بن سعد رضي الله عنه، وكان في حجر جلاس خلف على أمه بعد أبيه. فقال له عمير: " والله يا جلاس إنك لا حب الناس إلي وأحسنه عندي يدا وأعزه علي أن يصيبه شئ يكرهه، ولقد قلت مقالة

(١) السرب: المسلك في خفية. انظر النهاية ٢ / ٣٥٦. (*)

[٤١٧]

لئن رفعتها عليك - لأفضحك ولئن صمت ليهلكن ديني وإلحادهما أيسر علي من الأخرى ". فمشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ما قال له جلاس. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فحلف جلاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم: " لقد كذب علي عمير وما قلت ما قال عمير. فقال عمير: " بل والله قلته فتب إلى الله تعالى، ولولا أن ينزل قرآن فيجعلني معك ما قلته ". فجاء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسكتوا لا يتحرك أحد. وكذلك كانوا يفعلون لا يتحركون إذا نزل الوحي، فرفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أعناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا بك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير) (التوبة ٧٤) فقال (جلاس): " قد قلته وقد عرض الله علي التوبة فأنا أتوب ". فقبل ذلك منه، وكان هم أن يلحق بالمشركين. (وقال ابن سيرين لما نزلت هذه الآية: أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بأذن عمير وقال): " يا غلام وقت أذنك وصدقك - ربك ". تنبيهات الأول: ذكر في سبب نزول هذه الآية شئ آخر: وهو قول عبد الله بن أبي في غزوة المريسيع: " والله ما مثلنا ومثل محمد إلا

كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك. والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل". فسعى بها زيد بن أرقم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأرسل خلف ابن أبي فحلف بالله ما قاله، فأنزل الله تعالى الآية. رواه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة. وسيأتي بيان ذلك في غزوة المريسيع إن شاء الله تعالى. الثاني: روى محمد بن عمر عن عبد الحميد بن جعفر، أن الجلاس تاب وحسنت توبته، ولم ينزع عن خير كان يصنعه إلى عمير، وكان ذلك مما عرفت به توبته. ومن المنافقين: نبتل - بنون مفتوحة فموحدة ساكنة ففوقية مفتوحة فلام - ابن الحارث، وكان رجلا حسيما، أدلم، نائر شعر الرأس أحمر العينين، أسفع الخدين، وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث". وروى ابن إسحاق عن بعض بني العجلان أنه حدث أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: "إنه يجلس إليك رجل أدلم نائر شعر الرأس أشفع الخدين أحمر العينين كأنهما قدران من صفر، كبده أغلظ من كبد الحمار، ينقل حديثك إلى المنافقين فاحذره". وكانت تلك صفة نبتل بن الحارث يأتي رسول الله فيجلس إليه فيسمع منه ثم ينقل حديثه إلى المنافقين. وهو الذي قال لهم: "إنما محمد أذن، من حدثه بشئ صدقه". فأنز الله تعالى: (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين

[٤١٨]

ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) (التوبة ٦١). تنبيه: في بيان غريب ما سبق: "الأدلم" (١): بدال مهملة: الأسود الطويل. "ناير شعر الرأس": منتشر الشعر. "أسفع الخدين" (٢): السفعة - بالضم: سواد مشرب بحمرة أو زرق. "الصفر": بضم الصاد المهملة وبالفاء: النحاس. ومنهم: مربع - بميم مكسورة فراء ساكنة فموحدة مفتوحة فعين مهملة - ابن قيطي - بقاء فتحية فطاء معجمة مشالة - وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز في حائطه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامد إلى أحد: "لا أحل لك يا محمد إن كنت نبيا أن تمر في حائطي". وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال: "والله لو أعلم أني لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به". فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دعوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر" (٣). ومنهم عبد الله بن أبي سلول، وسلول هي أم أبي وهو أبي بن مالك العوفي أحد بني الحبلى. وكان رأس المنافقين وإليه يجتمعون، وهو الذي قال: "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل" في غزوة بني المصطلق. وفي قوله ذلك نزلت سورة المنافقين بأسرها. وقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وعبد الله بن أبي سيد أهلها لا يختلف عليه في شرفه من قومه اثنان، لم يجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين غيره حتى جاء الإسلام. وكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجه ثم يملكوه عليهم، فجاءهم الله عز وجل برسوله صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك فما أنصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن، ورأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه ملكا. فلما أن رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارها مصرا على نفاق وضغن. وروى ابن إسحاق، وإمام أحمد، والشيخان عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما. قال ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمارا عليه إكاف فوقه قطيفة فدكية مختطمة بحبل من ليف. قال: وأردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر،

[٤١٩]

فمر بعبد الله بن أبي وذلك قبل أن يسلم وهو في ظل أطم وفي مجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود في مجلس عبد الله بن رواحة. فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه وقال: لا تغبروا علينا. فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف فنزل فدعاهم إلى الله فقرأ عليهم القرآن وحذر وبشّر وأنذر فقال له عبد الله بن أبي: " يا أيها المرء إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقا فلا تؤذونا به في مجلسنا، وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه ". قال: فقال ابن رواحة: بلى يا رسول الله فاعشنا به في مجالسنا فهو والله مما نحب ". فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون. فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا. فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل إلى سعد بن عباد، فقال له: " أي سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب " ؟ يريد عبد الله بن أبي. فقال سعد: " يا رسول الله اعف واصفح فلقد أعطاك الله ما أعطاك، ولقد اجتمع أهل البحيرة على أن يتوجه فيعصبوه، فلما رد ذلك بالحق الذي أعطاك شرق، فذلك الذي فعل به ما رأيت " (١). وعن أنس رضي الله عنه قال: قلت: يا نبي الله لو أتيت عبد الله بن أبي ؟ فانطلق إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فركب حمارا، وانطلق المسلمون يمشون، وهي أرض سيخة. فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إليك عني فوالله لقد أذاني نتن حمارك. فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك. فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالحديد - وفي لفظ بالحديد - والأيدي والنعال، فبلغنا أنه أنزل فيهم (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) (الحجرات ٩). رواه الشيخان. قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن أبي حين رأى من خلاف قومه ما رأى: رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك. فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالحديد - وفي لفظ بالحديد - والأيدي والنعال، فبلغنا أنه أنزل فيهم (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) (الحجرات ٩). رواه الشيخان. قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن أبي حين رأى من خلاف قومه ما رأى: متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل * تذو ويصرعك الذين تصارع وهلي ينهض البازي بغير جناحه * وإن جذ يوما ريشه فهو واقع ومنهم أبو عامر الفاسق واسمه: عبد عمرو بن صيفي بن النعمان الأوسي أحد بني ضبيعة بن زيد، وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة. وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح، فكان يقال له الراهب. وكان شريفا مطاعا في قومه فشقي بشرفه وضره. ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو عامر قبل أن يخرج إلى مكة فقال: يا محمد ما

(١) أخرجه البخاري ٧ / ١٥٤ ومسلم في كتاب الجهاد (١١٦) وأحمد في المسند ٥ / ٢٠٢ وعبد الرزاق (٩٧٨٤) والطبراني في الكبير ٦ / ٦٧. (*)

[٤٢٠]

هذا الدين الذي جئت به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " جئت بالحنفية دين إبراهيم ". قال: فإني عليها. فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: " لست عليها (لأنك أدخلت فيها ما ليس منها). قال: بل أدخلت يا محمد في الحنيفة ما ليس بها. قال: " ما فعلت بل جئت به ببيضاء نقية ". فقال أبو عامر: أمارت الله الكاذب (منا) طريدا وحيدا. وإنما قال ذلك بعرض برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث خرج من مكة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نعم أمارت الله الكاذب منا كذلك ". فكان ذلك هو عدو الله فخرج إلى مكة. فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، خرج إلى الطائف فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها طريدا غريبا وحيدا (١).

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل ١ / ١٩ وذكره القرطبي في التفسير ٧ / ٣٣٠ (*).